سنوات و أيام مع
جمال عبد الناصر

شهادة سامي شرف

الكتاب الأول

المكتب المصري الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ
أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ
أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ
فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾

صدق الله العظيم

سورة النساء (١٣٥)



أقسم بالله العظيم

أن كل كلمة بل و كل حرف سطرته في هذه الشهادة
هي الحقيقة المجردة و الواقع الذى عايشته وعشته لحظة بلحظة
منذ أن اختارني الرئيس جمال عبد الناصر لأكون سكرتيرا
للمعلومات ثم وزيرا للدولة ثم وزيرا لشئون رئاسة الجمهورية
ويشهد الله أنى كتبت ما عشته وما شاهدته و ما سمعته
وما شاركت فيه من أحداث و وقائع بأمانة و تجرد
واضعا نصب عينيَ أن الله شاهد عليَ
و أنني سأحاسب أمامه في لحظة محددة.
أردت بهذه الجملة فقط أن تكون أول صفحة في شهادتي هذه.

المؤلف

المواطن القومي العربي المصري الناصري

عبد الرؤوف سامى شرف عبد العزيز محمد شرف

١٦ مارس ٢٠١٤

سنوات و أيام مع

جمال عبد الناصر

شهادة سامي شرف

الكتاب الأول

المكتب المصري الحديث
www.almaktabalmasry.com

الطبعة الثانية ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م



دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

شرف ، سامي .
سنوات وأيام مع جمال عبد الناصر: شهادة سامي شرف . ـ القاهرة : المكتب المصري الحديث ، ٢٠١٤، مج ١ ؛ ٢٤سم.
تدمك : ٩٧٨٩٧٧٢٠٩٢٥٣٨

١- سامي شرف ـ المذكرات

٢ـ جمال عبد الناصر ـ ١٩١٨ ـ ١٩٧٠.
. العنـــوان

٥٧٧,٢٧

رقم الايداع ٥٧٣٣ بتاريخ ٢٠١٤/٣/١٦

المكتب المصري الحديث

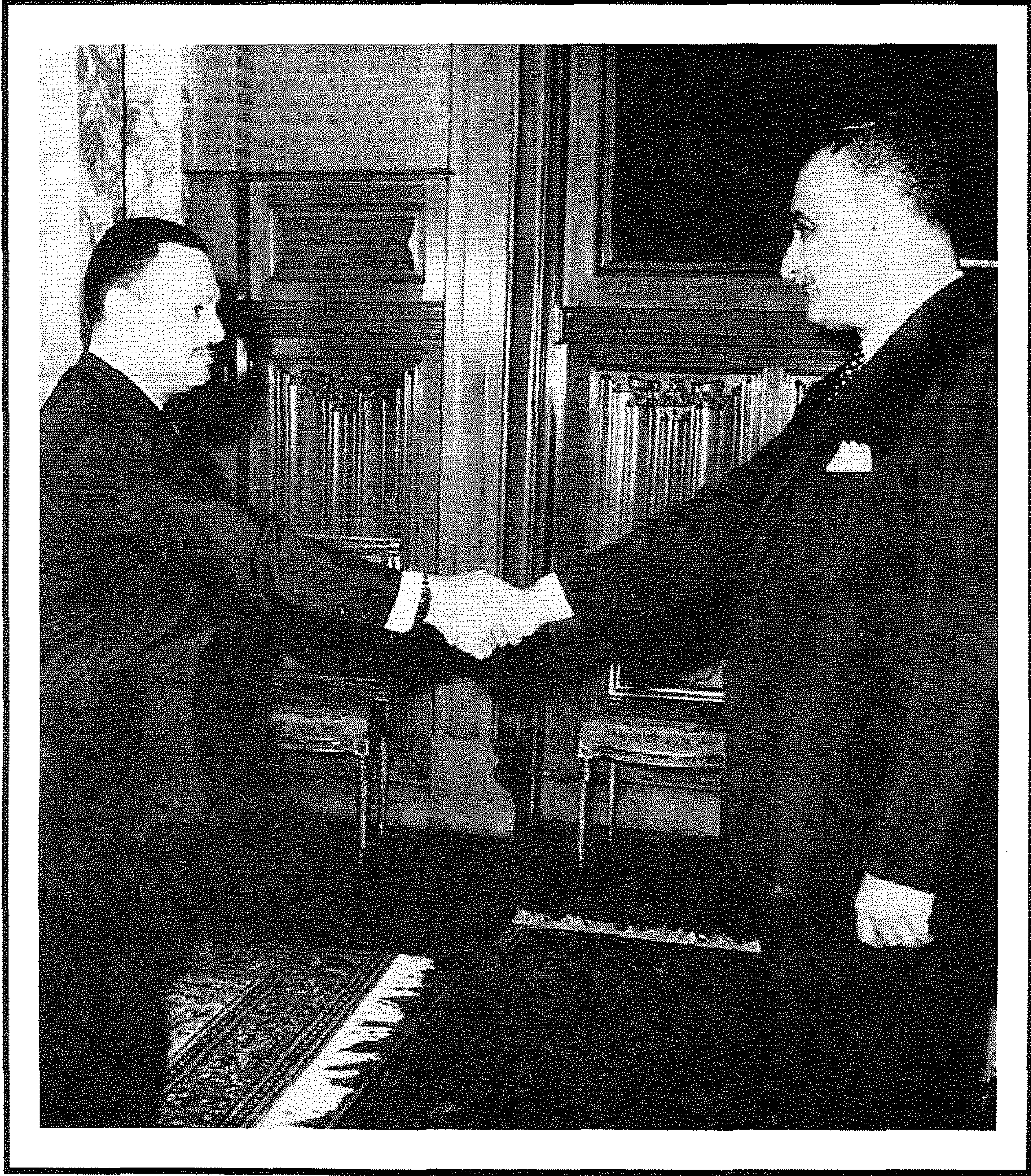
www.almaktabalmasry.com
Email: may642003@yahoo.com

القاهـــرة : ٢ شارع شريف عمـارة اللـواء — ت : ٢٣٩٣٤١٢٧
الإسكندريـة : ٧ شارع نوبـار المنشيـة — ت : ٤٨٤٦٦٠٢

إهـــداء

إلى التى عانت وصبرت وأدت رسالتها كزوجة وكأم ،
فى أوقات صعبة ، وظروف قاسية وعصيبة ...
إلى زوجتى تغريد

سامى شرف



القصر الجمهورى بالقبة ـ ٢٦ ابريل ١٩٧٠

سامى شرف يؤدى اليمين القانونية أمام

الرئيس جمال عبدالناصر كوزير للدولة

سامى شرف فى سطـور

الحياة المهنيـة :

* **الاسم (مُركَّب): عبد الرؤوف سامي عبد العزيز محمد شرف، والشهرة سامي شرف.**

* محل وتاريخ الميلاد: مصر الجديدة يوم ٢٠ أبريل/ نيسان سنة ١٩٢٩.

* أتم تعليمه الابتدائي والثانوي في مدارس مصر الجديدة والمنيا والمنصورة؛ من مصر الجديدة حصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية سنة ١٩٤٥.

* التحق بكلية الطب فكلية التجارة في جامعة فؤاد الأول (القاهرة) العام الدراسي ١٩٤٦/ ١٩٤٧.

* تخرّج في الكلية الحربية برتبة ملازم ثانٍ في أول فبراير/ شباط سنة ١٩٤٩؛ حيث نال بكالوريوس العلوم العسكرية، وكان ترتيبه السادس عشر من مجموع الدفعة البالغ ٢٦١ طالباً.

* خدم في مدرسة المدفعية في ألماظة.

* خدم في سلاح المدفعية باللواء الأول المضاد للطائرات في ألماظة.

* عمل مدرِّساً للرادار المضاد للطائرات على مستوى اللواء.

* عمل كأركان حرب لآلاي (لواء) مدفعية.

* نُقل إلى مدرسة المدفعية مدرِّساً للرادار المضاد للطائرات، ولكنه لم ينفذ هذا النقل لقيام ثورة ٢٣ يوليو/ تموز ١٩٥٢ فبقي في وحدته الأصلية حيث عهد إليه من تنظيم الضباط الأحرار بالإشراف الأمني والسيطرة على هذا الآلاي، وتقرّر ضمّه لتنظيم الضباط الأحرار من ليلة ٢٣ يوليو/ تموز ١٩٥٢؛ حيث كان يحضر اجتماعات خلية من المدفعية، كانت تضم أحمد الزرقاني حطب، وكمال الغر، وإبراهيم زيادة، وعبد الحميد بهجت، ثم انتقل بعد أيام إلى خلية يترأسها الصاغ كمال الدين حسين، وكان من بين أعضائها عماد رشدي، وسعد زايد، وأحمد شهيب، ومصطفى كامل مراد، ومحمد أبو الفضل الجيزاوي، وعبد المجيد شديد، وأبو اليسر الأنصاري، وكان يسدِّد الاشتراك الشهري ٢٥ قرشاً بانتظام.

* في أول يوليو/ تموز ١٩٥٢ رُقيّ إلى رتبة اليوزباشي (النقيب).

* في ٢٦ يوليو/ تموز ١٩٥٢ انتُدب للعمل في المخابرات الحربية، وكُلِّف بالإشراف على رقابة البرقيات الصادرة للخارج عن طريق مصلحة التليفونات (هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية) للمراسلين الأجانب.

* في أوائل أغسطس/ آب ١٩٥٢ كُلِّف بالعمل ضمن مجموعة من الضباط الأحرار ممن كانوا في المخابرات الحربية، وشكّل منهم ما سُمِّي بهيئة مراقبة الأداة الحكومية، وتتبع رئيس مجلس قيادة الثورة مباشرة (وهي تعادل الرقابة الإدارية اليوم).

* من مؤسِّسي المخابرات العامة والمباحث العامة سنة ١٩٥٢.

* في ديسمبر/ كانون الأول ١٩٥٢ انتُدب للعمل في القسم الخاص بالمخابرات العامة، الذي كان مسئولا عن الأمن القومي الداخلي، وكان مقره في بداية تكوينه مع بداية تكوين المباحث العامة أيضاً في مبنى مجمع التحرير، ثم انتقل مع هذه الإدارة إلى مبنى وزارة الداخلية في لاظوغلي.

* في ابريل/ نيسان ١٩٥٥ اختاره الرئيس جمال عبد الناصر للعمل سكرتيراً لرئيس الجمهورية للمعلومات، واستمر في هذا المنصب حتى ٢٨ سبتمبر/ أيلول ١٩٧٠. وتلقى دورة في البيت الأبيض في واشنطن "كيف تخدم الرئيس"، كما درس أساليب العمل في كل من الكرملين، ورئاسة الجمهورية في مكتب الرئيس تيتو، وفي الهند، والصين الشعبية، وفرنسا.

* نُقل إلى الكادر المدني في رئاسة الجمهورية سنة ١٩٥٦ (الدرجة الثانية).

* في ٥ يونيو/ حزيران ١٩٦٠ صدر القرار الجمهوري رقم ١٠٥٥ لسنة ١٩٦٠ بترقيته إلى درجة مدير عام برئاسة الجمهورية، وتدرج في التسلسل الوظيفي الطبيعي من دون أي استثناء حتى رُقيّ إلى درجة وكيل وزارة مساعد برئاسة الجمهورية بالقرار الجمهوري رقم ٢٧٤٨ لسنة ١٩٦٢ في ١٦ سبتمبر/ أيلول ١٩٦٢ ثم وصل إلى منصب مستشار رئيس الجمهورية بدرجة نائب وزير بالقرار الجمهوري رقم ٣٤٠٤/ ٦٥ بتاريخ ٦أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٦٥.

* شارك في دورتين للأمم المتحدة في نيويورك عامي ١٩٥٨ حيث شارك في اجتماعات مجلس الأمن أثناء بحث شكوى لبنان ضد الجمهورية العربية المتحدة، و١٩٦٠ ضمن وفد مصر برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر.

* عُيِّن وزيراً للدولة عضواً في مجلس الوزراء بالقرار الجمهوري رقم ٦٨٥ لسنة ١٩٧٠ بتاريخ ٢٦ ابريل/ نيسان ١٩٧٠.

أعيد تعيينه وزيرا للدولة في ٢٠ أكتوبر ١٩٧٠.

في ١٨ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٧٠ عُيِّن وزيراً لشؤون رئاسة الجمهورية.

* قام بالعديد من المهام الرسمية والخاصة داخل البلاد وخارجها.

* الحياة العائلية:

* متزوِّج وله أربعة أبناء.

* سُجن مرتين: الأولى في يناير/ كانون الثاني ١٩٥٣ فيما عُرف بقضية المدفعية، والمرة الثانية في ١٣ مايو/ أيار ١٩٧١ فيما عُرف بانقلاب مايو/ أيار، وحُكم عليه في هذا الانقلاب بالإعدام الذي خُفِّف إلى السجن المؤبد وقضى منها عشر سنوات كاملة مضافاً إليها يومان وأربع ساعات متنقلاً في سجون مصر؛ من ليمان أبو زعبل إلى سجن القلعة، إلى السجن الحربي، إلى ليمان طرة، إلى ملحق مزرعة طرة، وأخيراً السجن السياسي في مستشفى المنيل الجامعي (القصر العيني) في الشهور العشرة الأخيرة قبل الإفراج عنه يوم ١٥ مايو/ أيار ١٩٨١ الساعة التاسعة مساء.

* مارس العمل السياسي مع قيام الاتحاد القومي، حيث انتُخب عن دائرة مصر الجديدة، وحاز على أعلى أصوات الدائرة الانتخابية.

* عضو في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي.

* من أوائل مؤسسي تنظيم طليعة الاشتراكيين الخلية الأولى التي شُكِّلت من الرئيس جمال عبد الناصر وكل من: علي صبري وعباس رضوان وأحمد فؤاد ومحمد حسنين هيكل وسامي شرف، ثم عضو الأمانة العامة لتنظيم طليعة الاشتراكيين ورئيس المكتب السياسي، علاوة على تولي مسؤولية التنظيم الطليعي على مستوى منطقة شرق القاهرة (أقسام مصر الجديدة والوايلي والزيتون والمطرية وعين شمس والنزهة)، وجامعة عين شمس.

* أسَّس نادي الشمس الرياضي في مصر الجديدة.

* من مؤسسي الحزب العربي الديمقراطي الناصري، وأشرف بصفته رئيساً للجنة الانتخابات على قيام جميع تنظيمات الحزب من القاعدة إلى القمة بالانتخاب، وهي عملية لم يمارسها أي حزب في مصر في الفترة الأخيرة، ثم قدم استقالته من جميع تنظيمات الحزب لأسباب خاصة هو مقتنع بها، وحرصا منه على الحفاظ على وحدة وتناسق الحزب والتيار الناصري

* نائب رئيس اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية وعضو المكتب، ويشارك في كل أنشطتها في الداخل والخارج.

* عضو مشارك في ملتقى الحوار العربي القومي.

* شارك في العديد من الندوات والمحاضرات واللقاءات التلفزيونية، وكتب المقالات الصحافية في الداخل والخارج (سوريا ليبيا الأردن العراق فرنسا الإذاعة البريطانية "BBC" مجلة "آساهي" اليابانية، وكذلك محطتها التلفزيونية في برنامج عن ثورة يوليو/ تموز ١٩٥٢ ومفجّرها الرئيس جمال عبد الناصر محطة الأوربيت وغيرها).

* بعد خروجه من السجن، انتسب إلى الجامعة الأمريكية في القاهرة للحصول على درجة الماجستير في إدارة الأعمال، ولكنه لم يستطع أن ينهي دراسته فيها لأسباب خارجة عن إرادته، حيث تمت مضايقات من أحد رجال المخابرات المركزية الأمريكية من الذين كانوا مزروعين في هذه الجامعة، وقد حاول كبار أساتذة الجامعة الأمريكية إثناءه عن عدم إتمام الدراسة وأبدوا رغبة ملحة في تجاوز هذه المضايقات لكي يتمكّن من الحصول على الدكتوراه من الولايات المتحدة الأمريكية بعد حصوله على درجة الماجستير التي أكدوا أنه سيكون من المتفوقين الذين يحظون بنيل منحة مجانية للدراسات المتقدمة، إلا أنه لم يقتنع.

* حائز على أوسمة ونياشين من كل من يوغسلافيا، كمبوديا، السودان،أفغانستان، المغرب، ساحل العاج، اثيوبيا، النيجر، اليمن، بولندا، بلغاريا ، ماليزيا، تونس، رومانيا ، موريتانيا، فنلندا، السنغال، الكونجو الشعبية ،المجر، إفريقيا الوسطى.

* الأوسمة المصرية التي يحوزها هي الأوسمة العسكرية التي مُنحت له قبل الثورة عندما كان ضابطاً في الجيش المصري.

مقدمة الطبعة الثانية ٢٠١٤

عندما تم التشاور والترتيب لإعادة إصدار هذه الشهادة وإعادة قراءتها لم أجد خيراً مما كتبتُ من قبل وقدمتُ، مع تعديل و تحديث ما طرأ من أحداث وأحوال الأشخاص ..

فإن السطور والكلمات والفصول والأبواب التى احتوتها هذه المذكرات، هى من وجهة نظرى إنما تعبر عن أقل القليل مما يستحق أن يتناول بها من يريد أن يتعرض لمثل هذه الظاهرة الإنسانية التى قلما يجود بها الزمان وتاريخ البشرية ـ هذه الظاهرة لا أعنى بها ظاهرة طبيعية.. وإنما أعنى بلا إطالة « فلتة» من فلتات الزمن حباه الله العلى القدير من الصفات والقيم والسلوكيات والمظهر والطلعة ما يستحق أن نسجله بأمانة وصدق وتجرد باعتبار أن هذا العمل واجب تُحتمه الأخلاق قبل أن يفرضه الوفاء أو الولاء .

وإن كنتُ أعتذر للقارئ الكريم لتأخري فى القيام بهذا الواجب الذى تفرضه اعتبارات كثيرة وكبيرة فى آن واحد ، إلا أننى ـ ولست فى معرض التبرير ـ أقول و فى كلمات موجزة قليلة، أن الأسباب التى حالت دون القيام بهذا الواجب منذ سنوات قد تبدو طويلة، تتلخص فيما يلى :

أولاً : إن المسئولية، والمسئولية فقط هى السبب الرئيسى التى جعلتنى كالمتردد ـ والحمد لله فأنا لست من هؤلاء ـ فى الإدلاء بشهادتى، حقيقة إن مسئولية هذا العمل من الضخامة والتعقيد، بل هى مهمة ثقيلة .. وثقيلة جداً ..لماذا ؟

لأن تناول جمال عبد الناصر الإنسان .. أو تناول جمال عبد الناصر القائد والزعيم .. لايمكن أن يتم من زاوية واحدة، أو من بُعد واحد، بل يُؤخذ ككل ..

ومن أجل أن تتناول أى موضوع ككل فإنك تحتاج لوقت كى تسترجع فيه الجزئيات وتجمعها وتحللها ثم تتم عملية هضم عن اقتناع لما ستصل إليه من نتائج، قبل أن تتناوله ككل وتطرحه للعلن .

ليست هذه فلسفة أو سفسطة، بل لقد حاولت أن أضع ما كان يجيش فى صدرى فى أبسط الكلمات وأوضحها لما يعتمل فى نفسى لكى أصل إلى هذا العمل الذى أرجو من الله أن يوفقنى فى أدائه باعتباره واجباً قومياً قبل أن يكون واجباً وطنياً .

ثانياً : السبب الثانى هو أننى إعتقدت ـ وربما كنت مخطئا فى هذا الاعتقاد ـ أن الإسراع بتسجيل كلمتى وسط « هوجة» ما كُتب وصدر من روايات وحكايات وأبحاث عن أدوار

وادعاءات. وفى خضم هائل سوف يظل يتناول ظاهرة وتجربة عبد الناصر إما مدحاً أو قدحاً وإنصافاً. قد تتوه كلمة أعتقد أنها الأقرب للحقيقة ـ مع يقيني أن الحقيقة الكاملة ليست ملكى وحدي ـ أقول قد تتوه كلمة أو يُساء تفسيرها أو تُستغل فى معارك جانبية وتصفية حسابات وأمور أخرى لاتفيد بل قد تضر بالهدف.

ثالثاً : ما فكرت، ولم أفكر، ولن أفكر فى استغلال على أى نحو وضعى وعملى إلى جوار الرئيس جمال عبد الناصر الأب والمعلم والقائد والزعيم ، ولهذا فقد كنت عندما أقدم أعود فأتراجع بهدوء وعن قناعة ـ وفى الحقيقة مازلت ـ وللأمانة فقد اختلف معى الكثيرون من الأصدقاء .. ـ هذه هى الأسباب ـ ولكنهم جميعاً وبدون استثناء إحترموا وجهة نظرى .. تماما مثلما بادلتهم إحترامهم هذا بمثله .. بل وأكثر ..

فى بعض الأحيان لسبب بسيط هو أن حجم المسئولية والشعور بها كان يزيد ويتضاعف عقب كل لقاء يتم فيه مناقشة الكتابة ومما يؤكد هذا الشعور هو أن الأخ والصديق محمد حسنين هيكل ـ بما له من وزن سياسى وتاريخي ـ قال لى بالنص :

« أنا عندما أكتب أحتاج لتوثيق ما أسطره على الورق .. لكن عندما يكتب سامى شرف فإنه الوحيد فى مصر الذى لايحتاج للتوثيق .. نحن نعنعن أما أنت كنت المتلقى والمصدر ولن تعنعن ..»

وهذا ما كان يخيفنى أكثر وأكثر .

و أدعو الله أن يعيننى على أن أكون شاهد عدل يسعى لرسم خطوط قصة من واقع معايشتها من موقع متميز ..وهو القرب من القمة .

وأجد لزاما عليّ أن أتوجه بكل الشكر والتقدير لكل من عاونونى فى إخراج هذه المذكرات وأمدونى بالرأى أو بالمادة ، وأخص من بينهم الأخت السيدة الدكتورة هدى جمال عبد الناصر لما زودتنى به من أوراق الرئيس جمال عبد الناصر والتى أضافت الكثير للمذكرات وأكدت ماحوت النوت الخاصة والذاكرة من أحداث .

كما أتوجه بالشكر لروح الصديق العزيز الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق و لروح الأخ والزميل الوزير فتحى الديب رحمهما الله .. وللصديق الفاضل الشريف الأستاذ محمد سلماوى والعزيز المبدع الأستاذ محفوظ عبد الرحمن والأخ العزيز الأستاذ عبدالحليم محمود المحجوب الذى سهر الليالى لمعاونتى فى الإعداد والصياغة.

كما لا يفوتنى أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان لجميع إخوانى أعضاء أسرة سكرتارية الرئيس للمعلومات ، وكذلك الإخوة من الذين شاركونى وعاونونى فى العمل السياسى

فى منطقة شرق القاهرة، والذين ساهموا بالرأى والمعاونة والمشورة والنقد ـ لما احتوته هذه المذكرات من أجزاء خاصة بالتنظيم السياسى ونادي الشمس ـ إلى أن خرجت إلى الوجود.

وهؤلاء الأخوة قد انتقلوا جميعا إلى رحمة الله تعالى وهم السادة : أحمد شهيب واللواء جمال هدايت والأستاذ نبيل نجم والمهندس أحمد حمادة والأستاذ درويش محمد درويش والأستاذ أحمد إبراهيم أسكنهم الله فسيح جناته..

كما أتقدم بالشكر والعرفان لروح المرحوم الفريق أول محمد فوزى ..

وللصديق الأستاذ محمد حسنين هيكل له كل الشكر والتقدير ..

كما أتقدم بالشكر والعرفان لروح الأساتذة : محمد عودة و عبد الله إمام وأحمد حمروش ومحمود المراغى والراحلين الدكتور فؤاد مرسى وفيليب جلاب.. رحمة الله عليهم

وأتقدم بالشكر لكل من مصطفى بكرى وهانى الهندى، وكثيرين آخرين من الأصدقاء القدامى ومنهم إخوة تشرفت بمعرفتهم .. يمكن للمرة الأولى فى حياتى حضروا للقائى لحثهم إياى من أجل أداء هذا الواجب ..

هذا بخلاف مناقشات ولقاءات أخرى كثيرة . نشّطت الذاكرة وحفزت النفس لأداء هذا الواجب . والتى إمتدت عبر سنوات الغربة ـ فى السجون ـ مع رفاق كفاح ونضال ومصير.. أخص منهم الإخوة عليهم رحمة الله : علي صبري و شعراوى جمعة وعبد المحسن أبو النور وضياء الدين داود وفريد عبدالكريم و محمد عروق .. أسكنهم الله فسيح جناته.

ولا يفوتني أن أذكر الأخ والصديق محمد فائق بكل الحب والود أمد الله في عمره فله كل الشكر والتقدير ..

وأخيراً مجموعات من شباب مصر والأمة العربية من سوريا ولبنان والأردن واليمن وليبيا وتونس والجزائر والسعودية والسودان الذين لم ييأسوا من ملاحقتى بإصرار وحماس، لعل هذه الملاحقات قد تكون السبب الرئيسى الذى دفعنى دفعا لإتمام هذا العمل المتواضع.

ومما لاشك فيه أن جمال عبدالناصر كان ولسوف يظل الشخصية الأولى على المسرح السياسى المصرى والعربى وفى العالم الثالث ، ولسوف يظل أيضاً لفترة زمنية أخرى قائداً للجماهير وحاملاً للضوء الكاشف لمسيرة هذه الأمة العربية ـ بدليل أنه منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحتى الآن أى لأكثر من ستين عاماً منها أكثر من أربعين عاما مضت على لقاء ربه ـ وهو باقٍ فى ملحمة نضالية مصدراً لإلهام أمته .

ولعلنا نذكر مقولة « ليندون جونسون» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذى قال يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ : « ولقد انتهت القضية .. وانتهى الديك الرومى ..Turkkey Shoot»

ولم تنته القضية ، بل هى باقية وستظل باقية ، كما لم ينتهى الرجل سنة ١٩٦٧ ـ بل حان أجله ولقى ربه فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ـ وبعد ثلاثة سنوات كان قد استرد فيها نفسه واستعاد ثقته وحمّلها لأمته العربية كلها.

إن هذه السطور ليست محاولة لتأريخ مرحلة من تاريخ مصر، كما أنها ليست دفاعاً عن جمال عبدالناصر الذى لايحتاج لمن يدافع عنه ، فذاكرة ونبض الجماهير هى الأقدر على ذلك، كما أنها هى البوصلة الصحيحة لتحديد المسار واتجاه الحقيقة.

إن جمال عبدالناصر بقدر ما كان ثائراً وقائداً وزعيماً ومعلماً ، وتخيل البعض أن قدراته فوق مستوى البشر ، إلا أنه كان بشراً وإنساناً يخطئ ويصيب ، كما كانت الأوضاع والظروف والمتغيرات التى عاشها وعايشته تختلف تماما عما نعيشه اليوم ونحكم به اليوم على أعماله وقراراته . وفى نفس الوقت فقد كانت ومازالت الثوابت التى تحكم تصرفاته وقراراته صامدة وثابتة حتى يومنا هذا ، بل نستطيع أن نقول إنها دليل العمل الصحيح لقضايانا الداخلية والخارجية من أجل تأمين مستقبل لمصر وللأمة العربية على حد سواء.

وأعود فأقول إن هذا العمل ليس محاولة لكتابة تاريخ ، إنما هو محاولة لشاهد على مرحلة هامة من تاريخ مصر وهو سرد لأحداث سياسية ومحاولة لرسم خطوط قصة عظيمة من واقع معايشة من موقع متميز وهو القرب من قمة النظام .. وأى قمة كانت .. ويا ليتها استمرت ، وليتها تعود لتكمل التجربة والمسيرة .. طبعا لن تعود بشخصها فهذا من ضرب الخيال والمستحيل .

وإنما الأمل فى عبدالناصر المعنى وهو يعنى الكثير لأنه مصرى وطنى..

ويعنى الكثير لأنه قومى عربى ..

يعنى الكثير لأنه كان يحس النبض الحقيقى للشعب ..

يعنى الكثير لأنه حر يؤمن بالحرية وبالتغيير ولديه إرادة التغيير ..

يؤمن بقضيته التى هى قضية كل إنسان حر .. يعنى الكثير لأنه شريف .. صادق مع نفسه ، كما كان صادقاً مع الغير..

يعنى الكثير لأنه كان كبير القلب ، عزيز النفس ..

يعنى الكثير لأنه بار بأسرته وبوطنه وبأمته العربية والإسلامية والإفريقية وبالإنسانية.

عبدالناصر المعنى ..إنه يعنى الحرية ، ويعنى الإشتراكية ، ويعنى الوحدة ..

يعنى أن الديمقوقراطية هى الحرية السياسية ، والاشتراكية هى الحرية الاجتماعية ، ولايمكن الفصل بين الإثنين ؛ إنهما جناحا الحرية الحقيقة.

لقد كانت الثوابت التى تحكم حركة عبدالناصر تتمثل فى عناصر ثلاثة :

الأول : السلطة المركزية .
والثانى : الدور المصرى فى المنطقة .
والثالث : سياسات القوى الكبرى صاحبة المصلحة فى حصار هذا الدور المصرى والعمل على تصفيته.

والدليل على استيعاب الرئيس جمال عبدالناصر لهذه الثوابت هو طرحه لدليل العمل لتجربة الحرية والإشتراكية والوحدة ، واضعا فى الاعتبار المتغيرات التى تواكب التطبيق.

لقد إختار عبدالناصر من البداية ..

إختار الحرية والاستقلال .. واختار الانحياز الكامل للشعب العامل .. للفقراء وظلت هذه الإختيارات مستمرة . متدفقة حتى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

لقد كان عبدالناصر يجرب، ولكنه لم يفرط .. كان يخطئ . ولكنه كان يتعلم ويصحح .. كان يثق، ولكنه لم يكن يخدع ..

هذا هو جمال عبدالناصر ، الإنسان والثائر .. والقائد والزعيم والمعلم .. إن الملايين التى ناصرته حياً هى التى حفظت عهده ذكرى وإيماناً ووفاءً . فإذا بهذه المبادئ التى تركها تصبح دستوراً يظلل كل الخطى من بعده .. ويفسح أمامه الطريق ، وإذا بكل ما شيده عبدالناصر ونظّم وأقام ، وهو الحارس الذى يصون المجد الذى أوصل أمته إليه. وستعيش أمة عبدالناصر من بعده .. وستمضى فى طريقها إلى أكثر من هذا المجد ومن هذه الروعة والعظمة لأنها ستمضى على هديه وهدى مبادئه.

إننى أعرف مقدماً أن هذا الكتاب ربما سيفجر عدداً من القضايا من جديد ..

وقد يزيد من ضراوة الحملات المسعورة التى لم تنقطع ضد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

وضد جمال عبدالناصر..

ولكن هذا هو قدر من يملك اختيار موقفه..

ويقول كلمته إرضاءً لضميره ووفاءً للرجل..

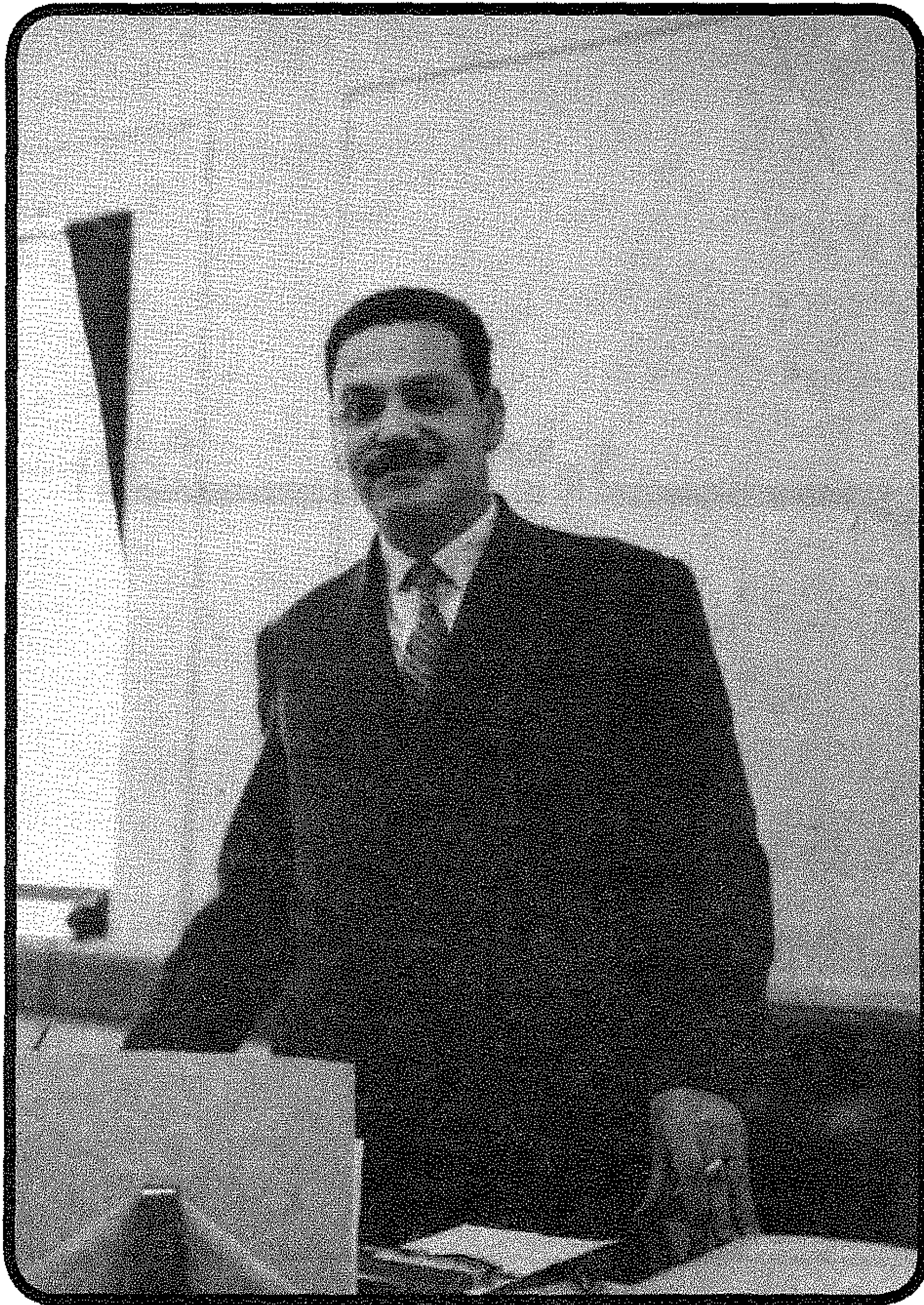
سامى شرف

مصر الجديدة ـ ٢٠ ابريل ٢٠١٤

الفصـــل الأول

النشـــأة الأولـــــــى

فوجئت يوم التخرج من الكلية الحربية أن يعلن كاتم أسرار حربية عن تعييني في سلاح المدفعية.



من الجذور، والطفولة، والشباب المبكر، إلى الحياة العامة، فالشيخوخة

بعد أن أنهيت تدوين هذه المذكرات وكتبتها بنفسى على الكمبيوتر ، قال لى صديق عزيز لماذا لم تكتب من أنت .. ؟ فقلت لنفسى ألم تنس أن تضع تحت أنظار القارئ الكريم فصلا يصور له بقلمك من أنت ؟ ومن أين أتيت ؟ وكيف نشأت ؟

وبعبارة أخرى «ابن مين أنت» فى مصر.

وأستأذنك عزيزى القارئ أن أبدأ من الفيلا رقم ١٢ شارع «كومانوس» - الصومال حاليا- بمصر الجديدة الساعة الثالثة من صباح يوم ٢١ إبريل ١٩٢٩ بدأت أصرخ معلنا بدء حياتى.

ومن المفارقات والصدف الغريبة أن المقر الانتخابى الذى أدلى فيه بصوتى فى الانتخابات والاستفتاءات طبقاً لبطاقتى الانتخابية ورقم قيدى ٢٢٥ حرف (ع) قسم مصر الجديدة ، أقول أن مقر إدلائى بصوتى هو فى نفس الفيلا بل ونفس الغرفة التى ولدت فيها حيث أصبحت البناية الآن عبارة عن مدرسة حكومية.

كانت الفيلا التى ولدت فيها لجدّى لوالدتى محمد زكى صالح (بك) مدير - محافظ الآن - بنى سويف . وكان والدى فى هذا الوقت مفتشا لصحة بندر الجيزة وهو الدكتور عبدالعزيز محمد شرف الذى كان قد عاد قبل عامين من المملكة المتحدة حاملا شهادة الدكتوراه فى الجراحة العامة من كلية الطب فى إدنبرة . وقام والدى بتسجيل شهادة ميلادى فى مكتب صحة الجيزة يوم ٢٦ إبريل ١٩٢٩ ولكن بتاريخ الميلاد الصحيح وفى الصفحة ٢٣ جزء١٧/ - بالطلب ٢١٥٨، سجلت تحت رقم ٥٧٢ .

وترجع أصول عائلة والدى إلى قبائل عربية استقرت فى مديرية (محافظة) البحيرة مركزى شبراخيت وإيتاى البارود وهما مركزان متجاوران . وتعود أصول عائلة والدى كما عُرف عنها وكما قال لنا الأجداد والمعمرون ، إنها عائلة الشاعر المنتسبة للشاعر حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتعود عائلة والدتى إلى قبيلة الصوالح التى هاجرت من الأراضى الحجازية إلى المغرب، ومنها إلى مصر حيث استقرت فى إقليم البحيرة، ولكن جدتى لوالدتى كانت من عائلة النواوى وجدها كان الإمام الأكبر الشيخ حسونة النواوى شيخ الجامع الأزهر .

والدتي المرحومة السيدة روحية محمد زكى صالح ـ الثانية من بين أخوات سبعة غيرها وشقيقين توفوا كلهم رحمة الله عليهم .

كانت الوالدة من أوليات من انضممن للتعليم فى المدرسة السنية فى العقد الأول من القرن العشرين ، وحصلت على شهادة الابتدائية ثم الكفاءة ـ تعادل منتصف التعليم الثانوى الآن ـ مع فارق كبير فى مستوى التحصيل العلمى حيث كن يتلقين مواد ولغات تفوق التعليم الجامعى الآن .

كانت أم ومدرسة فعلا فى كل شئ .. تسهر الليالى تستذكر معنا دروسنا حتى المرحلة الثانوية وأتقنت خلال هذه الفترة اللغة الفرنسية إلى الإنجليزية التى كانت تجيدها أصلاً .. كانت تصادقنا ، كل حسب مواصفاته وميوله، وبثت فينا روح الانتماء والترابط العائلى.

كان لدينا فى البيت بيانو أجادت العزف عليه سواء سماعى أو على النوتة ، وعزفت جميع الألحان العربية والأجنبية الكلاسيكية ، وشجعتنى على تعلم أصول العزف على البيانو والهارمونيكا التى مازلت أعزفها حتى الآن.

أما أخواتى البنات فإلى جوار الاهتمام بتعليمهن فى مدارس الراهبات الفرنسية عندما كنا فى الأقاليم ثم الليسية فرنسيه بمصر الجديدة عندما استقرينا فيها سنة ١٩٤٥ ، ووصلت شقيقتنا الكبرى ـ رحمها الله ـ إلى تدريس اللغة الفرنسية فى كلية البنات جامعة عين شمس وعملت فى نفس الوقت مترجمة فى وكالة الأنباء الفرنسية ثم وكالة أنباء الشرق الأوسط.

الوالدة كانت تؤمن بالمساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات وفى نفس الوقت كانت تحترم قواعد وتقاليد الأسرة المصرية . وكما شاركت فى مظاهرات ١٩١٩ فقد شجعتنا جميعا على المشاركة السياسية فى أمور بلدنا .. كانت اجتماعية بشوشة حتى فى غضبها ، وحرصت على توطيد العلاقات مع زوجات المسئولين والشخصيات العامة فى كل العواصم التى عشنا فيها ، خصوصا زوجات الأطباء زملاء الوالد واستمرت هذه العلاقات حتى آخر يوم فى حياتها، وبالذات مع زوجات الدكاترة ، صالح ثابت ، وعبد العزيز محمد ، وعلى عبدالعال ، الذى كان والده سكرتيرا لجدى ـ وعلى زين العابدين أول مدير للقصر العينى ، وكورنيليوس بقطر ، وغيرهم .

أذكر أنه عندما كنا فى الأقاليم كانت تقيم يوماً للاستقبال يبدأ من الخامسة حتى الثامنة أو التاسعة مساء ، تستقبل فيه زوجات مدير المديرية، ومفتش الرى، ورئيس المحكمة، ورئيس النيابة، ومدير التعليم، والطبيب الشرعى، والحكمدار ـ مدير الأمن ـ ونظار الابتدائى والثانوى ومأمورى الأقسام وناظرات مدارس البنات الابتدائية والثانوية، وكن يقمن بنشاط اجتماعى ويقمن معارض لإنتاجهن اليدوى ..شغل الإبرة والكانافاه والصور واللوحات .. الخ وكانت الحصيلة يتبرعن بها للجمعيات الخيرية أو للمستشفيات العامة.

كانت الوالدة تشجعنا على القراءة ـ ليس فقط باللغة العربية ولكن بالفرنسية والإنجليزية، ومن هنا فقد كانت إجادتنا كلنا للغات منذ الصغر، بل إن شقيقى السفيرين أجادا لغات البلاد التى مثلا مصر فيها .. فرنسا، تركيا، السويد، الاتحاد السوفيتى، الصين، وباكستان.

كان بيت الدكتور عبدالعزيز شرف بدون مبالغة هو بيت العائلة الكبير: كل العائلة كانت تلجأ للوالدة فى مشاكلها العامة والخاصة.

لم تدع زيارة تفوتها وأنا أطوف فى سجون السادات، وكانت تقول لى فى كل زيارة وبصوت عال فى حضور الضباط الحراس : «**يا بنى القوالب نامت والأنصاص قامت !**» ..

وكانت آخر زيارة لى وهى مصابة باشتباه بذبحة صدرية قبل وفاتها بأيام، كما أصرت ليلة الوفاة على الاتصال بى تليفونيا فى معتقل المسجونين بالقصر العينى لتقول لى : يا سامى اقرأ لى الفاتحة وإنت بتصلّى ..«ثم أغلقت التليفون».

وفى يوم ٢٨ مارس ١٩٨١ جاء محمد سامى شرف إلى السجن ليبلغنى برحيل الوالدة وأنه تتم محاولات واتصالات لحضورى تشييع الجنازة . وفعلا اتصل بى تليفونيا اللواء رشيد وكيل المباحث العامة وقدم لى العزاء وأبلغنى أنه قد تقرر حضورى تشييع الجنازة وتقبل العزاء .

وعدت فى المساء إلى سجن القصر العينى ..

وبالمناسبة فقد دار حديث بينى وبين الضابط الذى رافقنى.. أهم ما دار فيه قوله :«مش كفاية يافندم بقى، بقى لك فى السجن عشر سنين مش كانت تبقى مناسبة لها أثرها لو أفرجوا عنك اليوم مثلا ؟ هو انتم عملتم إيه ؟ ده القتلة والمجرمين وتجار المخدرات بيحكم عليهم بخمس سنين ويفرج عنهم بعد نصف المدة !! فقلت له : **ياصديقى كله بأمر الله**».

رحم الله الوالدة رحمة واسعة وأسكنها فسيح جناته.

انتقل والدى بعد ذلك مفتشاً لصحة مديرية (محافظة) بنى سويف وانتقلت العائلة معه حيث التحق إخوتى سميحة (١٩٢٢) بمدرسة الراهبات، وعمر (١٩٢٥) والذى أصبح سفيرا فيما بعد، وعز الدين (١٩٢٧) الذى أصبح مساعدا لوزير الخارجية فيما بعد، ألحقنا بالمدارس الابتدائية الأميرية . وفى سن الرابعة دخلت كتّاب الشيخ مسعود ببنى سويف حيث تسلمت جزء «عمّ» وبدأ الشيخ مسعود فى تحفيظي القرآن الكريم، وكان شقيقىّ عمر وعزالدين قد سبقانى فى الالتحاق بهذا الكتّاب أيضاً . ولا أنسى أبداً منظر الفلكة التى كان يمدنا عليها ليضربنا على أرجلنا عندما لا نحفظ كما ينبغى أو عندما نخطئ فى التلاوة الصحيحة، ولم يكن يفرق فى هذا بين ابن المدير أو ابن الغفير .. كما لم يكد ينتهى العام الدراسى إلا وكنت أحفظ ـ ومازلت والحمد لله ـ جزء «عمّ».

وفى العام الدراسى ٣٤/ ١٩٣٥ التحقت بمدرسة مصر الجديدة الابتدائية، حيث كان والدى قد انتقل للعمل كمفتش صحة مديرية القليوبية واختار لنا السكن فى مصر الجديدة وكان عليه أن يتوجه فى الصباح الباكر إلى بنها ليعود فى المساء . وكان سكننا فى عمارة جديدة من عمارات شركة مصر الجديدة فى شارع شريف باشا الذى كان يقيم هو شخصياً ـ أى شريف باشا ، وكان أحد اللواءات فى الجيش ، فى فيلا أول الشارع ، وفى هذا المنزل انضم للأسرة الصغيرة أختى سلوى سنة١٩٣٥ وأخى طارق فى ديسمبر ١٩٣٦، وقد ختم حياته ككبير للمترجمين العرب فى منظمة الأمم المتحدة فى جنيف. وأذكر أنه كان يقيم فى الدور الأول أحد الكونستبلات الإنجليز من الذين كانوا يعملون فى البوليس المصرى فى ذلك الوقت ، وكان بيننا ـ عمر وعزالدين وأنا ـ وبينه مشاحنات لأننا كنا نلقى على موتوسيكله القاذورات ، كما كنا نقوم بغرس المسامير فى الأسفلت لتخرق عجلاته ، كان يشتكى للوالد الذى كان يغمز لنا بعينيه بمعنى أن يقول لنا : استمروا فى ما تقومون به ولاتسألوا فيه ! وكان يشاركنا فى هذه العملية محمد عبدالرحمن نصير زميلنا فى المدرسة وأحد الضباط الأحرار فيما بعد وشقيقه سيد نصير .

فى مدرسة مصر الجديدة الابتدائية التى كانت تعتبر من مدراس أبناء الذوات فى القاهرة فقد كانت تضم أبناء ذوالفقار باشا ـ والد الملكة فريدة ـ الذى كان يقيم فى قصره أمام مبنى المدرسة ، وأحفاد الفريق عزيز المصرى باشا وأبناء شريف باشا وأبناء شرارة باشا وأحفاد لطفى السيد باشا وأبناء النقراشى باشا وعبدالحميد بدوى وشاكر باشا وأحمد باشا حسنين وخلوصى باشا..الخ وكان ناظر المدرسة إسماعيل (بك) توفيق ـ كان بك رسمى ـ كما كان المدرسون من أبرز رجال التعليم فى مصر.. كان مدرس اللغة الإنجليزية المستر «دولبى» حيث كنا نتلقى اللغة الإنجليزية اعتبارا من السنة الأولى الابتدائية.

وفى العام الدراسى ١٩٣٨/١٩٣٧ انتقل الوالد إلى منصب مفتش صحة مديرية المنيا واصطحبنا معه حيث استأجر شقة كبيرة عبارة عن سبعة حجرات فى أحدث عمارة فى شارع «ابن خصيب» وهى تعلو بنك قلينى، وكان صادق بك قلينى أحد كبار تجار القطن فى صعيد مصر وكان يدير هذا البنك ليرعى مصالح الفلاحين فى مقابل ما كان يقوم به المرابين اليهود والمتمصرين من إذلال للفلاحين. وفى مدرسة المنيا الابتدائية ـ وكان ناظرها عبدالعزيز (بك) لطفى ـ كانت الدراسة تتبع نظام اليوم الكامل سبعة حصص فى اليوم ـ خمسة منها مرحلة أولى ثم فسحة لمدة ساعتين نتناول فيها طعام الغذاء الذى تقدمه المدرسة .. ومن المفارقات الظريفة التى أذكرها عن مدرسة المنيا الابتدائية أن مدرس اللغة العربية كان يدعى الأستاذ طنطاوى وكان يقوم برحلة سنوية صيفية على المركب إلى اليونان وعندما يعود فى أول العام الدراسى كان يحكى لنا نوادره ومشاهداته هناك كما كان يلقّنا بعض الكلمات اليونانية التى يلتقطها مثل :

(كليميرا ـ تى بو تاه ـ أفكار إستوه ـ ثغابوه ـ وهكذا) .

انضممت فى هذه المدرسة إلى فريق الموسيقى الذى كان يتولاه الأستاذ السيد البدوى مدرس الرسم والأشغال اليدوية ، وبدأت أتعلم العزف على آلة البيانو التى استمررت فى العزف عليها حتى منتصف الأربعينات واضطررت لتركها لظروف عائلية مادية خاصة ، وكذلك آلة الهارمونيكا التى أتقنتها وأجيد العزف عليها حتى اليوم وكانت بالمناسبة تسليتنا فى فترة سجون السادات . وكان مدرسونا فى هذه المرحلة الأساتذة الأفاضل محمد الوليلى وحنا عبدالمسيح للرياضة ووديع أبسخرون للغة الإنجليزية والشيخ عبدالرحيم محمد للغة العربية . ولعل من أبرز الزملاء فى هذه المدرسة محمد إبراهيم دكرورى ود.جمال القشيرى.

فى العام ١٩٤٠ وبعد أن حصلت على شهادة إتمام الدراسة الإبتدائية من مدرسة المنيا الإبتدائية ـ وكانت على مستوى القطر المصرى كله ـ التحقت بمدرسة المنيا الثانوية التى كان يتولى نظارتها أحمد بك حلمى محمد ، وكان يقوم بعمل فصول للتقوية فى مادة الرياضيات التى كان متخصصا فيها وكان يقوم هو شخصيا بالتدريس والشرح لنا ، وكان مدرسو الإنجليزية والفرنسية أساتذة إنجليز وفرنسيين أذكرمنهم ، جيوم ، ولولو وبراون وكان جيوم يمتطى دراجة فى حضوره ومغادرته للمدرسة . وفى منتصف العام الدراسى نقل ناظر المدرسة وعين بدلا منه السيد/ السيد يوسف (عديل الرئيس جمال عبدالناصر فيما بعد الذى سيرد الكلام عنه بالتفصيل فى فصل سكرتارية الرئيس للمعلومات).

طوال فترة إقامتنا فى المنيا استأجرنا أيضاً إحدى فيلات شركة مصر الجديدة فى القاهرة وكانت تقع على ناصية شارعى البارون (١٥ شارع نزية خليفة الآن)، وإسماعيل (بغداد الآن)، وأذكر إيجارها كان سبعة جنيهات فى الشهر وقد أصبحت هذه الفيلا الآن مدرسة للبنات الراهبات ، وكان جدى لوالدتى مستأجراً الفيلا المقابلة لها وعلى الجانب الآخر من شريط المترو والمجاورة لفيلا الملكة فريدة.

انتقل الوالد بعد ذلك ليُعين مفتش صحة مديرية الدقهلية، وبالتالى انتقلنا معه إلى المنصورة، وبها التحقت بمدرسة المنصورة الثانوية واستأجر لنا الوالد شقة فى عمارة فى حى توريل على البحر الصغير ملك الحاج خليل القصيفى ـ أحد كبار المقاولين فى كل من الدقهلية ودمياط وبورسعيد ـ وكانت تجاور حديقة البلدية ومنزل مدير المديرية ومستعمرة الرى فى الدقهلية ـ وبالمناسبة كانت مستعمرات الرى فى مصر تعتبر من أرقى الأماكن التى يمكن أن يتخيلها الإنسان من حيث النظام والنظافة والناحية الجمالية وفى حدائقها البديعة التى لم تكن تختلف فى المنصورة عنها فى المنيا أو فى بنى سويف أو فى بنها أو القناطر الخيرية ، وكان تخطيط حى توريل مشابه لحد كبير تخطيط مصر الجديدة من حيث الشوارع المتقاطعة مع بعضها بشكل منتظم طوليا وعرضيا وكل منزل كان به حديقة ، كما كان يتدفق فى البحر

الصغير المياه النظيفة التى ترى قاعه من خلالها . وكان يقيم فى هذا الحى كبار الموظفين ومجموعة من الأعيان وكبار المهنيين من أطباء ومحامين ومهندسين ، ويحد الحى من الناحية الشمالية نهر النيل العظيم الذى كان يتسع بشكل ملحوظ فى مقابل مدينة المنصورة ، وكانت تزين كورنيشه مؤسسات مدنية وحكومية تمتاز بالأناقة والجمال منها على سبيل المثال منزل مدير المديرية ومستعمرة وتفتيش الرى ثم مكتبة المنصورة الحكومية الأنيقة العامرة أبداً ودوماً بالكتب وقاعة المطالعة .. ثم مجموعة من الكازينوهات والسينمات ومنها سينما عدن الشهيرة ودار البلدية ومحلات راندوبولو للحلوى والقهوة ثم قصر الشناوى باشا فحديقة شجرة الدر وإلى جوارها مدارس المنصورة ومستشفياتها ، ثم المدرسة الثانوية والصنائع والرشاد والمستشفى الأميرى فالحميات ، أما المدرسة الإبتدائية فقد كانت تقع فى حى المختلط فى وسط المدينة ، وبجوار ميدان محطة السكك الحديدية.

فى مدرسة المنصورة الثانوية كان ناظرنا للمرة الثانية أحمد حلمى محمد بك ، وكان يقوم بالتدريس فيها مجموعة من أعظم رجال التعليم فى ذلك الوقت ، وكانت المنصورة الثانوية هى المدرسة الثانوية لثلاثة مديريات هى الدقهلية والشرقية ودمياط فكانت تزخر بأعداد كبيرة من أبناء هذه المحافظات الثلاثة من عائلات العلايلى ونيازى وأبو سمرة والجمال وعبدالهادى (المليجى) واللوزى والبدراوى عاشور وسراج الدين وغيرها من العائلات المعروفة.

وبهذه المناسبة فقد كنت طوال دراستى فى المدارس الابتدائية والثانوية طالبا متوسط التحصيل وإن تفوقت فى اللغات والجغرافيا والتاريخ ، وانضممت إلى فريق الموسيقى وفريق الكشافة الذى كان يتولاه الزميل إسماعيل صبرى حمدى ، وآخر عهدى به كان فى منتصف الستينات حيث كان يقوم بالتدريس فى إحدى المدارس الليبية . وقد قمنا بعدة معسكرات ورحلات سيراً على الأقدام منها إلى المحلة الكبرى وأخرى إلى دمياط وثالثة إلى طنطا ، هذا بخلاف معسكرات المبيت فى الهايك (خيمة صغيرة) ليلة أو ليلتين لاستكشاف منطقة جديدة فى محافظة الدقهلية كبحيرة المنزلة مثلا وعمل دراسة ميدانية عنها .

كان يزاملنى فى مدرسة المنصورة الثانوية ومن أبرز الطلبة فيها فى هذه الفترة السادة محمد فايق وزير الإعلام فيما بعد ـ الذى زاملنى فى فصل واحد ودكّة واحدة طوال السنوات الأربعة وحتى مرحلة الثقافة العامة، والذى زاملنا فى المخابرات العامة ورئاسة الجمهورية وفى زنزانة مجاورة فى سجون السادات ـ ومن زملائى أيضاً محمد المصرى مساعد سكرتير الرئيس للمعلومات للشئون العربية فيما بعد وأحد الضباط الأحرار فى سلاح المدفعية وشقيقة السعدى حامد المصرى أحد الضباط الأحرار فى سلاح المدفعية فيما بعد.

ونعمان العلايلى المحاسب القانونى المعروف ورئيس مجلس إدارة نادى السيارات فيما بعد.

ومحيى الدين سلامة الخولى .. أحد الضباط الأحرار فى سلاح المدفعية وأول من أذاع بيان قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ قبل أن يصل البكباشى أنور السادات لمبنى الأذاعة.

وخالد حسونة رئيس محكمة استئناف القاهرة فيما بعد .

ومحمود عباس عبدالهادى ، أحد الضباط الأحرار والسفير فيما بعد.

ونصر وفاروق العزيزى اللذان أصبحا ضابطين فيما بعد.

وفتحى قنديل من الضباط الأحرار والسفير فيما بعد وشقيقية محمد قنديل المحامى وحسنى قنديل.

وجمال حماد المهندس الذى أصبح وكيل وزارة الأشغال ، وشقيقه محيى الدين حماد الدكتور ونائب رئيس شركة مصر للطيران ومدير مستشفى وزارة الكهرباء فيما بعد.

والإخوان فايز وفاروق التاودى ، وكانا من أوائل المدرسة بجدارة . وعبداللطيف الطرشوبى وأنيس منصور وعوض الدحة ومحمود البرهمتوشى ـ زعيم المدرسة ـ وكانوا يسبقونا بسنتين دراسيتين . وآخرين لم تسعفنى الذاكرة بحصرهم .. وأرجو أن يعذرنى كل عزيز زاملنى فى هذه المرحلة لم أذكر اسمه.

وأذكر أن السيد أنيس منصور كان يصل إلى المدرسة ومعه مجموعة من الطلبة من أبناء العاملين فى دائرة عمر طوسون باشا فى دميرة ، مستقلين سيارة نصف نقل سوداء ماركة فورد١٩٢٩ وكانت عبارة عن كابينة للسائق وباقى السيارة مكشوف تغطيه «تندة» من قماش الخيام ومثبت على أرضيتها مقاعد خشبية متقابلة ، ثم تعود نفس السيارة عقب انتهاء اليوم الدراسى لإعادتهم إلى دميرة.

كانت المنصورة الثانوية تعتبر من أهم معامل تفريخ رجال مصر المستقبل وما زالت حتى الآن.

كانت مدرستى المنصورة الثانوية والصنائع الثانوية متجاورتين ، وكانتا تنضمان مع بعضهما عند قيام المظاهرات فى المناسبات الوطنية ، مما كان يشكل قوة ضاغطة فعالة لتشكيل الرأى العام الطلابى فى تلك المرحلة ، وكان أبرز تيارين سياسيين فى ذلك الوقت هما الوفد والإخوان المسلمين.

وبالمناسبة فقد كان الأستاذ أحمد حمامة ـ مراقب مدرسة الصنائع ـ يقيم فى عمارة فى مقابل المدرسة مباشرة ، كما شاهدنا نحن طلبة مدارس المنصورة فى تلك المرحلة صعود نجم السيدة فاتن حمامه عندما اختارها الفنان محمد عبد الوهاب للتمثيل أمامه فى أفلامه ، وكان شقيقاها منير ومظهر زملاء لنا فى المنصورة الثانوية ، وتخرج منير من كلية البوليس فيما بعد.

وبعد أن حصلت على شهادة الثقافة العامة من مدرسة المنصورة الثانوية نُقل الوالد إلى

القاهرة حيث عُين وكيلا مساعدا لوزارة الصحة ، وطبعا عدنا إلى مصر الجديدة التى لم نفارقها طوال إقامتنا فى الأقاليم حيث كان لنا هناك باستمرار فيلا سكنية نمضى بها شهور الإجازة الصيفية ، إلا أن الوالد استأجر شقة جديدة كانت تقع فى شارع «فارسكور» العمارة رقم (٥).

والتحقت بمدرسة مصر الجديدة الثانوية ودخلت فصل دراسى يشمل عشرين طالبا فقط كانوا يعتبرون من أفضل طلبة المدرسة ، وكانوا يسمونه فصل المتميزين ، وفعلا فقد تخرج من طلبة هذا الفصل أطباء وقضاة ومحامون ودبلوماسيون وضباط ومهندسون أذكر منهم الزملاء د.ممدوح حفنى ود.عبدالخالق ترزاكى ود.محمد مأمون دياب ود.مدحت رضا والمستشار سمير مشرقى ـ وكيل مجلس الدولة فيما بعد ـ ود.كامل غبريال وحسن حافظ ـ رئيس الهيئة المصرية للتأمين ـ فيما بعد وعبد الحليم بدوى وأيوب شرارة وحسن عبد الصمد كامل ومصطفى حمدى وعصمت رضا السفراء المعروفين . وكان الزميل مصطفى حمدى أحد الخبراء الأوائل فى علم الإدارة ، وساهم فى تأسيس جهاز المخابرات العامة تحت إشراف السيد زكريا محيى الدين عام ١٩٥٣ / ١٩٥٤ ، وقد أشرت إلى هذا الموضوع تفصيلاً فى فصل سكرتارية الرئيس للمعلومات.

* * *

بداية العمل السياسى

لأول مرة فى حياتى أمارس النشاط السياسى أثناء الدراسة فى مدرسة مصر الجديدة الثانوية حيث شاركت فى المظاهرات التى قامت سنة ١٩٤٦، وكان يقود المظاهرات الزميل مجدى الدين محمد الذى انقطعت الصلة به بالتحاقى بالكلية الحربية . ولأول مرة كذلك أساق إلى أحد أقسام البوليس «قسم مصر الجديدة» حيث نبه علينا مأمور القسم ـ الصاغ حسن خالد ـ بترك السياسة وعدم القيام بالمظاهرات وتجنب الالتقاء برؤساء الأحزاب فى ذلك الوقت ، ولقد كنا قد تقابلنا مع على ماهر باشا فى مقر حزبه «حزب مصر» فى شارع سليمان باشا وتناقشنا معه فى قضايا الوطن ، كما نصحنا مأمور القسم أن نلتفت لدروسنا أحسن ..

ولما تكرر اشتراكى فى المظاهرات لم ينقذنى من تحويلى للنيابة العامة سوى معاون البوليس بقسم مصر الجديدة اليوزباشى حسن كامل الذى كان يدرب أخى عز الدين الطالب بكلية البوليس فى ذلك الوقت أثناء الإجازة الصيفية، وكان معجباً بنشاطه وأذكر أنه وعد مأمور القسم أن يتولى هو إقناعى بترك السياسة فأخذنى إلى مكتبه حيث حثنى على عدم الاندفاع، وفى نفس الوقت شجعنى على ضرورة الاحتفاظ بالإحساس بالوطن وبقضاياه والتمسك بها . وبمضى الزمن توطدت العلاقة بين حسن كامل وبينى حتى استشهد حسن كامل بعد ذلك فى سنة ١٩٦٩ وهو محافظ للبحر الأحمر عندما أصر على الحضور للقاهرة لاستكمال تجهيزات محافظته ضد العدو الإسرائيلى وتصادف أن كانت عملية الهجوم الإسرائيلى على الزعفرانه فى نفس اليوم ، وقُصفت سيارته واستشهد وهو فيها ، وقد كلفنى الرئيس جمال عبدالناصر بأن أنوب فى مواساة أسرته وتقديم واجب العزاء والتقدير لشخصه.

وبعد حصولى على شهادة إتمام الدراسة الثانوية من مصر الجديدة الثانوية القسم العلمى بنسبة تقارب من الـ ٦٠٪ أبدى لى والدى رغبته فى أن يلتحق أحد أبنائه بكلية الطب ليكمل مسيرته وذلك بعد أن التحق عمر بكلية الحقوق، وعز الدين بكلية البوليس .

ولما كانت العلاقة بينى وبين والدى دون باقى إخوتى لها طابع خاص جداً ، وكان دائماً يصر على أن أصاحبه فى أثناء الإجازة الصيفية فى مروره على مكاتب الصحة ، عند قيامه بعمليات تشريح جثة أحد القتلى فى جرائم القتل باعتبار كونه الطبيب الشرعى .. فلم أرد

أن أخالف أو أعارض رغبته وقبلت بالرغم من أننى فى تلك الفترة كنت قد بدأت أفكر فى اختيار الطريق الذى يحدد مستقبلى وكنت أميل إلى الناحية العسكرية حيث كنت من المتابعين لتطورات الحرب العالمية الثانية تفصيلاً.

أقول إننى لم أستطع أن أعارض رغبة الوالد صراحة ، ومن باب الذوق قلت له ليس لدى مانع على أساس التجربة ، فأخذنى من يدى فوراً إلى كلية الطب حيث كان العميد الدكتور على إبراهيم باشا وقال له : يا باشا أنا عايز إبنى سامى يكمل مشوارى ، وطلب إستثنائى من المجموع باعتبارى ابن طبيب فوافق الباشا وقال له:

« روح ادفع المصروفات يا عبدالعزيز».

كانت المصروفات حوالى خمسة وأربعين جنيها فى السنة الدراسية غير ثمن الكتب ، ولم يكن مع الوالد هذه المصروفات ، فاتجهنا إلى شارع عدلى فى وسط البلد حيث عمارة بحرى..وطلعنا إلى الدور الأول وكان يحوى شققاً مفتوحة وكل حجرة يجلس فيها مرابى يهودى ، وكان الوالد معتاداً أن يستلف من أحدهم ، ولما طلب منه مبلغ خمسة وعشرين جنيها قال له مسيو حنانيا: يا دكتور عبدالعزيز العشرين يتردوا أربعين يوم الخميس ، ولما كنا يوم الاثنين فقد كانت نسبة الربا ١٠٠٪ فى ثلاثة أيام ! ثرت وفار دمى فى عروقى عندما شاهدت لأول مرة فى حياتى شخص ما يلوى ذراع والدى ، وقررت شيئا فى نفسى لم أبح به للوالد فى ذلك الوقت ، ولكنى قلت له : يا والدى ما نجرب الكلية الأول وإذا عجبتنى نبقى ندفع المصروفات ، فوافق الوالد على مضض ، ونزلنا وقد قررت تنفيذ ما جال بخاطرى وهو الانخراط فى السلك العسكرى مهما كان الثمن.

وبالفعل دخلت كلية الطب لمدة يومين اثنين ، وقلت للوالد : إننى آسف جداً لن أستطيع أن أكمل الدراسة .. وسامحنى يا أبى . ولما كانت العلاقة بيننا قوية جداً ولم يسبق أن رفض لى طلب ، فقد وافقنى وقدمت أوراقى لكلية التجارة فى جامعة القاهرة انتظاراً لموعد التقديم للكلية الحربية الذى عندما أعلن عنه تقدمت بأوراقى لها . وتشاء الأقدار أن أصاب يوم الكشف الطبى بالتيفود فلم أستطع الالتحاق بهذه الدفعةـ وكان هذا من حظى الكبير ومن بركة دعاء الوالدين فقد كانت هى دفعة ١٩٤٨ ، دفعة شمس بدران التى تعرضت لها تفصيلاً فى فصل آخر من هذه الشهادة . وأكملت العام الدراسى فى كلية التجارة بجامعة القاهرة وكانت من أمتع السنوات الدراسية فى حياتى ، حيث انتقلت من مرحلة حياتية وشبابية إلى مرحلة رجولة مبكرة واختلاط جديد فى مجتمع جديد.

كانت مجموعة مصر الجديدة تتكون من حوالى ثمانية عشر طالبا وكنا نتوجه سويا للكلية، وكنا فى الكثير من الأحيان نستقل عربة كارو من ميدان الجيزة نتوجه بها إلى بوابة الجامعة.. كان عدد الطالبات فى دفعتنا لايزيد عن أصابع اليدين وكن يجلسن فى الصف الأول من

المدرج ، وكانت مجموعة مصر الجديدة تتولى حراستهن حيث كن كلهن قاهريات: ولذلك فقد كان أغلبنا يجلس فى الصفوف الأولى مما سبب لنا مشكلة مع أحد المعيدين فى ذلك الوقت ، الأستاذ الدكتور أحمد أبو إسماعيل حيث كان له لازمة ـ أرجو أن يسامحنى لذكرها ـ فقد كان ينطق كلمة ثم يسكت ليقول : « هيه» ثم يكمل باقى الجملة وهكذا ، ولم نكن قد نضجنا بما فيه الكفاية ونتيجة لشقاوة الشباب فقد كان بعضنا، وأنا من بينهم عندما يدخل المحاضرة ويبدأ الكلام أن نقول «هيه»، وكان الرجل يسكت إلى أن كان امتحان آخر السنة وكان هو أحد المراقبين علينا وأخذ يمر علينا واحدا بعد الآخر وهو طبعا حافظ شكلنا واحداً واحداً ، ويقف أمام أحدنا ويسأله : «هيه» ؟ فيقول له «هيه»، فيقوم بوضع علامة على ورقة الإجابة : وهكذا سقطنا كلنا فى مادته.

وكان من بين أساتذتنا فى كلية التجارة الدكتور عبدالمنعم القيسونى والدكتور رضوان خالد ـ عميد الكلية ووالد الدكتور أحمد خالد أستاذ الروماتيزم فى كلية الطب ، والذى كان له مواقف رجولية ومشرفة معنا أثناء اغترابنا فى سجون السادات ـ والدكتور حسين كامل سليم.

إنتهى العام الدراسى وقمت بالتقدم بأوراقى بعد سحبها من كلية التجارة إلى الكلية الحربية فى صيف ١٩٤٦ ، وبعد الترتيبات اللازمة ماليا ـ بخلاف المصروفات الرسمية التى كانت فى حدود ستون جنيها سنويا ـ لأن دخول الكلية الحربية فى ذلك الوقت كان يستلزم التقدم بما يسمى «ورد» ، وهو يعادل ما يثبت أن الطالب من ذوى الأملاك هو وعائلته ـ فكان أن جمعنا كل ما يملكه كل فرد فى العائلة ووضعناه فى إقرار ذمة مالية.

وبعد ذلك أعدنا الواسطة ، وهى الأهم والركن الأساسى فى قبول الطالب بالكلية الحربية فى ذلك الوقت ، وكان هو اللواء إبراهيم عطا الله باشا ـ رئيس هيئة أركان حرب الجيش ـ وذلك عن طريق أحد الأطباء فى الخدمات الطبية للجيش الذى كان زميلا للوالد وهو اللواء طبيب محمد المهتدى.

وفى هذه الفترة إستأجر والدى شقة جديدة فى ٥ شارع الفاطميين بمنطقة ميدان الإسماعيلية بمصر الجديدة ، وهى تعلو فيلا من دورين أُقيم عليها دور ثالث، وكان يمتلكها الأميرالاى نور الدين حسن مظهر بك ـ ضابط جيش على المعاش ـ وكانت هذه النقلة أهم نقطة تحول فى حياتى الشخصية كما سيرد فيما بعد .

التحقت بالكلية الحربية فى شهر سبتمبر ١٩٤٦ وأطلق على دفعتنا إسم دفعة الكوليرا نظراً لانتشار مرض الكوليرا فى تلك السنة ، وتم عزلنا فى عنبرين كبيرين فى أحد أطراف مبنى الكلية الحربية القديم ـ وهو المبنى الذى تشغله الآن الكلية الفنية العسكرية بكوبرى القبة ـ وكان عددنا مائتان وواحد وستون طالبا . وقد عاصرنا دفعة ٤٨ ـ دفعة شمس بدران

الذى لم يكن من بين الطلبة البارزين فيها ولكنه برز بعد قيام الثورة لوضعه فى تنظيم الضباط الأحرار.

وكان من أبرز عناصر هذه الدفعة محمد فائق وعبد المحسن فائق ، وهما ليسا أقارب والأخير هو الذى جنّد **رفعت الجمال (رأفت الهجان)** . وأحمد بدوى سيد أحمد ويوسف صبرى أبو طالب وزراء الدفاع فيما بعد وأحمد عبدالغفار حجازى وزكى عجرمة وفؤاد عزيز غالى قائد الفرقة ١٨مشاه فى حرب ١٩٧٣ثم عُين قائدا للجيش الثاني الميداني، ومحمد زغلول كامل من الضباط الأحرار ـ وهو الذى كشف انحراف المخابرات العامة فى الستينات، ومحمد محمود السقا من الضباط الأحرار ورئيس مؤسسة السياحة ، وعبد المجيد شديد من الضباط الأحرار ومدير مكتب السيدين كمال الدين حسين وعلى صبرى ومحافظ الدقهلية، ومصطفى كامل مراد من الضباط الأحرار ورئيس حزب الأحرار، ويوسف عفيفى محافظ البحر الأحمر ، وعمر عبدالآخر محافظ القاهرة وآخرين لاتسعفنى الذاكرة بأسمائهم الآن .

وقد تخرجت دفعة ٤٨ كما تخرجنا نحن قبل اكتمال الدورات الثلاثة نظرا لقيام حرب فلسطين سنة ١٩٤٨، فكان أن تخرجت الدفعة الأولى فى أغسطس ١٩٤٨ وتخرجت دفعتنا فى فبراير ١٩٤٩، وكان من أبرز خريجى هذه الدفعة الرئيس الأسبق محمد حسنى مبارك ، والزملاء مختار هلودة رئيس الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، وتوفيق عبده إسماعيل وجمال الليثى ومحمد وفاء حجازى مساعد وزير الخارجية ، ومحمود عباس عبدالهادى السفير بوزارة الخارجية وأحمد شوقى المتينى محافظ أسوان ومحمد يسرى الشامى محافظ البحر الأحمر وعلى طه حبيب السفير بوزارة الخارجية ، كما برز منهم من عملوا فى المخابرات العامة وهم محمد حلمى القاضي ومنير محمد المهدى ومحمود محمد عطيه ومحمد عبدالفتاح الشربينى ومحمد مختار عمر وعادل على جبريل وأحمد محمود أحمد العقاد وعبد الحفيظ محمد الشناوى ومحمد منير مرسى حسبو .

وبرز منهم قادة عسكريون ممن بقوا فى الخدمة العسكرية وشاركوا فى حروب ٤٨ و ٥٦ و ٦٧ و ٧٣ وهم : محمود شاكر عبدالمنعم قائد القوات الجوية ، وقاسم محمد وفؤاد حلمى السماع ويوسف صلاح الدين محمد وفاروق محمد فهمى بشير والمشير محمد عبدالحليم أبو غزالة وزير الدفاع ، وحسن على أبو سعدة الذى أصبح سفيرا أيضاً ، وحسن أحمد الكاتب ومحمد على متولى وعبدرب النبى حافظ رئيس أركان حرب القوات المسلحة ، وسمير يسرى عوض وصبحى الملاح والسيد حمدى حسن حمدى قائد الدفاع الجوى ، ومحمد عطية سليمان وبهيج الكردانى.

وفوجئت يوم التخرج من الكلية الحربية أن يعلن كاتم أسرار حربية عن تعييني في سلاح المدفعية حيث كنت قد وُعدت بناء على طلبي أن أعين في سلاح المشاة، ولم أعرف السبب لهذا التغيير حتى اليوم .. وبعد إجازة قصيرة تقدمنا للالتحاق بمدرسة المدفعية كضباط أصاغر . وبدأت الدراسة وكان مجموع الضباط ٢٤ من دفعتنا والملازم محمد محمد فائق من دفعة ٤٨، وكان قد تخلف لإصابته بكسر في قدمه حال دون أن يحصل على فرقة التأهيل للمدفعية مع عناصر دفعته .

بدأت دورة القسم العام من علوم المدفعية،وكانت الدراسة على مدار أيام الأسبوع ماعدا يوم الجمعة ، وكان من المفروض أن نبيت في مبنى المدرسة على أن نحصل على إجازة نصف يوم في أيام الإثنين والخميس . وبعد ثلاثة أسابيع بدأت الدراسة التخصصية كل حسب رغبته ، واخترت الدفاع الجوى الذى كان ينقسم إلى ثلاثة أقسام هى المدفعية الثقيلة المضادة للطائرات ، والمدفعية الخفيفة المضادة للطائرات ، والأنوار الكاشفة والرادار المضاد للطائرات.

منذ اليوم الأول الذى التحقت فيه بسلاح المدفعية قمت بعمل المستحيل لنقلى إلى سلاح المشاه ، بما فى ذلك محاولة عمل بدل مع أحد الزملاء من سلاح المشاه على أساس قبول كل منا أن يحل محل الآخر فى سلاحه .ولكن باءت جميع هذه المحاولات بالفشل ، لدرجة أن مدير سلاح المدفعية فى ذلك الوقت اللواء محمد شريف بك إستدعانى لمكتبه وعنفنى مندهشا لمطلبى هذا قائلا لى : أنا يا أفندى بقى لى خمسة وثلاثين سنة فى سلاح المدفعية وأول مرة اسمع فيها إن ضابط مستجد يطلب نقله من السلاح اللى كل الضباط بتعمل وسايط علشان يخدموا فيه ، علشان تروح فين ؟ تروح سلاح المشاه!!.. إنت إيه يا أفندى... إنصراف.

ويشاء القدر أن أبقى فى هذا السلاح وأفخر بانتمائى له حتى آخر لحظة من عمرى.. كما يشاء القدر أن يستدعينى مدير السلاح اللواء محمد شريف بك لمكتبه بعد ثلاثة شهور من تعنيفه إياى ليقول لى : « إزاى تبقى أخ الملازم عزالدين شرف ضابط مباحث قسم مصر الجديدة وتطلب إنك تسيب سلاح المدفعية .. ده أخوك رد لى كل ما سرق من بيتى فى ظرف ساعتين إثنين من إبلاغى عن السرقة .. إنت حاتقعد معانا هنا ولو عُزت أى حاجة أو حد ضايقك تعالى لى من نفسك فوراً».

كان تفكيرى فى ذلك الوقت أن سلاح المشاه هو السلاح المقاتل الرئيسى ، وأن الضابط المشاه هو العنصر الأساسى فى أى معركة وباقى الضباط هم عناصر معاونة ، ولكن تغيرت هذه الفكرة بعد إتمام الدراسة حيث ثبت لى أن المنظومة القتالية متكاملة ، وإن كان جندى المشاه هو الذى ينهى المعركة.

من طرائف العمل فى مدرسة المدفعية بعض تقاليدها المتوارثة من قديم الزمن ـ كما قال لنا الضابط الأقدم ـ ومنها أن الضابط المستجد لايقوم بتعليق شارة المدفعية (الشرابنيل) على البدلة العسكرية إلا بعد التخرج من مدرسة المدفعية . وأن الضابط الأحدث عندما يعطى التمام للضابط الأقدم أو للقائد لابد أن يتم بالخطوة السريعة وليس بالخطوة المعتادة كما يتم فى باقى أسلحة الجيش ، هذا علاوة على تقديس الأقدمية مهما كانت الأسباب والظروف.

وبالرغم من الإنضباط الشديد الذى كان يسود الحياة فى مدرسة المدفعية إلا أننا وأعتقد ربما نكون أول من قام «بالتزويغ» من مدرسة بعد انتهاء طوابير اليوم لنمضى أمسيات فى مصر الجديدة لنعود للمبيت بالمدرسة ، وإن كان بعضنا كان يفضل البقاء فى المدرسة لممارسة لعب كرة القدم . وكان المكان المميز والمفضل لنا هو إما كازينو «مونترو» مكان الكلية الحربية الحالية وكان مكاناً صحراوياً منعزل، أو كازينو «بافيون دورية» فى ميدان روكسى الذى كان يعد من أجمل الميادين فى مصر الجديدة ، وكانت سينما روكسى بحديقتها الكبيرة الواسعة تجمّله ويحيط بها صالة التزلج على الجليد وصالة «الباتيناج» ، كما كانت متعة بعضنا هى لعب البلياردو فى الصالة التابعة لسينما أوازيس بمصر الجديدة.

وأذكر أول مرتب تسلمته كان له قصة طريفة بطلها الصاغ محمد مصطفى لطفى قائد ثان جناح مدفعية الميدان بمدرسة المدفعية « فقد حل يوم أول مارس سنة ١٩٤٩ ونودى علينا من أركان حرب المدرسة الصاغ كمال الدين أيوب لنتوجه إلى جناح الميدان لتسلم مرتباتنا، وهناك انتظرنا خارج المبنى حيث كان الصاغ محمد مصطفى لطفى يجلس على كرسى ميدان وأمامه بالطول ترابيزة خشب ٦ قدم وكان يقرأ إسم الضابط الذى يتقدم ويؤدى التحية ويتسلم مرتبه ويؤدى التحية وينصرف وهكذا ، إلى أن جاء دورى وقام بالنداء على إسمى فتقدمت وأديت التحية له وفوجئت بأنه رمى المرتب على إمتداد ذراعه على الترابيزة ولم ينظر إلىّ ، فوقفت مكانى ولم أتقدم خطوة ، وهنا رفع رأسه باستغراب قائلا لى: « ما بتاخدش مرتبك ليه ياضابط؟» قلت له : « والله دى مش الطريقة اللى يتعامل بها الضباط مع بعض !»، فرد « مش فاهم قصدك إيه؟».. فقلت له : « إنتم علمونا أن الضابط له كرامة.. وأعتقد أن هذا الأسلوب اللى إتبعته حضرتك ينال من كرامتى كضابط ولذلك أنا بارفض التعامل به ، فنظر إلى معلقاً: «لك حق» ، وقام وناولنى بيده المرتب قائلا: « إتفضل ياحضرة الضابط».. فشكرته وتناولت مرتبى وانصرفت وأتذكر انه كان عشرة جنيهات وعشرة قروش وسبعة مليمات . وكان الصاغ محمد مصطفى لطفى ضابط عظيم نوبتجى المدرسة فى ذلك اليوم وحضر إلى ميس الضباط حيث نقيم والتقى معنا ، وانتحى بى جانبا وشجعنى على التمسك بسلوكى هذا. ومنذ هذا اليوم وحتى الآن صارت بيننا صداقة متينة جدا واحترام متبادل ، وهو بالمناسبة من الضباط الأحرار ، وقد عين ليلة الثورة ضابط الاتصال بين الثورة ووزارة

الداخلية، ثم نقل لوزارة الخارجية سفيرا وممثل مصر فى بلدان ذات أهمية خاصة كالسويد والجزائر وقبرص.

إلتحقت بفرع الدفاع الجوى للأنوار الكاشفة والرادار، وكنا خمسة من الزملاء هم جمال الليثى، من الضباط الأحرار، والمنتج السينمائى فيما بعد، ومحسن أمين عوف وبهيج الكردانى وكمال الدين شاهين وأنا. وكان مدرسو الجناح الصاغ محمد يحيى الصواف ـ الحاكم الإدارى لقطاع غزة فيما بعد ـ واليوزباشى أحمد حمروش ـ من الضباط الأحرار ورئيس هيئة المسرح ورئيس تحرير مجلة روزا اليوسف ورئيس اللجنة المصرية للتضامن الآن ـ والملازم مهندس عباس الدهيمى، وكان الصف ضباط المعلمين هم الباشجاويش محمد أبو رجيلة والشاويش فرج السودانى.

استمرت الفرقة لمدة تسعة شهور، وكانت الدراسة جادة ومرهقة: وإن لم يخل الأمر من أن يتخللها شئ من الطرافة وكسر حدة العسكرية «الناشفة» للمدفعية، فقبل قرب نهاية الدراسة بالفرقة وكنا قد انتهينا من استيعاب المنهج كله ـ قرر اليوزباشى أحمد حمروش قائد ثان الجناح أن يرفه عنا بأن دعانا بعد الطابور الأول، والذى ينتهى عادة الساعة التاسعة صباحاً، إلى الركوب معه فى سيارته الخاصة ماركة فيات من نوع «توبولينو».. وهى صغيرة الحجم ولاتتسع عادة إلا لشخصين، دعانا نحن الخمسة لمصاحبته إلى سينما مترو لحضور حفل العاشرة صباحاً، وفعلا انحشرنا نحن الستة فى السيارة، وتوجهنا إلى شارع سليمان باشا، حيث استمتعنا بفيلم «السابحات الفاتنات».

أعود بالقارئ العزيز إلى التذكرة بأن العائلة كانت قد استقرت فى السكن الجديد فى ٥ شارع الفاطميين بمصر الجديدة إعتباراً من منتصف العام ١٩٤٨، وكان أصحاب المنزل يقيمون فى الطابق الأول، ولما كانت والدتى اجتماعية بطبيعتها فقامت صداقة بينها وبين حرم الأميرالاى نور الدين حسن مظهر صاحب البيت، وكانت شقيقة الشهيد المحامى إسماعيل عبدالله زهدى الذى اغتيل على أنه محمد فريد بك، وفى نفس الوقت كانت خالة الصاغ محمد فوزى (الفريق أول فيما بعد)، وكانت العائلة تتكون من خمس آنسات وصبى واحد ـ أحمد ـ وكان من الطبيعى أن تلتقى العائلتان ببعضهما يوميا إما بالمصادفة أو بالزيارات، ومن هنا وقد كنت فى سن يسمح لى بالتفكير فى إكمال نصف دينى، وأن أبحث عن شريكة حياتى من أجل حياة مستقرة، وبدون إطالة فقد اخترت الإبنة الثالثة «تغريد» ـ أكملت دراستها فى مدارس الراهبات «نوتردام» بالفرنسية ـ لتكون شريكة حياتى: وذلك بعد أخذ رأى صاحبة الشأن نفسها والوالدة والوالد، تقدمت لخطبتها فى ربيع عام ١٩٥٠، ثم تم عقد قراننا فى يوم الخميس السادس من صفر ١٣٧٠ الموافق ١٦ نوفمبر ١٩٥٠، وتزوجنا يوم الخميس ١٣ رجب ١٣٧٠ الموافق ١٩ إبريل سنة ١٩٥١ ـ ليلة ذكرى ميلادى ـ وكنت قد

ترقيت إلى رتبة الملازم الأول وأصبح مرتبى ١٢ جنيها فى الشهر. كان أول سكن خاص بى بعد الزواج عبارة عن شقة فى العمارة رقم ٨ شارع «فرديناند دى لسيبس» فى مصر الجديدة من غرفتين وصالة وكان إيجارها خمسة جنيهات فى الشهر . طبعا لم يكن الراتب الشهرى يكفينا فكنا فى أغلب أيام الأسبوع نقيم طوال النهار فى منزل حماتى أو والدتى ونعود فى المساء لمنزلنا للمبيت فيه.



سامى شرف وحرمه

رحلة عمر لأكثر من ستين عاماً على الحلو والمر

وفى نوفمبر ١٩٤٩ أتممت الدراسة فى مدرسة المدفعية وتخرجت وتوزع أفراد مجموعتى على وحدات أفرع سلاح المدفعية المختلفة ، وكان من نصيبى أن عينت فى اللواء الأول المضاد للطائرات الذى كان يقوده الأميرالاى(العميد) محمد صادق بك ويتولى مناصب أركان حربه كل من الصاغ أ.ح محمد أبو الفرج على، والصاغ أ.ح حسان عبدالرحيم وعندما قدمنا أنفسنا لرئاسة اللواء تم توزيعنا كالآتى : جمال الليثى وسامى شرف وكمال الدين شاهين إلى الآلاى الأول أنوار كاشفة ، ومقره صحراء ألماظة ، وموقعه آخر وحدة عسكرية على طريق القاهرة السويس الصحراوى، ولم يكن هناك من وحدات بعد ذلك إلا آلاى الحدود عند علامة الكيلو ٤,٥ والذى كان يفصل بين القوات المصرية والبريطانية المعسكرة على ضفاف قناة السويس من مدينة السويس حتى مدينة بورسعيد مرورا بمدينة الإسماعيلية.

وفى الآلاى الأول عُينت فى البطارية الرابعة التى كان يقودها الصاغ منير صدقى وهبة ونائبه الصاغ صلاح الدين أحمد كامل، وكان باقى الزملاء الضباط هنرى يعقوب صبرى وكمال الدين الغر (رئيس الرقابة الإدارية فيما بعد) والسعدى حامد المصرى وعبدالقادر على عيد الذى شارك فى إحدى المؤامرات عندما كان يعمل فى مكتب المشير عامر ـ وعدلى رياض رزق الله وعلى أحمد قناوى ـ وقد توليت مهمة ضابط تعليم البطارية إلى أن نقلت لتولى مهمة ضابط تعليم الآلاى كله ومساعداً للأركان حرب فأركان حرب الآلاى فى بداية سنة ١٩٥٢ .

ولقد تمت أحداث وأنشطة خلال عملى فى هذا الآلاى تعرضت لها تفصيلا فى فصل آخر من هذا الكتاب.

والشئ الذى أحب أن أنوه عنه خلال عملى فى هذه الوحدة هى تلك الأعمال التى كانت تعتبر خارجة عن صميم واجبات الجيش المصرى من تدريب على القتال أو على استخدام السلاح.

ففى أحد الأيام استدعانى قائد البطارية وكلفنى بأن أقوم فى خلال ساعتين بتجهيز أربعة بواعث أنوار كاشفة ـ جهاز ضخم يستطيع أن ينير السماء بضوء باهر وكان الغرض من استخدامه هو كشف أماكن الطائرات المعادية التى تغير على مواقعنا ويتتبعها بمعاونة جهاز الرادار إلى أن تتمكن وحدات المدفعية المضادة للطائرات من إصابتها وإسقاطها ـ واعتقدت أننا سنقوم بمناورات ، إلا أننى فوجئت به يقول لى وهو فى حالة من الضيق والغضب و «القرف» : «ياسيدى جت إشارة من رئاسة اللواء لتجهيز هذه الأجهزة ، غالية الثمن ، لكى نضئ بها أحد الاحتفالات التى سيحضرها الملك فاروق فى قصر «الزعفران» ـ مكان جامعة عين شمس حاليا ـ وكانت تقيمه الملكة نازلى لجمع تبرعات فى شكل حفل خيرى . وأضاف الصاغ منير صدقى أن التنفيذ يجب أن يتم قبل غروب شمس ذلك اليوم،

وحيث أن دور الخدمات الخارجية يقع على شخصى فقد أصبحت المسئول عن تنفيذ هذه المهمة . وفعلا قمت بالمهمة وتوجهت مع جنودى إلى قصر الزعفران حيث وجدت فى انتظارى الأميرالاى محمد صادق بك قائد اللواء بنفسه واستقبلنى بقوله : « إنت إتأخرت ليه يا حضرة الضابط؟» فرديت : « يا افندم الأوامر لديّ أن أكون هنا قبل آخر ضوء والآن الشمس لم تغرب بعد». فقال : « شوف شغلك يا حضرة الضابط ومش عايز أسمع أى ملاحظات». فعلقت : « أحب أعرف إيه هو شغلى هنا وحا أعمل إيه بهذه الأجهزة ؟» فقال الرجل : « تنورالمكان» .. ثم استدار وهو يقول لى : « اتصرف ياحضرة الضابط!» فقمت باستطلاع المكان فوجدت حمام سباحة وحوله بعض الكراسى والطاولات، فاستنتجت أنه الهدف المطلوب إنارته . وفعلا صح إستنتاجى وبدأت التجارب ، وانتظرت مسئولاً من القصر ليبلغنى متى نبدأ عملنا ـ وبعد الغروب بساعة تقريبا حضر شاب أنيق لمقابلتى وعرفنى بنفسه على أنه أحد رجال التشريفات ، وبعد أن تأكد أن كل الترتيبات قد تمت همس لى : « أنصحك أنت ورجالك ياحضرة الضابط أن تغمضوا أعينكم إذا رأيتم أى شئ».. وسكت ! وطبعا فهمت ما يقصد ولكنى أردت التأكد لئلا أسئ الظن فتساءلت : «ماذا تقصد بكلامك؟» فقال لى : هذا كل ما أستطيع أن أصرح لك به .. وإنت طبعا فاهم ماذا أقصد!».

وما قصده وما فهمته حصل .. فقد دارت فى الحفل كئوس الخمر وتمايل السكارى من الحضور من الأمراء والأميرات وعلية القوم ، ولم يحضر الملك هذا الحفل ، أو لكى أكون صادقا فإنى لم أره أو ألمحه .وفى فجر اليوم التالى جاءنى الأميرالاى محمد صادق ليقول : إن عليّ أن أحزم معداتى وأرحل برجالى لأعود إلى وحدتى.

وتكرر هذا الحدث فى نهاية سنة ١٩٥١ ولكن فى قصر محمد على بشبرا ـ الذى أصبح مقراً للمعهد الزراعى العالى ـ ففى هذا الحفل الذى حضره الملك فاروق ورقصت فيه الراقصة سامية جمال وتمت فيه مهازل يأبى لسانى النطق بها ، كما يأبى قلمى أن يسطرها ..

والحمد لله لم يطل الزمن إلا وقد قامت ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢ ..

وعقب هذا الحفل ألمح لى قائد الآلاى فى حديث خاص بأن اللواء محمد صادق بك ـ وكانت زوجته إنجليزية ـ معجب بى جدا ويريد أن يزوجنى من ابنته الوحيدة ، فقلت له : « نقبه على شونة».. فأنا متزوج فعلا وحضرتك عارف ، ولن أتزوج مهما كانت الظروف إلا من المصرية التى اخترتها فعلا.

خلال عام ١٩٥١ اجتزت الامتحان بدرجة امتياز كمعلم لرادار المدفعية المضادة للطائرات من خلال فرقة عُقدت فى مدرسة المدفعية ، وترتب على هذا أن رشحتنى قيادة المدرسة للنقل كمعلم رادار فيها ، وصدرت فعلاً أوامر رئاسة سلاح المدفعية يوم ٢٢ يوليو

١٩٥٢ لكى أنفذ هذا النقل ولكن حال دون تنفيذه قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وتكليفى بتولى مسئولية تأمين الآلاى الأول وكذا طريق القاهرة السويس الصحراوى حتى الكيلو ٤,٥ منه ، كما سيرد تفصيلا فى مكان آخر من هذا الكتاب.

وفى شهر سبتمبر ١٩٥١ رشحت لحضور فرقة الشئون الإدارية التى تؤهل الضابط للترقى لرتبة اليوزباشى(النقيب) ، وهى الفرقة التى التقيت فيها لأول مرة بالرئيس جمال عبدالناصر . وقد انتظمت فى الدراسة حتى يوم٢٦ يناير ١٩٥٢ ـ يوم حريق القاهرة ـ حيث ألغيت جميع فرق الجيش نظراً لإعلان حالة الطوارئ ونزول الجيش للسيطرة على الأمن فى البلاد ، وكنت من ضمن القوات التى عسكرت فى حديقة الأزبكية فانتدبت للعمل مع هيئة أركان حرب وعمليات رئاسة القطاع فى ميدان باب الحديد (محطة مصر).

ولقد خضعت لسلسلة من تحقيقات النيابة العامة نتيجة وجودى مع الزملاء مختار هلودة ومحمد حلمى عبد الخالق فى ميدان الإسماعيلية ـ التحرير ـ صباح يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ أثناء قيامنا ببعض المشتروات ، والتى أعقبها مشاركة الزميل محمد حلمى عبدالخالق ـ قسرا ـ جنود البوليس فى تظاهرهم فى الميدان وهم فى طريقهم لمبنى مجلس الوزراء ، حيث حملوه على أكتافهم رغما عنه وكان يرتدى ملابسه الرسمية وكنا مختار وأنا قد غادرنا الميدان قبل وصول المظاهرات إليه.

أعود إلى حياتى الخاصة فأستطرد أنه فى يوم الأربعاء ١٣ شعبان ١٣٧١هـ ـ الموافق ٧ مايو ١٩٥٢م رزقنى الله بابنتى البكرية «**ليلى**» ... ثم فى يوم الجمعة ٢٥ ذو الحجة ١٣٧٢ الموافق ٤ سبتمبر ١٩٥٣ رزقت بابنتى الثانية «**هالة**» ، وفى يوم الخميس ١٢ صفر ١٣٧٥ الموافق ٢٩ سبتمبر ١٩٥٥ وصل الولد الأول والابن الثالث «**هشام**» ، وفى يوم الأربعاء أول ربيع الأول ١٣٨٢ الموافق أول أغسطس ١٩٦٢ رزقت بالابن الرابع والأخير «**محمد**».

ليلى .. تزوجت يوم ٣٠ يوليو ١٩٧٠ من الملازم أول حسين غالب الضابط بسلاح المشاه وخريج الكلية الحربية سنة ١٩٦٨ وقد حضر حفل الزواج الرئيس جمال عبدالناصر ونائبا الرئيس على صبرى وحسين الشافعي الذين وقعوا كشهود على وثيقة الزواج ، ولم يحضر السيد أنور السادات الذى قيل إنه كان مريضا فى ذلك الوقت فى ميت أبوالكوم، وكذلك السيدة قرينته وأبنائه بالرغم من أن الدعوة كانت قد وجهت لهم جميعا وقد أمر الرئيس جمال عبدالناصر الأخ والزميل محمد أحمد بأن يرتب مع الفريق أول محمد فوزى والعميد محمد الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى إجراءات نقل حسين غالب إلى الحرس الجمهورى وتم ذلك فعلا بعد أن تكتم الجميع الخبر عنى.

وبعد انقلاب مايو ١٩٧١ نقل حسين غالب من الحرس الجمهورى إلى وظيفة مدنية فى وزارة السياحة ونقل معه من القوات المسلحة أبناء عبدالمحسن أبو النور ووجيه أباظة وسعد زايد . وعمل حسين تحت قيادة أحمد زكى عبدالحميد الذى كان أيضاً مبعداً من

القوات المسلحة لشهادته فى المحكمة الاستثنائية لصالح الفريق محمد فوزى واختار حسين غالب بعد ذلك العمل فى القطاع الخاص وانتسب لشركة ميريديان العالمية للفنادق وتدرج فى وظائفها حتى أصبح مديراً عاماً إقليميا وهو الآن رئيس مجلس إدارة والعضو المنتدب لشركة مصر للفنادق.

ووهب الله لهما من الأبناء ثلاثة **خالد وشريف** اللذان تخرجا من الجامعات ويعملان فى القطاع الخاص ، وخالد الآن مدير عام أحد الفنادق بالخارج ومتزوج من السيدة «شهويز سعد حسان» ولهما من الأبناء ياسين وعلي ، أما الحفيدة «**هبة**» التى تخرجت من الجامعة الأمريكية فتعمل طبيبة أخصائية نفسية.

أما الابنة الثانية «**هالة**» .. فقد تزوجت فى نفس يوم زواج أختها ليلى من النقيب شرطة حسين شوقى محمد على العشيرى خريج كلية الشرطة سنة ١٩٦٧ ووقع وثيقة زواجهما الرئيس جمال عبدالناصر ونائب الرئيس حسين الشافعى وكان حسين العشيرى أحد ضباط حرس جامعة القاهرة وبقى فيه بعد الزواج واستمر فى خدمة الشرطة بناء على استدعاء من ممدوح سالم بعد انقلاب مايو إلا أنه نقل للعمل فى أمن بنى سويف ثم الفيوم فالقضاء العسكرى إلى أن أحيل للتقاعد وهو برتبة اللواء..

ووهب الله لهما من البنات ثلاثة والبنين واحداً، الابنة الأولى إنجى وهى تعمل كمحامية في أحد المكاتب الاستشارية القانونية الدولية، والابنة الثانية سلمى خريجة كلية التجارة جامعة القاهرة ومتزوجة من المستشار السياسي في وزارة الخارجية خالد سامح أنيس ولديهما ابنان؛ حسن واسماعيل، والابنة الثالثة شيرين خريجة كلية الحقوق جامعة القاهرة ومتزوجة من ابن بنت خالة والدها . . عمرو سيف النصر ويعمل في أحد بنوك البحرين، وقد رزقا بتوأم حسين ويوسف، ثم الابن أحمد العشيرى ويعمل في بنك عودة.

الابن الثالث «**هشام**» تخرج من كلية الزراعة جامعة عين شمس، وحيث أنه كان طوال حياته ومنذ الصغر يهوى الطيران فقد رفض وترك العمل كمعيد فى الكلية وكصحفى فى جريدة الاتحاد فى أبى ظبى، ليصر على الالتحاق بمعهد مصر للطيران ليتخرج منه، ويصبح الآن كابتن طيار بأربعة شرائط ونجمة على طراز ثقيل، وهو متزوج من لبنى عبد العزيز محامية خريجة كلية الحقوق جامعة القاهرة، وكانت تعمل من قبل في مؤسسة مصر للطيران، ووهبهما الله من الأبناء ثلاثة؛ أحمد طبيب أسنان، ومريم خبيرة إخراج، وشريف طالب جامعي.

الابن الرابع «**محمد**». . آخر العنقود، محاسب وخريج كلية التجارة جامعة عين شمس، شغل أكثر من وظيفة في القطاع الخاص منذ تخرجه، وتلقى دورات تدريبية متقدمة في الكومبيوتر، وهو الآن يعمل كمدير للعلاقات العامة في إحدى شركات البترول الأجنبية

العاملة في مصر .. متزوج من الطبيبة ريما فايز عثمان، من إحدى عائلات القدس العربية، وقد حباهما الله بابنتين؛ «رنا» معيدة في كلية طب أسنان عين شمس، و «نور» تعمل في مكتب رئيس الجامعة البريطانية.

الحصيلة العائلية حتى الآن ، من سامى شرف وحرمه **تغريد نور الدين حسن مظهر**:

من الأبناء والبنات : أربعـــة .

من الأحفـــــاد : إثنا عشرة .

من أبناء الأحفـاد : ستــــة .

والحمــــد للـــه رب العالمين ...

أعود مع القارئ الكريم لاستئناف ما بدأنا من خط سير الحياة ...

ولنكمل المسيرة الشخصية في مرحلة جديدة وأعنى بها المرحلة التى عشتُها في ظل ثورة ٢٣يوليو١٩٥٢؛ فبعد قيام الثورة بأيام ثلاثة نُدبت للعمل بالمخابرات الحربية (العامة فيما بعد)، وخُصصت لي سيارة ملاكي ماركة فورد٩٤ شاركني في استخدامها ثلاثة من الزملاء حسب المأموريات التي كنا نُكلف بها، وهذه طبعا لم يكن مسموحا باستخدامها استخداما خاصا.. بمعنى في المنازل.

وبعد شهور قليلة انتُدبت للعمل في القسم الخاص، وكانت مكاتبنا في مجمع التحرير فى الدور العاشر، وبدأت في هذه الفترة فكرة إنشاء جهاز المباحث العامة وكانت الخطوات الأولى لتشكيل هذا الجهاز في الدور العاشر أيضا من نفس المبنى وخصصت لى سيارة ماركة «موريس ماينور» لتنقلاتى ولتنفيذ المهمات الرسمية، ومن المفارقات أنه إذا اضطررت للذهاب صحبة عائلتي فى عيادة الطبيب أو لزيارة الأهل مثلا كانت زوجتى تستخدم المواصلات العادية أو التاكسى، وكنت أسير بجوارها بالسيارة الرسمية، وذلك حتى تكون تحت الطلب إذا ما استدعيت لأمر عاجل، وما أكثر مثل هذه الاستدعاءات في ذلك الوقت المبكر من الثورة، وبعد فترة استبدلت السيارة بأخرى جديدة ماركة «أوبل أوليمبيا»، وبدأ التفكير في نظام تمليك السيارات لضباط المخابرات، وبدأ في نفس الوقت السماح لنا باستخدام السيارة استخداما عائليا باعتبار أن السيارة أصبحت ملكاً شخصياً، وبعد سنة ١٩٦٥ تملكت سيارة « شيفروليه ٥٥» ، وبعد الانتقال لرئاسة الجمهورية استمر نفس النظام، إلى أن عُينت بدرجة نائب وزير فتم صرف سيارة شيفروليه ٨٥ لاستخدامي الرسمي والشخصي، وبعد أن عُينت وزيرا للدولة فقد خصص لي نفس السيارة، وأُضيفت

سيارة نصر ١٢٠٠ للعائلة، وللعلم فقد كنت طول الوقت أتولى قيادة السيارة بنفسي بالرغم من تخصيص سائق لي منذ بداية الثورة (خليل حسن شمس) الذي ظل يعمل معي بإخلاص حتى يوم ١٣ مايو ١٩٧١، وبالمناسبة فقد تمسكت برقم واحد للسيارات التي خُصصت لي وهو ٩٩٥ ملاكي القاهرة من سنة ١٩٥٦ حتى مايو ١٩٧١.

في أثناء إجازة الصيف كانت العائلة تنتقل للإسكندرية حيث كنت أستأجر شقة خاصة فى عمارة الألفى بميامى بسيدى بشر، وكنت ألحق بهم بعد يوم ٢٦ يوليو وأمضى حوالي الشهر، ولكن لم يكن إجازة بل كان شهر عمل أيضا؛ حيث كنت أرتاد مكتبي يوميا صباحا ومساء، يمكن لفترات أقل من القاهرة نسبيا، ولكن كان يوم العمل كما هو .. لا إجازات.

ولم أمتلك - وما زلت - كابينة أو شاليها في الإسكندرية ولا في غيرها في يوم من الأيام، بل كنت أؤجر إحدى كبائن شاطئ ميامى (سيدى بشر رقم ٣) من المحافظة بعقد مكتوب ومسدد الإيجار السنوي بإيصالات رسمية، وقد يندهش القارئ الكريم أنه لم يكن لدى تليفون فى الكابينة، ولم يتم تركيبه إلا سنة ١٩٦٨ عندما طلبنى الرئيس جمال عبد الناصر تليفونيا، وكنت في الكابينة فاستمهله من رد على مكالمته في المنزل إلى أن أبلغوني أن الرئيس على التليفون فلما طلبته قال لى: إنت بتنهج ليه ؟، فقلت له أنى قادم من الكابينة، فاندهش وأمر عبد المجيد فريد سكرتير عام الرئاسة بتركيب تليفون خاص في الكابينة، والاندهاش كان مرجعه إلى أن الرئيس لم يكن يطلبني في المنزل أو الكابينة إلا نادرا، لأنه اعتاد تواجدي باستمرار في مكتبي سواء في منشية البكري أو في المعمورة.

أنهي هذا الموجز البسيط عن رحلتي في الحياة بقصة أثرت وما تزال في نفسي تتعلق بوالدتي؛ فأثناء سجني كانت أمي لا تدع زيارة تفوتها، وكانت تقول لي في كل زيارة وبصوت عال في حضور الضباط الحراس: «يا بني القوالب نامت والانصاص قامت!»..

وكانت آخر زيارة لي وهى مصابة باشتباه بذبحة صدرية قبل وفاتها بأيام، كما أصرت ليلة الوفاة على الاتصال بى تليفونيا في معتقل المسجونين بالقصر العيني لتقول لي: يا سامي اقرأ لي الفاتحة وإنت بتصلّى . . « ثم أغلقت التليفون.

وفى يوم ٢٨مارس ١٩٨١ جاء محمد سامي شرف إلى السجن ليبلغني برحيل الوالدة، وأنه تتم محاولات واتصالات لحضوري تشييع الجنازة. وفعلا اتصل بى تليفونيا اللواء رشيد وكيل المباحث العامة، وقدم لي العزاء، وأبلغني أنه قد تقرر حضوري تشييع الجنازة وتقبل العزاء، وعدت في المساء إلى سجن القصر العيني.

وأتذكر هنا حديثاً دار بيني وبين الضابط الذي رافقني خلال مراسم الجنازة وتقبل العزاء أهم ما دار فيه قوله: « مش كفاية يا فندم .. بقى لك فى السجن عشر سنين .. مش كانت تبقى مناسبة لها أثرها لو أفرجوا عنك اليوم مثلا؟ هو انتم عملتم إيه؟ ده القتلة والمجرمين

وتجار المخدرات بيحكم عليهم بخمس سنين ويفرج عنهم بعد نصف المدة !!» فقلت له : «يا صديقي كله بأمر الله».

رحم الله الوالدة رحمة واسعة وأسكنها فسيح جناته.

وفي الختام، ما دمت قد سمحت لنفسي أن أضع هذه التفاصيل من حياتي الخاصة تحت أنظارك يا عزيزي القارئ الكريم، فاسمح لي أن أطلعك على هواياتي الخاصة وأجملها باختصار فيما يلي:

الموسيقى الكلاسيكية الأجنبية وأفضّل الاستماع، من الفرق الراقية ـ Vienna Philharmonic فيينا فيلهارمونيك ـ و London لندن فيلهارمونيك (السير توماس بيتشهام) و Boston البوسطن فيلهارمونيا وموسكو فيلهارمونيك إلى روائع ريمسكى كورساكوف وتشايكوفسكى، وبيتهوفن وهاندل ومندلسون وفرانز ليست وبراهامز وشوبان وشوبرت وضيف الله (ديفالا فى رقصة النحلة ورقصة النار)، وكثيرا ما كنت أتحاور مع الرئيس جمال عبد الناصر بعد يوم العمل المضنى وقرب منتصف الليل حول القطعة الكلاسيكية التي يحسن الاستماع إليها قبل النوم.

وفى العزف المنفرد أفضل الاستماع ليهودى مينوين على الفيولين وآرثر روبنشتاين على البيانو، ويوجد لدى مجموعات من الألبومات للأسطوانات من مختلف البلاد لفرق كثيرة تحوى أهم المقطوعات التى سجلت لهؤلاء المبدعين وهى مجموعة نادرة.

كما أنى أهوى الطرب العربى الكلاسيكى الأصيل من سلامة حجازى، وصالح عبد الحى، ومحمد عبد الوهاب، وأم كلثوم، وعبد الحليم حافظ (لدى مجموعة نادرة من التسجيلات لكل من أم كلثوم شرائط للحفل الأول لأغان لها وكذلك عبد الحليم حافظ)، إلى محمد عبد المطلب ـ الذى كان كثيرا ما يزورنى فى مكتبى ـ ومحمد قنديل، وفريد الأطرش، وسعاد محمد، ونجاح سلام، ونصرى شمس الدين، وفيروز، وماجدة الرومى .. وغيرهم.

وكما سبق أن ذكرت فإني أجيد العزف على آلة « الهارمونيكا»،وكنت أعزف البيانو حتى سن السادسة عشر تقريبا، وكلما أذهب لأحد الأصدقاء وأجد لديه بيانو أو أورج فإنى أستعيد مهاراتى السابقة، ولا شك أنه بقليل من إعادة التدريب قد أجيد العزف مرة ثانية لأن المبادئ واحدة.

ومن ناحية أخرى فإني أجيد ألعاب الطاولة والدومينو والشطرنج، ولكنى فى الغالب أمارسها خلال الصيف.

ومن هواياتى المنزلية أيضا الكهرباء، وإصلاح المعدات الكهربائية، وأجهزة الاتصالات والراديو والتليفزيون والفيديو باعتبار ما كان بصفتى معلم رادار وهو أساس الصناعات الإلكترونية والاتصالات الحديثة.

أما الهواية الأساسية والتى تطغى على أى هواية أخرى أمارسها فهى القراءة، وأستطيع أن أمارس ما يسمى بالقراءة السريعة ـ وهى صفة اكتسبتها من عملى فى سكرتارية الرئيس للمعلومات ـ بمعنى أنه بمجرد أن تقع عيناي على السطر الأول من الصفحة فإنى ـ بحمد الله ـ أستطيع أن آتى على آخرها في لحظات، ومن المواد التى أحب قراءتها وأداوم عليها القرآن الكريم ـ ولقد قرأته حتى الآن ما يزيد عن المائتى مرة، مع قراءة كتب التفسير المختلفة، ومن أهمها وأوضحها تفسير الشيخ شلتوت، ومحمد فريد وجدى، بخلاف صحيح البخارى وأحاديث الرسول الكريم عليه السلام، وكذلك كتب التاريخ والسياسة والموسوعات بكافة أنواعها بما فى ذلك الموسوعات الطبية، ولدىّ من هذه الموسوعات بأشكالها المختلفة أكثر من واحدة بما فى ذلك تلك المدمجة على برامج الكومبيوتر التي تبقينى ساهرا أمام شاشته إلى وقت متأخر من الليل.

لم أستكن بعد خروجي من السجن بل انتسبت للجامعة الأمريكية في القاهرة لكي أحصل على درجة الماجستير في إدارة الأعمال، وبالرغم من تفوقي في امتحان القبول (٩٦ درجة من ١٠٠) إلاّ أنى لم أكمل الدراسة لأسباب خارجة عن إرادتي؛ حيث تمت مضايقات من أحد رجال المخابرات المركزية الأمريكية المزروعين في هذه الجامعة، باعتراف أكثر من أستاذ وأستاذة حاولوا إثنائي عن قراري هذا والمضي في استكمال الدراسة، وأبدوا رغبة ملحة ومتكررة لتجاوز هذه المضايقات خصوصا، وأنهم وغيرهم من أساتذة الجامعة قد طلبوا من إدارة الجامعة تنحية هذا الرجل وأصروا على ضرورة استمراري لكي أتمكن من استكمال الدراسة بعد ذلك فى الولايات المتحدة للحصول على درجة الدكتوراه؛ حيث كانوا يؤكدون لي من أنى سأكون من المتفوقين الذين يحظون بنيل منحة مجانية للدراسات المتقدمة هناك، إلاّ أنى لم أقتنع وأنهيت هذه الدراسة.

وبدأت أعمل على تجميع كل أوراقي التي كانت متفرقة في أماكن عدة أثناء فترة السجن، وعملت على أن أضع كل التجربة التي مررت بها على الورق بما فى ذلك القيام بتسجيل عدد كبير من الشرائط على الكاسيت، كما سجلتها بنفسي على الكومبيوتر الذي أصبحت أجيد استخدامه، وشجعني كذلك الكثيرين من الأصدقاء، وممن تعرفت عليهم بعد خروجي من السجن على ضرورة الاستمرار في أداء هذه المهمة الوطنية والقومية فى آن واحد، ولكنني أحجمت أكثر من مرة عن الإقدام على نشر حصيلة ما لدى من معلومات وشهادات ومذكرات نتيجة ذلك الطوفان من الكتب والنشرات والإذاعات المرئية والمسموعة التى انهالت على القارئ والمشاهد والمستمع العربي والأجنبي، وفيها ما هو غث، وفيها ما هو ثمين، وفيها ما هو حقائق، وفيها ما هو أكاذيب، وفيها ما هو واقع، وفيها ما هو تضليل وادعاءات، وصدمت في الحقيقة لهذه القدرة على إخراج هذا الكم الهائل من الإصدارات؛

فقررت أن أتريث حتى تهدأ هذه الهوجة، وإن كنت فى نفس الوقت لم أنقطع عن الاستمرار في تجميع وتجويد وتهذيب ما لدى من حصيلة التجربة، خصوصا وقد آليت على نفسي مهما كانت النتائج أن أبتعد تماما عن تصفية الحسابات، وأن تكون الشهادة محايدة وصادقة بقدر الإمكان البشرى، وأنا بشر طبعا وهنا أرجو أن يغفر لى القارئ إن بدت الشهادة فى بعض المواقف أو الأحيان يشتم منها رائحة التحيز أو النقد والرفض، وأعود فأقول أنا بشر وإنسان قبل كل شيء وبعد كل شيء، ومشاعري ورؤيتي للأمور هي رؤية إنسان وليست رؤية ملاك؛ أصيب وأخطئ ، أهدأ وأحتد، وأرى الأمور بمنظار الإنسان العادي.

أرجو عزيزي القارئ الكريم ألا أكون قد جرفتك معي فى مسائل وحكايات لها الطابع الخاص وبعضها الخاص جدا، لكنى وجدت أنه قد يكون من المناسب والواجب أن يتعرف عليّ قارئ هذا الكتاب؛ ربما الكثيرون يعرفون شخصي من خلال الإسم فقط، فأحببت أن أقترب أكثر من القارئ.

● **من هو سامي شرف** ؟ ما هي جذوره ؟ ابن مين في مصر ؟ كيف يفكر ؟ كيف وكم يعرف ؟ لماذا الآن ؟ لماذا عرف إسما ولم يُعرف شكلا إلا مؤخرا ؟ ما هو دوره، وما هو موقعه في تجربة عبد الناصر؟ ما هو دوره مع السادات ولماذا الخلاف وأسراره؟ خلفيات لبعض المسائل الحساسة ؟ وأشياء كثيرة أخرى أرجو أن أكون موفقا في عرضها، وما لم يتم التعرض له فإن لدى من الأسباب القوية سواء من ناحية الأمن القومي أو الوطني التي تحول دون سردها الآن، وإن كنت قد سجلت كل ما لدى من شهادات وهى في مكان أمين إلى أن يحين الوقت الذي أراه مناسبا لكشفها.

أنهى هذه الحدوتة الشخصية بأني قد مُنحت من الأوسمة من رؤساء وملوك الدول العربية والأجنبية ما يفوق الخمسة وعشرين نيشانا ووساما من كل من اليمن والسودان والمغرب وتونس ويوغوسلافيا وكمبوديا وأفغانستان وساحل العاج وإثيوبيا والنيجر وبولندا وبلغاريا وماليزيا ورومانيا وموريتانيا وفنلندا والسنغال والكونغو الشعبية والمجر وإفريقيا الوسطى.

أما الأوسمة التي حصلت عليها من مصر فهي الأوسمة العسكرية التي حصلت عليها قبل قيام ثورة يوليو٥٢ كضابط في الجيش المصري؛ وهى :

* وسام محمد على الكبير
* و وسام نجمة فلسطين
* و وسام التحرير بمناسبة قيام ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢ .

وأخيراً، كل ما أملكه الآن معاشي كوزير سابق ينقص عن معاش أي وزير آخر خمسين جنيهاً؛ بسبب مجاملة موظف المعاشات -قريب جيهان السادات ـ لها عند دخولي السجن بأن انتقص من مرتبي خمسين جنيها، هذا بالإضافة إلى سيارة ماركة « ميتسوبيشي لانسر» وليس لى أى دخل آخـر والحمـد لله.

.. وما عند الله خير وأبقى

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثانــى

عبد الناصر الرجل .. والإنسان

«مشكلتنا مع ناصر أنه بلا رذيلة مما يجعله من الناحية العملية غير قابل للتجريح ، فلا نساء ولاخمر، ولامخدرات ، ولايمكن شراؤه أو رشوته أو حتى تهويشه ، نحن نكرهه ككل، لكننا لا نستطيع أن نفعل تجاهه شيئاً ، لأنه بلا رذيلة وغير قابل للفساد»

يوجين جوستين

المخابرات المركزية الأمريكية



رؤيــة مــن قــريب

لو أنك اقتربت من شخص جمال عبدالناصر ساعة ـ لاسنين طويلة حافلة ـ لأصابتك الدهشة وأنت ترى السهام تُلقى على ذكرى الرجل ، تحاول أن تنسب إليه ماهو برئ منه.

وتزول دهشتك عندما تفكر أن جمال عبدالناصر ما زال يمثل خطراً على البعض ، لذلك يحاولون حربه حتى بعد أن استجاب لنداء ربه.

ورغم إدراكى لهذا ، ورغم أن كل هجوم على جمال عبدالناصر اليوم يجعلنى أحس أنه فى رحاب الله أقوى من أعدائه الأحياء !

وهنا أحاول أن أقترب من جمال عبدالناصر ، إذ أريد من الناس أن يعرفوا :

من هو جمال عبدالناصر الإنسان..

بعد رحيل جمال عبدالناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ قُفلت الدائرة ، ولكن ماذا تحوى داخلها ؟

ثورة٢٣ يوليو ، باندونج ، ملحمة السويس ، دمشق والوحدة العربية ، ثورة الجزائر، رجوع اليمن إلى القرن العشرين ، تحرير لإفريقيا ، قوانين يوليو ١٩٦١.. ملكية فثورة فجمهورية .. عروبة .. حرية ، اشتراكية ، وحدة ..

ماهو باق : صورة جمال عبدالناصر.. وما أصبحت ترمز إليه من الإحساس بالكرامة والحرية وروح التحديث والشعور بالمكانة الدولية.

استطاع عبدالناصر أن يمثل أغلبية الشعوب تمثيلا صادقاً ، وأن يدافع عن الأمانى القومية دفاعاً حقيقياً : واستطاع بذلك أن يتحول إلى رمز للحركة الوطنية المعاصرة فتبايعه عبر هذه الحركة شعوب الأمة العربية بزعامة لم يحصل عليها من قبل أى إنسان آخر ، لا من حيث اتساع أفقها وشمولها ـ من العراق إلى المغرب ـ ولامن حيث نوعيتها .. عامة تنبثق من الشعب ، من مجموع طبقاته وفئاته وأفكاره ، وهى تنبثق من أمانى الشعب ، من مطالبه ، الذى نادى بها منذ أكثر من قرن ، ومن أحلامه التى أخذت تتراءى له منذ أن لفته كوابيس التخلف والاستعمار والتفرقة والفقر ، ومن تراثه وكيانه القومى ومصالحه العامة.

كان لعبدالناصر صورته الجماهيرية الطبيعية وغير المصطنعة وقد نفذت إلى قلوب الجماهير العربية العريضة ووجدانها ، فى أقطار لم يكن لعبدالناصر سلطان عليها ـ بل كانت بعض حكوماتها تسعى للقضاء على صورته فى وجدان الناس ـ لماذا؟ لقد كان يريد أن يجعل من مصر نموذجا على الأرض العربية يجسد معنى الاستقلال السياسى والاقتصادى، نموذجا تتحقق فيه الوطن والمواطن عن طريق بناء مجتمع الكفاية والعدل ، أى التنمية والقضاء على التخلف والاستغلال، وتحقيق عدالة توزيع ناتج هذه التنمية على الجماهير التى صنعتها بنفسها .

كان يريد نموذجا لمجتمع عصرى متطور، ينتشر فيه التعليم والتصنيع ، ويبنى قوته الذاتية المستقلة . ولم يكن ينطلق فى بناء مصر من منطق قطرى.ولا كان يرى أن دور مصر فى أمتها محصوراً فى مجال مصرى ، بل كانت كل معاركه من أجل تقريب يوم الوحدة العربية التى كان يراها كل لا يتجزأ سواء من ناحية الأمن أو التنمية .. وجهاً عملة واحدة هى الاستقلال.

وهذا المفهوم هو أكثر إلحاحا الآن فى ظل عالم أُحادى القطبية : فالوحدة هى الخيار الحتمى ، وليس لنا ولن يكون لنا طريق غيره ، إذا أردنا البقاء والحياة على ظهر هذه الأرض.

صورة جمال عبدالناصر الجماهيرية كات نابعة من ارتباطه بتراب الوطن الذى جسده فى شخصه حتى أصبح هو ذاته مادة مثالية لدراسة حالة نادرة من تحليق صورة الزعيم السياسى فى آفاق لم يسبق أن وصل إليها حتى الآن ... فثوابت برنامج عبدالناصر منذ أن قامت ثورة ٢٣ يوليو هى أهداف تاريخية لن تسقط إلا بتحقيقها . أليس صحيحاً أن شعارات مثل «نفط العرب للعرب» و «ثروة العرب للعرب» هى شعارات صحيحة ومنطقية ، وأن العمل بعكسها غير مقبول كأن تسخر ثروة العرب ونفطهم لزيادة ثراء الأجنبى الأمريكى وبناء تقدم أوروبا؟! ألسنا نحن أولى بهذا المجد وتلك الرفاهية والثراء؟ إن تراث عبدالناصر يعتبر تجربة إنسانية حية وثرية نأخذ منها الجوهر الأساسى ونجتهد فى التفاصيل وفق ما يستجد من ظروف ومتغيرات.

قوة منطق عبدالناصر مستمدة من قوة منطق التاريخ .. إن ارتباطه بتراب الوطن وتاريخه كان هو صاغ لجمال عبدالناصر صورته الجماهيرية ، أما التزامه بقضايا الوطن ومسارعته للدفاع عنها فقد كانت وسيلته فى توصيل هذه الصورة إلى الشعوب العربية فى كل مكان .

لو رجعنا إلى حادث ميدان المنشية بمدينة الإسكندرية يوم السادس والعشرين من أكتوبر ١٩٥٤ فأثناء إلقاء الرئيس جمال عبدالناصر خطابا سياسياً فى جموع الشعب انطلقت رصاصات ستة موجهة إلى صدره ، ولكنه لم يهتز له روع ، إنما ظل واقفاً فى مكانه يتحدى القاتل، بينما اختبأ بعض الحاضرين تحت المنصة التى كان يخطب عليها ، ووسط انطلاق

الرصاص الذى أخطأه ، استمر عبدالناصر يتحدث إلى الناس لم يهتز ، وكانت كلماته ملحمة شجاعة وترجمة صادقة لما فى عقله الباطن ولما يكنه لمصر من حب ، قائلاً:

«أيها الأحرار .. أيها الأحرار أتكلم إليكم بعون الله بعد أن حاول المغرضون أن يعتدوا علىّ فدمى فداء لكم أوحياتى ملك لكم ..

أيها الرجال أيها الأحرار هذا هو جمال عبدالناصر بينكم .. أنا لست جبانا .. أنا قمت من أجلكم ومكافحاً فى سبيلكم فليقتلونى : فلأمت من أجل مصر .. من أجلكم.. من أجل أحفادكم .

أيها المواطنون ..كافحوا واحملوا الرسالة ، فكلكم جمال عبدالناصر .. تدافعون عن الحرية وعن الكرامة ..

سيروا على بركة الله .. لاتخافوا الموت فالدنيا فانية .. والله معكم ولن يخذلكم.. فلن تكون حياة مصر معلقة بحياة عبدالناصر .. إنها معلقة بكم أنتم وبشجاعتكم وبكفاحكم..

وإذا مات جمال عبدالناصر فليكن كل منكم جمال عبدالناصر .. متمسكين بالمبادئ وبالمثل العليا.

يا إخوانى دمى من دمكم وروحى من روحكم .. ومشاعرى من مشاعركم..

أيها الرجال لقد استشهد المخلصون فى سبيل الله .. وأنا مستعد للاستشهاد فى سبيلكم وفى سبيل الله.

فليبق كل منكم فى مكانه .. إننى حى لم أمت .. ولو مت فإن كل واحد منكم هو جمال عبدالناصر ولن تسقط الراية ...»

جمال عبدالناصر، أول رئيس يهتم قولاً وعملاً بالفقراء، إنحاز لهم وعادى الإقطاع والرأسمالية الكبيرة والمستغلة .. قد يكون حدث تجاوزات .. وهذا جائز لكنه لاينفى إطلاقاً أنه وقف إلى جانب العمال والفلاحين وصغار الموظفين. كانت الشقة ذات الغرف الأربعة إيجارها دون الجنيهات العشرة ، وكان كيلو اللحم بأقل من خمسين قرشا، وكان سعر متر الأرض لايزيد بأى حال عن الخمسة جنيهات وقد كان فى بداية الخمسينات بها لايزيد عن الستين قرشا فى مناطق مصر الجديدة والمهندسين وبالذات المنطقة المحيطة بنادى الصيد المصرى.

كانت الحياة هادئة بالرغم من المعارك والتحديات التى خاضتها ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بقيادة عبدالناصر ، كانت هناك طبقة متوسطة وهى عصب الأمم وعصب الشعوب والمجتمعات ومنها يخرج كل ماهو عظيم فى حياة الشعوب من ثقافة وفن وأدب وإبداع .. أين هذه الطبقة الوسطى وأين الإحصائيات التى تبين العدد الكبير الحقيقى للفقراء الآن؟!

وبمناسبة الفقراء فيحضرنى واقعة حدثت أثناء إحدى زيارات جمال عبدالناصر لصعيد مصر عندما توقف القطار فى إحدى المحطات فوجئنا برجل بسيط يلقى «ببؤجة أو صرّة» وقعت بين أرجلنا : وتملك الحضور شئ من الارتباك والمفاجأة، وسارع أحدً ضباط الحراسة الخاصة بالتقاط هذه الصرّة بحذر وبدأ يفتحها داخل إحدى كبائن القطار، وكانت المفاجأة أن الصرة لاتحوى إلا *«رغيف بتاو و بصلة»* فى منديل محلاوى ! ولم يفهم أحد من الحضور رغم نمو حاسة حب الاستطلاع ، لماذا رمى الرجل بهذه الصرة ؟ إلا أن جمال عبدالناصر ، الصعيدى كان الوحيد الذى فهم ماذا تعنى هذه الرسالة ، وأطل برأسه بسرعة من القطار وأخذ يرفع صوته فى اتجاه الرجل الذى ألقى بالصرة قائلاَ له :

« الرسالة وصلت يا أبويا .. الرسالة وصلت ..»

لم يكد المركب يصل إلى أسوان حتى طلب الرئيس عبدالناصر تقريراً عاجلاً عن عمال التراحيل وعن أحوالهم المعيشية.

وفى خطابه مساء ذلك اليوم فى جماهير أسوان قال:

« يا عم جابر .. أحب أقول لك .. إن الرسالة وصلت .. وأننا قررنا زيادة أجر عامل التراحيل إلى ٢٥ قرشا فى اليوم بدلا من١٢ قرشا فقط ، كما تقرر تطبيق نظام التأمين الاجتماعى والصحى على عمال التراحيل لأول مرة فى مصر ».

لقد فهم جمال عبدالناصر الرسالة التى لم يستطع أحد غيره أن يكسر شفرتها ، فالمنديل المحلاوى هو رمز عمال التراحيل ، وهم العمال الموسميون الذين يتغربون فى البلاد بحثا عن لقمة العيش ولايجدون ما يأكلونه سوى عيش البتاو .. وهو نوع من الخبز يعرفه أبناء الصعيد يصنع من الذرة مع مسحوق الحلبة.

كان جمال عبدالناصر مرحا حتى وهو يصارع أعداء الأمة ، كان مرحا وهو يصارع المرض ، كان يعرف أسماء العاملين معه .. الصغير قبل الكبير، كما كان يعرف أسماء أبناءنا وبناتنا ويتابع أخبارهم فى الدراسة وفى حياتنا الأسرية والاجتماعية ، يسأل من نجح ومن سقط أو عن بنت فلان التى تمت خطبتها أو زواجها .. يجاملنا فى جميع المناسبات والأحوال: تجد باقة ورد وعليها الكارت باسمه تصل إلى منزلك أو إلى غرفة فى المستشفى التى تعالج فيه سواء أنت أم زوجتك أو أحد الأبناء أو الأمهات أوالآباء ، أو مساعدة مالية أو هدية تتمشى مع المناسبة.

كان جمال عبدالناصر ملاحقا للجميع طوال الوقت وفى كل مكان، وكانت حياته محصورة فى أماكن ثلاثة كما كان دائماً يقول لنا :

إما هنا فى المكتب ده .. فى منشية البكرى .
أو فى القلعة .. (السجن).
أو فى التربة .. (القبر).

رب أسرة بسيطة .. متواضع .. غير متكلف .. لم يحيا فى بذخ ..ملبس بسيط .. طعام بسيط .. لم يخرج عن حدود معينة فى ساعات ضيقة .. لايرى أحداً وهو فى حالة غضب.. تهدأ الأمور ثم يتفاهم .. لم يشعر بأى راحة لافى صحيانه ولا فى نومه ولا فى أكله ولا فى مشاهدة عائلته الصغيرة وأولاده ولا حتى فى سفره للخارج ، وفى زيارته لأمريكا سنة ١٩٦٠ لم يرها ، فمن مقر السكن الذى كان خارج مدينة نيويورك إلى مبنى الأمم المتحدة وبالعكس وكل الذى شاهده هو الطريق الأسفلت ..!

كان يستطيع أن يعين نائبا لرئيس الجمهورية لكنه لم يستطع أن يعين شخصا فى الجامعة العربية ! عندما سعينا لدى السيد عبدالخالق حسونة لتعيين كل من عبدالرحيم عبدالله ـ الثائر اليمنى الكبير ـ وكذلك العقيد محمود أحمد طنطاوى ـ السكرتير السابق للمشير عبدالحكيم عامر ـ فى إحدى وظائف الجامعة العربية . وأعتذر عبدالخالق حسونة قائلا لى أنه يأسف لأنه لايستطيع تلبية هذه الرغبة بالرغم من أننى قلت له أن أمرهما يهم جمال عبدالناصر !!.

لم يكن يأمر فيطاع .. ولم يكن يملك زراير يدوس عليها يرزق بها الناس أو يمنع عنها الرزق أو يحل لهم مشاكلهم كما يريد أو يريدون هم ..

فمثلا حكاية لمياء مفرج .. تلك السيدة اللبنانية التى شاءت الأقدار نتيجة ظروف لادخل لها بها أن تقع تحت إجراءات جمال عبدالناصر للحراسة ، ونتيجة للقرارات التى أصدرها الرئيس جمال عبدالناصر فيما بعد بتصفية الحراسات وقعت الأخت لمياء مفرج فى براثن أخطبوط الروتين الذى تفنن أصحابه فى المماطلة فى حصولها على حقها بالرغم من التأشيرة الواضحة الصريحة للرئيس جمال على أوراقها برفع الحراسة ؟ ومازلت لا أعرف إن كانت قد استردت حقوقها أم لا حتى الآن؟.

ولاننسى موقف جمال عبدالناصر من المرأة ، فقد كان الرجل فى سعيه إلى التحديث يعمل على تحرر نصف المجتمع المرأة ليمنح المرأة جميع حقوقها الطبيعية باعتبارها كانت تمثل جانباً كبيراً من المجتمع مهضوم الحقوق ، مما جعل عبدالناصر يصر على أن يصدر فى الميثاق ما نصه : « أن المرأة لابد أن تتساوى بالرجل ، ولابد أن تسقط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابية فى صنع الحياة».

لقد منح المرأة حقوقها السياسية كاملة وفق الدستور سنة ١٩٥٦ ، فحصلت المرأة المصرية مثلا على حق التصويت قبل أن تحصل عليه المرأة فى سويسرا ، كما طبق عليها مبدأ تكافؤ الفرص ، فأصبحت مديراً عاما وأستاذاً فى الجامعة ووزيراً ، كما تساوت مع الرجل فى الأجور والمرتبات : الشيء الذى لم يحدث حتى اليوم فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث تتفاوت الأجور بين الرجال والنساء فى نفس الوظيفة .. هذا فى الوقت الذى ظلت فيه زوجة جمال عبدالناصر تحتل مكانها التقليدى فى المجتمع المصرى ، فهى دائما إلى جانبه فى المناسبات الرسمية وتنشر صورها فى وسائل الإعلام ، ولكن لايشار إليها إلا باسم حرم الرئيس.

ولقد واجه جمال عبدالناصر موقفا صعبا فى أول زيارة صاحبته فيها قرينته إلى اليونان! فقد كان هناك حفل استقبال معد للرئيس وحرمه ، وتقضى قواعد البروتوكول فى مثل هذه الرسميات بأن يدخل الملك اليونان إلى قاعة الاحتفال متأبطا ذراع زوجة الضيف احتفاء بها، بينما يدخل الضيف وقد تأبط ذراع الملكة فريدريكا .. ورفض الرئيس جمال عبدالناصر هذا الوضع الذى يتنافى مع تقاليد البلاد دون أن يجرح أيضا شعور مضيفه بأن تأبط هو ذراع الملك بول بالطريقة التى اعتاد الأصدقاء فى مجتمعنا الشرقى أن يتأبطوا ذراع بعضهما البعض بينما ترك الزوجتين تدخلان سوياً.

وكان جواهر لال نهرو الزعيم الهندى الكبير يقول : « إن ما أحبه فى ناصر أنه يتعلم دائماً !».

وتميز الرئيس جمال عبدالناصر بصدقه المطلق ، ونهمه المتصل للمعرفة ، وشجاعته وهذا ما جعله الفكر والفعل المؤهل لقيادة أمة فى حقبة حاسمة.

كان شعار عبدالناصر دائماً هو التغلغل فى الواقع والتفتح على العالم.

والثورى الذى يريد أن يغير جذرياً وجوهرياً ، عليه أن يعرف واقعه ويغوص فيه إلى القاع.

وقد رحل الرجل مبكراً وقبل أن يكمل المشوار ، ولكنه ترك لنا دليل فكر ودليل فعل.

لقد أثبتت حقبة طويلة من الزمن والانقلاب المضاد صحة ما اكتشفه وطبقه جمال عبدالناصر . وتأكد للأمة من المحيط للخليج أنه ليس لنا طريق آخر سوى الذى شقه لها عبد الناصر ، وما أحوجنا هذه الأيام إلى السير على طريق جمال عبدالناصر ، لعلنا نعيد لهذه الأمة ما كان لها فى السابق من قدر ومكانة ، فقدتها عندما انحرفت عن الطريق.

حكايـــات (*)

● **لاحول ولاقوة إلا بالله**

سنة ١٩٥٣ شعر جمال عبد الناصر بآلام الزائدة الدودية واستدعى الدكتور مظهر عاشور ـ كان كبير الجراحين بالمستشفى العسكرى العام بكوبرى القبة ـ وذلك للكشف عليه فى منزله بمنشية البكرى ، وبينما كان الدكتور مظهر عاشور يقوم بإجراء الكشف عليه قال: «لا حول ولاقوة إلا بالله !».

فسأله الرئيس :

« هى الحالة خطيرة للدرجة دى ؟!»

فقال الدكتور : « أبداً .. دى العلة البدنية هنا بسيطة ولاتحتاج إلا لعملية جراحية بسيطة لاستئصال الأعور ، ولكننى أستغفر الله لعلة أخرى وهى أننى سمحت لأذنى أن تسمع عنك فرية دنيئة ....

فسأله الرئيس : « وإيه إللى سمعته يادكتور مظهر ؟!».

فقال : « كنت منذ أيام أزور بعض الأصدقاء فى لقاء إجتماعى فقال واحد من الحاضرين أنه زارك وشاف بيتك مفروش من قصر الملك .. من عابدين .. وأنا داخل لك النهاردة شفت حجرة الجلوس وحجرة النوم اللى إحنا فيها دلوقت ولكنى لم أجد شيئاً مما زعموه وافتروه عليك فسبحان الله»!

وابتسم جمال عبدالناصر رغم آلامه وقال : إننى أتوقع الكثير من هذا الكلام .. وأن مثل هذه الفريات وغيرها موش حاتعقدنا عن تحقيق أهدافنا .. يادكتور مظهر أشهد بأن كل شئ حايكون لغيرى ولو على حسابى ...

(*) يحتوى هذا الفصل على قصص وحكايات ورسائل أحد أطرافها الرئيس جمال عبدالناصر ولقد وصلت محتوياته مضمونها لى إما أن يكون قد رواها لى الرئيس جمال عبدالناصر أو الطرف الآخر المعنى „المستشار حسن النشار أو السيد عبد الرؤوف جبريل على سبيل المثال".

● إرادة الله

عندما كان جمال عبدالناصر طالبا فى المدرسة الابتدائية فى الخطاطبة سأل والده :ليه يا والدى إحنا بناكل اللحم والفلاحين الذين يرعون الغنم ويربوها لايأكلوها؟

واندهش الحاج عبدالناصر حسين وتوقفت اللقمة فى يده والتفت إلى جمال ومضى يتأمله فترة غير قصيرة وهو لايجد جوابا للسؤال المفاجئ وغير المتوقع من ابنه التلميذ الذى لم يكن أكتمل السنوات الثمان من عمره ..

انتظر جمال ردا من الوالد ، ولكنه اندهش عندما غادر الحاج عبدالناصر مائدة الطعام دون أن يكمل غذاءه وقال وهو فى طريقه لخارج الغرفة وفى شئ من الضيق المكبوت:

ياجمال .. هكذا أرادوا !

● ماذا تخبئ الأرض

الطالب جمال عبدالناصر فى قرية الخطاطبة محافظة البحيرة ، نزل فى حديقة المنزل الذى كان يقيم فيه مع والده وبدأ يحفر فى الأرض ، وتصادف خروج والده متوجها إلى عمله وشاهد جمال وهو يحفر الأرض .. فنهاه عن الحفر ومضى إلى عمله ..

وعندما عاد فى الظهيرة وجد أن الحفرة الصغيرة وقد اتسعت وأصبحت كبيرة عميقة.. فسأله : إيه ده يا جمال ؟ أنا موش قلت لك بطّل حفر وأنا نازل الشغل .. هو أنا موش أمرتك تبطل ؟!

فأجاب جمال فى أدب ... يا والدى أردت أن أعرف إيه اللى بتخبيه الأرض لنا .. عايز أعرف إيه اللى تحت الأرض ؟!

● عبدالناصر والملك

عندما كان جمال عبدالناصر طالبا صغيراً حكى لهم مدرس الفصل قصة عن أحد كونستبلات المرور الإنجليز الذى أوقف موكب الملك فى أحد الشوارع الرئيسية لأن الموكب خالف قوانين المرور . وعندما ذهب الطالب جمال عبدالناصر إلى بيته حكى نفس القصة لعمه ـ وكان يقيم معه فى هذه الفترة ـ ثم قال لأهل البيت معقباً ، ولم يكن يتجاوز عمره العاشرة : « أنا حاوقف الملك ده عند حده».

● ابن مين فى مصر ؟

فى اختبار كشف الهيئة للالتحاق بالكلية الحربية دار هذا الحديث :

* إسمك إيه ؟	جمال عبدالناصر حسين
* أبوك بيشتغل إيه ؟	موظف فى مصلحة البريد .

* موظف كبير ؟ — لأ .. موظف صغير

* بلدكم إيـــه ؟ — بنى مر .. مديرية أسيوط .

* يعنى فلاحين ؟ — أيـــــــوه .

* فيه حد من عيلتكم ضابط جيش ؟ — لأ .

* أمال أنت عاوز تبقى ضابط ليه ؟ — علشان أبذل دمى فداء للوطن .

* عندكم أمـــــلاك ؟ — إحنا ناس كادحين .

* فيه حد اتكلم علشانك ؟ — واسطة يعنى ؟ .. أنا وسطتى ربنا .

* إنت اشتركت فى مظاهرة ١٩٣٥ ؟ — أيـــــــوه ..

* كـــده ؟! طيب اتفضل إنت !!

بعد هذا الحوار دخل جمال عبدالناصر كلية الحقوق فى جامعة فؤاد الأول (القاهرة لمدة عام ، وفى العام التالى تقدم للالتحاق مرة أخرى بالكلية الحربية بعد أن تمكن من مقابلة **اللواء إبراهيم خيرى باشا** وكيل وزارة الحربية الذى استفهم منه عن طلب لقائه فقال جمال عبدالناصر أنه يريد الالتحاق بالكلية الحربية ثم سأل الباشا :

هى الكلية الحربية يا باشا ماتقبلشى الطلبة إلا إذا كان عندهم واسطة أم أن هناك قواعد عامة تسرى على الجميع ؟

فسأله الباشا : هل قدمت طلب ورفضت ؟

فرد عبدالناصر : أيوه ونجحت فى الكشف الطبى ولكن كشف الهيئة يحتاج لواسطة وأنا ليس لى واسطة ومعنى ذلك أن أعود لكلية الحقوق ..

فقال اللواء خيرى : يا ابنى تقدم مرة ثانية للكلية ..

وتقدم جمال عبدالناصر للمرة الثانية وفوجئ أن اللواء إبراهيم باشا خيرى وكيل وزارة الحربية على رأس لجنة كشف الهيئة وأمر بقبوله ...

● عنوانـــه إيـــه ؟

أحست القيادات السياسية والعسكرية والقصر الملكى والبوليس السياسى قبل الثورة بتحركات الضباط الأحرار وبالذات نشاط جمال عبد الناصر فيما يختص بتدريب الفدائيين فاصطحبه اللواء عثمان باشا المهدى رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى لمقابلة إبراهيم باشا عبدالهادى رئيس وزراء مصر فى ذلك الوقت وبحضور اللواء أحمد طلعت رئيس القلم السياسى. اتهم إبراهيم عبدالهادى الصاغ جمال عبدالناصر بالعمل فى منظمات سرية وتدريب أفرادها

على الأسلحة والمتفجرات ، فرد عليه عبدالناصر بأنه كان يحارب فى فلسطين من ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى ٦ مارس ١٩٤٩، وقال له إنه لو أتيحت له الفرصة لما تأخر عن تدريب المتطوعين لحرب فلسطين لأنه من صميم العمل الوطنى.

فقال إبراهيم عبدالهادى : «حاجة عجيبة .. لكن أنا عندى أكثر من تقرير بيقول إنك كنت بتدرب المنظمات السرية دى ، ثم إن المعتقلين من أعضاء هذه المنظمات إعترفوا بأنك كنت بتدربهم . أنا على كل حال موش عاوز منك حاجة كبيرة قوى ، أنا عاوزك ترشدنا للضباط اللى إشتركوا معك فى تدريبهم .. إنت تعرف محمود لبيب ؟».

فرد الصاغ عبدالناصر : « طبعا .. كانت حرب فلسطين هى العلاقة الوحيدة اللى تربطنى به ، وكنا بنجتمع لتنظيم الدفاع عن فلسطين».

إبراهيم عبدالهادى : « مين عرّفك به ؟».

عبدالناصر : « اليوزباشى أنور الصيحى».

وفرح إبراهيم عبدالهادى بهذه الإجابة وأمسك بالنوتة والقلم ليكتب ما اعتقد أنه نجح فى استدراج عبدالناصر للاعتراف على زملائه وبدأ مستعدا ليكتب أسماء الضباط الأحرار وسأل : «أنور الصيحى عنوانه إيه بقى»؟

فأجاب عبد الناصر بهدوء : « عندالله ... لقد استشهد فى فلسطين».

ثار إبراهيم عبدالهادى وابتسم جمال عبدالناصر وصرخ الباشا رئيس الوزراء:

« إنت بتسخر منى ؟ .. إنت فاكرنى إيه ؟... أنا حاوديك فى داهية وأسلّمك للبوليس ..

إنت فاهم كويس ؟!

بقى وظل عبدالناصر مسيطراً على أعصابه هادئا فى رد فعله إلى أن التفت إبراهيم عبدالهادى إلى اللواء عثمان المهدى باشا قائلاً : « يرّوح دلوقت .. لكن يكون فى علمك إننا حاناخد بالنا من الضابط ده كويس .. وإنت ياعثمان باشا تروح تفتش بيته وتستولى على الأسلحةوالذخيرة اللى فيه».

وفعلا توجه اللواء عثمان المهدى إلى منزل الصاغ جمال عبدالناصر واستولى على ٢٠٠ طلقة ظلت محفوظة فى مكتب القائمقام عبدالعزيز فتحى حتى إستردت يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

● **بتوعكـــم**

أثناء اللقاء الصباحى اليومى فى مكتبى مع السيد شعراوى جمعة ، طلب الرئيس جمال عبدالناصر أن أقوم بتكليف السيد الشعراوى جمعة بتبليغ رسالة معينة ـ رسالة ذات طابع شخصى وخاص ـ وكان الرئيس جمال عبدالناصر رئيساً للوزراء أيضاً فى ذلك الوقت ـ عندما أبلغت السيد شعراوى بالرسالة اعتبر أنها قد تثير حساسيات فى العلاقة بينه وبين الوزير المعنى ، ورجانى أن أعتذر للرئيس عن القيام بهذه المهمة.

ولما نقلت رغبة شعراوى للرئيس سألنى : « هو الوزير ده موش عضو فى التنظيم الطليعى؟».

قلت : « أيوه يا فندم».

قال الرئيس : « أنا عايز الوزراء يبقوا بتوعكم ..».

فرديت فوراً قائلاً : « لابتوع سيادتك ..».

فكرر الرئيس قوله بإصرار : « لابتوعكم إنتم ..».

كان حاضر هذا الحديث السيد شعراوى جمعه والفريق أول محمد فوزى.

وقد أعقب هذا اللقاء أن وصل للرئيس جمال عبدالناصر فى نفس اليوم تقريراً ملخصه أن السيد شعراوى جمعه عقد اجتماعاً للجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ماعدا السيدين أنور السادات وحسين الشافعى ، وأنه ـ أى شعراوى جمعة ـ قد انتقد فى هذا لاجتماع تصرف الرئيس جمال عبدالناصر بتعيين سامى شرف وزيراً للدولة ، وأنه طلب من الحضور أن يتوجهوا لمنزل الرئيس ويقوموا بتهديده.

وما أن اطلع الرئيس عبدالناصر على التقرير حتى أشرّ عليه :

« سامى تطلب مقدم التقرير وتعرف منه الحقيقة».

وقد استدعيت مقدم التقرير وواجهته بما كتب حيث أطلعته على التقرير بخط يده ـ وكان قد وصل للرئيس عن غير طريقى ـ فارتبك الرجل وتلجلج ولم يعرف بما يجيب على سؤالى ولما كررت عليه الاستفسار عن الحقيقة ، قال لى اعفينى من الإجابة لأن هذه المعلومة وصلتنى كإشاعة . ولم أعقب وصرفت الرجل ، ولم أُبلغ الرئيس بنتيجة المواجهة قال لى : سيب لى الموضوع ده وأنا سوف أتصرف بمعرفتى.

ولم يتطرق الرئيس مطلقاً لهذا الموضوع مع شعراوى جمعه .

- **ما هى عاصمة جامبيا؟**

فى أواخر شهر إبريل سنة ١٩٧٠ وبعد تعيين حسن التهامى وسعد زايد وسامى شرف ومحمد حسنين هيكل أعضاء فى مجلس الوزراء ، أبدى السيد محمود الجيار نوعاً من الاعتراض وعدم الرضا وتحدث مع بعض الإخوة فى الرئاسة حول هذه التعيينات ، ولما بلغ الرئيس جمال عبدالناصر ما يردده الأخ محمود الجيار استدعاه إلى مكتبه واستفسر منه عن وجهة نظره ، فكان رده أن خدمته وإخلاصه للرئيس تؤهلانه ليكون وزيراً ، فقال له الرئيس أن مؤهلات تعيين الوزير تشمل مسائل وضوابط ومقومات أكثر بكثير مما ترى يامحمود وعلى العموم أنا سوف أسألك سؤال محدد لو أجبته سوف أعينك وزيراً .. وابتسم محمود الجيار على اعتبار أن الرئيس مفاده أنه سيعينه وزيراً فعلاً : ماهى عاصمة جامبيا يامحمود؟!.. لو عرفت تجاوب على هذا السؤال سأصدر قراراً بتعيينك وزيراً». وأسقط فى يد الرجل ولم يعرف كيف يجيب ، كما لم يعرف أين تقع جامبيا ولاعاصمتها. وخرج الأخ محمود الجيار من مكتب الرئيس جمال عبدالناصر ولم ينطق بكلمة.. وبالرغم من هذا فقد أصدر عبدالناصر قراراً بتعيين الجيار وآخرين بدرجة وزير فى رئاسة الجمهورية بعد ذلك لأسباب أخرى.

- **موقف مع السفير الأمريكى فى القاهرة**

فى عشاء بمنزل السفير أحمد حسين سفير مصر فى واشنطن خلال سنة ١٩٥٥ حضره جمال عبدالناصر وبعض أعضاء مجلس الثورة، و «**إريك جونستون**»ـ المبعوث الخاص للرئيس «**أيزنهاور**» وصاحب المشروع الشهير باسمه لاستغلال مياه الأردن ـ و «**كيرميت روزفلت**» ـ حفيد تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى بداية القرن الماضى ـ و «**هنرى بايرود**» السفير الأمريكى فى القاهرة[١] ، دارت أحاديث طويلة وكثيرة واستفسارات من كل من «**جونستون**»و «**روزفلت**» وكان الرئيس جمال عبدالناصر يقول بين الوقت والآخر:إن «**بايرود**» يعرف الإجابة على كل ما تسألون عنه ـ يقصد مواقف مصر الرسمية من كل هذه الأسئلة ـ ولقد قلت له رأينا فى كل ما تسألون عنه أكثر من مرة».

وفجأة قال السفير «بايرود»:

«سيدى الرئيس إننى أعرف هذا كله ، ولكننى لا أعرف لماذا ضُرب أحد رجالى اليوم فى مدينة السويس»؟ نظر كل الحضور إلى «بايرود» بدهشة كبيرة لتحويله مجرى الحديث والمناقشات، وللعصبية المكبوتة فى كلماته ، واستمر «بايرود» قائلاً :

---

(١) «بايرود» كان سفيراً فى القاهرة من ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦ ، وكان اختياره سفيراً فى مصر له عدة اعتبارات منها سنه الذى لم يتعد الأربعين . كما كان عسكرياً سابقاً واستطاع أن يكون لحد ما قريباً من المسؤولين المصريين.

إن المستر «فينش» الملحق العمالى فى سفارتى ـ كان يقوم بزيارة لمصنع تكرير البترول فى مدينة السويس ، وقد ضربه العمال هناك إلى حد كاد يفضى به إلى الموت.

قال عبدالناصر بهدوء :

إن المستر «فينش» ـ كما تقول معلوماتنا ـ ليس مجرد ملحق عمالى بالسفارة، ولكنه ممثل للمخابرات المركزية الأمريكية (الـ CIA) ، ولقد طلبنا إليكم أكثر من مرة أن يمتنع عن الذهاب إلى المناطق العمالية ، لكنه مازال مُصر على عدم الالتزام بما نصحنا به وعليه أن يتحمل نتائج أية مشاكل تقع له من جانب نقابات العمال التى تعرف طبيعة مهمته وترفض دخوله وسط عمالنا».

قال « بايرود» : « أخشى أن أقول يا سيدى الرئيس أن عمالكم تصرفوا بطريقة غير متحضرة».

فنظر إليه جمال عبدالناصر وقام بإطفاء سيجارته على مائدة أمامه ثم قال :

« سوف أتركك الليلة تقرأ كتابا عن الحضارة المصرية وتاريخها البعيد ، وعندما تتعلم منه شيئاً نتكلم مرة أخرى ...».

قام عبدالناصر ومبعوثا أيزنهاور الذين سارا معه حتى باب السيارة يحاولان الاعتذار وبقى «بايرود» وحده فى الصالون.

• عبدالناصر وبنى مر

فى عام ١٩٥٦ أنشئت وحدة مجمعة فى قرية بنى مر بمحافظة أسيوط ـ مسقط رأس جمال عبدالناصر ـ واقترح المسئولون إنشاء قرية نموذجية عند مدخل بنى مرّ تضم مائة وثمانى فيلات تتوسطها فيلا على أحدث الطرز المعمارية تخصص كاستراحة لرئيس الجمهورية ابن البلدة ، أما باقى الفيلات فتخصص لأقارب الرئيس وأهله ، ولكن جمال عبدالناصر رفض الفكرة تماماً بعد أن وضع حجر الأساس وقال :

«ولو لم أكن رئيساً للجمهورية ما كان ليحدث هذا .. لذلك فأنا لا أقبل شيئاً يرتبط بمنصب رئيس الجمهورية .. أنا فخور بأنى واحد من أبناء بنى مر .. وأفخر أكثر وأكثر بأنى واحد من عائلة فقيرة من هذه البلدة . وأفخر بأن عائلتى لاتزال فى بنى مر مثلكم أنتم تزرع وتقلع من أجل عزة هذا الوطن وحريته .. إننى أفخر دائماً أننى واحد من أهالى بنى مر، وأفخر أكثر من هذا بأننى من عائلة فقيرة نشأت فى بنى مر . وأنا أقول هذا لأسجل أن جمال عبدالناصر نشأ من عائلة فقيرة ، وأعاهدكم بأن جمال عبدالناصر سيستمر حتى يموت فقيراً فى هذا الوطن».

• **لا محابـاة بل مسـاواة**

فى عام ١٩٥٧ ظهرت بالقرب من بنى مر جزيرة مساحتها ١٤٠ فدانا من أراضى طرح النهر .. فقام الأهالي ـ ومن بينهم بعض أقارب الرئيس جمال عبدالناصر ـ بزراعتها، وحدث خلاف بينهم وبين باقى أهالى القرية الذين سارعوا بتقديم شكاوى ضدهم ، وتدخلت الشرطة للتوفيق بينهم لفض النزاع . لكن الأهالى اتهموا الشرطة بالانحياز إلى صف أقارب الرئيس ، وقاموا بإرسال شكاوى وتلغرافات إلى الرئيس كما توجه بعض منهم إلى القاهرة حيث تقدموا بشكواهم إلى سكرتارية الرئيس . وما أن علم الرئيس بالأمر حتى أصدر قرارا جمهوريا بسحب كل أراضى هذه الجزيرة وما فيها من محاصيل زراعية وتوزيعها على المعدمين من أهالى القرية والمسرحين من الخدمة العسكرية فى بنى مر والقرى المجاورة ،وقام بتنفيذ هذا القرار المهندس كمال سرى الدين مدير الإصلاح الزراعى بمحافظة أسيوط فى ذلك الوقت .

وقد علق أحد أبناء القرية على هذه الواقعة بقوله : « كان ينصفنا نحن وإن اضطر إلى أن يظلمهم ـ يقصد أقارب الرئيس ـ وكان يفضل أن يتمتع أبناء القرى الأخرى بمشروعات الثورة قبلنا ـ نحن لم نشعر أبدا بعد هذا الحادث بأن بيننا أقارب رئيس الجمهوريةوأهله ، وإنما كنا نشعر بأنهم أخوتنا وجيراننا ورفاقنا فى كل شئ».

• **عم وابن عم الرئيس فى قصر الطاهـرة**

يروى الحاج عطية حسين خليل ، عم الرئيس جمال عبدالناصر الحكاية التالية:

« كان لى ابن فى المدرسة الثانوية بأسيوط إسمه حسين ، ولم يسبق له أن رأى ابن عمه الرئيس جمال عبدالناصر من قبل ، وفي يوم قال لى : لابد أن أرى ابن عمى وأقعد أتكلم معاه».

فقلت له : « يا حسين يا ابنى ده مشاغله كثيرة وموش فاضى لنا».

فرد حسين : « مهما كانت الظروف أسافر إلى القاهرة .. وأصر على مقابلته».

ويستطرد عم الرئيس « اضطررت للسفر معه إلى القاهرة وسألنا وتوجهنا إلى منشية البكرى وكان فى هذا الوقت الرئيس يقيم بصفة مؤقتة فى قصر الطاهرة بمنطقة القبة إلى حين الانتهاء من إجراء بعض الإصلاحات فى منزله بمنشية البكرى ، رحنا إلى هذا القصر واستوقفنا الحرس والأمن ، وبعد الاتصال بالسكرتارية والتأكد من شخصيتنا سمح لنا بالدخول حيث استقبلنا السيد محمد أحمد السكرتير الخاص للرئيس والذى أدخلنا إلى غرفة انتظار وقال لنا:

« معلش ستنتظر شوية لأن الرئيس بيستقبل الآن رئيس وزراء الأردن».

ويقول الحاج عطية : لم أصدق حتى هذه اللحظة أننى سأقابل إبن أخى فى هذا المكان، ولم يكن إبنى حسين أقل منى دهشة .. ولم نلبث كثيراً حتى حسّيت إن فيه يد توضع على كتفى من الخلف .. ونظرت فوجدت الرئيس بنفسه جاء إلينا حتى غرفة الانتظار .. وتعانقنا وقدمت له ابنى حسين .. ابن عمه ، فقبّله وسألنا عن أخبار العائلة ، وعندما طمأنته بدأ يسأل حسين عن دراسته .. فقال له حسين : ياسيادة الرئيس أنا بامشى كل يوم على رجلى ثلاثة كيلومترات من البلدة حتى أسيوط حيث مدرستى وأذاكر على لمبة جاز ، فكيف هذا وأنا ابن عم رئيس الجمورية»؟!

فقال له الرئيس : « **يا حسين .. الظروف اللى بتتكلم عنها أحسن حالا بكثير من اللى عشته أنا وعمك الحاج عبدالناصر .. أنا كنت مثلا باذاكر على نور مصباح الغاز .. وربما نور أقل من اللى بتذاكر إنت عليه دلوقت . وبتقول إنك بتمشى ثلاثة كيلو متر .. أنا مشيتها قبلك مرارا .. ولم يكن عندى وسيلة أخرى غير المشى ، فلابد من أن تكد وتتعب حتى تستريح فى النهاية .. وهى دى قيمة الكفاح ، موش مهم يكون والدك غنيا يوفر لك كل أسباب الراحة وإنما المهم أن تحقق كل آمالك بمجهودك وعرقك وكـدّك**».

لاحظ الرئيس أثناء الحديث أن حسين يحلق ببصره فى أنحاء الغرفة الكبيرة وقد أخذته الدهشة ، فقال عبدالناصر : إنت دلوقتى ياحسين بتنظر حولك فى دهشة واستغراب :

«**إن ماتراه أمامك ليس ملكى .. إنه ملك لمنصب رئيس الجمهورية ، والمنصب ده أنا باشغله دلوقت وبكرة حاييجى واحد ثانى من بعدى يشغله وهكذا .. أنا يا حسين لا أملك حتى الكرسى اللى انا قاعد عليه الآن**».

- **حـوار مع مصطفى أمين**

قرأ الرئيس جمال عبدالناصر جريدة الأخبار وطوى صفحاتها ثم أخذ يفكر ، ولكنه لم يطل تفكيره حيث امتدت يده ليدير قرص التليفون طالبا مصطفى أمين ودار الحديث التالى:

* يا مصطفى هل قرأت الصفحة الأخيرة ؟

* أيوه يا سيادة الرئيس .. هل تقصد سيادتك صورة الوالد ؟

* فقال الرئيس جمال عبدالناصر بلهجة حازمة :

أنا ما باحبش أن تُنشر أخبار والدى أو صور عائلتى بين الناس ، يا مصطفى أنا عايز أبى واخوتى وعائلتى تعيش مثلهم مثل باقى الناس العاديين .. وأنا ما أحبش أن يفسدهم منصبى!

نماذج من الرسائل المتبادلة بين الرئيس جمال عبدالناصر وبعض أصدقائه

تخرج جمال عبدالناصر من الكلية الحربية ١٩٣٨ وأصبح ضابطا فى الجيش المصرى وعُين بسلاح المشاه فى الكتيبة الخامسة التى كانت تعسكر فى منقباد فى ضواحى مدينة أسيوط فى صعيد مصر.

ومن منقباد بعث الملازم جمال عبدالناصر بأول رسالة له بعد تخرجه من الكلية الحربية إلى صديقه حسن النشار ـ الذى كان يقيم فى الفيلا رقم ١٩ شارع المنيل بمنيل الروضة بالقاهرة، وأقام معه عبدالناصر فترة قاربت ثمانى سنوات فى هذا المنزل .

وقد زرت المستشار حسن النشار شخصياً فى بداية الثمانينات بعد خروجى من السجن وشاهدت الغرفة التى كانت مخصصة لإقامة عبدالناصر والتى احتفظ المستشار حسن النشار بكل محتوياتها كما كانت ، ولم يغير حتى قماش العفش بل كان كما هو ، ثم سلمنى الرسائل المتبادلة بينه وبين جمال عبدالناصر للاطلاع عليها ، كما أجريت معه حديثاً مسجلاً على شريط كاسيت منشور نصه فى الملحق الوثائقى.

تقول الرسالة :

صديقى حسن

تسلمت عملى أمس فى منقباد وهى مكان جميل وشاعرى يبعث على التأمل ، وهى تجمع بين الصحراء والجبال والمزارع والبرك والأنهار .. ففى الشمال مزارع ، وفى الجنوب سلسلة جبال تمتد من الجنوب الشرقى إلى الجنوب الغربى وتطوق الصحراء بسواعد جبارة عاتية .

ويسرنى يا حسن أن تعلم أن أخلاقى مازالت متينة .. وأن جمال عبدالناصر الحاضر أو الموجود فى منقباد هو طبعا جمال عبدالناصر الذى تعرفه من زمن بعيد ، والذى كان يبحث عن آماله فى الخيال لكنها تفر منه كالأشباح ، ودخل فى صراع بين مايراه وبين ما يؤمن به .. جمال القوى الذى يبحث فى المحن عن أسباب الأمل .

وإلى أن أراك لك وللأسرة العزيزة تحيات أخيك

جمال عبدالناصر

منقباد فى ٨ أغسطس ١٩٣٨

وفى نفس اليوم بعث الملازم جمال عبدالناصر برسالة إلى صديق الدراسة عبد الرءوف جبريل (مدير مكتب الشكاوى برئاسة الجمهورية فيما بعد) نصها :

عزيزى عبد الرءوف

أبلغ تحياتى وأشواقى الزائدة لرؤياكم

وصلتُ منقباد ... والقشلاق يبعد عن المحطة ثلاثة كيلومترات ويوجد طريق جميل يوصل بينهما بالأسفلت وشجر السنط على جانبى الطريق لا يحجب عن الرؤية المنظر الجميل لتلك الحقول الكثيرة جدا المزروعة ذرة « عويجة » ـ أظنك لاتعرفها لأنها لاتوجد فى الوجه البحرى إن كل عود ذرة ينبت «كوز» واحد فقط .. شايف العز؟! وهذه الأرض تملأ بالمياه أيام الفيضان وتبقى ملآنة حتى أوان البرسيم. طبعا مناظر جميلة .. وجميلة جداً فهى تستمر حتى مسافة ٩ كيلو مترات وتحد بسلسلة جبال عالية جداً من الجنوب الشرقى إلى الجنوب الغربى أما الشمال فمزروعات جميلة أيضاً.

وقد وجدت بندقية عيار ١٦ ، وسأخرج يوم الخميس لصيد الطيور إذ أنها تكثر فى شجر السنط.

الحياة يا عبدالرءوف فى منقباد ظريفة إذ أننا ١٤ ضابطا منهم ٧ ضباط فى الأورطة الرابعة وكذلك ٧ آخرون فى الأورطة الخامسة . ونحن أصدقاء جميعاً ومكونين مجموعة مسلية ويوجد مجموعة من الضباط أخلاقهم حسنة جداً .. وأسيوط بالمناسبة أقل حجماً من طنطا ، وسوف أنزل أسيوط فى كل أسبوع مرة واحدة.

ولك تحيات أخيك

جمال عبدالناصر

منقباد فى ٨ أغسطس ١٩٣٨

وفى رسالة أخرى من منقباد فى فبراير ١٩٣٩ إلى الصديق حسن النشار جاء فيها :

« .. نحن نشتغل يا حسن تحت رئاسة شوية (...) أكثرهم أو كلهم يتمنون عودة الاستعمار للسيطرة على الجيش المصرى ، وكلهم مجردون من الأخلاق ، وربنا ما يّوريك وكل عيبى هنا فى عملى أنى دوغرى لا أعرف الملق أو الكلمات المنمقة ولا أتمسح بالأذيال وإن شخصاً هذه صفاته يحترم من الجميع ولكن الرؤساء !.. الرؤساء يا حسن يسوؤهم ذلك الذى لايسبّح بحمدهم .. يسوؤهم الذى لايتملقهم وهم الذين اعتادوا الذل فى كنف الاستعمار .. يقولون : كما كنا ، يجب أن تكونوا ، وكما رأينا .. يجب أن تروا . كما يحزننى يا حسن أن أقول إن هذه السياسة نجحت نجاحا باهراً ، ويحزننى يا حسن أن هذا الجيل

الجديد قد أفسده الجيل القديم فأصبح منافقا متملقاً ، ويحزننى ياحسن أن أقول إننا نسير إلى الهاوية بالرياء والنفاق والملق .. أما أنا فقد صمدت، ولذلك تجدنى فى عداء مع هؤلاء الكبار .. ولاحول ولاقوة إلا بالله.

أخوك..

جمال عبدالناصر

وفى عام ١٩٣٥ بعث الطالب جمال عبدالناصر برسالة إلى صديقه حسن النشار يقول فيها :

صديقى حسن ..

اتصلت تليفونيا بوالدك لأتنسم أخبارك فأخبرنى بأنك موجود فى المدرسة، لذلك أكتب لك ما كنت سأكلمك فيه تليفونياً ..

قال تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة». فأين يا صديقى هذه القوة التى نستعد لهم بها ؟! إن الموقف اليوم دقيق ومصر فى موقف أدق ، ونحن نكاد نودع الحياة ونصافح الموت، إن بناء اليأس عظيم الأركان .. فأين من يهدم هذا البناء؟ إن فى الحكم حكومة قائمة على الفساد والرشوة .. فأين من يغير هذا الحال ؟ والدستور معطل والحماية على وشك الإعلان.. فأين من يقول للاستعمار قف عندك .. إرجعوا عن غيكم فإن فى مصر رجالاً ذوى كرامة لايريدون أن يموتوا كالأنعام ؟ أين هذه الكرامة ؟ أين الوظيفة ؟ أين ذلك الذى يسمونه رعونة الشباب ؟ كل ذلك قد غاب فى الآفاق وظهرت الأمة نائمة كأهل الكهف ، فأين من يوقظ هؤلاء التعساء الذين هم عن حالتهم لايعلمون ؟! لقد قال مصطفى كامل: « لا حياة مع اليأس ، ولايأس مع الحياة». ولكننا نجد الآن حياة مع يأس ويأسا مع حياة . لقد انقلبت الآية يا أخى .. فرجعنا إلى الوراء .. رجعنا خمسين سنة إلى الوراء .. رجعنا إلى حكم «**كرومر**»، ولكن «كرومر» وجد من أذّله وشنّع به فى عرض المعمورة فكانت النتيجة أن استقال ، ولكن أين من يشنع الآن ؟ إن الجميع يتمسحون بأذيال الاستعمار ولايعرفون إلا الملق والتزلف .. أين البلسم الذى تستظل بظله الوطنية ويحتمى به الوطنيون ساعة الخطب المروع وهو أثبت من الأطواد رأيا وأشجع من الأسود قلباً؟!

أين كل ذلك وقد عز النصير وأسوّد المصير ؟! بل أين الوطنية التى كانت سنة ١٩١٩ تشتعل ناراً فى الصدور ؟! أين ذلك الذى يذود بدمه ولسانه وخطرات قلبه عن حياض هذا الوطن العزيز المقدس مضحيا بالحياة والعمر فى سبيل الاستقلال ؟! لقد انتقلنا من نور الأمل إلى ظلمة اليأس ، ونفضنا بشائر الحياة واستقبلنا غبار الموت ، فأين من يقلب ذلك رأساً على عقب ويعيد مصر إلى سيرتها الأولى يوم أن كانت مالكة العالم ؟!

أين من يخلق جديداً حتى يصبح المصرى الخافت الصوت .. الضعيف الأمل ...الذى يطرق برأسه ساكنا صابراً على حقه المهضوم ساهياً عن التلاعب بوطنه ، يقظاً ..عالى الصوت .. عظيم الرجاء .. مرفوع الرأس .. يجاهد بشجاعة وجرأة فى طلب الإستقلال والحرية ؟!

يقولون إن المصرى يجزع من حفيف ثيابه فى وضح النهار ، ولكن يجب أن يتقدم من يقودونه إلى موقف الدفاع ومواطن الكفاح ، فيكون لهم صوت أعلى من صوت الرعد تتداعى لقوته أبنية الظلم والاستبداد ، فكل روح سكنت جسما جاء من أبوين مصريين لاترضى بحالتنا الراهنة ، ولا تأبى إلا أن تسيل دماؤها فداء للوطن العزيز والجامعة الوطنية المقدسة.

قال مصطفى كامل « لو نقل قلبى من اليسار إلى اليمين أو تحرك الأهرام من مكانه المكين أو تغير مجرى النيل فلن أتغير أو أحيد عن المبدأ».

ذلك يا صديقى كان مقدمة طويلة لعمل أطول وأعظم ، فقد تكلمنا مرات عديدة فى من يوقظ الأمة من غفلتها ، ويضرب على الأوتار الحساسة فى القلوب ، ويستثير ما كمن من القوى فى الصدور ، ولكن هذا لم يدخل فى حيز العمل حتى الآن.

وعلى ذلك فأنا منتظرك فى منزلى يوم ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٥ الساعة الرابعة مساء لكى نتباحث فى الموضوع .. وأملى أن تحضر فى الموعد المحدد.

وسلامى إلى أشقائك والعائلة العزيزة..

من عند **جمـــال عبدالناصـــر**
الخرنفش ـ ٣ حارة خميس العدس
فى يـوم الاثنين ٢ سبتمبر ١٩٣٥
٤ جمـادى الثانـى ١٣٤٥ هـ

وفى نفس اليوم ٢ سبتمبر ١٩٣٥ كتب جمال عبدالناصر من القاهرة رسالة بنفس المعنى إلى صديقه وزميله عبدالرءوف جبريل قال فيها :

« لقد انتقلنا من نور الأمل إلى ظلمة اليأس .. إن فى مصر حكومة قائمة على الفساد والرشوة ، فأين من يغير هذا الحال ؟! إن الدستور معطل ، والحماية على وشك الإعلان.. فأين من يقول للاستعمار قف عند حدك فإن فى مصر رجالا ذوى كرامة لايريدون أن يموتوا كالأنعام ؟! أين الوطنية التى كانت سنة ١٩١٩ تشتعل ناراً فى الصدور ؟! بل أين ذلك الذى يذود بلسانه وخطرات قلبه عن حياض هذا الوطن العزيز المقدس مضحياً بالحياة

والعمر فى سبيل الاستقلال ؟!.. أين من يخلق مصر خلقاً جديداً حتى يصبح المصرى الخافت الصوت.. الضعيف الأمل .. الذى يطرق برأسه ساكنا صابرا على حقه المهضوم يقظا.. عالى الصوت .. عظيم الرجاء .. مرفوع الرأس يجاهد بشجاعة وجرأة فى طلب الاستقلال والحرية؟!

يقولون إن المصرى يجزع من حفيف ثيابه في وضح النهار ، ولكن يجب أن يتقدم من يقودونه إلى الدفاع ومواطن الكفاح فيكون لهم صوت الرعد تتداعى لقوته أبنية الظلم والاستبداد ، وتبذل نفسها قربانا للوطن العزيز...

وفى الثالث من مارس ١٩٣٩ كتب جمال عبدالناصر الرسالة التالية لصديقه حسن النشار:

عزيزى حسن

فى محطة الجيزة فُتح باب ديوان القطار ، ودخل منه شخص معه بندقية ومن حوله الخدم يرددون : حاضر يا سعادة الباشا .. طيب يا سعادة الباشا ..

وبعد أن ألقى علىّ التحية ورددتها عليه أخذ مكانه إلى جانبى ..ووضع أمتعته على المقعد المقابل وهو يقول :

أنا بقى فلان الفلانى بتاع مجلس الشيوخ اللى بيقولوا عليه لتّات وغلباوى.

فقلت له تشرفنـــا ..

فأجابنى : أنا بقى الوحيد اللى عارضت معاهدة ١٩٣٦ ، ثم راح يحكى لى قصة حياته من سنة ١٩٠٧ .. وحتى لا أذكر إلى أى سنة أخرى.

كان يتحدث يا حسن بسرعة غريبة .. وكلما حاولت أن أرد عليه يقول لى : انتظر .. ثم يستمر فى كلامه بصوت عالى.

عندها عرفت أننى لن أستطيع النوم ولن أستطيع الإصغاء .. فظللت ناظراً له وأنا لا أفقه حرفا واحداً مما يقول حتى آلمتنى رقبتى ..

وحتى أطمئن نفسى.. انتهزت إحدى الفرص وقلت له : سعادتك نازل فين ؟ فقال : احمد ربنا اللى لقيت واحد يسليك حتى بنى سويف..

وحمدت الله فعلا فى سّرى ، وظل هو يحكى وأنا أستمع حتى وصلنا بنى سويف ، وهناك أنزل حوائجه بينما كان ينصحنى بأن أحترس جيداً من الزحمة ، ثم نسى نفسه وبدأ يحكى لى حكاية جديدة حتى خُفت أن يغير رأيه ويستمر معى إلى محطة ثانية ليكمل الحكاية .. لكن الله سلّم ونزل والقطار يتحرك.

ومن يومها وأنا أشكو من الصداع الذى لا أعرف كيف أتخلص منه إلى الآن .

أخوك .. جمال عبدالناصر

ومن منقباد بعث جمال عبدالناصر برسالة فى يونيو ١٩٣٩ إلى حسن النشار قال فيها :

عزيزى حسن

أهديك سلامى وأرجو أن تكون بخير

أرسلت لك جوابا من زمان ولكن لم يصلنى الرد للآن ... عايز أعرف السبب .

أعرف بأن وقتى مشغول جداً فى هذه الأيام حتى أننى لم أرسل لك ولا لعبد الرءوف من مدة طويلة.

مسألة نقلى لم يبت فيها للآن ، وإن كان الباشا قد عرفنى أنها ستتم قريباً.

أرجو أن تسأل عن أخى عز العرب وتزوده بنصائحك فهو كسعد شقيقك تماماً ، وقد عرفنى الوالد أنه ذهب إلى المدرسة ولكنى لا أعرف نصيب ذلك من الصحة ، وعز لم يرسل لى ولاجواب ، وهو غير مهتم جداً .

لم ترسل لى أى معلومات كما اتفقنا على المحطة عندما تركتك ، وقد كنت فكرت أن آخذ أجازة هذا الأسبوع ولكننى أجلتها لشهر رمضان .. وأظن أن هذا أحسن.

عزيزى حسن ..

عندى موضوع وأظنك تعرف له حلَّ .. وهو رغبتى فى إدخال شقيقى الليثى المدرسة مجاناً لأن مجموعه أكثر من ٧٠٪ وطبعاً هذا يقلل المصاريف علىّ أنا على وجه الخصوص لأن والدى يظهر موش ناوى يدفع المصاريف أو جزء منها : لأنه بالرغم من اتفاقى معه على دفع المصاريف وأنا الباقى ابتداء من أول أغسطس ، فإنه لم يكتف بعدم الدفع بل أرسل فى طلب فلوس ، وطبعا لم أتردد فى إرسالها له.

أرجو أن تهتم بمسألة أخى الليثى وتجاوبنى بصراحة .. هل هذا فى مقدورك؟.. حتى أعرفك بمجرد إرسال الطلب.

سلامى إلى العائلة وإلى محمد أفندى عارف ، وعرّفه بأنى باقى فى منقباد حتى يجئ إنشاء الله .. إذا لم أُنقل.

وتقبل سلامى وأشواقى

أخوك .. جمال عبد الناصر

الرسالة التالية من الخرطوم وبعث بها جمال عبدالناصر في السادس من أبريل ١٩٤١ إلى صديقه حسن النشار وقال فيها :

... الضباط ياحسن كل واحد مختار له محل علشان البنت اللى فى المحل .. واحد مختار الأجزاخانة .. ما هذا الواحد فإذا ما دخلت حجرته فسوف تجدها عبارة عن مخزن .. أدوية.. كل يوم يذهب للأجزاخانة ليشترى منها أى حاجة ، ومرة قال لنا : إننى لم أشتر اليوم سوى أسبرينة واحدة بقرش تعريفة ، ومع ذلك فقد وقف مع البنت البائعة فى الصيدلية نصف ساعة تساوى شلن!

وثانى يوم ذهبت للأجزاخانة وقابلت البنت فقالت لى :

إنتم كان عندكم إيه إمبارح ؟ كل الضباط جاءت واشتروا أسبرين .. هو كل الضباط راسهم واجعاهم وإلا إيه ؟!

حاجة تكسف ياحسن ...آدى يا سيدى الضباط !!

على فكرة أعرفّك بأن الخرطوم مافيهاش مجارى .. وفى الجرادل متسع للجميع ، والحكومة متعهدة بنزح الجرادل يومياً!!

هل تتصور يا حسن إن الأورطة بتدفع مبلغ ٨٠٠جنيه فى السنة ثمنا لنزح هذه الجرادل؟! هل يُعقل هذا يا أستاذ؟!.

أخوك .. جمال عبدالناصر

ومن جبل الأولياء بالسودان كتب جمال عبدالناصر هذه الرسالة لحسن النشار سنة ١٩٤١ :

.... خلف الخزان تستطيع يا صديقى أن ترى مياه الفيضان محجوزة والنيل يصل إلى مدى البصر فى الاتساع .. المياه زرقاء والقمر يعكس نوره الفضى ، تصور كل هذه المناظر وعليها شوية نسيم عليل كمان!

وبالرغم من كل ذلك فأنا لا أستسيغها ولا أحس طعمها .. فمثلها فى عينى مثل أى صحراء علما بأنى ـ كما تعلم ـ لم أكن كذلك من مدة ، فهل مات الشعور ؟

هل ماتت عاطفتى يا حسن ؟ سؤال أسأله لنفسى مرات عديدة ولكنى لا أعرف الجواب.

ربما يكون السبب هو أن المصريين فى السودان ليس لهم فى الحقيقة أى حس أو صوت ..

سواء كان ذلك الحكومة المصرية أو الأهالى .. إننى أشعر بأن السودان مازال إلى الآن مصرياً بالاسم فقط.

حسن .. دى حاجة تسد النفس!!

أخوك .. جمال عبدالناصر

ورسالة أخرى من جمال عبدالناصر إلى حسن النشار بعث بها من جبل الأولياء سنة ١٩٤١ قال فيها :

عزيزى حسن

أكتب إليك وأنا ثائر فى نفسي ثورة داخلية..

.. على العموم ياحسن أنا مش عارف ألاقيها منين ولا منين .. هنا فى عملى كل عيبى أنى دوغرى لا أعرف الملق ولا الكلمات الحلوة ولا التمسح بالأذيال وشخص هذه صفاته يحترم من الجميع ، لكن الرؤساء يا حسن يسوءهم ذلك الذى لايسبح بحمدهم ، فهذا كبرياء وهم شبوا على الذلة فى كنف الاستعمار والويل كل الويل لذلك المتكبر - كما يقولون - الذى تأبى نفسه السير على منوالهم - يعاديه الجميع من تلاميذ العهد القديم.

يحزننى يا حسن أن أقول هذه السياسة قد نجحت نجاحا باهراً فهم يصهرون نفوس الشبان .. وكلهم شبان لم تصهرهم الأيام.

ويحزننى يا حسن أن أقول أن هذا الجيل الجديد قد أفسده الجيل القديم فأصبح منافقاً متملقاً!!

ويحزننى يا حسن أن أقول أننا نسير إلى الهاوية .. الرياء .. النفاق .. الملق .. تفشوا فى الأصاغرة نتيجة لمعاملة الكبار.

أما أنا فقد صمدت ومازلت ، ولذلك تجدنى فى عداء مستحكم ومستمر مع هؤلاء الكبار..

أخوك : جمال عبدالناصر

فى شهر أغسطس ١٩٤١ بعث جمال عبدالناصر من الخرطوم بهذه الرسالة إلى حسن النشار :

... سيكون أمامك المستقبل ولكن يحتاج إلى جهد .. ولا لذة لمستقبل بدون جهاد ، فالحياة الخاملة أو الطريق المرسوم المورقة تنعدم فيها اللذة .. وطبعاً حياة بدون لذة لاتعد حياة.

أقول ذلك حتى لاتتململ من جهادك بعد الليسانس إنشاء الله ، أقول لك وأنا موقن به.. فأنا أعيش اليوم بدون جهاد، وحتى لو حاولت ذلك لما كانت هناك أية نتيجة.

أخوك . **جمال عبدالناصر**

في أغسطس ١٩٤١ كتب جمال عبدالناصر رسالة من الخرطوم إلى الصديق حسن النتشار جاء فيها :

إن الحياة الآن تختلف اختلافاً كبيراً عما كانت عليه فى الماضى .. وطبعاً فى هذا الاختلاف تأثير على النفس وعلى الفكرة التى كونتها عن الحياة .. والحقيقة أن كل ما كنت أعتقده عام ١٩٣٦ وما حولها من الأيام يتغير تغيرا مستمراً وتثبت الأيام الماضية أنه كان خطأ ، وإن نظرياتى ونظرياتك أيضاً كانت كلها من نبت الخيال ، وأن الحقيقة تهدم هذا الخيال بالنسبة لى.

تصور كلامى وتعجب !! جرى إيه لجمال عبدالناصر ؟! ولكن إذا عشت فى هذا الجو ربع المدة التى عشتها لكنت ألعن من ذلك..

الإخلاص معدوم .. والذمة مفقودة .. والضمير لاتسمع عنه .. حتى أنى أعتقد الآن أنى ابتدأت أفكر فى نظرية.

وإذا كنت أنا الوحيد فى هذه البيئة الذى يعترف بالضمير ويعترف بالذمة ، فطبعاً أكون مغبوناً جداً . إذ أن كل البلاوى ستقع على هذا الذى لايرضى عنى بديلا .فاكر نظريات الإصلاح التى كنا نتباحث فيها زمان وقدرنا لها عشر سنين ؟ لقد قدرت لها الآن مائة سنة!! ونكون كسبانين كمان .. طبعاً فى الجو الهايص الذى نعيش فيه.

برضه راح تقول جمال عبدالناصر جرى له إيه ؟ ولكننى أقول لك أنا هذا الكلام عن خبرة بفئة من الفئات المفروض أنها ترفع مجد البلاد...

أخوك : جمال عبدالناصر

فى نهاية ١٩٤١ بعث جمال عبدالناصر بالرسالة التالية لحسن النشار :

... ويبدو حسن أن الاخبار غير مطمئنة فى مصر ، ولو أن الجرايد لاتظهر بها شئ إلا أن الواحد ممكن يفهم شوية من بين السطور . قرأت أن مجلس النواب يتناول موضوع بعض الطلبة المعتقلين وغيرهم ممن فُتشت منازلهم ، ويظهر أن حمدى محبوب وسليم زكى[1] ليميتد عاملين همة .. المهم أرجو أن يكون ظنى فى غير محله !!

أخوك **جمال عبدالناصر**

(١) حمدى محبوب كان وكيل وزارة الداخلية ومدير الأمن العام فى ذلك الوقت ، واللواء سليم زكى كان ضابط شرطة وحكمدار بوليس القاهرة وأول مصرى يتولى هذا المنصب بعد الإنجليزى اللواء راسل باشا.

من مدينة طنطا كتب جمال عبدالناصر هذه الرسالة إلى صديقه حسن النشار سنة ١٩٤٢ :

عزيزى حسن

أهديك سلامى الزائد ، وأرجو أن تكون بخير.

أرسلت لك جواباً من مدة ولكن لم يصلنى أى رد حتى الآن .

أنا لازلت بطنطا .. وربما نبقى مدة طويلة إذا لم تقم الحرب بين مصر وإيطاليا ، وإلا فإلى الحدود...

لقد سبق أن كلمتك فى موضوع الليثى حتى يتمكن من أن يدخل المدرسة مجاناً ، وقد قدمنا له طلباً فى مدرسة فى المحلة الكبرى التى يقيم بها ويعمل بها عمه خليل.

فأرجو إن كنت تعرف أى شخص يعرف ناظر المدرسة فتكلمه خصوصاً أنه ـ أى الناظر ـ منقول من الوزارة واسمه عبدالقادر عبدالعزيز غالى ..

أما مسألة الزواج فأظن أنه ليس من المناسب الكلام فيها الآن ..

إيه رأيك ؟ بسبب الحرب والحياة غير المستقرة التى نحن فيها الآن ..

هل محمد عارف سافر منقباد ؟ وفى أى أورطة هو ؟

سلامى للجميع

جمال عبدالناصر

- **الكتيبة الخامسة ـ طنطا**

بعث جمال عبدالناصر هذه الرسالة فى ١٦ / ٢/ ١٩٤٢ من العلمين ـ فى الصحراء الغربية المصرية ـ لحسن النشار قال فيها :

...خطابك يا حسن أغلى غليانا .. وكنت على وشك الانفجار من الغيظ ، ولكن ما العمل بعد أن وقعت الواقعة وقبلناها مستسلمين خاضعين خانعين !!!

الحقيقة إنى أعتقد بأن الاستعمار يلعب بورقة واحدة فى يده هى ورقة التهديد .. ولو أنه أحس بأن هناك من المصريين من ينوون التضحية بدمائهم ومن سيقابلون بالقوة لانسحب كأى امرأة عاهرة .. وطبعاً هذا حال الاستعمار وتلك عادته !!

أما نحن .. أما الجيش فقد كان لهذا الحادث [١] تأثير جدى على الروح والإحساس فيه.. فبعد أن كنت أرى الضباط لايتكلمون إلا عن اللهو والملذات ، أصبحوا يتكلمون عن

---

(١) حادث ٤ فبراير ١٩٤٢

التضحية والاستعداد لبذل النفوس فى سبيل الكرامة ... وأصبحت أراهم وكلهم ندم ، لأنهم لم يتدخلوا ـ مع ضعفهم الظاهر ـ ليردوا للبلاد كرامتها ، وليغسلوا عارها بالدماء ، ولكن إن غدا لناظره قريب.

لقد حاول البعض ياحسن بعد الحادث أن يفعلوا شيئاً بهدف الانتقام ولكن الوقت كان قد فات.

أما القلوب فلا تزال كلها غضب ونار ..

عموماً ، هذه الطعنة ردت الروح إلى بعض الأجساد .. وعرّفتهم أن هناك شيئاً اسمه كرامة الوطن .. وأن عليهم أن يستعدوا دائماً للدفاع عنها.

لقد كان هذا درساً .. ولكنه درس قاسي...

أخوك جمال عبدالناصر

● رسالة من تلميذ لأستاذه

كتب البكباشى جمال عبدالناصر نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية الرسالة التالية لأستاذه محمد عبدالمنعم جامع ، الذى تلقى على يديه أول دروس القراءة والكتابة وظلا يتراسلان حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، وأثناء حرب فلسطين رأى صورة منشورة له مع أبطال الفالوجا ، وكان أن أخذ هذه الصورة واحتضنها وقال لزملائه .. هذا ابنى الذى أوحشتنى أخباره .. ابنى الذى يحارب على أرض فلسطين.. تلميذى فى الخطاطبة أصبح بطلاً ، ظللت أراسله حتى قيام الثورة وأحفظ خطاباته عن ظهر قلب ، وكان الأستاذ محمد عبد المنعم قد بعث له برسالة يهنئه فيها بالثورة وبتولى منصب نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية.

قال جمال عبدالناصر فى رده على رسالة أستاذه :

أستاذى الكريم

أحييكم من كل قلبى وأدعو لكم بالصحة وموفور السعادة ، وبعد ...

فقد وصلنى كتابكم الكريم وأسعدنى أن أتلقى من أستاذى العظيم بعد هذه الفترة الطويلة خطابا يحوى أعز الذكريات وفترة من الزمن هى أغلى أيام العمر .

إننى يا أستاذى لم أفعل سوى ما يحتمه واجبى علىّ كجندى مخلص من جنود هذا الوطن، وإنى أرجو أن يطول بى وبك العمر حتى نرى مصر فوق الجميع مرفوعة الرأس عالية القدر، وأن نرى المصرى يعتز بمصريته ويفخر بقوميته..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بكباشى جمال عبدالناصر

إمضاء

● **إنسان فقير**

كانت الطالبتان هدى جمال عبدالناصر ومنى جمال عبدالناصر مدعوتان لحضور حفل عيد ميلاد لصديقة لهما وطلبت الأختان شراء فساتين جديدة حتى لاتذهبا إلى الحفلة بنفس الفساتين التى ذهبتا إلى حفلات سابقة كانت تضم نفس الصديقات، لكن عبد الناصر الأب قال لهما إن عائلتهما ليست عائلة غنية بحيث تلبسان فى حفلة فستانا جديداً وأن والدهما إنسان فقير.

وفى اليوم التالى كلف عبد الناصر الأخ محمد أحمد أن يصطحب بناته وأبنائه جميعاً إلى أحد الأحياء الشعبية فى القاهرة، ولم يعرفوا السبب من تلك الرحلة إلا بعد أن وصلوا إلى أحد البيوت القديمة فأشار إليه محمد أحمد قائلاً: ده البيت اللى عاش فيه الرئيس وهو تلميذ صغير.

● **أنور السادات وجمال عبدالناصر وقيادة الثورة**

فى كتابه «**قصة الثورة كاملة**» ١٩٥٤ سلسلة كتاب الهلال، يقول أنور السادات:

«.. لنأخذ مسألة قيادة هذه الثورة على سبيل المثال، فنحن لانعلم فيما نعلم من تاريخ الثورات فى هذا القرن، أو فيما سبق من قرون .. أن قائد ثورة من تلك الثورات يتنازل عن مركزه كقائد، بمحض إرادته ليدفع برجل آخر إلى القيادة، ولايكتفى بذلك بل يخدم تحت إمرة هذا الذى دفعه، جندياً شريفاً مخلصاً.

إن ما نعلم من تاريخ الثورات هو عكس ذلك على خط مستقيم فقد كان قواد الثورات ولايزالون، يخلون لأنفسهم الطريق بالقتل والاغتيال والإرهاب.

فالتاريخ يقرر مثلا أن من عيوب «**مصطفى كمال أتاتورك**» المشهورة هو أنه لم يبق على زميل أوصديق عاونه إلا قتله، والتاريخ يذكر أيضاً حمام الدم الذى خاضه «**هتلر**» بنفسه وبيده، و «**موسولينى**» لم يمتنع عن القتل إلا حين قُتل.

أما فى ثورة يوليو ١٩٥٢، فإننا نرى جمال عبدالناصر- الرئيس المنتخب للهيئة التأسيسية للضباط الأحرار سنتين متتاليتين - يسعى قبل قيام الثورة إلى إقناع الهيئة بضرورة تنصيب قائد للثورة من خارج الهيئة، لظروف واعتبارات أنه أجدر من يقوم بها، سواء من وجهة نظر الهيئة التأسيسية التى انتخبته رئيساً أو من وجهة نظر الجيش كله.

ويقول السادات ..وعندما عبرت لجمال عبدالناصر عن تخوفى الشديد من استلام محمد نجيب وهو رجل غريب، لقيادة ثورة لم تبدأ بعد..

قال لى : يجب أن تحسب حساب النفس البشرية..

ولم أفهم أول الأمر ، ولكن جمال عبدالناصر لم يلبث أن استطرد قائلاً:

نحن جميعاً فى الهيئة التأسيسية للثورة زملاء وفى سن واحدة ورتبنا تكاد تكون واحدة.. والذى جمعنا فى هذا العمل هو الصداقة ، ثم الأخوة والمحبة اللتان ولدتا الثقة ، بدليل أننا نجتمع ليل نهار ولا يحس بنا أحد ، وأخشى ما أخشاه أننا إذا جعلنا قيادة الثورة فينا أن يفتح هذا الأمر ثغرة فى نفس واحد منا .. ونحن بشر ـ والنفس البشرية مليئة بالانفعالات ، وأنا لا أريد أن يكون مستقبل الوطن معلقاً على الانفعالات ، بل لا أريد أن أفرض احتمالاً واحداً فينا ، لأن المسئولية مسئولية شعب ، وبالثقة والمحبة نستطيع أن نحقق المستحيل.

- **لحظة تحول تصدى وتحدى**

صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر اليوم الثانى من نوفمبر ١٩٥٦ خطب الرئيس جمال عبدالناصر فى جماهير المصلين واستمع له شعب مصر فى القاهرة الكبرى من إذاعة خاصة أقيمت على عجل فى سكرتارية الرئيس للمعلومات فى مبنى مجلس الوزراء بعد قصف مرسلات الإذاعة المصرية فى أبى زعبل وقال الرئيس :

« حانحارب .. حانحارب ...»

- **عبدالناصر والبروتوكول الغربى**

منذ قيام ثورة يوليو ٥٢ ظل جمال عبدالناصر يرتدى الزى العسكرى المعروف وقتها لضباط الجيش المصرى ، وهو زى كان يستمد خطوطه من الزى العسكرى البريطانى الكاكى والحذاء البنى . وظل عبدالناصر لسنوات مفضلاً الظهور بهذا الزى الخشن حتى فى المناسبات الرسمية وفى الحفلات التى كانت تلزم ارتداء ملابس أخرى لها مواصفات معروفة وبالذات فى المجتمعات الغربية.

وعندما زار « أنتونى إيدن» ـ رئيس وزراء بريطانيا ـ القاهرة يوم ٢٠ فبراير ١٩٥٥ أقيم حفل عشاء فى السفارة البريطانية دعى عبدالناصر لحضوره ، وكان المفروض أن يكون الحضور بالملابس الرسمية أى «الإسموكينج» ، ولم يكن عبدالناصر يملك هذه البدلة «الإسموكينج» ولا ارتداها من قبل ولذا فقد قرر أن يتوجه إلى الغذاء بالملابس العسكرية التى تعود الظهور بها ، كما طلب إلى أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين دعوا للحفل أن يرتدوا كذلك هذه الملابس العسكرية ، وقد حضر مع عبدالناصر عبداللطيف البغدادى وعبدالحكيم عامر وزكريا محى الدين والدكتور محمود فوزى الذى ارتدى بدلة رمادية غامقة اللون.

● **صام الرئيس وهو على سفر**

أثناء انعقاد مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٦ كان الجو حاراً جداً والمجهود الذى يبذل ليس بالبسيط كما كان فى شهر رمضان، وقد نادى البعض من الحضور بجوار الإفطار باعتبار أنهم على سفر مما يبيح استخدام الرخصة الشرعية ، وعندما طلبوا إلى الرئيس جمال أنهم على سفر مما يبيح استخدام الرخصة الشرعية ، وعندما طلبوا إلى الرئيس جمال عبدالناصر أن يفطر رفض ، واستدعى الشيخ أحمد حسن الباقورى ـ وزير الأوقاف وعضو الوفد المصرى ـ وسأله الرئيس رأيه ، فأفتى بجواز الإفطار وقال ما معناه إن الله يحب العبد الذى يستخدم رخصه ، إلا أن الرئيس قال للحضور وأعضاء الوفد أنه لن يفطر بل سيستمر فى صيامه مهما كانت المتاعب .

ولما سأله الشيخ الباقورى : لماذا ياريس ؟

قال عبدالناصر : ياشيخ أحمد كيف يفطر رئيس مصر ـ بلد الأزهر الشريف ـ وهناك عشرات من الرؤساء الأفارقة والآسيويين معنا ليل نهار ويزوروننا طوال الوقت .. ماذا يقولون عنا إذا شافونا مفطرين فى شهر الصيام ، ثم ماذا سيقولون لشعوبهم عندما يعودون إلى بلادهم ؟ هل تقبلون أن تقولوا أننا تركنا عبدالناصر رئيس مصر بلد الأزهر ورجاله مفطرين فى شهر رمضان فى إندونيسيا؟؟!

● **زيـارة خـروشوف**

عندما زار خروشوف القاهرة أضاف جمال عبدالناصر بخط يده على برنامج الزيارة ضرورة زيارته للمتحف الإسلامى ..

● **ادخلوا من أبواب متفرقة**

كان جمال عبدالناصر يتصدر سرادق العزاء الذى أقيم بميدان التحرير لتقبل العزاء فى وفاة المرحوم صلاح سالم ، وتصادف أننا كنا فى اجتماع فى مكتبى وتأخرنا عن اللحاق بركب الرئيس ، ولما دخلنا سويا ـ شعراوى جمعة وأمين هويدى وأنا ـ من مدخل السرادق ، نظر الرئيس إلىّ نظرة ذات معنى تفيد أن هناك شئ ما .. ولما عدنا إلى المكتب طلبنى على الخط الساخن وقال لى :

« هو إنت يا أستاذ مش بتقرأ القرآن؟»

قلت : أيوة يا أفندم .. بس ليه السؤال ؟

قال : إقرأ فى سورة يوسف .. (ادخلوا من أبواب متفرقة) .. فهمت أنا أقصد أيه ؟! هو أنتم ناقصين علشان تدخلوا إنتوا الثلاثة مع بعض فى وقت واحد من باب واحد؟!

● **غير قابل للاستقطاب**

بعد الثورة عرض المليونير المعروف عبداللطيف أبو رجيلة على والد جمال عبدالناصر أن يعينه بمرتب كبير عضواً فى مجلس إدارة إحدى شركاته للأتوبيس ، ولما علم عبدالناصر بهذا العرض قال لوالده:

يا والدى دول عايزينك عضو مجلس إدارة .. إزاى وإنت راجل بتاع بوستة وتلغراف؟! دول عايزين يشترونى من خلالك.. ورفض الرئيس هذا العرض كما رفضه الحاج عبدالناصر حسين..

● **أحاديث ومواقف شخصية مع العائلة**

قال جمال عبدالناصر لشقيقه شوقى : «أنا ماعنديش مانع إن مستواكم المادى ينمو ويتحسن بس مع نمو المستوى الاقتصادى للبلد كلها ، وبشرط أن تعتمدوا على أنفسكم .. يعنى الناس كلها مستواها ينمو وانتم كمان مستواكم يتحسن علشان إنتم مش مميزين عن بقية الناس .. وبصراحة شديدة لوحد منكم فكر إنه يستغل اسمى أنا مش حا ارحمه».

● **وفى حضور الحاج عبدالناصر وجميع الإخوة وحديث عن المصاهرة والزواج للعائلة قال لهم عبدالناصر :**

أنا ماعنديش مانع تناسبوا أى شخص بس بشرط مايكونش إقطاعى ولا مفروض عليه الحراسة ولامن الأسماء الرنانة .. دى محظورات ثلاثة أرجوكم أن تفهموها كويس .

فى العام ١٩٦٨ قررت العائلة إتمام زواج الأخت غير الشقيقة لجمال عبدالناصر ، وقد حضروا إلى منشية البكرى لإبلاغه بالموعد المقترح ودعوته للمشاركة فى هذه المناسبة، فكان رد الرئيس :

مبروك على هذه الزيجة .. بس أنا مش حأقدر أحضر الحفل فى الوقت اللى فيه شهيد فى كل بيت مصرى ، وطلب منهم أن يكون الفرح فى أضيق نطاق.

وأذكر أن الفرح أقيم فى القناطر الخيرية بعيداً عن القاهرة نسبياً ..

الحاج عبدالناصر حسين ، والد جمال عبدالناصر كان يستخدم المواصلات العادية فى تنقلاته حتى العام ١٩٥٨ حيث اشترى له الرئيس سيارة نصر ١٣٠٠ صغيرة بالتقسيط.

العم سلطان .. العم الأكبر للرئيس جمال عبدالناصر لم يتقاضى معاشاً إلا سنة ١٩٧٢ وكان قدره ١٦,٦٧٣ جنيه (ستة عشر جنيهاً وستمائة وثلاثة وسبعون مليماً).

● **درس فى التصرف**

أصدر الرئيس جمال عبدالناصر أمرا بترقية خمسة فى الرئاسة إلى درجة المدير العام ، فبلغت عبدالمجيد فريد باعتباره السكرتير العام لرئاسة الجمهورية ورئيس لجنة شئون العاملين فى الرئاسة لتنفيذ الأمر ، الذى أعد القرار بالتمرير ووقعه الرئيس فعلاً..وبعد إعلان الخبر فوجئت برنين الخط الساخن والرئيس يعنفنى قائلاً:

«هو أنا لما أقول خمسة وما تعرفوش تتصرفوا وتقدروا الزمالة ! ولم يعطنى الرئيس الفرصة للمقاطعة أو الإستفسار عن سبب زعله ، واستأنف كلامه قائلاً :

« هو عبدالمجيد شديد ده مش أخوكم وزميلكم فى الرئاسة ومن الضباط الأحرار ؟! كان لازم تقول لى مين يليكم فى الأقدمية ممن يراعى وضعهم فى مثل هذه الأمور».

وعدل القرار ليرقى عبدالمجيد شديد مديراً عاماً برئاسة الجمهورية.
وكان الخمسة الأقدم والذين رقوا فى القرار الأول هم:

محمود عبدالمنعم ـ محمد أحمد محمد ـ سامى شرف ـ محمود حسين عبدالناصر ـ حامد محمود حامد ، وكان ذلك فى القرار الجمهورى رقم ١٠٥٥ لسنة ١٩٦٠ .

وقد تداركت هذا الموقف عندما أمر عبدالناصر بترقية أقدم خمسة مديرين عام بالرئاسة إلى درجة وكيل وزارة ، وكان الخمسة الأقدم هم السادة :

د/ أحمد ثروت ـ محمود عبداللطيف الجيار ـ محمد أحمد محمد ـ سامى شرف ـ حامد محمود حامد ، فقلت للرئيس : إن الذين يلون هؤلاء كل من :

عبدالمجيد فريد ـ عبدالسلام بدوى ـ عبدالمجيد شديد ، فأمر بترقيتهم أيضاً .. وهكذا تعلمت درساً جديداً فى حسن التصرف .

● **حا نعمل إيه فى خالد ..؟**

فى نهاية المكالمة التليفونية الصباحية فى أحد أيام شهر سبتمبر ١٩٧٠ ، لعرض أهم وآخر صورة للموقف على جبهة القناة والصورة العامة لأهم المعلومات ، قال لى الرئيس جمال عبدالناصر:

يا سامى حصّلنى على الجنينة.

فقلت : حاضر يافندم ..

دخلت من بوابة منشية البكرى لأستمع إلى صوت المصحف المرتل ـ ومشيت بجوار سور المكتبة حتى مدخل الحديقة ، الذى كان قد وصل إليه من قبلى فقال لى باسماً:

صباح الخير يا أستاذ .

فقلت : « صباح الخير يافندم» ، ثم سكت انتظارا لما سيبادرنى به هو ، وكانت تلك عادته عندما يطلب منى مصاحبته فى طابور الصباح ، أن يبدأ هو بالحديث.

فسألنى : ما بتتكلّمش ليه ؟

قلت : مش عايز أقطع تفكير سيادتك انتظاراً لما ستأمر به .

فقال بعد أن وقف ناظراً إلىّ ليرى رد فعل سؤاله علىّ: إيه رأيك فى خالد ؟ .. حانعمل فيه إيه بالنسبة للتنجيد؟

فقلت دون تفكير : طبعا سيجند يافندم.

فقال: « ما أنا عارف إنه حايتجند .. إنما سؤالى لك هو : حا يتجند فين؟» وأكمل كلامه بقوله : « إنت عارف طبعاً لما حايتجند فى أى وحدة ستتم مجاملات له أولنا .. وده شىء أنا مش عايزه يحصل لسببين : الأول يخص خالد .. ليعرف ويعتاد على حياة جديدة خشنة تؤهله لمدخل حياته بالشكل الصحيح ، والثانى لازم الكل يعرف إن خالد مثله كمثل كل شباب البلد مجند عادى وغير مميز.

فقلت : الحقيقة أنا فكرت فى هذا الموضوع منذ أن أنهى خالد الامتحانات ، ورأيى أن يجند فى سلاح المشاه ويلحق بالحرس الجمهورى .. فنكون بذلك حققنا هدفين: الأول أن يصبح خالد جندى عادى مثله كالآخرين ، والثانى أن نتفادى المجاملات حيث سيكون تحت قيادة الليثى ناصف مع إشرافى عليه من ناحية أخرى، وننبه الليثى أن تكون المعاملة له معاملة عادية وطبيعية مثله كمثل باقى جنود الحرس الجمهورى ومن خلال علاقتى بالحرس سأتأكد من تحقيق هذين الهدفين أى لا مجاملة ومعاملته كجندى عادى.

وافق الرئيس جمال عبدالناصر على هذا الرأى وقال لى:

ابقى نسّق مع الفريق فوزى والليثى ناصف.

● **أجـازة إجباريـــة**

فى أحد أيام شهر أغسطس سنة ١٩٦٩ أضاءت اللمبة الحمراء للخط الساخن بين الرئيس جمال عبدالناصر وبينى فى مكتبى بمنشية البكرى .. فرفعت سماعة التليفون قائلاً: أفندم..

سألنى الرئيس : ماهو رصيد القمح الحالى؟

فأجبت : أن الدكتور عزيز صدقى لم يبلغنى به..!

فقال لى الرئيس باندهاش : سامى أنا بأسألك عن رصيد القمح ..مش رصيد حديد التسليح! إنت تعبان ولا إيه؟

وساد صمت لفترة بسيطة لدرجة أنه قال:سامى إنت معايا ولا لأ..

فقلت : لايافندم أنا مع سيادتك.وتنبهت فى هذه اللحظة للسؤال الأصلى وقلت! «يافندم رصيد القمح يكفى ثلاثة شهور».

فلم يسمح لى بتكملة الحديث بل قال:

« إسمع يا أستاذ إنت تحط السماعة حالا دلوقت وتاخد عربيتك وتاخد مراتك وتطلع على اسكندرية تقعد يومين تستريّح وتغيّر..والنهاردة حاتروح سينما «ريو» من تسعة لاتناشر حاتشوف فيلم إسمه «البارتى» The Party بيمثّله «بيتر سيلرز» ، وحا اطلبك فى بيتك فى اسكندرية الساعة واحدة صباحاً لتحكى الفيلم .. سامعنى كويس ولا لأ؟!

حاولت أن أناقشه فى هذا الأمر ولكنه قال لى: « حط السماعة ونفذ ما قلته لك».

نفذت الأمر .. وطلبنى فى الواحدة صباحاً تماماً وحكيت له الفيلم ..

وعدت للقاهرة بعد يومين وأنا أكثر حيوية.

- **تكافــؤ الفـرص**

سكرتيرى يبلغنى بأن أحد طلبة الجامعة يريد مقابلتى .. ولم يشأ أن يبين أسباب المقابلة للعاملين بالمكتب . استدعيته وقبل أن يجلس طلب منى بإلحاح أن يتمكن من مقابلة الرئيس، فقلت له : أعتقد أن من حقى أن أعرف أسباب المقابلة لأيسر لك المقابلة، فقال:

« أنا والدى بائع بسيط فى ميدان الحسين، وأنا لى سبعة إخوة وأخوات ووالدى اهتم بتعليمنا جميعاً إلى أن تخرجت من كلية الزراعة هذا العام بتفوق ، ولكن لم يحن دورى فى التعيين من قبل القوى العاملة ، وأعتقد أن حالتنا تستدعى أن يرعانى الرئيس بالطريقة والأسلوب الذى يراه هو»، وقال : « إن وضعنا المادى لانحسد عليه!!»

وقبل أن يكمل حديثه بدأ رنين الخط الساخن فقلت : « أفنــدم».

قال الرئيس : « وكانت هذه عادته قبل أن يتكلم أن يسألنى سؤالا محدداً ــ:عندك حد؟ عندك حد يا أستاذ؟»

فرويت حكاية الطالب الذى كان يجلس أمامى ـ وطبعاً الطالب لايدرى أن المتحدث هو الرئيس شخصياً ـ فقال الرئيس : « إنت تقدر تعينه فى نادى الشمس إلى أن يجين دوره فى القوى العاملة؟» فأجبت بنعم..

التفت إلى الطالب وقلت له : « الرئيس حل مشكلتك .. ما رأيك ؟» فلم يصدق إلا بعد أن طلبت اللواء جمال هدايت ـ مدير نادى الشمس ، وكان النادى فى تلك المرحلة تحت التأسيس ـ وأبلغته بالأوامر بتعيين الطالب اعتباراً من هذه اللحظة بمرتب خريج الجامعة فى ذلك الوقت ، واستلم عمله وكان مثالاً للشاب الملتزم ، وأصبح فيما بعد أحد كبار رجال وزارة الزراعة.

● ممتلكات جمال عبدالناصر

عندما رحل عن هذه الدنيا كانت كل ممتلكاته ـ كما رصدتها الوثائق الرسمية ـ لاتتجاوز الثلاثة آلاف جنيهاً مصرياً من أسهم وسندات وأموال سائلة ، وقد سجلت جميعها وسددت عنها ضريبة التركات ، ثم وزعت حسب القواعد الشرعية على عائلته وأولاده:

● جمال عبدالناصر حسين سلطان

رئيس الجمهورية العربية المتحدة

مرتبة الشهرى	٥٠٠ جنيه .
بدل التمثيل	١٢٥ جنيه .
الإجمـــالى	٦٢٥ جنيه .

الصافى الذى كان يتقاضاه هو مبلغ ثلاثمائة وخمسة وتسعون جنيهاً وستون قرشاً وسبعة مليمات (٧ , ٦٠ , ٣٩٥) جنيه بعد استقطاع الخصومات من معاش وتأمين وإيجار استراحة المعمورة .. الخ (الملحق الوثائقى).

● ثروته يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ كانت كالآتى:

* ٢٧٣ , ٣٧١٨ جنيه مصرى ـ رصيد فى حسابه رقم ٦٤٢٢٦ / ٩٩ بنك مصر
* ٢٠٠ سهم شركة كيما .
* ٥ أسهم شركة مصر للألبان .
* سند واحد بنك عقارى.
* ٦٠٠ جنيه شهادات استثمار .
* ١٠ أسهم فى بنك الاتحاد التجارى .

* ١٠٠ أسهم فى الشركة القومية للأسمنت.
* ٣٠ سندات تأمين .
* ١٠٠ جنيه قرض إنتاج.
* شهادات استثمار بمبلغ ٦٠٠ جنيه فى شركة الحديد والصلب.
* أغلب قيمة هذه الأسهم رمزيا .
* الأسهم العشرة فى شركة النصر لصناعة الأقلام ١٨,٧٠ جنيه.
* وثيقة تأمين على الحياة ـ قوات مسلحة ـ ١٥٠٠ جنيه.
* وثيقة تأمين على الحياة ـ الشرق للتأمين ـ ١٠٠٠ جنيه .
* وثيقة تأمين على الحياة ـ الأهلية للتأمين ـ ٢٥٠٠ جنيه.
* وثيقة تأمين على الحياة ـ القاهرة للتأمين ـ ٢٥٠٠ جنيه.
* سيارة أوستين ـ التى كان يملكها من قبل قيام الثورة.
* ثمانية أزواج أحذية .
* ثلاثة ماكينات كاميرا للتصوير.
* آلة سينما.
* عشرة بدل ومجموعة من الكرافتات.
* استبدل من معاشه بما يعادل ٣٥٠٠ جنيه لتجهيز زيجات ابنتاه.
* كان فى جيبه يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ مبلغ ٨٤ جنيه.
* أسرته لاتملك سكنا خاصاً.
* حرم الرئيس ليس لها دخل خاص أو مصدر تقتات منه غير معاش الرئيس الذى رحل.
* دين اضطر الرئيس إلى استدانته عندما كان يجهز ابنتاه للزواج.
* الأسهم المودعة فى بنك مصر باسمه والمنوه عنها بعاليه مشتراة من ماله الخاص.
* فيلتان للسيدتين هدى ومنى فى مصر الجديدة من ماله الخاص وسددت بفوائدها ولم يتجاوز ثمنهما العشرة آلاف جنيهاً والاثنى عشر ألف جنيه.
* حكاية استراحة المعمورة ورد الدكتور خالد عبدالناصر على الدكتور يوسف إدريس فى جريدة الأهرام ١٩٨٣ (حكاية الـ ٤٠٠ فدان وديون مصر ..الخ) ، وهو منشور فى الصحف.
* يرجع إلى الدكتورة هدى عبدالناصر على الأستاذ ممتاز نصار ١٩٨٣ فى مجلس الشعب ٧ فبراير ١٩٨٣ وهو منشور فى الصحف.

● **حـول ذمـة عبدالناصر**

وليسمح لى القارئ العزيز أن أسوق هذه القصة:

نشرت جريدة الأهرام مقالاً للاستاذ أحمد بهاء الدين فى عموده اليوسى «يوميات» نصه: « قال لى أستاذ جليل من زملاء المرحوم الدكتور على الجريتلى ـ اقتصادى مصر العظيم ـ أنه منذ حوالى ثلاثين سنة كان يجلس كالمعتاد ليلاً فى مقهى « **أتينيوس**» الشهير بالاسكندرية، وكانت بالصدفة ليلة رأس السنة ، والمطر ينهمر بغزارة .. والرصيف يهرع إليه بعض البؤساء. وجمع الجريتلى من زملائه ما فى جيوبهم ، بعض عشرات من الجنيهات ، واشترى بها كلها « جاتوه» من المحل ، وكان يخرج وهو أستاذ الجامعة المرموق فى ذلك الوقت فى المطر ويقف بعلبة الجاتوه يوزعها على الفقراء ثم يعود ليأخذ غيرها..

لذلك كان صحيحاً قول د. لويس عوض فى رثائه إنه الاقتصادى الإنسانى.

ولقد اختلف د. الجريتلى بعد شهرين من توليه منصب نائب رئيس الوزراء فى أول حكومة للثورة وقدم استقالته : ومن يومها آل على نفسه أن لايشغل أى منصب حكومى ولامهمة حكومية على الإطلاق.

وعندما لمته فى مرة ليست بعيدة جداً قال لى : « القرار السياسى غيرالمدروس سيمحو أى قرار اقتصادى ، وأنا لست من هذا الرأى».. وحسبه الكثيرون ضد جمال عبدالناصر وكان على العكس.

وقبل وفاته بشهور روى لى أن العمل الوحيد الذى قبل أن يقوم به لحساب الدولة خلال عشرين عاماً .. عندما اتهم جمال عبدالناصر باختلاس عشرة ملايين جنيه وكلف ببحث الأمر وكتابة تقرير ، وقال لى : لو كان عندى ذرة من الشك فى ذمة عبدالناصر لما قبلت المهمة.

وقال لى كان عندى رئيس اتحاد المصارف السويسرية المشهورة بحساباتها السرية ، وقال السويسرى للجريتلى : لقد أهلكتنا المخابرات الأمريكية والإسرائيلية بحثا وتنقيبا عن حساب سرى لعبدالناصر فى بنك سويسرى فلم تجد ، وكانت لاتصدق أنه لايملك أى حساب خاص فى الخارج..

.. **أحمد بهاء الدين**

● **قراءات جمال عبدالناصر**

جمال عبدالناصر كان منذ شبابه قارئاً نهماً وكان من أهم الكتب التى قرأها «طبائع الاستبداد» و «أم القرى» لعبدالرحمن الكواكبى و « حماة الإسلام» لمصطفى كامل كما قرأ أيضا كتب أحمد أمين ، وبصفة خاصة ما كتبه عن حركات التجديد فى الإسلام التى تحوى

دراسات جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده ، وقرأ كتاب «وطنيتى» للشيخ على الغاياتى.

وفى الجانب الأدبى قرأ جمال عبدالناصر رواية «البوساء» لفيكتور هوجو و «قصة مدينتين» « لتشارلز ديكينز» ، كما قرأ فى الموسوعات الفرنسية عن أشهر الشخصيات التاريخية الفرنسية والتى تحوى فصولاً عن «فولتير» و « جان جاك روسو» و «نابليون بونابرت» و «مارا» و « روبسبيير». ومما هو جدير بالذكر أنه كتب مقالاً فى مجلة مدرسة النهضة الثانوية بعنوان « فولتير رجل الحرية» ، كما قرأ أيضاً مسرحية «بوليوس قيصر» لشكسبير « واشترك فى تمثيلها مع فريق المدرسة فى حفل أقيم يوم ١٩ يناير ١٩٣٥ ، وقام فيها بدور يوليوس قيصر.

أما كتاب «عودة الروح» لتوفيق الحكيم فقد ترك أعمق الأثر فى شخصية جمال عبدالناصر وإحساسه بأهمية دور الزعيم ، وكانت النسخة التى قرأها موجودة فى مكتبة الرئيس بمنزله بمنشية البكرى مخطط بقلمه تحت بعض العبارات التى لفتت نظره ومن بينها المحادثة التى جرت بين عالم الآثار الفرنسى ومهندس الرى الإنجليزى حول الشعب المصرى الذى يفتقر إلى قائد مصرى مخلص يقوده من الظلمات إلى النور.

ثم تأتى بعد ذلك كلماته الشهيرة فى كتابه « فلسفة الثورة» عن الدور الذى يبحث عن بطل يقوم به وبعد أن تكون هوية هذا البطل قد تحددت بالفعل فهو ينهى كتابه بهذه الكلمات:

.. ثم أعود إلى الدور التائه الذى يبحث عن بطل يقوم به .. ذلك هو الدور ،وتلك هى ملامحه ، وهذا هو مسرحه .. ونحن وحدنا بحكم المكان نستطيع القيام به.

تلك هى أهم قراءات جمال عبدالناصر الأساسية ناهيك عن قراءاته التى يصعب أن نحصرها بشكل محدد ويحضرنى فى هذا المجال أن جمال عبدالناصر أصر على بناء مبنى مستقل منفصل فى منزله بمنشية البكرى ـ كانت مساحته حوالى أربعين متراً مربعاً ـ خصص ليكون فقط كمكتبة خاصة له ، كانت تحوى حوالى الخمسين ألف كتاب ودراسة ورسالة دكتوراه وغيرها وكان يحرص على أن يرتادها مرتين أو ثلاثة مرات فى الأسبوع يجلس فيها على مكتب من الصاج رمادى اللون ، من إنتاج شركة إيديال ويختار من واقع الفهرس ما يشاء قراءاته لمدد كانت تتراوح ما بين ساعتين وثلاث ساعات أو أكثر حسبما يسمح وقته.. هذا بخلاف تراجم ومختصرات الكتب وأهم الدراسات التى كانت سكرتارية الرئيس للمعلومات تقوم بإعدادها لتكون تحت أنظار الرئيس ، ولدى مجموعة من هذه التراجم وكانت توزع فى نفس الوقت على أعضاء اللجنة التنفيذية العليا وبعض المسئولين كل فيما يخصه ، وحسبما يأمر عبدالناصر.

● **الصورة الجماهيرية للرئيس جمال عبدالناصر**

إن جماهير الشعب لديها من الفراسة الفطرية ما يمكنها من أن تصدق ما هو حقيقى وأن تلفـظ الزيف .. هذه الجماهير لديها -حاسة ربانية خطيرة تكتشف بها - مهما طال الزمن - الحقيقة للقائد أو الزعيم السياسى : لذلك أن الصفات التى تمثلها تلك الصورة ، صفات موجودة بالفعل لدى صاحبها وليست مقحمة على شخصيته فلايمكن أن يكون الزعيم أو المقربون منه غارقين فى الفساد ونحاول تصويره على أنه طاهر اليد مثلا أو أن أسلوب حياته يتسم بالفخفخة والأبهة ونصوره على أنه يحيا حياة بسيطة مثل باقى الشعب ومن هنا نجد أن الجماهير العربية كانت على قدر كبير من الوعى والفراسة الفطرية مكنتها من الحكم على صورة جماهيرية حقيقية تمتع بها جمال عبدالناصر أثناء حياته ، بل ومكنتها من التصدى لمحاولات العبث بهذه الصورة النقية بعد رحيله ويكفى أن نسوق مثالاً واحداً تمثل فى محاولة النيل من طهارة يده وسلامة ذمتة المالية التى بدأت تتردد بعد رحيله سواء بإيحاء من السادات أو عملاء المخابرات المركزية الأمريكية والجواسيس ومن آخرين من الحاقدين وأعداء الثورة ، إن استرجاع رد فعل الجماهير لهذا الإتهام الذى جاء بعد أكثر من خمس سنوات على رحيل الرجل هو خير دليل على صحة وصدق الصورة التى كانت الجماهير ومازالت تتمسك بها لعبدالناصر ومن ثّم قوتها وصعوبة العبث بها . فالجماهير لديها فراسة طبيعية فطرية تمكنها من أن تصدق ماهو حقيقى وأن تلفظ الزيف وقد تصل الجماهير إلى هذه النتيجة بعد فترة قد تقصر أو تطول لكنها محتمة ، فالجماهير لديها قدر كبير من الوعى ليس فقط من الحكم على صحة الصورة التى تمتع بها عبدالناصر أثناء حياته وإنما مكنها أيضاً من التصدى لمحاولات العبث بهذه الصورة بعد رحيله - حكاية البنوك السويسرية واتهامه باختلاس ١٥ مليون جنيه من حساب خاص ، جلال الحمامصى - وحكاية عثمان أحمد عثمان وبيوت أبناء عبدالناصر وكلنا نذكر رد الفعل العربى الإعلامى الذى استنكر اتهام الرئيس عبدالناصر فى ذمته قبل المصرى والأهم رد الفعل الرسمى للسادات أيامها إتقاء لرد الفعل الشعبى.

لقد كان لعبدالناصر صورة جماهيرية طبيعية غير مصطنعة نفذت إلى قلوب الجماهير العريضة ووجدانها فى حيز جغرافى وأراض لم يكن لعبدالناصر أى سلطان عليها بل كانت حكومات بعض هذه الأقطار وحكامها يسعون للقضاء على صورته إن لم يستطيعوا القضاء على شخصه فى غل مكشوف أو من خلف ساتر أو على الأقل إلغاء هذه الصورة فى وجدان ناس هذه الأقطار.

كان ارتباط الرجل بتراب الوطن وتاريخه هو الذى صاغ له صورته الجماهيرية هذه أما التزامه بقضايا الوطن الكبير فقد كان وسيلته لتوصيل هذه الصورة إلى الأمة العربية.

إستطاع الرجل أن يمثل أغلبية الناس تمثيلاً صادقاً وأن يدافع عن الأمانى القومية دفاعاً حقيقياً . واستطاع أن يتحول إلى رمز للحركة الوطنية المعاصرة التى بايعته بزعامة لم يحصل عليها أى زعيم آخر من قبل لامن حيث إتسع أفقها وشمولها ـ من البحر إلى البحر ـ ولا من حيث نوعيتها ، فهذه الزعامة كانت تتركب من انبثاقها عن الشعب ، عن مجموع طبقاتها، عن مطالبه ، عن أفكاره ، عن أمانيه عن مطالبه التى نادى بها على مدى سنوات طويلة مضت ، وعن أحلامه ، وعن تراثه وكيانه القومى وحتى عن مصلحته الذاتية ، فالصورة فى مجملها يجب أن تشكل مثلاً أعلى للجماهير تسعى لكى تجذبه فإن إخلاصه المتأصل هو الذى جعل منه رمزاً وللكثيرين مثلاً يحتذى.

إن الجموع الهادرة بالملايين التى شيعت جمال عبدالناصر إلى مثواه الأخير .. هذه الجماهير لم تكن تشارك فى جنازته فقط ، لكنها كانت فى الحقيقة تسعى إلى الاتصال بالزعيم والأمل والملهم الذى كانت صورته هى التجسيد المطلق لكينونتها ذاتها ، الصورة التى أصبحت ترمز إلى الإحساس بالكرامة . وكم من رئيس وزعيم وملك ولد وعاش ومات دون أن تسمع به لأنه لم يتمكن من أن يقوم بدوره لافتقاره للصفات التى تؤثر وتتأثر بها الجماهير ليتم التفاعل ويتحقق التوازن بين طرفى المعادلة بين الشعب والزعيم وهذا فى أغلب الأحيان لايتم إلا بإيمان الزعيم بعظمة الشعب ليس نتيجة شعور عاطفى ولكن نتيجة إحساس وإيمان واقعى بإدراك مواطن قوة الشعب وبالتالى يصبح الأمل فى المستقبل الواعد بمثابة قناعة على فهم واع للحقيقة والواقع.

وقد كان هذا ما قصده الكاتب الإنجليزى الكبير «جـون جونتر» حين قال: « إن مصدر قوة عبدالناصر الرئيسى هو أنه يرمز إلى تحرير وتقدم الجماهير ، فقد أعطى شعبه مالم يملكه هذا الشعب من قبل: الأمل ...

الحقيقة فإن مسألة عبدالناصر تمثلت فى عدة عناصر يمكن الإشارة إلى أهمها التى تتمثل فى شخصيته ويجسدها وقائع شهيرة لايختلف اثنان فى تقييمها ، فإلى جانب حادث المنشية التى حاول الإخوان المسلمون اغتياله فى ميدان المنشية بالإسكندرية وكانت كلماته وقد ظل واقفاً فى مكانه يتحدى القتل والقاتل بينما اختبأ البعض وسط دوى الرصاصات وهى تخطئه استمر يتحدث إلى الناس قائلاً: « إخوانى المواطنين .. فليبق كل فى مكانه .. إننى حى لم أمت ولو مت فإن كل واحد منكم هو **جمال عبدالناصر .. ولن تسقط الراية**

أقول إلى جانب حادث المنشية كانت هناك صيحته من فوق منبر الأزهر الشريف حيث واجهت مصر العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ : « .. سنقاتل .. سنقاتل .. سنقاتل». وبهذه المناسبة فقد نادى عبدالناصر من فوق منبر الجامع الأزهر الشريف فى سنة ١٩٥٦ نداء « الله أكبر» قبل أن تتعالى بها صيحات المقاتل المصرى فى أكتوبر ١٩٧٣ بأكثر من سبعة عشر عاماً، والتسجيل موجود لدى..

كذلك فإن العبارة التى وجهها جمال عبدالناصر إلى أمريكا ، فى أعقاب أزمة القمح ، حين دعاها لكى « **تشرب من البحر** » إذا لم يكن يروق لها ما يحدث فى مصر ، فلم تكن كما ادعى بعض المتحذلقين تعبيراً عن عدم الكياسة ، وعدم مراعاة أصول البروتوكول ، فتلك نظرة ضيقة بل ومغرضة الهدف منها النيل من الرجل وهدم صورته.

إن دعوة عبدالناصر أمريكا لكى تشرب من البحر وتفعل ما تستطيع إذا لم يعجبها حال مصر، كان فى حقيقة الأمر تجسيداً لروح التحدى المتأصلة فى هذا الشعب والتى كان يمثلها جمال عبدالناصر أكثر من أى زعيم أو رئيس أو ملك آخر عرفه العرب منذ صلاح الدين الأيوبى. أما استخدامه للمثل الدارج «الشرب من البحر» للتعبير عن هذه الروح ضد واحدة من أقوى دولتين فى العالم فهى من وجهة نظرى لفتة وفلتة عبقرية أخرى فى قدرة الرجل فى الوصول إلى عقل وقلب المواطن العادى عن طريق التحدث إليه باللغة الدارجة التى يتعامل بها ويستخدمها فى يومه وهى فى نفس الوقت لغته هو أيضاً. يقول **جورج فوشيه** فى كتابه «ناصر وصحبه» ، إن الإيمان عند عبدالناصر ترجع للفترة المبكرة وهو طفل والتى عاشها مع عمه خليل فى القاهرة والتى التحق فيها بمدرسة النحاسين الابتدائية والتى تقع أمام مقابر سلاطين المماليك فى حى الحسين وخان الخليلى لأن الجو الدينى من مساجد ومشايخ وروائح البخور قد أثر فى شخصية جمال عبدالناصر وتوج إيمانه بالدين وقيمه الروحية والأخلاقية ومبادئه النضالية ... وكان جمال عبدالناصر فى ذلك أيضاً يتسق تماماً مع طبيعة المجتمع المصرى والعربى عموماً فى تدينه القوى وإن كان دون تزمت ، ودون مظهرية مبالغ فيها لأن المبالغة فى هذه الحالة كثيراً ما تعطى انطباعاً معاكساً لدى الجماهير التى لم يكن وما كان بعيداً عنها فى يوم من الأيام كما لم يكن منتمياً لطبقة لاتمثل السواد الأعظم من الشعب.

كان عبدالناصر أول مصرى يحكم هذه الأرض الطيبة منذ آلاف السنين كما جاء من بين أفراد الشعب وظل ولاؤه لهذا الشعب ولهذه الأرض طوال حياته ولم يحاول أويسعى أويفكر أن يستخدم منصبه وجاهه فى محاولة للتشبه بطبقة أخرى غير تلك التى جاء منها ، وفى رأيى الشخصى أن هذه النقطة بالذات هى من أكثر الجوانب إيجابية فى الصورة الجماهيرية لجمال عبدالناصر التى أدخلته فى قلوب الملايين من البشر - من البحر إلى البحر- والتى فى نفس الوقت لم تستطع المحاولات أوالمؤامرات المستميتة أن تقتلعه منها ، فكان الإبن البار للغالبية العظمى من الشعب العربى ، وهو الذى قال فى ١٦ أكتوبر ١٩٦١ :

« لقد قضيت الأيام الأخيرة كلها أفكر ، وكنت بمشاعرى مع شعبنا العظيم فى كل مكان، فى القرى وفى المصانع ، وفى الجامعات وفى المعامل ، وفى المواقع الأمامية فى خط النار

المواجه للعدو مع جنودنا وفى البيوت الصغيرة المضيئة بالأمل فى مستقبل أفضل ، كنت مع هؤلاء جميعاً ، مع الفلاحين ومع العمال والمثقفين والضباط والجنود ، أحاول أن أتحسس وأن أتفاعل بفكرى مع فكرهم ، كانت أصابعى على نبض هذه الأمة صانعة الحضارة ، صانعة التاريخ ، صانعة المستقبل ، وكانت أذناى على دقات قلبها الذى ينبض دائماً بالحق والخير والسلام.

● **كما قال فى سنة ١٩٦٨ :**

« كل ما أتمناه من الله أن أرى طريق الواجب ، وأحفظ الصلة بأحاسيس جماهير هذا الشعب وبوجدانه بدون أى عوائق يضعها الحكم أوالسلطة ، ذلك أنه بدون الصلة المستمرة بإحساس هذا الشعب ووجدانه يصبح الحكم تحكماً ، وتصبح السلطة تسلطاً .

ويقول الكاتب الإنجليزى روبرت سان جون:

« وحتى قبل قيام الثورة كان يأخذ زوجته إلى السينما مرة أو مرتين فى الأسبوع ، وفى يوم الجمعة لايذهب أولاد ناصر إلى المدرسة ، ولذلك فيمكنهم أن يسهروا ساعتين فى ليلة الخميس لكى يشاهدوا معه أحد الأفلام التى يريدونها ، لكن والدهم يقول أن ذوقهم لايماثل ذوقه ، فهم يحبون أفلاماً أعنف من الأفلام التى يحبها وخصوصاً أفلام الحرب ، ولذا فبعد أن يذهبوا إلى نومهم فعادة ماكان يشاهد الفيلم الذى يريده...

هذه النقطة تقودنا إلى إحدى أهم صفات جمال عبدالناصر وهى عزوفه الفطرى عن العنف وهى الصفة التى جعلت من **ثورة يوليو ٥٢ «ثورة بيضاء»** ، ولقد كانت تلك الصفة فى شخصيته مثار اهتمام عدد كبير من الكتاب والمؤرخين وخصوصاً أولئك الذين اقترنت بلادهم بثورات حلت بتاريخهم الوطنى ، إمتزجت بالعنف والدماء ، وقد عبر عنهم باقتدار الكاتب الإنجليزى **«ديزموند ستيوارت»** فى كتابه « **مصر الفتية**» « Young Egypt» الذى أجرى حوارا مع الرئيس عبدالناصر سأله فيه عن الشخص الذى حاز إعجابه من بين قادة الثورة الفرنسية : هل **«دانتون»** أم « **روبسبير**» فأجابه الرئيس على الفور : « فى الحقيقة ، لا هذا ولا ذاك ، إننى أعجبت **بفولتير** لأنه كان رجلاً هادئاً ولم يكن قاسياً ، أما الباقون فقد كانوا دمويين للغاية ، فقد قتل كل منهم الآخر ، وماتوا جميعاً عن طريق العنف.. ثم استطرد عبدالناصر شارحاً للكاتب كيف أنه تعلم من رائعة « **تشارلز ديكينز**» «قصة مدينتين» «A Tale of Two Cities» ـ **أنه إذا بدأت الثورة بإراقة الدماء ، فلن تتوقف عن ذلك، وسيقلدها الآخرون.**

ويقول **«ديزموند ستيوارت»** أيضاً أن ناصر لم يعجب قط بمؤسس تركيا الحديثة مصطفى كمال أتاتورك فقط لأنه كان عنيفاً وقاسى القلب.

● **ثورة يوليو ٥٢ وعبدالناصر فى الكتابات الأمريكية بعد خمسين سنة (٢٠٠٠)**

سأحاول فى هذه الفقرة أن أستعرض ما تحت يدى من كتابات استطعت أن أحصل عليها من مئات الكتب، بل الآلاف منها حيث سجلت مكتبة جامعة أوكسفورد من تسعة أعوام أنه كتب عن عبدالناصر ما يزيد عن الثلاثة آلاف كتاب بلغات مختلفة، هذا بخلاف الدراسات والندوات والرسائل الجامعية والمحاضرات والأحاديث فى الفضائيات المرئية والمسموعة مما يصعب حصره عملياً، أقول هذا ما استطعت أن أحصل عليه بوسائلى الخاصة لما كتب عنه بواسطة ساسة وكتاب ومفكرين وصحفيين من الولايات المتحدة الأمريكية وبالذات، لعلها تفيد الباحثين فى إلقاء الضوء على تجربة الرجل الإنسان التى وضعته فى دائرة الضوء منذ قيام الثورة أو عقب قيامها بفترة قليلة ومن اليوم وباكر كما هو مرئى ومنتظر.

مع مطلع القرن الماضى كانت ولادة المشروع النهضوى الأول الذى مر بمراحل متعددة كانت قمة إمتداده وعطائه فى الخمسينات وكان جمال عبدالناصر هو ممثله الأهم والأبرز.

ففى شخصية عبدالناصر تكاثفت أهم قضايا النهضة:

الوحدة العربية ـ الصراع العربى الإسرائيلى ـ السلام ـ الحياد

ـ التنمية والتحول الاجتماعى ـ الديمقراطية ـ نمو المجتمع المدنى.

● **وأهم ما كتب ومن كتابهم:**

الرئيس الأمريكى السابق ريتشارد **نيسكون** فى كتبه «القادة» و «الفرصة السانحة» و«نصر بلا حرب».

هنرى كيسينجر كتب: «سنوات فى البيت الأبيض «WHITE HOUSE YRARS» الجزأين الأول والثانى.

«**جون بادو**» سفير أمريكا السابق فى مصر كتب ذكريات الشرق الأوسط»، «The Middle East Remembered» وهى سلسلة محاضرات لطلبة معهد الشرق الأوسط فى جامعة كولومبيا الذى كان يرأسه «**ويلبور كرين إيفلاند**» كتب حبال من رمل «ROPES OF SAND».

ستيفنز كتب «**حوار حول ناصر**».

«**مايلز كوبلاند**» كتب لعبة الأمم «THE GAME OF NATIONS

«**ويلتون وين**» كتب «**ناصر العرب**».

«كيرك ج . بيتى» كتب مصر خلال سنوات ناصر

«EGYPT DURING THE NASSER YEARS»

«بوب وودارد» كتب « الحجاب» . ـ الهدف الشرق الأوسط ، «VEIL».

الكاتب «سالزبيجر». مجموعة مقالات وأحاديث شخصية مع الرئيس .

الكاتب « روبرت سان جون» كتب «الريس «The Boss».

وبالنسبة لعبدالناصر فقد تفاوتت الآراء حوله :

فقد كتب ستيفنز :

« لقد كان ناصر أهم رجل أنجبته الصحوة العربية وكان أحد أقطاب الثورة ضد الإستعمار وهى إحدى الحركات الكبرى فى القرن العشرين.

وكتب « ويلتون وين» : لقد أصبح ناصر ، زعيما لكل العرب لأنه يمثل شعورهم اليوم أصدق تمثيل.

ووصفه السفير «هنرى بايرود» سفير أمريكا فى القاهرة خلال الخمسينات : «إنه القائد الوحيد فى العالم العربى الذى يمثل الاتجاه الجديد ، والذى يمكن لدبلوماسى غربى أن يجرى معه مناقشات مفيدة متزنة».

ويكتب عن الوحدة العربية فيقول : إن ناصر لايسعى للوحدة العربية بل يود أن يرد الصاع صاعين للغرب.

وقال : لا أعرف إذا كان ناصر على حق أم على باطل ، لكنى أعرف أنه لابد منه . لو حدث انتخاب حقيقى فى سوريا أو الأردن أو العراق لفاز ناصر بنسبة كاسحة.

إلا أن نيكسون على الجانب الآخر وصف عبدالناصر بقوله: « إنه سريع الغضب والاشتعال ، نافد الصبر ، ديكتاتور، تمتلكه المصالح الحمقاء التى سارت به إلى الأبد فى طريق المزيد من حاجات شعبه الدنيوية قليلة الشأن». ويقول : رأيت الشباب والشيوخ أغنياء وفقراء ينصتون لصوته بنظرات يعلوها الابتهاج الغامر.

وعن الوحدة العربية فيقول: « لقد أعطى ناصر للمرة الأولى خلال قرون من الزمن لشعبه حكومة من أبناء مصر وسعى فى الوقت نفسه لتوحيدها مع أشقائها العرب، وكانت تلك فكرة ثورية تامة مع أنها تجذب لحد كبير لكنها غير مجدية ولاعملية». ثم يقول بنى ناصر دعوته القومية على أساسين ، أولهما : العداء لإسرائيل ، والثانى : عدم الثقة بالغرب . وكلاهما عاملان هدامان بدلاً من أن يكونا عاملين بناءين.

ويقول : « لقد سعى ناصر دائماً لتحقيق الوحدة العربية ليكون على رأسها ، وهو يرى أن القومية العربية تعنى ولاء له وعداء للغرب».

وقال أيضاً : « تدخل بشكل مكروه فى شئون بلدان عربية أخرى بالإعداد للانقلابات وحياكة المؤامرات وأعمال الاغتيال!!؟ (هكذا) ، وأولع نيران الثورات وغاص عميقاً فى الحرب الأهلية فى اليمن ...

وكتب أيضاً يقول : « إن ناصر يهدد موارد دولته النادرة لخدمة مغامراته فى الخارج لدعم موقفه المتشدد من أجل محاربة إسرائيل.

وكتب يقول : لقد وضع ناصر بلاده فى صنارة فى يد موسكو.

كان نظام حكمه استبدادياً قاسياً غير أنه كان لقسوته ليونة لأنه كان قائداً ثورياً محبوباً.

كان ناصر قائداً عاطفيا قادراً على الرؤية داخل قلوب شعبه .. وقد سبب موته المفاجئ نار الأسى ومظاهر الحزن التى لم يشهد العالم لها مثيلاً..

وكيسينجر يرى عبدالناصر فى كتاباته : عنيد يفاخر بعناده ويراه أساسياً فى سبيل توحيد العرب ، ولأجل ذلك كان يرى نفسه مجبراً دوما على معارضتنا.

وعن الوحدة العربية يقول : إن فكرة الأمة العربية هى مجرد تفكير رمزى ، ورؤيا شبه نبوية ، حلم يستلهم من المؤمنين الحقيقيين أعمالا بطولية ، لكنها نادرة التحقيق...

وكتب أيضاً يقول : إن ناصر لم يعرف كيف يوفق بين الطموحات الدولية التى يمارسها وحدسه الذى كان يظهر له أن لدى مصر وسائل محدودة فى سبيل تحقيقها.

وكتب يقول : كان السوفيت يعتبرون ناصر أداتهم الرئيسية فى الشرق الأوسط.

و « **مايلز كوبلاند**» يقول عن عبدالناصر : إنه لايتصرف بداع من الحقد أو الهوى أو غير ذلك من الدوافع الدنيا . إنه من أكثر الزعماء جرأة ، لايقبل الرشوة ، لكنه لايؤمن بعلم الأخلاق . متعصب للمبادئ على طريقته الخاصة، لكنه ميال للخير العام والإصلاح الاجتماعى ، وما أظن أننى التقيت من الزعماء من يفوقه فى ذلك.

وعن الوحدة العربية يقول: « إن ناصر أراد من الوحدة العربية إذلال كل من أذل العرب وسعى حثيثا لتقوية أسطورة الوحدة العربية ليحاصر الحكام العرب ويضعهم تحت نفوذه.

وقال أيضاً : « يقول السفير بايرود إن معظم رجال السياسة الأمريكيين الذين أُتيح لهم الاحتكاك بناصر كانوا يوقنون أنه لايطمح فى حكم العالم العربى أو الإسلامى . وأن ناصر يعتقد من البدء أنه لايمكن حمل أى فرد أو مجموعة أو أمة على فعل شئ باتباع أساليب الترغيب والترهيب ، وإنما بخلق ظروف معينة تحمل الموجود فى خضمها على أن يطالب بفعل ذلك ، فرغبات الجماهير ومتطلباتها هى التى تحفز على التحرك وليست رغبات قائدها أو حاجاته ... إننا لن نواجه أى متاعب مع ناصر لو أنه يهتم بشئون بلاده فقط ويقلع عن التدخل فى أمور الدول الأخرى.

ويقول : إن من أهم أسباب غضب العرب اعتقادهم أننا كنا نساعد الصهيونية ـ وهذا صحيح مهما كان المبرر لذلك ـ ومن ثم مساعدة إسرائيل بشكل مفضوح وهذا لاحرج فيه، حيث موقفنا المؤيد للصهيونية لامفر منه.

وقال : لقد أدركنا استحالة قيام انقلاب يجعل منه سوكارنو آخر .. فناصر لن يسقط بتذمر أو شكوى ، ولن يتقوض نظامه وينهار إلا بضربة عنيفة مدوية.

وقال : مجتمع الكفاية والعدل مجتمع الكل للفرد ، والفرد للكل لا وجود له إلا فى جزيرة الأحلام».

وكتب يقول : إن العرب يرفضون المنطق والقيم الغربية رغم تأخرهم وحرمانهم وعدم امتلاكهم أحسن منها للتمسك بها...

ويقول على لسان «كيرمت روزفلت» : إن الوزير دالاس يعتبر كل عمل لايتفق مع سياسته عمل غير أخلاقى لذلك اعتبر حياد ناصر غير أخلاقى بينما حياد تيتو عمل أخلاقى، وأن اعتراف ناصر بالصين الشيوعية عمل غير أخلاقى بينما سكت عن اعتراف بريطانيا وإسرائيل بها . وإن أى فحص لوثائق وزارتى الدفاع والخارجية والمخابرات المركزية تظهر مثاليتنا فى العلن وانتهازيتنا فى السر . إن ماهو خير للولايات المتحدة فهو خير للعالم أجمع حسبما يقول الوزير دالاس.

أما « ستيفنز» فقد كتب يقول : « إن ناصر لايلقى اهتماماً بأى وحدة عربية إلا فى إطار الحاجة إلى سياسة موحدة ضد الغرب.

وقال عن عبدالناصر : « لقد كان ناصر أهم رجل أنجبته الصحوة العربية ، وكان أحد أقطاب الثورة ضد الاستعمار وهى الحركات الكبرى فى القرن العشرين.

وقال: « إن علاقة ناصر مع الاتحاد السوفيتى يحكمها صراعه مع إسرائيل.

كما كتب يقول: « إن تحدى ناصر للنفوذ الأمريكى فى أهم معاقله ـ الجزيرة العربية ـ أحد أهم العوامل التى أدت إلى كارثة ١٩٦٧ فى الحرب مع إسرائيل.

وقال بعد ذلك : « ربما كان أهم تراث خلّفه ناصر للعرب هو الثقة فى القدرة على مواجهة العالم المعاصر ، والسير نحو الهدف لتحقيق المجتمع الذى كان يحلم به ..

وكتب يقول : «لقد كان ناصر دائما في الوسط بين اليمين واليسار.. الوطنيين المصريين والقوميين العرب .. واستطاع أن يوازن بين الجميع».

ويقول إيفلانـــد : « من الصعب أن يتخيل المرء كيف يمكن أن يحقق ناصر الوحدة العربية دون أن يتمتع بدراية كافية عن أحوال الدول العربية ، ودون أن يمتلك شعوراً بالمحبة والعطف تجاهها.

كما قال أيضاً : « لابد من منح مساعدات مالية كبيرة حالا لعملائنا فى لبنان والشرق الأوسط ، لأننا لانستطيع أن نتصدى لشعارات ناصر القومية بدون صرف مبالغ كبيرة لقد تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية فى سوريا ، إنما بصورة فضيحة مضحكة تدل على حماقة متناهية لمنع قيام الجمهورية العربية المتحدة ، وتأكدت أن كيم روزفلت حاول أن يقوم بانقلاب جديد...

ويقول : « إن الوزير دالاس غضب غضباً شديداً من قرار ناصر بالانضمام إلى دول الحياد.. وإن على الرئيس المصرى أن يفهم أن الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تكون قاسية جداً .. وعلى ناصر أن ينتبه فقط لمشاكله الداخلية الخاصة . كما نقل على لسان عبدالناصر قوله: « إن عدونا هو إسرائيل وليس الاتحاد السوفيتى الذى يبعد عن حدودنا بآلاف الأميال ، أما إسرائيل فهى التى تربض على حدودنا.

ويقول : لقد فسر معظم سفرائنا فى الشرق الأوسط شعور العرب المعادى للغرب بأنه من فعل تآمر شيوعى ، والقليل منهم فقط عزوا ذلك إلى تعاملنا مع قضية العرب وإسرائيل.

وكتب يقول : « لقد كان ناصر دائما فى الوسط بين روسيا وأمريكا ، بين اليمين واليسار وكان دائم الاستخدام لإثارة العواطف ضده فى الغرب بالأخص بعد كسر احتكار السلاح وتأميم القناة وتشبيهه بهتلر متجاهلين التقارير الواقعية التى يبعثها المراسلون الموجودون فى المنطقة.

وعلى لسان « **ويلتون وين**» يقول : « إن الغرب كانت مواقفه طيبة منه حتى اشترى الأسلحة من الشيوعيين ، فانقلب وصب جام غضبه عليه ، وإنه كثيراً ما كانت الصحف الغربية تزوّر الحقائق عامدة بالأخص الإنجليزية منها إبان أزمة السويس.

كما يقول : « على لسان مساعد وزير الخارجية الأمريكية السابق « **إنجلتون**» إن ناصر كان مسئولا عن كل مشكلات الغرب فى المنطقة .. وليس من المستطاع إزاحته إلا بهزيمة عسكرية للجيش المصرى وعندها سيبقى العرب بلا خيار سوى السلام..

وقالها صريحة بعد ذلك : « لقد تدخلت الحكومة الأمريكية بشكل سرى فى حرب ١٩٦٧ . وبإمكانى جمع عدد كبير من الدلائل وكلها تشير إلى التشجيع والتورط الأمريكى فى الهجوم الإسرائيلى . لقد فوجئنا بأن العرب حتى بعد الهزيمة النكراء التى حلت بهم ما زالوا يتحدثون بلهجة القوى المنتصر . ويتساءل : هل ربحت إسرائيل الحرب ؟ ويورد جوابه بشكل غير مباشر على لسان المحلل الإستراتيجى « **أندريه بوفر**» الذى يعرف النصر بأنه : إما تحطيم العدو تماماً أو أن تجعله فى موقف يقبل ما تمليه عليه من الشروط ..فيقول «إذا ما أخذنا بهذا فإن الإسرائيليين لم ينتصروا حقا حينما نراقب الكلام الذى جرى بينهم فى أعقاب الحرب .. إن موقف ناصر فى بلاده أصبح أشد صلابة من موقفه لو لم تقع الحرب».

ثم يقول بعد ذلك : « لقد كان أول قائد مهزوم يلقى التأييد الجماهيرى وبالأخص فى السودان حيث تمكن من فرض لاءاته الثلاث!!».

وقال : « لقد امتلأت البيوت والمحال فى الأردن ولبنان بصور ناصر حتى أن كميل شمعون والملك حسين كانا يشعران بغيرة وحنق شديدين.

وكتب يقول : وافقت الإدارة الأمريكية على منح سعود قرضاً ليقوم بمشروع جديد فى المنطقة وذلك ليجابه ناصر ويمحو نفوذه فى لبنان وسوريا ، وتألفت للهدف نفسه مجموعةمن العملاء السريين تتألف من ممثلين عن بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وقال الممثل البريطانى أن الفرق أصبحت جاهزة لاغتيال ناصر ...

ويقول أحد كبار رجال المخابرات المركزية الأمريكية الأسبق « يوجين جوستن» فى كتابه « التقدم نحو القوة» : « مشكلتنا مع ناصر أنه بلا زذيلة مما يجعله من الناحية العملية غير قابل للتجريح ، فلا نساء ولا خمر ، ولا مخدرات ، ولا يمكن شراؤه أو رشوته أوحتى تهويشه. نحن نكرهه ككل ، لكننا لا نستطيع أن نفعل تجاهه شيئاً ، لأنه بلا رذيلة وغير قابل للفساد..»

الكاتب الأمريكى « **سالز برجر**» كتب مقالاً فى جريدة «**النيويورك تايمز**» فى سبتمبر ١٩٨٧ . عقب رحيل جمال عبدالناصر جاء فيه مايلى:

« ليست لدى عبدالناصر خطوط مفروضة على تفكيره أو موضوعة مقدماً ، لكنه يدير أموره حسب الظروف المحيطة به . وهو شخصية عالمية تتسم بخيال خصيب مقرون بشعور عاطفى ، إن هذا المصرى جم النشاط يعيد إلى ذاكرة العرب.. ملايين العرب فى هذا الزمن القائد البطل صلاح الدين الأيوبى الذى ظهر كأسطورة فى قلب الصحراء منذ حوالى ٨٠٠ سنة ليهزم ريتشارد قلب الأسد والصليبيين، والواقع أنه لم تظهر شخصية عربية تمتعت بحب الجماهير فى الشرق الأوسط مثل شخصية جمال عبدالناصر الذى تتطلع بلاده إلى القيام بالدور الحائر الذى يبحث عن بطل فى الشرق».

أما **جون بادو** السفير الأمريكى السابق فى القاهرة (١٩٦١ ـ ١٩٦٤ مستقيلاً).

فقد ألف كتابه القيّم سنة ١٩٨٣ « ذكريات الشرق الأوسط» «The Middle East Remembered» سنة ١٩٨٣ بعد رحلة عمل فى المنطقة إمتدت من سنة ١٩٢٨ حتى نهاية الستينات ـ ولقد كنت على علاقة صداقة معه طوال فترة عمله كسفير لبلاده فى القاهرة وكان رجلا أكاديمياً ولايميل إلى المراوغة أو الخداع كما لم يكن يميل للتعاون مع رجال المخابرات المركزية الأمريكية ، وقد ذكرها لى صراحة ، لأنهم كما قال يخربون ما يقدمه من اقتراحات لتدعيم العلاقات بين بلاده ومصر ـ وهو من أهم الكتب الأمريكية التى تناولت ثورة يوليو وعبدالناصر وكان أهم ما جاء فيه النقاط التالية:

« وحينما صدرت القوانين الاشتراكية وكنت سفيراً للولايات المتحدة الأمريكية فى القاهرة ، ثارت ضجة حولها فقررت تكوين فريق عمل من رجال السفارة لدراستها بدقة وانتهينا إلى أن حجم القطاع العام الجديد فى مصر أقل منه فى إسرائيل وفى الهند وفى فرنسا وفى بريطانيا بل وفى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، وأنه لايصادر القطاع الخاص أو يغلق الطريق أمامه بل على العكس سوف يحفزه ويدفعه للمنافسة فى ظل اقتصاد مختلط كما حدث فى هذه الدول.

ويقول السفير « **بادو** » أيضاً : حدث « ولمزيد من الاطمئنان من جانب واشنطن فقد أوفد الرئيس «**جون كينيدى**» مبعوثا خاصاً هو الدكتور «**إدوارد ماسون**» أستاذ الاقتصاد المشهور وبعد أن قام بدراسته المفصلة للقوانين وللأوضاع فى مصر قدم تقريراً يتلخص فى أنه لم يكن أمام ناصر طريق آخر أو أفضل.

ويقول أيضاً أن تعيينه سفيراً فى القاهرة ، كان نتيجة لسياسة جديدة « **لجون كينيدى** تجاه مصر عبدالناصر والذى قال له قبل أن يغادر إلى القاهرة : أنه هناك دول ثلاثة مهمة فى العالم الآن ـ وهو أى «**كينيدى**» يريد أن يبدأ صفحة جديدة من العلاقات معها وأنه اختار ثلاثة سفراء له فى هذه الدول من خارج السلك الدبلوماسى حتى لا يكونوا مرتبطين بمواقف تاريخية سابقة للعلاقات الأمريكية معها وإن فى مقدمة هذه الدول مصر ثم تأتى الهند واليابان.

وكان من أهم الأسس الجديدة التى سنها «**كينيدى**» فى علاقته مع عبدالناصر هى أن يثبت احترام الإدارة الأمريكية للقيادة السياسية فى مصر ، ومن هنا أصبحت الرسائل وإيفاد المبعوثين الشخصيين هى سياسة مقررة ومتبعة فى تلك المرحلة ليكون عبدالناصر على علم بكل الخطوات المتعلقة بالشرق الأوسط بما فيها ما يتعلق بالعلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل وهى كما يعرف الجميع علاقات خاصد جداً ، والمثل الحى على ذلك ما تم بالنسبة لصفقة الصواريخ الهوك سنة ١٩٦٢ وبالرغم من الظروف الداخلية الصعبة فى الكونجرس والضغوط الإسرائيلية إلا أن « كينيدى» أصر على إيفاد مبعوث شخصي لإبلاغ عبدالناصر بظروف وأسباب إتمام هذه الصفقة وذلك حرصاً منه على استمرار العلاقات الطيبة التى كانت قد بدأت تؤتى ثمارها بين الرجلين وبالرغم من أن عبدالناصر غضب من إتمام هذه الصفقة وشنت الصحافة وأجهزة الإعلام المصرية هجوما عنيفاً عليها ، فإن عبدالناصر أبدى تقديره الشخصى لقرار كينيدى بإطلاعه على هذه الخطوة تفصيلاً . كما حدث نفس الشئ عندما قرر «**كينيدى**» معاودة إجراء التجارب النووية فقد حرص على إبلاغ عبدالناصر بهذا القرار قبل تنفيذه بيومين.

يقول « جون بادو» أن سياسة « **كينيدى**» هذه كانت تلقى معارضة من القوى المؤيدة لإسرائيل داخل دوائر الإدارة الأمريكية ويضرب المثل على ذلك بقوله إن إيفاد المبعوث الشخصى حول موضوع صفقة الصواريخ الهوك لم يقرأ عنها شئ فى واحدة من الصحف الأمريكية . كما ظل الكثيرون من العاملين فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية يتعاملون مع عبدالناصر باعتباره شيوعياً أو أداة للشيوعية ، وهكذا فإن برنامج معونة القمح لمصر والذى زاد بشكل كبير فى عهد « **كينيدى**» حتى اصبحت هى أكبر صفقة قمح أمريكية بعد صفقة الهند وجدت معارضة داخل الكونجرس والمخابرات المركزية خاصة بعد عمليات التأميم التى حدثت فى مصر فى ذلك الوقت و دعت بعض رجال الكونجرس إلى انتقاد تقديم المساعدات « للاشتراكيين والشيوعيين» ـ وذلك بالرغم من أن هذه الصفقة لم تكن تكلف الولايات المتحدة شيئاً حيث كانت كلها مواد غذائية زائدة عن الحاجة . وقد أجرى بادو فى تلك لفترة دراسة دقيقة عن الاقتصاد المصرى وكانت نتيجة ما وصل إليه هو أن ١٨٪ من القوى الإنتاجية المصرية هى التى تم تأميمها ، ثم قارنت الدراسة هذه النسبة مع مثيلاتها فى بعض الدول الأخرى من حلفاء واشنطن فوجد مثلاً أن القوى الإنتاجية للقطاع العام فى إسرائيل تبلغ نحو ٣٠٪ وفى الصين الوطنية نحو ٢٥٪ ويقول السفير «**بادو**» على أن أفضل ما وقعت عليه أعيننا كان مثال الولايات المتحدة نفسها حيث ٢٩٪ من القوى الإنتاجية تخضع للإشراف الحكومى بشكل أو بآخر.

ويقول فى مكان آخر أنه عندما زاره أحد أعضاء الكونجرس وسأله : لماذا لانحصل على عائد سياسى لمساعداتنا الغذائية لمصر : رد عليه « **بادو**» قائلاً : وماهو العائد الذى تتصوره؟ فقال : ليس أقل من الاعتراف بإسرائيل فبدون سلام مع إسرائيل يجب أن تقطع هذه المساعدات . فسأله بادو : « وكم من الأموال أيها السيناتور تتصور أنه يجب أن تدفع الولايات المتحدة لكى تغير سياستها تجاه الصين الشعبية؟» فرد السيناتور قائلاً : « لاتكن أبله فمال الدنيا كله لا يكفى ليجعلنا نغير سياستنا . فقال بادو : « ولماذا تتصور إذن أن المصريين يمكن أن يغيروا سياستهم مقابل المال أو الجشع؟!».

وعن شخصية جمال عبدالناصر يقول السفير بادو: « أنه كان رجلاً تشعر على الفور وبمجرد جلوسك إليه بقدراته القيادية غير العادية ، وقد كانت أفكاره واضحة لاغموض فيها ، كان دائماً واثقا فى نفسه وهويتعامل مع قوة عظمى مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، لايخالجه أدنى شك فى عدالة قضيته.

ويقول حول الأزمات التى مرت بمصر مثل الانفصال السورى وحرب اليمن ، إن عبدالناصر لم يكن فى أى وقت من تلك الأوقات متوترا أو عصبياً أو منفعلا ، وإنما كان يبدو هادئاً رصينا يختار كلماته الإنجليزية بعناية ، ولا يفوته أن يظهر الود لمحدثه . وقال بوضوح

وصراحة إن الصورة التى كان يحلو لأعداء عبدالناصر أن يرسموها له كانت صورة زائفة تماما.

ووصف «**بادو**» أول لقاء بينه وبين عبدالناصر عندما كان رئيسا للجامعة الأمريكية وكان فى قاعة إيوارت حيث كان محمد نجيب يلقى محاضرة عن الثورة ويقول «بادو» إنه شعر على الفور بأن نجيب رغم موقعه الرئاسى وبرغم شعبيته فى ذلك الوقت ، فليس هو القوة المحركة لدفة الأمور وأن مجموعة الثوار الحقيقة هى تلك التى كانت تضم الضباط الشبان مثل زكريا محى الدين وأنور السادات وغيرهما ، وأنه فى قلب هؤلاء كان جمال عبدالناصر هو القائد الحقيقى وأضاف أنه عندما تعرف على عبدالناصر فى تلك الفترة وجده خجولا بعض الشئ يميل إلى الصمت أكثر من الكلام ، ويقول بادو «صراحة» والحقيقة أنه لم يثر اهتمامى على الإطلاق في هذا اللقاء الأول ، لقد كان له حضور لايمكن إنكاره ، لكنه لم يكن يتحدث كثيراً ، وحتى حين عرفته أكثر بعد ذلك كان صامتاً إلى أن جاء وقت الكلام فصار رجلا مختلفاً تماماً».

والفارق الرئيسى بين ناصر ونجيب ، كما قال بادو ، كما يتمثل فى أن محمد نجيب كان مصلحاً أكثر منه ثورياً ، أما ناصر ورفاقه فقد كانت لديهم رؤية ثورية لتغييرات جذرية كان المجتمع فى أشد الحاجة إليها ، ولذلك فقد كان نجيب غير قادر على التعامل مع القوى السياسية القديمة بشكل حازم ، وفى هذا الصدد يقول أن جيفرسون كافرى السفير الأمريكى فى ذلك الوقت المبكر من قيام الثورة ، والذى كان على علاقة بالضباط الجدد الذين تولوا الحكم ، يقول « **بادو**» أن «**كافرى**» قال له ذات مرة : إن مشكلة نجيب هى أنه يصدق آخر شخص يتحدث إليه، ولذلك فهو متقلب ويفتقر إلى قدرة عبدالناصر على اتباع سياسات محددة.

يقول «**بادو**» على لسان « **كافرى**»: « إن ضباط الثورة كانوا يسعون لاستمالته فى مواجهة بريطانيا وما يمكن أن تلجأ إليه لندن لإفشال الثورة ، لكنه ينفى نفياً قاطعاً أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية قد ساندت الثورة أو عرفت بها قبل وقوعها وهو الموعد الذى حددته ظروف سياسية معروفة عجلت بتحرك الضبابط الأحرار قبل موعدها الأصلى الذى كان الضباط قد اتفقوا عليه ليكون فى شهر أغسطس وليس يوليو . ويؤكد «**بادو** أن الضباط إتصلوا بالفعل بالسفارة الأمريكية بعد إتمام عمليتهم لطمأنتهم بأن ماتم هو عملية داخلية وليست موجهة ضد أى أطراف خارجية وكان على صبرى هو الذى قام بهذا الاتصال لمعرفته السابقة بالملحق الجوى الأمريكى ، وفى الوقت نفسه قام الملك فاروق هو الآخر بالاتصال بالسفارة الأمريكية طالبا من السفير التدخل ، وقد نقل «كافرى» طلب الملك إلى واشنطن وحين لم يصله رد على طلب الملك فقد رأى من واجبه على الأقل أن يكون

إلى جانب فاروق لضمان سلامته الشخصية دون أن يعرف أن عبدالناصر قد عارض داخل مجلس قيادة الثورة عملية إعدامه التى كان الرأى الغالب يميل إليها ،وبالفعل ظل « كافري» ملازما لفاروق إلى أن ركب الملك يخته الخاص « المحروسة» وغادر ميناء الإسكندرية بلا عودة ، وقد كان هذا المشهد الذى أعطى الإنطباع لدى البعض بأن الأمريكان كانوا يدعمون الثورة .ويقول «بادو» أيضا إنه بعد أن صار سفيراً لبلاده وأصبح مطلعاً على الكثير من الوثائق السرية للعلاقات المصرية الأمريكية لم يجد ما يؤكد صحة هذا الانطباع الخاطئ.

عاد « بادو» إلى واشنطن سنة ١٩٥٣ بعد أن رأس الجامعة الأمريكية ويقول إنه فى تلك الفترة كانت أحاسيس وشعور الشعب المصرى تجاه الثورة تتسم بالتأييد المباشر نظراً لأن الثورة طبقت الكثير من الإجراءات التى كان يطالب بها الناس ، وضرب المثل بقانون الإصلاح الزراعى الذى كان مطلبا سابقا على قيام الثورة ويؤكد أن المقاومة الوحيدة للثورة كانت تأتى فى ذلك الوقت من الطبقة التى أضيرت من هذه الإجراءات وفى هذا الصدد يروى قصة سيدة من هذه الطبقة قالت له ذات يوم « إن تلك الثورة أسوأ مما حدث لنا عام ١٩٢٩ وقت الكساد . ففى ذلك العام لم أتمكن من شراء أى معطف فراء جديد، لأن الفلاحين فى أرضنا كانوا كسالى ، والآن فإن الحكومة ستأخذ هذه الأرض وربما لن أستطيع شراء أى معاطف أخرى بعد ذلك».

يقول « بادو» أن « كينيدى» كان يعلم كما كان هو يعلم تماما أن عبدالناصر لم يكن شيوعيا وإنما كان «ثوريا عمليا» . بل ويذهب «بادو» إلى القول بأن الولايات المتحدة كانت تسعى فى ذلك الوقت لإنجاح تجربة عبدالناصر والتى أسماها «الاشتراكية البراجماتية» للدولة بدلاً من أن تندفع مصر فى طريق الشيوعية السوفيتية ، وقد كان يطمئنهم فى ذلك أن ناصر لم يكن أيديولوجيا ، فقد كان يأخذ بعض الأشياء من النظم الإشتراكية ، لكنه كان أيضاً يأخذ أشياء أخرى من النظم الرأسمالية كلما وجد أن فى هذا أو ذاك مصلحة عملية لاقتصاد بلاده. وكان رأى الخبراء فى وزارة الخارجية الأمريكية آنذاك فى نظام ناصر الاقتصادى هو خير ضمان لعدم ضمان تحول مصر إلى الشيوعية، كما حدث فى بعض دول العالم الثالث.

وقال «بادو» بعد ذلك إنه عندما تسلم سفارة بلاده فى القاهرة لم يجد ملحقاً أو اثنين من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كما هى العادة ، وإنما كان ربع العاملين بالسفارة من عملاء المخابرات المركزية الأمريكية ، ولقد اتفق مع واشنطن على تخفيض هذا العدد. والشئ الثانى الذى لفت نظره هو أن أحد أهم مهام وواجبات رجال المخابرات المركزية فى القاهرة كانت تتبع جميع تحركات وأخبار ناصر نفسه وجميع أفراد عائلته .وفى هذا الصدد فقد قال له ناصر فى بداية لقاءاته به بعد تعيينه سفيراً أنه يعرف ما تقوم به المخابرات المركزية

معه ومع أسرته والعاملين معه وطلب منه نقل إستيائه من ذلك إلى واشنطن ، ويقول «بادو» أنه لم يستطع أن يرد على الرئيس المصرى فى ذلك بأكثر من القول إنه سيفعل ذلك.

يقول «بادو» إن أحد أسباب نجاحه هو أن ناصر قد أقام معه علاقة مباشرة، وسمح له بأن يلقاه بشكل شخصى كلما كانت هناك ضرورة لذلك، وأنه إلتقى بناصر ٣٦ مرة خلال سنتين فقط قضاهما سفيراً لبلاده فى مصر وكانت تلك أكثر لقاءات عبدالناصر مع سفير أجنبى فى القاهرة بما فى ذلك السفير السوفيتى . ويروى «**بادو**» أن هذا الأخير حكى له ذات يوم أنه شكا لناصر من أنه يلتقى بالسفير الأمريكى أكثر منه، لكن ناصر قال له مازحا : أنت تعرف أن «**بادو**» مستشرق ولذلك فنحن نمضى الوقت نتحدث فى شئون الشرق، أما أنت فلست مستشرقاً.

وينتقل «بادو» بعد ذلك ليقول ، ناصر كان دائما مباشراً فى حديثه ، لايراوغ ، وكان على قدر كبير من الإنسانية ، ويتذكر «بادو» أنه فى إحدى المرات طالت مقابلته مع ناصر لكنه لم يجرؤ على إخراج غليونه ليدخن فى حضرة الرئيس وقال له «بادو» إن وزير خارجيتنا لايحب الغليون لكن ناصر قال له فى تبسط : دخن غليونك يارجل. ويقول «بادو» بعد ذلك : إن عبدالناصر كان دائما متحكما فى ردود أفعاله حتى حين كان هناك ما يغضبه ، ويقول إنه كان يظهر الكثير من الاحترام لمرؤوسيه ، فلم يكن يسيء إلى أحد من العاملين معه أمام زائريه.

ويقول «بادو» إن الولايات المتحدة الأمريكية وجدت نفسها بعد حرب السويس حارسة للمركز الغربى العام فى الشرق الأوسط وأصبحت هى الأساس والسياسات الأوروبية تابعة لها فأيدت الأنظمة المؤيدة للغرب وفعلت المستحيل لكى تجيء بمثلها إلى الحكم ، ولم تتردد فى مقاومة الأنظمة غير الموالية لها وقال بالنص : «وكثيراً ما يذكر العرب أعمال المخابرات المركزية فى سوريا ومصر وإيران كدليل واضح على تدخل الإمبريالية الأمريكية فى شئونهم، واعتقدت الولايات المتحدة أن استقرارها فى العالم العربى يفرض عليها مساندة الملكيات التقليدية التى يعتمد مركزها على صفوة من ملاك الأراضى والتجار أكثر منه على الجماهير العريضة . ولو تخلت عنهم أى تلك الأنظمة فإنها سرعان ما تسقط . لقد استفزت كلمة «السيادة» التى فرضها ناصر الغرب كثيراً وهذا ما أدى به لاتباع سياسة «الانتحار»، وحينما يخاطب ناصر الجماهير المصرية بوصفهم «مواطنون» فإن هذا يعنى أن «الرعية» قد أضفى عليهم حالة جديدة هى حقهم فى الاشتراك مباشرة فى إدارة شئون بلادهم ، وهى حالة جديدة على المواطن فى وادى النيل ، فالجماهير تحمل مفتاح المستقبل، ولابد لأية سياسة نحو بلادها من أن تكون لها علاقة بوجودها ، وهذا العنصر الذى فرض على مخططى السياسة الأمريكية كان من الصعب علينا قبوله لأن المسئول عن فرضه رجل

لا نحبه هو جمال عبدالناصر . إن جمال عبدالناصر أول الرجال الجدد فى المنطقة وهو يمثل الرجل العادى بصورة أكثر دقة من أولئك الزعماء القدامى الذين حل محلهم . لقد أدخل الرجل العادى فى المشاركة السياسية والارتباط الوطنى لأن الاستقلال بشعاراته عن الحرية قد شحذ همته وعمّق إحساسه ببلاده، كما أن وسائل الاتصال الجماهيرى وخاصة راديو الترانزيستور قد أوصلت دعاية حكومته إليه فى مقهاه وفى منزله ورفع النمو السريع فى التعليم مكانة الطبقة المتعلمة وخلق طبقة طلابية متبرمة ومتعطشة لمزايا المركز الاجتماعى والمكانة السياسية. ولاجدال أن ناصر كان على وعى كامل بخطر المعونات الأجنبية ونجح فى تحييدها وفعل ذلك مع السوفييت ومعنا أيضا فرغم أن سجل معوناتهم لمصر يوضح ذلك فإن السلاح والسد العالى وشحنات القمح .. الخ لم يحقق للسوفيت نجاحاً أكثر من الأمريكيين حتى أنهم لم يستطيعوا الحصول على تصريح بوجود حزب شيوعى فى مصر، بل إنهم لم يستطيعوا حماية الشيوعيين المصريين فى أغلب الأحيان . وقال ، إن أكبر دليل على عدم جدوى المعونة الاقتصادية منفردة أن الولايات المتحدة لم تتردد فى قطعها عن مصر بسبب الخلافات الحادة بينهما . وقد خسرت الولايات المتحدة لأن المعونة كانت فى شكل أغذية يدفع ثمنها بالعملة المحلية وتستخدم فى تغطية البعثة الدبلوماسية ولأن الغذاء شيء حيوى متصل بالاحتياجات الإنسانية الأساسية بدرجة تجعل ربط إمداده بشروط وقيود يثير ردود فعل عنيفة . فقد قال جمال عبدالناصر ردا على هذا التصرف : « إن على الأمريكان أن يأخذوا معونتهم ويشربوا من البحر» وكان حريصا على أن لايكون ثمن المعونة التفريط فى الاستقلال الوطنى ، وعلى حد قوله ، كان يخشى « أن تكسرنا أمريكا بهذه المعونة».

وينتهى «بادو» بقوله: « إن أهداف السياسة الأمريكية بقيت على حالها .. السيطرة على منابع النفط .. مواجهة السوفييت .. دعم إسرائيل .. سحب العرب إلى الغرب وباختصار كانت الأساليب جديدة والمفاهيم قديمة ، وكل ما حدث هو تغليف قرص السم بطبقة من السكر .

ولقد وصلت علاقة «**بادو**» بناصر إلى أن الرئيس ظل يستقبله كلما زار مصر بعد أن ترك عمله بالسفارة ، كما أن «**بادو**» ظل يكتب لناصر لفترة مما يدعو للقول بأن العلاقة بينهما لم تكن مجرد علاقة مهنية وإنما كان فيها الكثير من الود والتقدير الشخصى بينهما.

لكن ماهى إلاشهور قليلة حتى أُغتيل «**كينيدى**».. وجاء «**جونسون**» وهو رجل تسبقه انتماءاته الصهيونية فتدهورت العلاقات بين مصر والولايات المتحدة حتى وصلت إلى أسوأ حالها بعد ذلك باندلاع حرب ٦٧ (*) والتى وجدها جونسون فرصة سانحة لفرض الشروط الإسرائيلية على العرب بالقوة وإنهاء زعامة عبدالناصر إن أمكن ، وهكذا تطابقت فى عهده

(*) اقرأ فصل عدوان ١٩٦٧ بالكتاب الثاني من هذه الشهادة .

فى أعين العرب صورة العدو الإسرائيلى مع صورة الإدارة الأمريكية فاستقال «**جون بادو** من السلك الدبلوماسى وعاد إلى بلاده أستاذاً ورئيساً لمعهد الشرق الأوسط بجامعة كولوميبا يحاضر طلبته عن الشرق الأوسط كما عرفه ، ومن بين أهم ما تضمنته محاضراته الصورة التى رسمها عن قرب لعبدالناصر.

وينهى «**بادو**» كتابه بالحديث عن مهمته فى القاهرة فيقول: «لكننا لم نحقق شيئاً خلال تلك الفترة أكثر من أننا أوجدنا فترة استراحة وسط الحرب التى كانت قائمة ضد مصر وعبدالناصر ، وذلك أننا لم ننجح فى إيجاد أساس لعلاقة هادئة وبناءة ودائمة بين الجانبين» فبعد أن ترك «**بادو**» عمله فى القاهرة على أثر اغتيال «كنيدى» وتولى «**جونسون**» الرئاسة كان «بادو» فى زيارة لوزارة الخارجية فى واشنطن فعرف أن السفير المصرى كان يقابل وزير الخارجية « **دين راسك**» وأن الوزير أنهى المقابلة قائلاً: «إسمع ، نحن لاوقت لدينا كى نلهو بهذا الشئ العربى ، وكانت كلماته التى أوردها «بادو» بالنص فى كتابه كالتالى:

We dont have time to fool around with this Arab thing

وللدكتور «**جون بادو**» مؤلفات أخرى كثيرة منها « **بزوغ مصر الحديثة**» و «**ملتقى القارات**» و « **شرق وغرب السويس**».

المؤرخ البريطانى «**آرنولد توينبى**» فى مقاله الشهير عما جرى فى الشرق الأوسط سنة ١٩٦٧ وقال فيه :

« إن أمة رفضت الهزيمة برفضها الاستسلام لأهداف العدوان وفى مقدمتها الإطاحة بجمال عبدالناصر ، لهى أمة قادرة على دحر العدوان والصمود أمام الغزوات ...»

وكان رفض الشعب المصرى للهزيمة فعلا فوق كل تقديرات عشاق الكمبيوتر ولم تجرؤ إسرائيل فى تلك الأيام على عبور القناة رغم أن الطريق كان مفتوحا نحو القاهرة .

وكان السبب الوحيد لموقف إسرائيل هو تجنب الضياع وسط الزحام .. وزحام الدلتا بكل كثافتها وقدرتها الحضارية والتاريخية والروحية وإمكانيات الصمود والقتال إلى مئات السنين.

- **«آندريـه مالرو» وعبدالناصر**

« ليست المسألة النصر العسكرى أو الهزيمة العسكرية .. المسألة هى إرادة الأمة وتقديرها للبطل حين تجد نفسها فيه .. لقد وجدت أمتكم نفسها فى عبدالناصر بمقدار ما وجدت فرنسا نفسها فى نابليون ، مع اختلاف الظروف .. وهذا هو الذى يبقى .. أما غيره فتكنسه الأيام».

● **الصحفيون البارزون**

كان الصحفيون البارزون يطلبون دعم عبدالناصر أو مساعدته كلما واجهوا أزمة من أى نوع ، وسوف أورد هنا مثالا واحدا تعبيراً عن هذا الوضع، وليس من قبيل المن والأذى الذى قد يلجأ البعض إلى تأويله ..

يتلخص هذا المثال فى رسالة شخصية بعث بها الراحل **محمد التابعى** إلى الرئيس عبدالناصر أنشر نصها دون تعليق أو تعقيب:

● **سيدى الرئيس العزيز**

يأذن لى سيادة الرئيس أن أؤكد له أننى ترددت زهاء شهرين فى كتابة هذا الخطاب لأننى وأنا أعرف كثرة مشاغلكم والأعباء التى تتحملونها كرهت أن أتطفل عليكم وعلى وقتكم الثمين بمسألة شخصية أنا المسئول والملوم عنها أولاً وأخيراً . ولقد أشفقت كذلك من أن يقال إننى أستغل عطفكم علىّ وهو العطف الذى أحسست به دائماً.

ولقد حاولت التماس سبل الخلاص لما أنا فيه فلم أوفق، وانتهيت إلى أنه ليس أمامى إلا أن ألجأ إليكم لعلكم تجدون لى حلا لدى البنوك أو مؤسسة أخبار اليوم.

وأنا يا سيدى الرئيس مدين فى نحو عشرة آلاف جنيه لبنك مصر والبنك العربى وبنك التجارة وبنوك أخرى ، ومنها ألف جنيه لمؤسسة أخبار اليوم وقد سددت منها حتى الآن نحو ٧٠٠ جنيه.

ويجب على أن أعترف بمسئوليتى بل بسوء تصرفى فقد كنت مسرفاً كل الإسراف فى شبابى فلم أقتصد شيئاً ، ولقد كانت إيراداتى تكفينى وكنت أنفقها كلها . ثم كان مالم يكن فى حسابى فتزوجت فى سن متأخرة و ورثت ابنى وابنتى عنى وعن أمهما أمراض الحساسية وعلى رأسها الربو واضطررت نزولا على رأى الأطباء أن أصحب ابنى إلى جبال سويسرا ـ أو لبنان ـ سنوات متوالية للعلاج والاستشفاء ، وكنت فى كل مرة أستدين نفقات الرحلة.

وزوجتى أيضاً أُصيبت بجلطة فى ساقها اليسرى عقب إجراء عملية جراحية لها (الزائدة الدودية). وقد سافرنا مرتين إلى ألمانيا الغربية لعلاج الساق الضعيفة فى حمامات بادن.

ومرضت أنا فى عامى ١٩٥٦ و ١٩٥٧ وأجريت لى عمليات جراحية وأقمت فى المستشفى نحو ثلاثة شهور.

وكان يومئذ أول عهدى بالاستدانة فقد كلفنى مرضى نحو ألفي جنيهاً ومن يومها تراكمت علىّ الديون.

ولما كنت لا أملك شيئاً على الإطلاق فقد رأيت أن أؤمن مستقبل ولدى الإثنين فعملت لهما بوليصتى تأمين قيمتها خمسة عشر ألف جنيه لدى شركة التأمين (المتحدة) وأنا أدفع عن

هاتين البوليصتين أقساطاً سنوية تبلغ قيمتها نحو ٧٥٠ جنيه وهى لمدى الحياة. وتدفع القيمة للولد والبنت عند وفاتى ، ومؤسسة أخبار اليوم تستقطع شهرياً من مرتبى خمسين جنيهاً على الأقل من قيمة دينها على.

أنا ياسيدى الرئيس لا أزعم أن لى حقاً أو حقوقا لدى مؤسسة أخبار اليوم ، ولكننى فقط أرجو أن تكون الاعتبارات الآتية موضع العطف والتقدير:

(أولاً) لقد تنازلت فى عام ١٩٤٦ عن مجلة آخر ساعة بمقتضى عقد « بيع» جاء فيه أننى تناولت مبلغ ألف جنيه وهذا غير صحيح لأننى لم أتناول قرشاً واحداً. وأعتقد أن مصطفى وعلى أمين يعترفان بهذا.

(ثانياً) كان المتفق عليه أن يكون مرتبى خالصا من جميع الضرائب ، ولكن عند الاتفاق جاء خالياً من النص على هذا ، ولما كنت يومئذ مريضاً جداً باحتقان الكبد والمرارة ومصابا بانهيار عصبى بسبب كثرة العمل والإرهاق النفسى فقد سكتُ ولعلى كنتُ أعتقد فى قرارة نفسى أننى لن أعيش طويلاً.

(ثالثاً) قمت بثمانية رحلات صحفية طويلة إلى أقطار مختلفة فى أوروبا وآسيا خلال الستة عشر عاماً التى مضت على اتفاقى مع أخبار اليوم، وأرسلت خلال هذه الرحلات أكثر من مائتى مقال . وكانت جميع هذه الرحلات على نفقتى الخاصة و لم تساهم فيها دار أخبار اليوم بقرش واحد ولا حتى أجرة السفر بالباخرة أو بالقطار ماعدا فى عامى ١٩٥٨ وعام ١٩٦١ فقد تناولت ٥٠٠ جنيه مساهمة من الدار فى نفقات السفر. هذا بينما تكفلت الدار دائماً بنفقات رحلات أى محرر أو محررة وقد بلغ بعضها عدة آلاف من الجنيهات!

وهذا ياسيدى الرئيس ما أعرضه وقد أوجزت فى عرضه.

ولقد كنت أعتقد فى عام ١٩٤٦ أن حياتى لن تطول، ولكن قُدر لى أن أعيش ، وأن أتزوج وأن تتضاعف نفقات وتكاليف الأمراض التى أُبتليت بها أنا وأفراد أسرتى.

ومن هنا كانت ديونى التى كنتُ أؤجلها من عام إلى عام ومن شهر إلى شهر ومعظمها تستحق فى شهر مارس الحالى.

وصدقنى ياسيدى الرئيس أننى أخجل ولكن الدنيا ضاقت فى وجهى فلم أجد أمامى سواكم. وأنا لكم دائما وفى جميع الحالات الشاكر المحب المخلص.

محمد التابعى

١٠ مارس ١٩٦٢

(الأصل بخط يده فى الملحق الوثائقى بهذه الشهادة).

بعد ما اطلع الرئيس جمال عبدالناصر على هذه الرسالة أمرنى بالاتصال بالأستاذ محمد التابعى وإبلاغه بأن كل ما طلبه سيتم تلبيته ، وأن كل الديون ستسدد بمعرفة رئاسة الجمهورية ، وأن باقى الدين الذى يستحق لمؤسسة دار أخبار اليوم سيتم تسويته أيضاً باعتباره دين معدوم . وقد قمت بزيارة الرجل فى منزله حيث أبلغته بقرار الرئيس جمال عبدالناصر وكان فى غاية التأثر ، قلت له : إنك قد خدمت مصر بشرف ومن حقك على بلدك أن توفى جزء من هذا الحق ، ورجوته ألا يتردد فى الاتصال بى فى أى وقت وأن يعتبر مكتبى فى خدمته باستمرار ، وقد أبلغت الرئيس بنتيجة المقابلة ، كما قمت بإبلاغ مؤسسة أخبار اليوم بقرار اعتبار الدين وكأنه معدوم . كما قرر جمال عبدالناصر أيضاً بأن يذاع مقال أسبوعياً لمحمد التابعى فى إذاعة صوت العرب فى آخر ساعة وكان يتقاضى عن كل مرة ٢٥ جنيهاً. كان ذلك مثالاً واحداً من أمثلة عديدة يمكن أبرزها كان مع أحمد بهاء الدين ويوسف إدريس وغيرهم ، وقف عبدالناصر إلى جانبهم من منطلق إنسانى بحت ، وبوصفه مسئول عن كل مواطن تماماً كما كان يحدث فى التعامل مع آلاف الرسائل والشكاوى التى كانت ترد إلى الرئيس جمال عبدالناصر [1].

ولا أستطيع أن أنهى هذه الفقرة دون التعرض لقصة عبدالناصر مع يوسف إدريس ..

ففى مكالمة تليفونية بينى وبين الرئيس قال لى : إنت تعرف يوسف إدريس ؟

فقلت : أعرفه كأديب وكاتب ، ولكنى لم أقابله شخصياً.

فقال : طيب إتصل به وقابله وبلغه على لسانى الرسالة التالية : « أنه حرصا من عبدالناصر على شخص يوسف إدريس الذى يحترمه ويحبه ويقدره ولا يحب أن ينال منه شخص أو اتجاه مريب ، فإن مجلة «حوار» اللبنانية لايليق بأن تكون بها صفحات عليها توقيع هذا الإنسان النظيف الشريف يوسف إدريس ، وأن جمال عبدالناصر على أتم استعداد لأن يقف بجانبه مهما كانت الظروف».

طلبت من منير حافظ ـ باعتباره كان على إتصال بيوسف إدريس وقت أن كان منير رقيبا فى روز اليوسف قبل أن يعمل مساعداً لسكرتير الرئيس للمعلومات ـ أن يدعوه لمقابلتى.

وفعلا حضر يوسف إدريس فى اليوم التالى إلى مكتبى وتقابلنا حيث أبلغته رسالة الرئيس عبدالناصر ، والتى كان لها صدى وتأثيرٌ كبير على الرجل ، ولكن يوسف إدريس استفسر منى عن السبب فى رغبة الرئيس فى عدم الكتابة فى هذه المجلة بالذات . فقلت له : إن هذه المجلة لها ارتباطات وثيقة بالمخابرات المركزية الأمريكية CIA وللحقيقة فإن يوسف إدريس لم يكن يعلم فعلا بهذه الصلة المريبة بين المجلة والمخابرات المركزية الأمريكية ، الشئ الذى

---

(١) هذه الرسائل والشكاوى محفوظة فى أرشيف سكرتارية الرئيس للمعلومات بمنشية البكرى التى نُقلت فى عام ١٩٧١ إلى قصر عابدين .

كنا نحن متأكدين منه . وكانت هذه هى المرة الأولى والأخيرة التى كتب فيها يوسف إدريس مقالاً لمجلة « حوار » ، بل إنه أعلن رفضه للجائزة التى خصصتها المجلة له بعد أن علم بتوجهاتها المشبوهة وقد قرر عبدالناصر أن تمنحه مصر قيمة هذه الجائزة ، وقد سلمتها له فعلاً.

● **الفنـون .. الثقافـة ..**

فى فترة الصبا كتب جمال عبدالناصر روايته الوحيدة «فى سبيل الحرية» ، ولم تتم الرواية للأسف .ولقد أُقيمت فيها بعد مسابقة لإتمامها لكن هذه الرواية (*) تدل على الحس الفنى العميق لدى جمال عبدالناصر . ولم يكن مشروع الرواية فقط هو الذى ينبئ عن هذا الحس المبكر ، كانت هناك قراءاته التى لم تتوقف عند السياسة والاستراتيجية والتاريخ بل تجاوزتها إلى الأدب . وربما كانت رواية « عودة الروح» لتوفيق الحكيم من أكثر الكتب تأثيراً فى وجدان جمال عبدالناصر.

وقبل وبعد الثورة عرف عن جمال عبدالناصر اهتمامه بالثقافة والفن ، ولم يذكر فى عهده أنه كانت هناك أولوية تسبقهما رغم تسابق الأولويات آنئذ.

وكان الناس يعرفون ولع جمال عبدالناصر بمشاهدة الأفلام السينمائية ، ولو أنه تمت دراسة عن الأفلام التى شاهدها الرئيس عبدالناصر أوكرر مشاهدتها لخرجنا بنتائج هامة.

ولكننى لاحظت إعجابه الشديد بالممثل الكبير «جيمس ستيوارت» وشاهد فيلمه «It Is A Wonderfull Life» أكثر من مرة ، وكان يرى أن الأفلام التى يقوم ببطولتها تجسد القيم الإنسانية والمثل العليا والروابط العائلية.

وأذكر أنه أبدى إعجابه الأكبر بفيلم يحيا زاباتا «Viva Zapatta» للمخرج إيليا كازان وبطولة مارلون براندو وأنتونى كوين وذلك لأنه كان يصور تحرير الفلاحين من عبودية الإقطاع ، وكان يحب مشاهدة أفلام بيتر سيلرز ولويس دى فينيس..

وحب عبدالناصر للغناء معروف ، وعلاقته حتى على المستوى الشخصى بأم كلثوم ومحمد عبدالوهاب وعبدالحليم وغيرهم معروفة..

(*) كان المجلس الأعلى للفنون والآداب قد أعلن عن مسابقة لتكملة هذه القصة عام ١٩٥٨ ، اشترك فيها ٣٧٠ عربياً من الجمهورية العربية المتحدة والعراق ويوجوسلافيا ، وقدمت ٨٠ تكملة ، وشكلت لجنة من ١٠ أدباء ونقاد لاختيار القصة الفائزة .

والذى لايعرفه الكثيرون ولع الرئيس بالمسرح، ولكن الظروف منعته من التردد عليه ، فكان يكتفى بإيفاد أحد من الأسرة أو ممن حوله لمشاهدة المسرحية ويجلس معه ليتحدث إليه فيها ، وقد يكرر هذا مرات كأنه يريد أن يرى المسرحية وهو لم يرها.

ولسنا فى حاجة لأن نكرر ما يقوله الجميع عن الازدهار الثقافى والفنى فى فترة الستينات، وإن كنا نؤكد أن هذه النهضة بدأت منذ الخمسينات.

فى هذه الفترة بلغ المسرح أوجه بكتابات نعمان عاشور ويوسف إدريس وسعد الدين وهبة ـ الذى كان أحد ضباط الشرطة الأكفاء الذين ساندوا ثورة يوليو منذ بداياتها الأولى ـ وتوفيق الحكيم وعبدالرحمن الشرقاوى وغيرهم . وكانت كثير من المسرحيات تنتقد النظام: الفتى مهران والسلطان الحائر ، وسكة السلامة ، وغيرها.

أيضاً السينما بلغت مستوى راقياً ، خاصة بإنشاء معهد السينما . ولقد تحول كثير من الإنتاج السينمائى إلى القطاع العام.

وأشير هنا إلى فيلم «**ميرامار**» الذى تهكم على «الاتحاد الاشتراكى العربى»، و «**شئ من الخوف**» الذى طعن فى شرعية الثورة ، و «**المتمردين**» الذى دعا إلى ثورة أخرى ، وأيضاً أفلام « **القضية ٦٨** » و « **الناس اللى جوة**»و « **الاختيار** » وغيرها.

باختصار شديد كانت الفترة ثرية بالإنجازات الثقافية والفنية ، فلقد كانت الثورة تعرف أن الصراع السياسى والبناء الاقتصادى لابد لهما من روح قوية ، وهذه الروح لايمكن بناؤها إلا بالفن والثقافة.

إن عبدالناصر هو الذى فكر واقترح وقرر الإنجازات التالية على وجه التحديد :

- إذاعة القرآن الكريم ، وأن يقتصر دورها على إذاعة آيات الذكر الحكيم فقط
- إذاعة أم كلثوم .
- إنشاء معهد الباليه والكونسرفاتوار (الملحق الوثائقى).
- إذاعة صوت العرب.
- إذاعة البرنامج الثانى ليذيع روائع الفن العالمى من أعمال موسيقية وأدبية الخ.
- إذاعة الشرق الأوسط بطابعها الخفيف السريع.
- بدء الإرسال التلفزيونى فى مصر فى بداية الستينات رغم الصعوبات الفنية والسياسية التى أبديت فى ذلك الحين للحيلولة دون تنفيذ هذا القرار.
- إنشاء وكالة أنباء الشرق الأوسط.

- إصدار كتاب كل أربعة وعشرين ساعة ثم كل ست ساعات على أن يكون سعره قروش قليلة وفى متناول أى شخص.
- إنشاء مصلحة الاستعلامات.
- إصدار قانون تطوير الأزهر الشريف - (١٠٣ لسنة ١٩٦١) - ليصبح الدعاة متخصصين فى مختلف مناحى الحياة اليومية كأطباء ومهندسين ومحاسبين .. الخ .
- قرار انتساب البنات لكليات الأزهر الشريف وذلك حتى يتسنى تخريج الأم المسلمة الصالحة أم الأجيال التى ستتولى مقاليد الأمور فى مصر مستقبلاً.
- كان كثير الاهتمام والمتابعة لكل إنتاج وعروض فرقة رضا وفرقة الفنون الشعبية والمسرح القومى وهى المؤسسات التى قام بتشجيعها ودعمها بكل الإمكانيات عن طريق وزارة الثقافة وأجهزتها.

وكان يحلم بعد قيام معاهد الكونسرفاتوار والباليه أن ترقى فنون الغناء بكافة أنواعه وأشكاله خاصة الكلاسيكية منها باعتبارها المدخل الصحيح للذوق الرفيع والتذوق الراقى لباقى أنواع الفنون الأخرى ، وإن كان هذا لم يمنعه بشكل خاص من اعتبار أم كلثوم ثروة قومية ليس لها مثيل فى التاريخ الحديث على مستوى العالم العربى ، كما كان معجباً أيضاً بمحمد عبدالوهاب وكان أحد أحلامه الذى تحقق مؤخراً فى ١٩٦٤ أن يجتمع هذين القطبين فى عمل مشترك يجسد الأصالة والعظمة للفن المصرى والعربى ..

وكانت البداية فى « **إنت عمرى**» . وقد كان لها قصة أخذت من الوقت والجهد والإصرار من جانب عبدالناصر ، كما شرفت أن أشارك فيها بنفسى معه حتى يتحقق هذا الحلم . وفى الحقيقة فإننى قد فاتحت محمد عبدالوهاب سنة ١٩٦٣ بناء على مكالمة بينه وبين عبدالناصر الذى قال لى « اعرض على عبدالوهاب أن يلتقى مع أم كلثوم فى عمل مشترك» ، ثم فى نفس الوقت نَبَهنى ألا أضغط عليه لأن مثل هذه الأمور لا تولد بالرغبات أو بالتعليمات ولكن تنبع من ذاتها بقناعتها الشخصية وأذكر أننى عندما فاتحت عبدالوهاب فى هذه الفكرة أن قال لى : « هذه الفكرة قد تنجح وقد تفشل .. وأنا أحلم بها فعلاً ، وفى نفس الوقت آمل أن يجئ هذا اليوم الذى التقى فيه مع ثومة».

ولما نقلت رأى عبدالوهاب للرئيس ، قام بمفاتحته هو والسيدة أم كلثوم فى عيد العلّم سنة ١٩٦٣ وقال لهما « إمتى حانسمع لك لحن تغنّيه الست ؟» وكان رد عبدالوهاب «**حاضر ياسيادة الريس**» . كما كان رد أم كلثوم « يا ريس أنا مستعدة وجاهزة أغنى أى لحن لمحمد» . وكانت «إنت عمرى» ، والتى تبعها بعد ذلك لمدة عشر سنوات روائع أخرى ساهم فيها هذان العملاقان.

ولقد كان تعليق عبد الناصر على لقاء العملاقين : لقد استطاع فن محمد عبدالوهاب وفن أم كلثوم أن يجمع العرب من المحيط إلى الخليج ..

كانت علاقة أم كلثوم بعبدالناصر منذ قيام الثورة علاقة قوية، وكانت تتردد على منشية البكرى فى أى وقت وفى كثير من الأحيان بلامواعيد تلتقى بالعائلة أو بأى أحد منا ، تتصل تليفونياً لتعرض رأياً أو فكرة أو مشكلة أو نقد قد يعن لها أن ينُقل للرئيس بلا حساسيات.

ولعل الكثيرون لايعلمون أن أم كلثوم قد أدت أغنية يوم ١٠ يونيو ١٩٦٧ بعنوان «إبقى» وسمّاها البعض « حبيب الشعب» وهى من تأليف صالح جودت وتلحين رياض السنباطى ـ ولدى شريط خاص لتسجيل هذه الأغنية تم فى صالون منزل أم كلثوم فى هذه الليلة . كما أنى أحتفظ بشريط آخر لأم كلثوم يسجل لها أغنية «رسالة إلى الزعيم»، تم تسجيلها بعد رحيل عبدالناصر وهى من تأليف نزار قبانى ومن تلحين رياض السنباطى.

وبالمناسبة فإن أم كلثوم قد قدمت أغنية « باسم مين خارجين». وذلك فى أوائل شهر أكتوبر سنة ١٩٦١ وبالذات يومى ٣ و ٤ أكتوبر ، عقب الحركة الإنفصالية بين مصر وسوريا والتى كان من كلماتها : « باسم مين خارجين ع الشعب قمتم باسم مين؟... باسم إسرائيل والاستعمار ؟.. ولا باسم المأجورين ... ولا باسم الشعب والشعب منكم برىء.. ده مستحيل تفريق قلوب المولى جمعها فى طريق...

مساء أحد الأيـام من العام ١٩٦١ بلا موعد مسبق أبلغنى محمد السعيد ـ سكرتيرى الخاص ـ أن الست وصلت وأنها تجلس فى الصالون الملحق بمكتبى ، فقمت وتوجهت إلى الصالون لأجد السيدة أم كلثوم تجلس وبيدها مروحة كانت الابتسامة الهادئة على وجه الست عندما جلست إلى جوارها وبادرتنى قائلة : أنا آسفة يا أستاذ سامى إنى جيت بدون موعد ولكنك إنت اللى قلت لى من قبل إن مافيش مواعيد بينى وبينك وإنى أقدر أقابلك؟

فقلت لها : يا ست وأنا مازلت عند كلامى وأنا تحت أمرك..

فقالت : ياسيدى محمد الدسوقى (ابن شقيقة السيدة أم كلثوم) عايز منك خدمة ، وإنت طبعاً عارف وضعه فى الشركة . فقلت محمد حسب علمى ماشى كويس ومافيش أى شكوى منه خالص.

فقالت : ماهو علشان هو ماشى كويس أنا باترجاك إنك تتكلم مع الوزير بتاعه ليرقيه . فقمت ورفعت سماعة التليفون وطلبت الدكتور عبدالعزيز حجازى ـ وزير الخزانة فى ذلك الوقت ـ واستفسرت منه فى حضور الست عن وضع محمد الدسوقى ، فقال لى : إنه من

العناصر الشابة الواعدة ، فلما استفسرت منه عن إمكانية ترقيته ، قال لى : إنه من جانبه لا اعتراض على الترقية بل إنه يؤيد ترقيته . ولكن المشكلة أنه ليس هناك بند فى الميزانية يسمح بتنفيذها ، فشكرته وأنهيت المكالمة.

إندهشت الست لإنهائى المكالمة دون الوصول إلى قرار أو مجادلة بينى وبين الدكتور حجازى ، فقلت لها : إن حل مشكلة محمد الدسوقى ليس فى قدرة الوزير ولكن تحتاج لقرار من الرئيس لكى يتجاوز الوزير أحد بنود الميزانية لتتم ترقية محمد وقلت للست إنى سأعرض الأمر على الرئيس وسأبلغها بما ينتهي إليه قراره . وفى تلك اللحظة أنارت اللمبة الحمراء بما يفيد أن الرئيس على الجانب من الخط التليفونى المباشر بينه وبينى فقلت : أفندم..

قال الرئيس : فيه عندك حد يا سامى ؟ فقلت أيــوه يا فندم عندى الست ! فطلب التحدث معها ، وبعد الاطمئنان على صحتها وأحوالها أبلغته بالموضوع فقال لها الرئيس : طيب إدينى سامى .. وأمرنى الرئيس بالاتفاق مع حجازى على تسوية موضوع ترقية محمد الدسوقى. وقمت من فورى وأمام أم كلثوم بالاتصال به ، وأبلغته بأمر الرئيس وتمت ترقية محمد الدسوقى.

وبعد نكسة ١٩٦٧ وعندما قررت السيدة أم كلثوم المساهمة بدور إيجابى لدعم المجهود الحربى والقيام بزيارات للخارج لإقامة حفلات يكون دخلها أحد أركان المساهمة فى هذا المجهود : **قرر الرئيس جمال عبدالناصر أن تُمنح السيدة أم كلثوم جواز سفر دبلوماسى ، وكانت سابقة لم تحدث من قبل فى تاريخ مصر ، ولم تتكرر حسب علمى .**

وقد قمت بإبلاغ هذا القرار للسيد محمود رياض الذى كلف مدير إدارة المراسم بوزارة الخارجية بالتوجه إلى منزل السيدة أم كلثوم لتسليمها جواز السفر . وعندما اتصلت فى نفس الوقت بالسيدة أم كلثوم لإبلاغها بهذا القرار ، إحتبس صوتها تأثراً وهى تشكرنى إزاء هذه اللفتة الكريمة من الرئيس عبدالناصر.

أما عبدالوهاب فإن علاقته بعبدالناصر بدأت مع قيام الثورة وقد قام بعد لقائه الأول معه أن غنّى: « كانت الدنيا ظلاما ما قبله ـ وهو يهدى بخطاه الحائرينا». للشاعر محمود حسن إسماعيل . ولعلنا كلنا نذكر مقولة محمد عبدالوهاب فى عيد الثورة سنة ١٩٥٤ :

« غنيت فى حفل عام بعد انقطاع طويل عن الغناء فى الحفلات ، لكن بعد ذلك قويت العلاقة كثيراً بينى وبين جمال عبدالناصر وأحبنى كثيراً جدا وأحببته كثيراً جداً». وقد ترجم عبدالوهاب حبه لوطنه وإيمانه بعروبته فى الكثير من الأغانى والأناشيد التى

لاتحصى ، ويكفى أن أقول أنه فى سنة ١٩٦٧ تصادف أن كان عبدالوهاب فى بيروت وحالت ظروف الحرب دون أن يعود إلى القاهرة ، إلا أنه أبى إلا أن يدلى بصوته فيما حدث حيث قام مع الإخوان رحبانى بتلحين وتوزيع:

«طول ما أملى وفى إيديا سلاحى ...

وفى أحد أيام صيف سنة ١٩٦٣ إتصل بى تليفونياً الفنان محمد عبدالوهاب طالباً لقائى ، ولما عرضت عليه أن أتوجه أنا إليه للقائه فى منزله أصر هو على أن يحضر بنفسه إلى فى مكتبى.

وبرقة متناهية وحسسية مرهفة تحدث فى حيرة وقلق وبصوت خفيض عن مسألة تعرض لها قبل ثلاثة شهور ، ولايعرف كيف يقوم بحلها لحساسيتها وعدم رغبته فى خلق مشاكل يرى أنه هو ونحن فى غنى عنها.

ولما استوضحته الأمر قال: « كل ما أريده الآن هو أن يكون الرئيس جمال عبدالناصر على علم فقط بما حدث ، فلما ألححت عليه فى معرفة تفاصيل مايقلقه حكى القصة وتتلخص فى أن أحد المسئولين ـ سمّاه ـ زاره دون موعد سابق وقال له :

« أنا عارف أنه يوجد عندك أشرطة نادرة لم تذع من قبل وتحوى أغان ودندنة خاصة بك لمقطوعات قديمة ومشاريع ألحان لم تر النور بعد .. فهل يمكننى أن اسمعها؟»».

قال له عبدالوهاب : « بالطبع وبكل سرور .. إتفضل إسمعها.

فقال له زائره : « لا .. أنا عايز آخدها وأسمعها فى بيتى ...

وأسقط فى يد الرجل المهذب الذى أذعن دون مناقشة وأعطاه التسجيلات النادرة. ويستطرد الأستاذ عبدالوهاب قائلاً :

« ودلوقت مرت شهور ثلاثة ولم أسمع من هذا المسئول كلمة ، ولم ترد لى هذه التسجيلات، وكل ما أريده هو أن تكونوا على علم بما حدث فقط.

وعدت الرجل خيراً ، ولم أتردد فى إبلاغ الرئيس جمال عبدالناصر بتفاصيل ما دار فى هذه المقابلة .. وكان رد فعل الرئيس هو الغضب.

إستدعى الرئيس جمال عبدالناصر هذا المسئول واستفسر منه عن هذه الواقعة فلم ينكرها، فطلب منه أن يقوم من فوره ليحضر هذه التسجيلات الآن ، فأحضرها.

سلمنى الرئيس هذه التسجيلات وكلفنى بأن أزور عبدالوهاب لأعيدها إليه ، مع نصيحة من الرئيس بألا يفرط فى مثل هذه الثروة القومية مرة أخرى.

طلبت الأستاذ محمد عبدالوهاب لأحدد موعدا للقائه وأبلغته بأن لدى أنباء سارة ، فما كان منه إلا أن قال لى :

« حط السماعة يا أستاذ سامى وأنا جاى لك حالاً . وحاولت للمرة الثانية ألا يفعل ذلك إلا أنه وضعنى أمام الأمر الواقع قائلاً : « أنا حا أحط السماعة بعد أذنك».

أما عبدالحليم حافظ فقد كان يجسد شباب وأحلام وطموحات ثورة يوليو فى فنه وتعبيره سواء فى أغانيه الوطنية أو العاطفية .. عبدالحليم كان يحضر إلىّ فى مكتبى بدون موعد ، كما كنا كثيراً ما كنا نلتقى فى عيادة الدكتور زكى سويدان سواء باتفاق أو بدونه . وكان عبدالحليم يتصل بى تليفونياً فى بعض الأحيان بعد الثالثة صباحاً ليعرض فكرة أو يقرأ لى كلمات أغنية جديدة بلا حساسيات ، وكان يعتبر نفسه أحد أفراد «كتيبة منشية البكرى» كما كان يحب أن يصفنا .. وفى الصيف وبالذات خلال شهر أغسطس من كل عام يمر على فى منزلى بالإسكندرية حيث كنت أؤجر شقة فى عمارة الألفى بسيدى بشر ، وكان يقيم فى نفس العمارة الفنان الصديق كمال الطويل . عبدالحليم كان إنساناً رقيقاً فى كل شئ .. فى كلامه وتعليقاته .. وفى ملبسه وفى غنائه .. وحتى عندما كان يتوسط لأى شخص فى مطلب أو لحل مشكلة ما فقد كان رقيقاً . وأذكر بهذه المناسبة أنه كان قد توسط لدىّ لكى أقابل مفيد فوزى عندما أوقف عن العمل الصحفى، وقابلته فعلاً وعندما عرضت على الرئيس نتيجة المقابلة أمر بأن يلغى قرار الإيقاف ليعود إلى عمله الصحفى ، وقمت بتبليغ قرار الرئيس لعبدالقادر حاتم ، وتصادف أن كان محمد حسنين هيكل موجوداً فى مكتبى فى ذلك اليوم وعرف بالقرار فقام من جانبه وسارع بإبلاغ مفيد فوزى به.

رسالة من عبدالناصر للمرشحين للوزارة

كلفنى جمال عبدالناصر أن أبلغ كل من يدخل مكتبه أو بيته كمرشح لمفاتحته فى أى تشكيل وزارى أو عند حلف اليمين فى تشكيل الوزارة . ألا ينحنى بل يظل واقفاً منصباً **فالانحناء لله وحده**.. وأول مرة مارست فيها إبلاغ هذه الرسالة كانت سنة ١٩٥٦ مع كل من السادة سيد مرعى وعزيز صدقى وكمال رمزى استينو ثم استمرت بعد ذلك وأصبحت قاعدة تنفذ تلقائياً.

.. عبدالناصر كان بطلاً تاريخياً بلاشك وفى أعلى مقام ، ولكنه كان فى طليعة موكب مجيد حافل من أبطال القرن منهم غاندى ونهرو وسوكارنو وماوتسى تونج وشواين لاى وهوشى منة وديجول وسيكتورى ونكروما ..

وكان الزهد والتواضع أول فضائله.

وأعدى أعداء عبدالناصر لايستطيعون إنكار مقوماته الشخصية كزعيم قوي ومؤثر لم يكن يستطيع أحد أن يقوم بهذه الثورة إلا هو حيث جنود الاحتلال يقبعون على بعد مائة كيلومتر ويستطيعون التدخل بعد ساعات قليلة ، وحيث الفساد تم تكريسه ويسد المنافذ ويستطيع أن يفشل أى حركة مناهضة ، ولكن شجاعة عبدالناصر أصابت القوى المعادية بالصدمة والشلل التام مما أتاح للثورة أن تنجح . وفى هذا يختلف عبدالناصر عن الزعامات التى سبقته ولم توفق فى إحداث تغيير حقيقى.

لم يمت عبدالناصر برصاصة من الداخل لأن الحب الجارف للشعب كان أقوى سياج، وحتى الذين عاداهم لمواقفهم المناوئة من الثورة يعانون صراع الحب والكراهية فى آن واحد حيال عبدالناصر وكانوا يخفون فى داخلهم مشاعر الرهبة الممزوجة بالإعجاب لأنهم كانوا على يقين من إخلاص عبدالناصر وشدته فى الحق.

وكما يقول العالم النفسى الكبير الاستاذ الدكتور عادل صادق فإنه فى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ومع توقف دقات قلب عبدالناصر دقت أجراس فى أنحاء متفرقة من العالم بعضها تحية لرحيل زعيم عظيم وبعضها إعلاناً عن الفرحة العارمة والشماتة وربما فى هذه الليلة بالذات نام الإسرائيليون لأول مرة بعمق شديد.

إن فلسفة عبدالناصر فى نضاله ضد إسرائيل تفرض نفسها على الشارع الفلسطينى مفاهيم و روحا وشجاعة، ولايستطيع أى إنسان فى العالم إلا أن ينحنى أمام هذه الشجاعة الأسطورية لطفل يمسك بحجر أمام جندى مدجج بالسلاح لتحقيق استراتيجية عبدالناصر فى أن الانتصار على إسرائيل أو حتى تحجيمها لايتحدد من خلال معركة وإنما بتصدير شئ واحد لها وهو أنها إذا لم تعط الفلسطينيين حقوقهم بالكامل فإن أى إسرائيلى لن يستطيع أن ينعم بنوم حقيقى ، وأن الكراهية تحيط بها من كل جانب، ويكفى محاصرتها بالحجارة حتى تستسلم أو ترحل.

* * *

الفصل الثالـث

مـع عبـد الناصــــــر

كانت العلاقة بين البكباشى جمال عبد الناصر غير سرية فقد أعطانى رقم تليفونه الخاص، وكان يصدر إلىّ تكليفاته بصفة يومية ، مما رسّب بعض الحساسيات لدى بعض الزملاء ممن كانوا يشاركوننى نفس المكتب أو من بعض الضباط الأحرار الذين كانوا يترددون على القسم الخاص وكان لهم دور فى تأمين الثورة.

سامى شرف



جمال عبد الناصر وأنا

اللقاء الأول

● البدايـــة

(قضيت مع ناصر ١٨ عاماً أي نحو ٦٤٨٠ يوماً وما يقارب ١٥٥٥٢٠ ساعة)

كان اللقاء الأول مع جمال عبد الناصر في أواخر سنة ١٩٥١ عندما التحقت بدورة عقدت في مدرسة الشؤون الإدارية تمهيدا لرتبة اليوزباشي (النقيب)، وكان هو يقوم بتدريس مادة التحركات والمخابرات في هذه الدورة، التي ألغيت بعد أسابيع ثلاثة بسبب حريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢، وإعلان حالة الطوارئ في الجيش؛ ضمن قرار بإلغاء كل فرق الدراسة والتدريب بالجيش. ولكن رغم ذلك فقد أتاحت لي هذه الدورة التدريبية فرصة لقاء مباشر مع الرئيس جمال عبد الناصر الذي طلب أن أمر عليه في مكتبه، وعندما ذهبت إليه استقبلني بود، ودار حديث حول أدائي في الدورة، وأعجب بالنوتة الخاصة بي، كما قال لي على وجه التحديد: "إذا استمررت بهذا الأسلوب فسيكون لك مستقبل يبشر بالخير وأنا متنبئ لك بمستقبل كويس".

أقول إن هذا كان أول لقاء مع شخص الرئيس جمال عبد الناصر، ولكن لقائي مع مبادئه ورسالته سبق هذا التاريخ بحوالي عام تقريبا عندما أوفد لي الصاغ كمال الدين حسين من سلاح المدفعية عددا من أصدقائي الضباط هم أحمد كامل ومحمد المصري ومبارك الرفاعي واحمد شهيب، وطلب أن أزودهم بكميات من الوقود والذخيرة الفائضة وورق كتابة لا يتشرب.. كنت وقتها أركان حرب وحدة مدفعية ضمن اللواء الأول المضاد للطائرات بمنطقة ألماظة بطريق القاهرة/ السويس، وكانت لي معرفة سابقة بالضباط الثلاثة؛ الأول منذ أن خدمنا معا في مدرسة المدفعية، وكانوا يحضرون لزيارتي أثناء نوبتجيتي لأن الوحدتين متجاورتان، أما الأخ أحمد شهيب فقد كانت تربطنا ببعض علاقات عائلية واجتماعية قديمة من أوائل الأربعينات، ورغم أنه لم يكن لي معرفة سابقة بالصاغ كمال الدين حسين إلا أنه اشتهر بيننا بأنه ضابط مدفعية كفء، يتميز بالضبط والربط والشدة والجدية، كما عرف عنه تعاطفه الشديد مع الفدائيين سواء في فلسطين أو في منطقة القناة.

ولما كان حضورهم وطلبهم هذا يبدو خارج أية قواعد معمول بها داخل الجيش وفي سلاح المدفعية بالذات، فقد رفضت في بادئ الأمر تلبية طلباتهم نتيجة امتناعهم عن بيان أسباب طلبهم هذا، لكن جاءني محمد المصري الذي تربطني به صداقة قديمة منذ أن كنا طلبة في مدرسة المنصورة الثانوية في الأربعينات، وكان واضحا أنه أبلغ كمال الدين حسين بموقفي .. جاء ليبلغني أن هذه الأشياء مطلوبة لمساعدة الفدائيين في منطقة القناة ضد المحتل البريطاني.

بناء على ذلك، ولثقتي الكاملة في محمد المصري وافقت على تزويدهم بكل ما طلبوه بل وأكثر، خصوصا وأن حضورهم قد تزامن مع تنفيذ مشروعات التدريب السنوية على ضرب النار، والتي يجري خلالها استهلاك كميات كبيرة من الذخيرة؛ مما يسهل تغطية العملية بتوفير كميات من الذخيرة على أنها استخدمت في المشروعات.

وبعد فترة قصيرة أبلغني محمد المصري أن الصاغ كمال الدين حسين يرغب في رؤيتي؛ وبالفعل توجهنا لمنزله حيث أعرب لي عن امتنانه لما قدمته، وعلي أن انتظر طلب المزيد، وحياني على ما قمت به .. كان ذلك في أواخر ١٩٥١ .. وواصلت بعد ذلك إمدادهم بما يطلبون.

منذ لقائي مع كل من الصاغ كمال الدين حسين ثم مع البكباشي جمال عبد الناصر لم يفاتحني أحد في الالتحاق أو الانضمام لأي نشاط تنظيمي أو خلايا ثورية رغم أن صيتها كان متداولا في أوساط الجيش، وكنا نقرأ منشورات الضباط الأحرار كلما صدرت، ولكن في ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحوالي منتصف الليل تقريبا فوجئت باليوزباشي محمد المصري على باب بيتي في مصر الجديدة، وطلب مني على استعجال أن أرتدي ملابسي العسكرية وأصحبه دون أن يبدي أي أسباب، لكني استجبت هذه المرة دون تردد، ونزلت معه حيث وجدت ثلاثة من زملائنا.

وخلال توجهنا إلى طريق مصر/ السويس الصحراوي، وقبل أن نصل إلى منطقة ألماظة أبلغني محمد المصري أن الثورة قد قامت، وعليك أن تعتبر نفسك منذ هذه اللحظة مسئولا عن الآلاى الأول الذي تنتمي إليه باعتبارك أركان حربه، وسوف تستلم في الصباح كشفا بأسماء عدد من الضباط لتقوم إما بتحديد إقامتهم في ميس الضباط أو تأمرهم بالعودة إلى منازلهم.

وبالفعل قمت بتنفيذ عدد من التكليفات لتأمين الثورة وفي حدود ما رسم لي من القيادة المباشرة، وكان اتصالي منتظما مع البكباشي محمد فوزي قائد اللواء الأول المضاد للطائرات

بالنيابة (الفريق أول محمد فوزي فيما بعد)، الذي كان يبلغني بهذه التكليفات، ويعاونني في تذليل ما قد يواجهني من صعوبات أو ينبهني للحذر من أوضاع أو أشخاص معينين.

في يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ كان قد صدر أمر بنقلي إلى مدرسة المدفعية كمدرس للرادار المضاد للطائرات، وكانت مادة حديثة على الجيش المصري إلا أنه وردت إشارة عاجلة في اليوم نفسه بضرورة تقديم نفسي إلى إدارة المخابرات الحربية فورا، حيث كُلفت بالتوجه إلى مبنى مصلحة التليفونات والتلغراف في شارع الملكة نازلي (رمسيس الآن) للإشراف ومراقبة البرقيات الصادرة والواردة من و إلى المراسلين الأجانب في مصر، باعتبار أنني أجيد الانجليزية والفرنسية.

بعد يومين استدعيت لمكتب البكباشي زكريا محيي الدين مدير المخابرات الحربية في ذلك الوقت، حيث أبلغني باختياري عضوا في هيئة جديدة تم تشكيلها باسم «**هيئة مراقبة الأداة الحكومية**»، وهي هيئة تابعة لرئيس مجلس قيادة الثورة، وكانت المجموعة التي شاركت في تكوين هذه الهيئة مكونة من عشرين ضابطا من الضباط الأحرار منهم على سبيل المثال كل من الصاغ محمد فهمي حمد رئيس الهيئة (السفير فيما بعد)، واليوزباشية: فتح الله رفعت محسن عبد الخالق، عبد المجيد شديد محمد زغلول، كامل نبيه المسيري، صلاح زعزوع، محمود عطية، مختار عمر، أحمد محمود، مصطفى حمزة، سعد الجمال، عبد المحسن فائق - (قبل توليه منصب ضابط الاتصال بمصلحة الجوازات، وقبل تجنيده لرفعت الجمال "**رأفت الهجان**") - رؤوف فهمي، محسن حمد الصاغ، مهندس محمد يحيى إسماعيل.. وآخرين.

وكانت هذه الهيئة **بمثابة هيئة الرقابة الإدارية** الآن، وكان الإشراف الفعلي عليها للبكباشي جمال عبد الناصر، والبكباشي زكريا محيي الدين، وبعد أيام قليلة استدعاني الأخير وطلب مني التوجه إلى مبنى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة لمقابلة البكباشي جمال عبد الناصر، وعند لقائه بادرني قائلا: "ازيك يا أستاذ؟ أنت حاتشتغل في المخابرات ومش فيها.. أيه رأيك؟"،

فلما استفسرت عن المقصود من هذه العبارة؟

قال: "وحدتك مع زكريا في المخابرات وهيئة الرقابة، أما تكليفاتك حاتكون مني مباشرة وتقاريرك تعرض عليّ أنا بس، إلا إذا طلبت منك إنك تقول لزكريا.. وأنا متفاهم معه على كده واضح؟ .. ودلوقت عليك ببحث موضوعين، **الأول خاص بالسكة الحديد، والثاني خاص بالأرشيف الخاص بمصطفى أمين في "أخبار اليوم"**.. واستطرد قائلا:

"أما **موضوع السكة الحديد** فهو باختصار يتعلق بالدراسات الخاصة بالوسائل الجديدة لتشغيل القطارات بالديزل بدلا من الفحم، فهناك اختلافات كبيرة بين وزير المواصلات

محمود أبو زيد الذي يقول إن المشروع سيكلف الدولة حوالي سبعين ألف جنيه -كان بمقاييس وقتها مبلغا كبيرا- والفنيين في السكة الحديد، كما أن هناك أساتذة في الجامعات وخبراء السكة الحديد الذين لهم آراء مختلفة حول هذه القضية، والمطلوب عمل حصر وبحث لكل موضوع واستطلاع آراء الفنيين، كما يمكنك طبعا أن تستعين بأي عناصر سواء من المرفق أو من خارجه للوصول إلى نتائج تساعدنا على **اتخاذ القرار السليم**" .. وأضاف: "يمكنك أن تستعين من السكة الجديد **بالمهندس ذو الهمة الشرقاوي، والمهندس حامد معيط** ومن يرشحونه لك، وبهذه المناسبة فقد كانا من ضمن **تنظيم الضباط الأحرار "القطاع المدني"**، والذي كان يضم على وجه التحديد كلاً من **صلاح الدسوقي (ضابط الشرطة والسفير فيما بعد)، وشوقي عزيز وحسن النشار، ومحمد مراد غالب، وأحمد فؤاد**، وأضاف جمال عبد الناصر: "يمكن أن تتصل أيضا بدكتور مهندس شاب في كلية الهندسة في جامعة القاهرة عائد قريبا من أمريكا اسمه **مصطفى خليل**، عامل دراسة يمكنك الاطلاع عليها أو الاجتماع معه للاستفادة منه ومن آرائه.

وقد انتهت الدراسة المستفيضة التي قمت بها، وبمعاونة الزميل الصاغ المهندس يحيي إسماعيل، وكيل وزارة المواصلات فيما بعد، وبعد الإلتقاء بكافة الأطراف إلى التوصية بالتغيير واستخدام وقود الديزل، باعتباره أكثر وفرة للدولة من ناحية التكلفة، كما سيحقق نتائج ايجابية على المدى البعيد، وحتى لو ظهرت بعض السلبيات فإنه يمكن تجاوزها.

والموضوع الثاني، أن هناك كلاما أن مصطفى أمين عامل أرشيف سري خاص به وحده خارج الإطار التنظيمي للجريدة، وهناك معلومات بأنه يستخدم محررين بعينهم للحصول على أخبار ومعلومات، والقيام بمهام خاصة ليست للنشر عن مواضيع وأشخاص، وأنهم كانوا يتلقون منه مرتبات شخصية، والمطلوب منك تأكيد أو نفي هذا الموضوع، وإذا كان صحيحا فأين هو هذا الأرشيف؟ وماذا يحوي؟ حا تقدر تعمل حاجة في التكليفين دول؟".

قلت: "ربنا يقدّرني يا أفندم".

ولم يفته أن يذكرني بلقائنا الأول وحديثه عن النوتة وعن أدائي في مدرسة الشؤون الإدارية، ودون الدخول في تفاصيل هذه الموضوعات أود فقط أن أشير إلى أن موضوع السكة الحديد كان سببا في تعرف قيادة الثورة على الدكتور المهندس مصطفى خليل الذي لعب دورا مهما في خطط التنمية التي وضعتها الثورة، وتدرج في المسؤوليات حتى تولى رئاسة الوزراء فيما بعد.

ومن المفارقات الغريبة أن رئيس الجمهورية يستطيع أن يعين أي شخص نائبا لرئيس الجمهورية أو رئيسا للوزراء أو وزيرا لكنه لا يستطيع أن يعين أستاذا مساعدا أو مدرسا رئيسا للجامعة الذي يحتم القانون أن يكون أستاذ كرسي، وهذا ما حدث مع الدكتور مصطفى خليل عندما ترك الوزارة لفترة وأراد الرئيس أن يعينه رئيسا لجامعة القاهرة، إلا أن القانون وقف أمام هذه الرغبة ولم يعين في هذا المنصب.

وبدأت فورا أداء المهمة بتحديد مكان ومحتويات الأرشيف الخاص بمصطفى أمين في مبنى "أخبار اليوم"، وذلك بعملية اختراق لأشخاص قريبين منه، بعدما أقمت صلة شخصية معه ومعهم، وقد اتضح أن مصطفى أمين كان يستخدم في هذه المهمات الخاصة كلا من موسى صبري، وسامي جوهر، ومفيد فوزي، وإبراهيم سعدة، ومريم روبين، ووجدي قنديل، ولطفي حسونة ... وآخرين.

وكان ثمة تكليف ثالث أعتبره من الانجازات التي حققتها هذه الإدارة الوليدة في باكورة حياتها، ولم يكن هذا التكليف صادرا من جمال عبد الناصر أو حتى من زكريا محيي الدين؛ ففي أحد الاجتماعات التخطيطية العليا التي يعقدها كبار الضباط وهم في الغالب رئيس إدارة المخابرات ونوابه طرح موضوع الأرشيف السري لجهاز البوليس السياسي الذي كان موجودا قبل الثورة، وكانت هناك معلومات عن وجود أرشيفين لهذا الجهاز الخطير الذي كان يشكل رعبا لكل الحركات الوطنية النشيطة على الساحة، بل والكبار والمسئولين والصحافيين أيضاً.

فتطوعت للقيام بهذه المهمة، فقد كنا كإدارة للمخابرات في أشد الحاجة للحصول على هذا الأرشيف؛ ليس فقط بهدف التعرف على ممارسات البوليس السياسي أو بوليس القصور الملكية، وإنما وهو الأهم لوقف سيل البلاغات الكيدية التي كانت تتدفق على وزارة الداخلية تحمل اتهامات لمسئولين وصحافيين وغيرهم بالتعامل مع البوليس السياسي، أو تلقي الهبات أو المصروفات، أو ممارسة أنشطة ضارة متنوعة.

ولقد كانت تلك المهمة مغامرة محسوبة(*)؛ لأن تطوعي لم يأت من فراغ.. فقد حدث قبل قيام الثورة بسنوات أن كان اللواء محمد إبراهيم إمام رئيس البوليس السياسي في زيارة لمحافظة المنوفية، ووقع له حادث أثناء ركوبه "موتوسيكل" بجوار مدينة الباجور وأصيب، وكان الطبيب المعالج هو والدي الدكتور عبد العزيز محمد شرف الذي كان يعمل في الإدارة

(*) ساعدني في أداء هذه المهمة معرفة - والدي كطبيب قبل سنوات - باللواء محمد إبراهيم رئيس البوليس السياسي ، وهكذا تمكنت من الاتصال بسهولة .

الطبية بالمحافظة (المديرية وقتها)، وحمل اللواء إمام وقتها تقديرا بالغا لوالدي، وكان يردد دائما أنه أنقذ حياته، ومن ثمّ كان يداوم الاتصال به في مختلف المناسبات والاطمئنان عليه.

عدت إلى والدي وسألته عن كيفية الاتصال باللواء إمام، وفوجئت بقوله إنه لا تتوفر لديه أية معلومات سواء رقم تليفونه أو عنوانه، وأن الصلة لم تكن إلا من جانب واحد بمبادرة من اللواء إمام الذي كان يقوم هو بالاتصال، فطلبت من والدي إذا ما اتصل به أن يحصل منه على عنوانه أو رقم التليفون.

والجدير بالذكر انه لم يكن لوالدي أي اهتمامات سياسية أو حزبية قبل الثورة، وكان يهتم فقط بأداء مهمته الوظيفية كطبيب، كما ينبغي بل إن أغلب وقته كطبيب شرعي أيضا جعلت منه أشبه بالقاضي الذي ينأى بنفسه عن أية مؤثرات سياسية.

في اليوم التالي مباشرة فوجئت بوالدي يتصل بي في مكتبي ليخبرني إن اللواء محمد إبراهيم إمام اتصل به، وحصل منه على رقم تليفونه وأملاه علي، وكانت بالطبع مصادفة سعيدة ومواتية تماما، فقمت على الفور بالاتصال باللواء إمام طالبا منه - بعد أن عرفته بنفسي - أن نلتقي سواء في بيته أو في مكتبي فلم يمانع في الحضور إلى مكتبي، وفي الموعد المحدد فوجئت به يحضر إلى المكتب مصطحبا معه حقيبة صغيرة أوضح أن بها بعض متعلقاته الشخصية؛ فقد توقع أنه سيتم احتجازه أو اعتقاله بحكم وظيفته السابقة، فطمأنته ونفيت له ذلك وصارحته بالتكليف الموكل إليَّ بحكم عملي في المخابرات، فأفادني بأنه بعد حريق القاهرة مباشرة تم دمج الأرشيفين التابعين لجهاز البوليس السياسي في أرشيف واحد أودع في إحدى غرف قصر عابدين، ووصفها لي بدقة فقد كانت أشبه بالغرفة السرية التي يصعب الوصول إليها بسهولة.

وبعد أن توصلت إلى هذه النتيجة قلت له أن ثمة سؤال يلح عليّ ولم أجد له إجابة وتعددت بشأنه التفسيرات والتحليلات وهو يدور حول حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢:

من هو الفاعل الحقيقي؟

وكانت دهشتي شديدة عندما أكد اللواء محمد إبراهيم إمام رئيس البوليس السياسي السابق أن الشرارة الأولى في هذا الحريق أطلقها الملك فاروق بترتيب محكم مع عدد محدود من المحيطين به، وكان الهدف منه أولا: هو إحراج حكومة الوفد التي تتزايد شعبيتها منذ إعلان النحاس باشا إلغاء معاهدة ١٩٣٦، لكنه أي النحاس باشا لم يكن يملك أية خطة عمل واضحة في التعامل مع المسألة الوطنية بعد أن أثار قراره هذا حماس مختلف الاتجاهات

والتيارات الوطنية في البلاد، وفي نفس الوقت سعى الملك من وراء هذا الفعل الإجرامي إلى ممارسة الضغط على الانجليز الذين كانوا يتعالون عليه، ويتعاملون معه بأساليب مهينة، ويظهرون تعاطفا مع حزب الوفد الذي لم يمنعهم من ارتكاب مذبحة بشعة ضد قوات البوليس في مدينة الإسماعيلية في ٢٥ يناير ١٩٥٢.

ويستطرد اللواء إمام في شهادته بأن الملك فاروق أطلق هذه الشرارة بعد المذبحة البشعة، لكنه سريعا ما فقد السيطرة عليها وانفلت الزمام أمام مسارعة عناصر متطرفة من الشيوعيين والإخوان المسلمين ومصر الفتاة لاستغلال الموقف وإحداث حالة من الفوضى والاضطراب أتت على ما يقرب من ثلث مدينة القاهرة في ذلك اليوم [1]..

ولعلي أشير هنا أيضا إلى واقعة شخصية حدثت لي في ذلك اليوم -يوم حريق القاهرة- فقد كنت يومها مشاركا في فرقة الشؤون الإدارية التي سبق الإشارة إليها، ولكن في صباح يوم ٢٦ يناير/ كانون الثاني ١٩٥٢ أُبلغنا بإلغاء الدورة، وأن علينا أن نسلم أنفسنا إلى وحداتنا الأصلية في الجيش في اليوم التالي، فخرجت مع اثنين من الزملاء في الدورة هما الملازمين الأول مختار هلودة (رئيس الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء فيما بعد)، ومحمد حلمي عبد الخالق خرجنا نتجول في الأسواق لشراء بعض القمصان الكاكي اللازمة لنا من منطقة وسط القاهرة، وفوجئنا نحن الثلاثة بما يجري في شوارع القاهرة، فتوجهنا إلى ميدان الإسماعيلية (التحرير حاليا) ليستقل كل منا الأوتوبيس متوجها إلى منزله، كان هلودة متوجها إلى شبرا وحلمي إلى مصر القديمة وأنا إلى مصر الجديدة، ولكن وحدات بلوكات النظام (شبيهة بالأمن المركزي الآن) التي كانت تتظاهر مع المتظاهرين من الطلبة والعمال والجماهير تمكنت من محمد حلمي عبد الخالق، وحملوه على أكتافهم واتجهوا به إلى مبنى رئاسة مجلس الوزراء في شارع قصر العيني، وهم يرددون الهتافات وهو يشاركهم بعد أن أخذه الحماس، وهو عضو في الضباط الأحرار، وردد هتافات ضد الانجليز وضد الملك، وتم القبض عليه كما تم استجوابي أمام النائب العام في ذلك الوقت محمد كامل قاويش، ولم يتخذ معي أي إجراء سوى التنبيه عليّ بالعودة إلى وحدتي بسلاح المدفعية.

وقد سألت اللواء إمام بعد ذلك عما إذا كانت تحركات الضباط الأحرار كانت مرصودة، وهل كان للبوليس السياسي دور أو رأي في نشاط الجيش؟

---

(١) ملحوظة من المؤلف: أرجو الرجوع إلى كتاب اللواء حسن طلعت مدير المباحث العامة الأسبق بعنوان «في خدمة الأمن السياسي - مايو ١٩٣٩ - مايو ١٩٧١»، ما جاء في الصفحات من ٦٨ حتى ٧٣ عن شهادته حول حريق القاهرة ١٩٥٢.

فقال: "طبعا، كنا نتابع كل الأنشطة السياسية في البلد، وبالنسبة للجيش كان هناك تعاون بيننا وبين بوليس السراي والمخابرات الحربية ويوسف رشاد (الحرس الحديدي)" وأضاف: "أنه بالمناسبة كان قد تقرر اعتقال بعض الضباط الذين عرف أنهم يقومون بنشاطات واهتمامات سياسية من الذين كانوا يتصلون ببعض الأحزاب والإخوان المسلمين والشيوعيين، والذين كانوا يدربون الفدائيين في منطقة القناة، وكذلك الذين تزعموا تحريك عملية انتخابات نادي ضباط الجيش"، ولما استوضحته عن أسماء هؤلاء الضباط قال:

"حسبما أذكر الأسماء البارزة منهم: «جمال عبد الناصر، عبد الحكيم عامر، جمال سالم، صلاح سالم، حسن إبراهيم، أنور السادات، عبد اللطيف البغدادي، كمال الدين حسين، وجيه أباظة، خالد محيي الدين، حسين ذو الفقار، صبري عبد المنعم، عبد الرؤوف أبو المكارم عبد الحي».

استمر عملي في هيئة رقابة الأداة الحكومية بعد قيام الثورة طوال العام ١٩٥٢، وقد كنت أتردد بحكم عملي على إدارة المخابرات الحربية، (التي أصبحت المخابرات العامة فيما بعد) في كوبري القبة بجوار مبنى القيادة العامة للجيش، ثم انتقلت بعد ذلك إلى مبنى مستقل في منشية البكري؛ حيث كان التفكير قد بدأ في تكوين المخابرات العامة.

وكانت العناصر الرئيسية التي أسهمت في تأسيس هذا الجهاز الوطني من يوم ٢٣ يوليو/ تموز حتى أواخر سنة ١٩٥٢ تتكون من:

زكريا محيي الدين، عثمان نوري، حسن بلبل، كمال الدين رفعت، عاطف عبده سعد، محمد عبد الفتاح أبو الفضل، عمر لطفي، سعد عفرة، فريد طولان، محمد فتحي الديب، عبد المجيد فريد، لطفي واكد، حسن التهامي، محمود سليمان، محمد عبدالقادر حاتم، مصطفى المستكاوي، عزت ابراهيم سليمان، محيي الدين أبوالعز، محمد محمود السقا، محمد وفاء حجازي، سامي شرف، محمد زغلول كامل، محمود محمد عطية، أحمد محمود العقاد، زغلول عبد الرحمن، زكي منصور، أحمد فؤاد هلال، سمير غانم، سعيد عبد العزيز حليم، أحمد عبد السلام كفافي، محمد غانم، محمود سامي حافظ، محمود حسين عبد الناصر، محمد محمد فائق، ابراهيم بغدادي، مصطفى مختار، جمال الشناوي، محمد شكري، عبد المحسن محمد فائق، حامد محمود حامد، عبد الفتاح الشربيني، محمد عبد الخالق شوقي.

ثم توالت الترشيحات والتعيينات في هذه الإدارة تباعا، وكانت هناك ضوابط وقيود قاسية جدا سواء في عملية الترشيح أو التزكية للعمل في هذا الجهاز الحساس، حيث انضم بعد ذلك على سبيل المثال وليس الحصر كل من الشهيد عمرو شعبان هريدي، وصلاح

حجازي، ومحمد نسيم (قلب الأسد)، وكمال الغر وآخرين، ثم بعد تولي صلاح نصر إدارة هذا الجهاز في ١٩٥٧ عين كلاً من أمين هويدي، وعمر محمود علي، وطلعت خيري، وشعراوي جمعة، وحلمي القاضي وآخرين.

وطبعا حدثت تطورات كبيرة بعد ذلك؛ حيث تولى رئاسة المخابرات العامة كل من السادة :

زكريا محيي الدين (١٩٥٢ - ١٩٥٦) علي صبري (١٩٥٦-١٩٥٧)، صلاح محمد نصر (١٩٥٧-١٩٦٧)، ثم تولى الإشراف على هذا الجهاز فقط، ولم يصدر قرار جمهوري بتوليه رئاسة الجهاز، أمين هويدي (١٩٦٧ -١٩٦٨) ثم ترأس الجهاز بعد ذلك محمد حافظ إسماعيل (١٩٦٨-١٩٧٠)، ثم أحمد كامل حتى مايو/ آيار ١٩٧١.

وهنا أود أن أنوه بمجهود كبير قام به احد الجنود المجهولين في وضع الهيكل التنظيمي لبناء جهاز المخابرات العامة على مدى سنتين تقريبا، وهو المرحوم السفير مصطفى حمدي الذي زاملني في مراحل التعليم الثانوي، ثم أكمل دراسته في كلية التجارة شعبة إدارة الأعمال، ثم عين في ديوان الموظفين (الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة فيما بعد) كخبير في علم الإدارة.

ولما طلب زكريا محيي الدين ترشيح شخص مؤتمن وكتوم وقادر ليتولى معه شخصيا وضع التخطيط والأساس لقيام المخابرات العامة، رشحت له مصطفى حمدي الذي عمل معه ووضع اللبنات الأولى للهيكل التنظيمي، ثم قام أيضا بإدخال التعديلات على المشاريع التي وضعها بعض الخبراء الأمريكيين بما يتماشى مع الأهداف المصرية، وذلك دون أن يظهر على الملأ، وإنما كان كل نشاطه في الظل ومع زكريا محيي الدين شخصيا.

وكان المستشار القانوني الذي عاون أيضا في هذا المجال حسن نور الدين المستشار بمجلس الدولة، ثم أصبح المستشار القانوني لوزير الداخلية. وعندما انهي مصطفى حمدي مهمته بنجاح عاد إلى ديوان الموظفين، ورفض أن ينضم إلى جهاز المخابرات العامة، مفضلا المكان الطبيعي لخبرته ولتخصصه، إلا أنه عندما رؤي في مرحلة لاحقة تدعيم وزارة الخارجية بعناصر شابة لها قدرات خاصة، كان مصطفى حمدي من أوائل المرشحين من ديوان الموظفين، علاوة على تأييد ترشيحه أيضا من المخابرات العامة.

كان ترددي بحكم طبيعة عملي أيضاً على مبنى مجمع التحرير الدور العاشر حيث القسم الخاص التابع للمخابرات الحربية (العامة فيما بعد)، وكان يرأسه الصاغ محيي الدين أبو العز الذي أصبح محافظ الفيوم فيما بعد. وقد أصدر البكباشي زكريا محيي الدين تعليمات بأن يخصص لي مكتباً بصفة شخصية في هذا القسم لمتابعة تكليفاتي باعتباره في منطقة وسط

البلد، ثم لم يلبث بعد شهور قليلة أن صدرت أوامر بأن أنقل للعمل بصفة أصلية في هذا القسم منفصلاً عن عضوية هيئة الرقابة، وأصبحت مسئولا عن شعبة الجهاز الحكومي ووحدة قياس الرأي العام، إلى جانب مهمة ضابط الاتصال مع البكباشي جمال عبد الناصر، وكذا ضابط الاتصال بين المخابرات وإدارة المباحث العامة التي كانت قد أنشئت في تلك الفترة تحت إشراف البكباشي زكريا محيي الدين، بالتوازي مع بدء تنفيذ مشروع المخابرات العامة.

وكان أول من تولى رئاسة إدارة المباحث العامة البكباشي رأفت النحاس ونخبة من أكفأ ضباط البوليس الذين كانوا مثالاً للتعاون البنَّاء معنا، مما شكَّل نسيجاً يُحتذى به في تعاون الأجهزة الأمنية الوطنية من أجل خدمة وحماية أهداف الثورة وسلامة مصر، أذكر منهم على سبيل المثال: عبد العظيم فهمي، محمد سيف اليزل خليفة، عبد العزيز سيف اليزل خليفة، حسن طلعت، محمد محمود زهدي، محمود الحمزاوي، زكي علاج، أنور الأعصر، سعد الشربيني، يوسف القفاص، أحمد رشدي (وزير الداخلية فيما بعد)، عبد الوهاب نوفل، محمد نبوي إسماعيل (وزير الداخلية فيما بعد)، محمود الغمراوي، محمد شكري حافظ، ممدوح سالم (وزير الداخلية ورئيس الوزراء فيما بعد)، السيد فهمي (وزير الداخلية فيما بعد)، حسن أبو باشا (وزير الداخلية فيما بعد)، فؤاد علام، مصطفى علواني (محافظ أسوان فيما بعد)، حسن رشدي، أحمد صالح داود، حافظ عزيز، يوسف المعناوي، أحمد والي، عبد الفتاح رياض، سعد الدين وهبة، أحمد بلبل، أحمد فؤاد نسيم، عز الدين عثمان، محمد محمود عبد الكريم، محمد رشاد حسن، يوسف أبو عوف، ألبير تادرس، وآخرين كثيرين.

كانت العلاقة مع البكباشي جمال عبد الناصر غير سرية، فقد أعطاني رقم تليفونه الخاص، وكان يصدر إليّ تكليفاته بصفة يومية، مما رسَّب بعض الحساسيات لدى بعض الزملاء ممن كانوا يشاركونني المكتب نفسه، أو من بعض الضباط الأحرار الذين كانوا يترددون على القسم الخاص، وكان لهم دور خاص في تأمين الثورة.

وقد تقلَّص هذا العدد ليتبقى في النهاية مجموعة معيّنة أبت أن يشاركهم عنصر آخر وبالذات من سلاح المدفعية باعتباري دخيل، وقد شاركهم هذه الأحاسيس بعض أفراد من السكرتاريا الخاصة الذين كانوا سواء عن حق أو عن باطل، يظنون أنهم أولى أو قادرون على القيام بما يوكل إليّ من مهام بدت أهميتها أمامهم من كثرة اتصالات البكباشي عبد الناصر بي، ومن كثرة ترددي على مكتبه أو منزله في أي وقت وبلا موعد سابق، كما أمرني هو بذلك، هذا علاوة على أنني لم أكن ممّن يتكلمون كثيراً، أو أكثر من الأصدقاء من دون داعٍ، كنت معتاداً على الكتمان والحفاظ على السرية، وهي عادة لازمتني منذ الصغر.

وثمّة سبب آخر لتلك الحساسيات، فقد ترددت أخبار في هذه الفترة على نطاق ضيِّق جداً تسرّبت من مكتب القائد العام للقوات المسلحة مفادها أن هناك نيّة لإنشاء مكتب مستقل لجمال عبد الناصر خارج الإطار التنظيمي للمخابرات، وبدأ أحد الزملاء (شمس بدران) يخطط ليتولى هو هذا المكتب أو أحد رجاله، وكانت المواصفات المطلوبة لا تنطبق عليه، وعلم بحكم موقعه وقربه من الدائرة العليا أن الترشيح المفضل هو لسامي شرف؛ نتيجة مطابقة المواصفات والجهد والعمل التي أعلنت عن نفسها، علاوة على تزكية البكباشي جمال عبد الناصر شخصياً.

أقول إن هذه الحساسيات وهذا الوضع الذي استجد قد اقترنا بمحاولات للدسِّ والوشاية، وكانت تلك أول تجربة لي في هذا المضمار والصراع، في الوقت الذي تفجّرت فيه ما أطلق عليها قضية المدفعية أو قضية رشاد مهنا [1]

وقد تسببت هذه القضية فى إثارة علامات استفهام وشكوك حول كل ضابط كان ينتمى لسلاح المدفعية ، خاصة وأن شركاء القسم الخاص كانوا كلهم من سلاح المشاه وكذلك المترددين عليهم ، وفى ذلك الوقت لاحظت تراجع معدل الاتصال والتكليفات من البكباشى جمال عبدالناصر بشكل مفاجئ . وفى الساعة الثالثة من فجر يوم ١٥ يناير ١٩٥٣ فوجئت بعدد من الضباط على باب منزلى يطلبون منى مصاحبتهم بالملابس المدنية، وظننت لأول وهلة أن انقلابا قد وقع ضد الثورة . ووجدت نفسى نزيل إحدى زنزانات سجن الأجانب[2] ، بقيت فيها أربعة عشر يوماً لا أغادرها إلا للذهاب إلى دورة المياه ، كما لم أر أى أحد سوى عساكر الحراسة من سلاح الحدود من أبناء النوبة. وفى صباح اليوم الرابع عشر فتح الباب ووقف أمامى اليوزباشى محمد أبو نار ـ الذى كان فى ذلك الوقت سكرتيراً للصاغ صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة ـ وكانت عيناه مغرورقة بالدموع ، قائلاً إنه لم يكن ينتظر أن نلتقي فى مثل هذا الموقف[3] .. واصطحبنى إلى سيارة خارج مبنى السجن

(١) وهو أحد الضباط الذين لم أكن أعرفهم أصلاً ، بل وحذرنى منه البكباشى محمد فوزى فى أوائل أيام الثورة وطلب منى أن أبلغ عن أى اتصالات يقوم بها مع وحدتنا العسكرية.

(٢) كان هذا السجن مخصص للأجانب أيام الامتيازات الأجنبية ، وكان مقره فى ميدان محطة مصر « باب الحديد» ، وقد هدم الآن.

(٣) كان محمد أبو نار زميل دراسة من بداية الأربعينات فى مدرسة المنصورة الثانوية ثم فى الكلية الحربية وكان عملى فى هيئة رقابة الأداة الحكومية وفي القسم الخاص يحتم لقاءنا المستمر باعتبار أن صلاح سالم كان مشرفا على شئون الإذاعة المصرية.

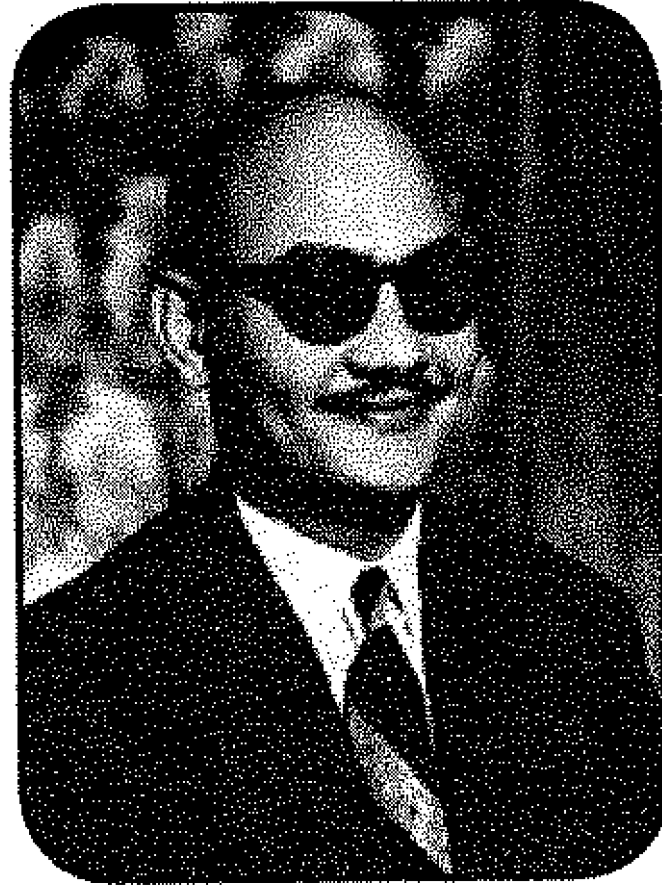
كان يجلس فيها اليوزباشى كمال الدين رفعت[1] ، وكان متأثراً من هذا الوضع لكنه كان قليل الكلام ، وعبرت قسمات وجهه عن حزن واستغراب بل يمكن أن أقول عدم تصديق. المهم، سارت بنا السيارة حتى وصلت إلى معسكرات قصر النيل (مكان فندق هيلتون النيل ومبنى جامعة الدول العربية الآن).



زكريا محي الدين



جمال سالم



صلاح سالم



عبد اللطيف البغدادي

جلست في غرفة واسعة، إضاءتها ضعيفة، والسقف عالٍ جداً، كانت محتوياتها كراسي كبيرة الحجم (فوتيلات) وكنب أضخم ذو قماش حريري لامع لونه طوبي غامق، ونجفة نحاسية مستديرة الشكل كبيرة الحجم، ويبدو أنها كانت تُضاء من قبل بالشمع وعدلت لتُضاء بالكهرباء، وبعد نحو ربع الساعة دخل إلى الغرفة البكباشي زكريا محيي الدين الذي بدا عليه التأثر من لقائنا في هذا الوضع، ثم تبعه قائد الجناح جمال سالم والصاغ صلاح سالم اللذان لم ينطقا بكلمة سوى قولهما لي: "ازيك يا سامي[2]"، ثم تبعهم قائد الجناح عبد اللطيف البغدادي الذي قال لي: "إيه اللي جرى يا سامي؟! شدِّ حيلك".

بعد ذلك انصرف أعضاء مجلس الثورة الثلاثة وبقيت مع البكباشي زكريا محيي الدين الذي قال لي: :سامي أنا طبعاً أكثر واحد عارفك ويشاركني جمال في تقديرك وتقويمك.. أنا حا أسألك سؤالا محددا.. هل أنت مشارك بأي شكل في ما يقوم به بعض ضباط المدفعية من نشاط حول الأوضاع التي نمرُّ بها؟.

فقلت له: "الإجابة قطعاً لا.. وسيادتك بالذات تعرف أني غرقان في شغلي ليل نهار، ولا أحتك أو أتزاور مع أحد، ده حتى الاجتماع الأسبوعي المفروض أن نلتقي فيه مع الصاغ

---

(١) أحد الضباط الأحرار وزميلي في المخابرات والمسئول عن العمل الفدائي ومقاومة الاستعمار الإنجليزي في منطقة القناة ، والذي أصبح بعد ذلك وزيراً فعضو مجلس الرئاسة.

(٢) وكانت علاقتي بهما جيدة ، كما كان جمال سالم يثق في كفاءتي وعبّر عن ذلك صراحة في أكثر من مناسبة عمل واستمرت هذه الثقة حتى آخر أيامه حيث طلب مني كوصية قبل أن يغادر هذه الدنيا بأيام أن قال لي : (خد بالك من جمال يا سامي .. واصحى لكل الي حواليكم ؛ الراجل ده مش حانعّوضه لو جرى له حاجه).

كمال الدين حسين، ومع بعض عناصر الضباط الأحرار من سلاح المدفعية لم أعد أستطيع أن أحضره لانشغالي طول الوقت.. ثم أحب أن أعرف إذا كان هناك اتهام محدّد أن أواجه به أو أواجه بأي شخص يثبت أن لي نشاطا مضادا للثورة بأي شكل".

قال: "إن ثمّة شبهات دارت حول اشتراكك مع بعض ضباط المدفعية، نبعت أساساً من مرافقتك لكل من محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت (من المدفعية) وصلاح زعزوع (من المشاة) في سيارة واحدة أثناء توجهنا إلى بيوتنا في مصر الجديدة بعد انتهاء يوم العمل، وأنتم الثلاثة مدفعية".

هنا أدركت أنني ضحية دسيسة وغيرة ظالمة من بعض الأعداء، أكرِّر الأعداء، وليس الأصدقاء، فقلت:

"يا أفندم سيادتك نسيت أني من مدة أثناء لقاء معك في مكتبك في الجزيرة نبهت إلى ما يتردَّد ضد بعض أعضاء مجلس الثورة من حكايات وأقاويل وتريقة.. إلخ، صحيح إني لم أذكر أسماء، ولكن كرأي عام داخل القوات المسلحة كانت الصورة واضحة من جانبي، وأبلغت بما يدور، غير مقصِّر في واجبي وإخلاصي نحو تأمين الثورة ..

أنا حافكّر سيادتك.. حصل كلام ضد أنور السادات، واعتراض من أغلب الضباط الأحرار في الجيش كله لضمه كعضو في مجلس قيادة الثورة لموقفه ليلة ٢٣ يوليو/ تموز، وما حدث من اعتقاله بوساطة زغلول عبد الرحمن فجر هذه الليلة أمام البوابة رقم ٦ في العباسية، وكان محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت بالذات هما أكثر الضباط انتقاداً لموقفه واعتراضاً على عضويته للمجلس، بما يفيد بشكل غير مباشر أنهما الأحق بهذه العضوية منه، وقد أصبح هذا الكلام فيما بعد على كل لسان ليس في الجيش فقط ولكن في البلاد كلها، وكذلك الكلام ضد عبد المنعم أمين وحرمه، وكلام ضدك شخصياً (حكاية بريا)[1]، وكلام عن عنف جمال سالم، والذين يدّعون أنهم أحق بقيادة الثورة، ولعل النشاط الذي أحاط باللواء محمد نجيب من اتجاهات عدة ليس ببعيد، سواء من ناحية الإخوان المسلمين، وبالذات نشاطهم وسط ضباط البوليس والجيش .. ألا تذكر سيادتك الكشوفات التي صنّفتهم في مستويات ثلاثة، وسلمتها لك بحضور الصاغ صلاح الدسوقي أركان حرب وزارة الداخلية في بيتك بمنشية البكري؟" .. ثم أضفت .. و"الشيوعيون وبعض السياسيين القدامى، ألم أبلغ عن كل هذه الأنشطة وأشارك في متابعة أغلبها حتى الآن؟ الحقيقة يا فندم أنا مش فاهم إيه اللي بيحصل؟ هل الحفاظ على الثورة أصبح النهاردة اتهاما؟ إذا كان هناك شك وليس دليل إنني قمتُ أو أقوم بأي نشاط مضاد للثورة **فأنا أطالب بإعدامي**".

---

(١) حكاية بريا هى باختصار : لقب أُطلق على زكريا محى الدين ـ من ضمن الشائعات التى قيلت فى هذه الفترة على أعضاء تنظيم الثورة ـ وبريا هو أصلاً وزير الداخلية ورئيس جهاز «الـKGB» فى الاتحاد السوفيتى فى هذه الفترة وعُرف عنه الفجاجة فى السلوك واستعمال أساليب العنف والقهر ضد المواطنين.

وقلت بعد ذلك .. " إن كل ما عرفته من نشاط يمكن اعتباره مضادا أو ناقدا سبق أن طرحته في اللقاءات التي كانت تعقد بصفة منتظمة في منزل الصاغ كمال الدين حسين لبعض الضباط الأحرار من المدفعية، وكان يحضرها الضباط: أبو اليسر الأنصاري، وطلعت خيري، وعبد المجيد شديد، وأحمد شهيب، ومصطفى كامل مراد، وسعد زايد، وعماد رشدي، ومحمد أبو الفضل الجيزاوي"

وانتهى التحقيق إلى لا شيء.

خرج البكباشي زكريا محيي الدين بعد أن سجل التحقيق الصاغ حسن بلبل (السفير فيما بعد ووكيل وزارة الخارجية والمسئول عن التنظيم الطليعي فيها)، وجلسنا في غرفة جانبية نحو الساعة، وكان يجلس معنا كل من الضباط: كمال الدين رفعت ومحمد أبو نار وفتحي قنديل (سكرتير حسين الشافعي، والسفير فيما بعد)، عاد بعدها زكريا محيي الدين موجهاً الكلام إليّ برقة وبابتسامته التي لا تفارقه قائلاً: "يا سامي انت حاتروّح دلوقت ونتقابل بكرة في مكتبي في منشية البكري".

ثم أمر اليوزباشي محمد أبو نار أن يصطحبني في سيارة البكباشي زكريا محي الدين الرسمية الفورد Station Wagon، إلى منزلي في مصر الجديدة.. وكانت هذه هي المرة الأولى التي أخوض فيها تجربة السجون.

في اليوم التالي توجهت إلى مكتب زكريا محيي الدين في منشية البكري مرتدياً لأول مرة منذ شهور ملابسي العسكرية، وطلبت منه الإذن بالعودة إلى وحدتي العسكرية في مدرسة المدفعية كمدرِّس للرادار، معتبراً أن ما حدث معي فيه مساس بكرامتي.. مؤكداً أنه ليس من طبعي الخيانة بأي حال.

فأجابني: "يا سامي انت تعرف يمكن أكثر من غيرك في هذا المكان أن القرار في ما يتعلق بك ليس قراري ولا قرارك، وانت لا تملك لنفسك شيئاً، انتظر في مكتبك وحابلّغك بما يستقر عليه أمرك".

قلت: "أنا يا فندم حا انتظر بره عند الصاغ زكي منصور أركان حرب المخابرات.. وأنا مش حارجع للمكتب إلا بعد ما اعرف القرار".

بعد ساعتين استدعاني مرة أخرى إلى مكتبه، وطلب مني أن أتوجه إلى مكتبي في القسم الخاص لاستئناف عملي مع الصاغ محيي الدين أبو العز، وأن هذا قرار وأوامر البكباشي جمال عبد الناصر.

أتاحت لي الظروف بعد ذلك أن أطلع على أوراق قضية المدفعية في أرشيف سكرتاريا الرئيس للمعلومات في منشية البكري، كما أن الرئيس جمال عبد الناصر أبلغني بظروف القبض عليّ والتحقيق معي بما لا يخرج عمّا قلت، واستنتجت منها أني كنت ضحية دسائس ووقيعة من بعض الزملاء للأسف.. امتدت على مدار خمسة عشر عاماً تالية من دون هوادة أو توقف!.

وبهذه المناسبة، فقد تمت محاكمة الضباط الذين ثبتت عليهم الادعاءات، وصدرت ضدهم أحكام من محكمة خاصة، شُكِّلت بقرار من مجلس قيادة الثورة. وبعد ما يقرب من السنتين، تم الإفراج عنهم وتولوا وظائف مدنية؛ ومنهم محسن عبد الخالق الذي عُيِّن في وزارة الاقتصاد مستشاراً اقتصادياً في لندن، ثم سفيراً في طوكيو، وكذلك فتح الله رفعت الذي تولى مناصب مختلفة كان آخرها رئيساً لبنك التسليف الزراعي، وكانا محل رعاية كاملة من عبد الناصر حتى رحيله.

واصلت عملي في القسم الخاص بالأسلوب السابق نفسه، والذي حدده لي الرئيس جمال عبد الناصر، وتنوّعت التكليفات؛ وبدأنا نكتسب الخبرة تدريجياً ويدفعنا الإيمان بالثورة وحب قيادتها إلى مزيد من الابتكار والتطوير.

و تزامنت خدمة المخابرات مع أحداث كبرى في تاريخ الثورة، منها على سبيل المثال أزمة مارس/ آذار ١٩٥٤، ومؤامرة الإخوان المسلمين ضد الرئيس جمال عبد الناصر، ومحاولة اغتياله في ميدان المنشية في الإسكندرية في أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٥٤، ومفاوضات الجلاء مع بريطانيا، والمؤامرة "الإسرائيلية" لمحاولة إفسادها، وتصاعد تيار الفكر القومي العربي، ودعم حركات التحرر العربي والإفريقي وفي العالم الثالث، وبداية معارك التنمية والتحوُّل الاجتماعي في مصر، وكان للمخابرات العامة القسم الخاص بالذات أدوار مهمة للغاية في خدمة توجهات الثورة، وكشف كل الثغرات والعقبات التي تعمل بعض القوى على وضعها في طريق الثورة، وسوف أتعرَّض لجانب من هذه الأمور في فصول قادمة تبحث قضايا العمل السياسي خلال تجربة عبد الناصر الإنسانية.

الفصل الرابـــع

سكرتارية الرئيس للمعلومات

كانت تجربة السجن الأولى وموقفى فى قضية المدفعية إختباراً عملياً سواء فى النوايا أو فى العنف أو القوة أو فى القدرة على التحمل ومجابهة المواقف الصعبة.

سامى شرف



من مكتب بغرفتين إلى وزارة للدولة

واصلت العمل فى القسم الخاص بالمخابرات العامة حتى كان يوم السبت ١٩ مارس ١٩٥٥ عندما استدعانى السيد زكريا محى الدين إلى منزله فى « عمارة الرشاد» بمنشية البكرى ـ الساعة التاسعة صباحاً بحضور الصاغ محى الدين أبو العز رئيس القسم الخاص الذى قد ألمح لى فى الليلة السابقة عن نية نقلى من المخابرات ولم يزد أو يفصح عن أية تفاصيل أخرى.

وفى منزل زكريا محى الدين إستقبلنا بود وبابتسامة إعتاد هو ونحن عليها وقال : «مبروك ياسامى.. الرئيس جمال عبدالناصر إختارك للعمل معه سكرتيرا للمعلومات .. إيه رأيك؟!».

أجبت : « يا افندم ده شرف كبير لىّ ، أرجو أن أكون عند حسن ظن الرئيس .. وأن يوفقنى الله فى أداء الواجب وما أكلف به ..»

قال : « إنت يا سامى موضع ثقة وإلا لما كان هذا الاختيار ، وعلى فكرة إنت كنت موضع اختباره شخصياً طول العامين الماضيين ونجحت ، وإنشاء الله يكون النجاح حليفك دائماً.. واعتبر إن إدارة المخابرات ستتعاون معك فى مهمتك الجديدة ، ولاتتردد أن تطلب منا ما تريد ، كما أنك لك الحق فى الاتصال بأى قسم لتسهيل مهمتك فنياً وإدارياً . إنت ميعادك مع الرئيس فى بيته بمنشية البكرى العاشرة صباحاً .. يعنى دلوقت .. قوم بقى علشان تلحق تقابله ..وبالتوفيق ..

وبقدر سعادتى بهذا الاختيار فقد شعرت بالتوتر يتزايد داخلى عندما فكرت فى حجم المسئولية الجديدة التى كلفت بها ، ودعوت الله أن يلهمنى الصواب وأن ينير بصرى وبصيرتى فى أداء الواجب.

لم يكن هذا اللقاء مع الرئيس جمال عبدالناصر فى منشية البكرى عاديا بالنسبة لى ، فكما وضح مما سبق كانت قد تعددت لقاءاتى معه بوصفه قيادة سياسية يستلزم واجبها اليومى والرسالة الوطنية والقومية التى يعمل من أجلها والأهداف التى يسعى إلى تحقيقها قدرة على التحكم فى التوازنات السياسية والاجتماعية ، والإلمام بأكبر قدر من المعلومات فى كل المجالات .

أما هذه المرة فقد كان لقائى معه بوصفه رئيسى المباشر من الناحية الوظيفية ، إلى جانب إيمانى به كزعامة سياسية وقيادة وطنية مخلصة ، وطالما أننى أعمل تحت رئاسته المباشرة فيجب

أن أستوعب جيداً مهمتى الجديدة بكل ما تتطلبه من مسئوليات ، وما تفرضه من محاذير ، بل وما قد تنطوى عليه من مخاطر.

إنها مهمة جديدة نسبيا على النظام الثورى فى مصر .. لقد كانت هناك سكرتارية للمعلومات موجودة فى مجلس الوزراء لخدمة اللواء محمد نجيب ، لكن عملها كان محدوداً للغاية . وعندما توجهت للإطلاع على ماتحويه لم أجد سوى سبعة ملفات ذات لون أخضر زيتونى من ورق مقوى ، ولايحتوى أى منها على أكثر من تقرير أو اثنين ، ولم تكن محتوياتها ذات قيمة معلوماتية تذكر لكننى حرصت على الاحتفاظ بها على سبيل التذكار ، وكانت مودعة فى حافظة خاصة فى أرشيف سكرتارية الرئيس للمعلومات فى منشية البكرى.

كانت هذه الخواطر تدور فى ذهنى وأنا فى طريقى إلى منزل الرئيس جمال عبدالناصر فى منشية البكرى ، وكان فى مقابل منزل زكريا محى الدين ولايفصلهما إلا شارع الخليفة المأمون ومنزل مكرم عبيد الذى سبق أن أوفدنى عبدالناصر لمقابلته لطلب نسخة من الكتاب الأسود كما أبلغته رسالة تقدير منه.

إستقبلنى الرئيس فى المكتب ..وبعد الترحيب والتهنئة حدد لى الإطار العام للمهمة وقال :

« أنا عايزك تنشىء سكرتارية للمعلومات وكل ما أستطيع أن أقوله لك الآن:

أولاً : لاتوجد أى قيود عليك فى تنفيذ المطلوب .

ثانياً : أنصحك بأن تبدأ على نطاق ، ثم يتم التوسع بعد ذلك تدريجياً سواء فى الأفراد أو الاختصاصات أو المكان ، وفقاً لتطور سير العمل وحسب التجربة والخطأ وكذا معدلات الأداء.

ثالثاً: يمكنك أن تستعين بمن تراه من الخبراء المصريين والأجهزة والوزارات فى الدراسة ووضع الهيكل العام المصغر كبداية .. وآلية العمل فى السكرتارية.

رابعاً : إعتبر أن الإمكانيات المتاحة ستوضع تحت تصرفك بلاقيود وبلا روتين من أجل تحقيق هذا الهدف ، ويمكنك الإطلاع على ما لدى الجهات المعنية من معلومات أودراسات أو أبحاث تساعد على تحقيق الهدف .. عليك أن تضع خطتك.

وأضاف أنه يعطينى مهلة أسبوعين سوف يسافر خلالها إلى باندونج ، وعندما يعود أكون قد انتهيت من إعداد الدراسة الكاملة حول وضع الهيكل التنظيمى للسكرتارية ليقوم بمراجعتها معى . وعلىّ أن أبدأ الممارسة العملية بالتجربة والخطأ حتى أضع قدمى عل بداية الطريق الصحيح ، وحتى لايضيع الوقت ..

كانت كلمات الرئيس واضحة ، محددة مختصرة ، وفى نفس الوقت مطمئنة فهو لا يطلب المستحيل أو ينشد المثاليات ، بل يدرك مقدماً أن ثمة أخطاء يمكن أن تقع وأن التجربة العملية هى المحك الوحيد لاكتشاف المنهج الأنسب.

لقد تغيرت العلاقة الخاصة غير المباشرة التى قامت بين جمال عبدالناصر و بينى خلال عملي بالمخابرات ، وما كنت أتلقاه من تكليفات منه شخصياً وأعرض نتائجها عليه مباشرة، أما الآن فإننى أعمل بجواره ، وأصبح بقائى بالمكتب مرتبطا به من الناحية العملية، ليس فقط بممارسته لنشاطه اليومى بل يرتبط أيضاً بمجرى الأحداث ، وطالما وجدت هناك حركة أو حدث أو خبر فمن واجبى أن أبقى يقظا باستمرار.

وبدلا من أن يكون تعاملى مع القائد لترتيبات خاصة تثير معى من الحساسيات أكثر مما تخدم العمل ، فقد أصبحت أحد النوافذ التى يطل منها على كل ما يجرى فى الدولة أو خارجها وحلقة اتصال مع منابر الأحداث بما يقتضيه ذلك . من درجة عالية من السيطرة على تدفق المعلومات ، ودقة فى التنظيم وتحديد الأولويات حتى لاتتحول سكرتارية المعلومات إلى عامل تشتيت وإشغال للرئيس..

أدركت أيضاً أسلوب عبدالناصر فى اختيار معاونيه ؛ فهو لايعتمد على تزكية أشخاص بعينهم من معاونيه بل كان يمارس تقييمه العملي للشخص المطلوب اختياره بمعنى وضعه تحت تجارب واختبارات لمواقف تحدد مدى ملائمته لما هو مرشح له ،ولم يكن اعتماده بشكل كامل على التقارير التى ترد له عن هؤلاء الاشخاص فقط . لقد أدركت تماماً أنه وضعنى تحت نظره بتدفق منذ لقائى الأول معه فى مدرسة الشئون الإدارية وأجرى الاختبارات لى فى المواقع التى عملت بها ، بل أكثر من ذلك كانت تجربة السجن الأولى وموقفى فى قضية المدفعية إختباراً عملياً سواء فى النوايا أو فى الضعف أو القوة أو فى القدرة على التحمل ومجابهة المواقف الصعبة أو فى التهاون فى المبدأ وأشياء أخرى كثيرة وكانت توجيهاته بعد ذلك تعبر عن وضوح كامل فى الرؤية ومعرفة دقيقة لما يريد أن يحققه.

خرجت من مكتب الرئيس جمال عبدالناصر وفى ذهنى مطلبان أساسيان : أولهما يتعلق بالمكان ، والثانى يتعلق بآليات العمل وأساليب الممارسة والإنتاج .

فيما يتعلق بالمكان فقد اخترته فى مبنى مجلس الوزراء ؛ باعتبار أن الرئيس كان يمارس عمله الرسمى منه علاوة على مباشرته العمل أيضاً من مكتبه فى منشية البكرى.

بدأت فوراً مشاوراتى واتصالاتى مع العديد من الجهات التى يأتى فى مقدمتها وزارة الخارجية والمخابرات العامة ، واتصلت بزميل الدراسة مصطفى حمدى ـ وكان يعمل فى جهاز التنظيم والإدارة[1] وكذا بالجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء والمباحث العامة والقيادة العامة للقوات المسلحة والمخابرات الحربية وبعض خبراء الإدارة من الجامعات

(١) وكان فى وقتها يسمى « ديوان الموظفين» والسابق الإشارة إليه حول مساهمته الكبيرة فى وضع الهيكل التنظيمى وآليات العمل فى المخابرات العامة.

ومجلسى الخدمات والإنتاج ، منهم السفير إبراهيم صبرى والدكتور إبراهيم حلمى عبدالرحمن والأستاذ السيد محمد يوسف والبكباشى حسن طلعت والصاغ أحمد زكى عبدالحميد والدكتور راشد البراوى واللواء أمين أنور الشريف والمستشار حسن نور الدين.

كانت حصيلة كل هذه المشاورات الخروج بتصور عرضته على الرئيس بعد عودته من باندونج ، فوضع عدداً من الإضافات الهامة حتى خرجنا بنقطة بداية تمثلت فى تنظيم وآلية عمل تحكمه الاعتبارات التالية :

أولاً: توفير اتصال سريع وسهل لمصادر المعلومات داخل الدولة وخارجها لتوفير المعلومات اللازمة يومياً من كافة الأجهزة المعنية فى الدولة وفى جميع ميادين المعلومات (سياسية ـ اقتصادية ـ عسكرية ـ اجتماعية ـ عملية .. الخ).

ثانياً : وضع أسلوب ميسر لتصنيف وتبويب المعلومات وترتيبها وفقاً لأولوياتها وعرضها على الرئيس فى التوقيت المناسب لتساعد فى تكوين صورة عما يجرى فى الدولة وتسهيل عملية اتخاذ القرار.

وكانت تعليمات الرئيس فى هذه النقطة واضحة تماماً فقد أعطى توجيها واضحا بعدم عرض أية ورقة تبدأ بعبارات مثل «نما لعلمنا» أو «يقال» ، أو «يشاع» إلا إذا كان التقرير عن الإشاعات ، وأكد على أن مايجب عرضه فقط هو ما يندرج فى مفهوم المعلومة المحققة مثل «الواقعة كذا حدثت فى الساعة كذا فى المكان كذا .. وأمر بإعادة ما يخالف ذلك للجهة التى أرسلته أو إهماله كلية ، أما إذا كان ثمة استنتاج فيمكن عرضه مزوداً بالبراهين والحيثيات التى ساعدت فى التوصل إليه.

ثالثاً: تكامل المعلومات الصالحة للعرض على الرئيس وتدعيمها بالآراء الفنية ، وعدم التسرع فى عرض معلومات ناقصة قد تقود إلى اتخاذ قرار متعجل أو خاطىء.

رابعاً : وضع سكرتارية المعلومات بوصفها جزءاً عضوياً من مؤسسة رئاسة الجمهورية ككل ؛ من حيث تقنين الاتصالات العرضية مع قائد الجناح على صبرى ـ مدير مكتب الرئيس للشئون السياسية ـ دون أن يؤثر ذلك على قناة الاتصال المباشرة مع الرئيس.

خامساً : نبه الرئيس إلى موضوع اعتبره هو من أهم المسائل التى ستضبط النغمة الصحيحة لسكرتارية المعلومات من حيث الأسلوب والإنتاج وتحقيق التقدم ، ثم عملية المتابعة.. ثم متابعة المتابعة . وبالفعل تم إضافة فرع يختص بالمتابعة ، وأعدت له النماذج التى تحوى ملخصات الموضوعات ، ونص تأشيرات الرئيس أو تعليماته

الشفوية ، والجهة المكلفة بالتنفيذ ، والنتيجة التى تحققت ثم متابعة المتابعة فى حال عدم التنفيذ أو تأخيره وهكذا.

سادساً : أشار الرئيس إلى أنه يحسن أن نفكر فى سكرتارية صحفية ، وإن لم يبت فى وضعها التنظيمى حيث كان هناك أكثر من خيار على أساس أن الوضع العملى فى هذه الفترة بالنسبة للنواحى الإعلامية كان باختصار كالآتى:

كانت هناك مجموعة تسمى مجموعة الصحافة فى المخابرات العامة ، وكان يرأسها الصاغ عبدالقادر حاتم ويعاونه الصاغ مصطفى المستكاوى.

كان الرئيس يفكر فى إنشاء إدارة للاستعلامات ووكالة أنباء مصرية فى مقابل وكالة رويتر الإنجليزية ووكالتى اليونايتد برس والأسوشيتيد برس الأمريكيتين.

«United press Assotiated press»

ثم رأى الرئيس فى هذه المرحلة الاكتفاء بإنشاء سكرتارية المعلومات ، ثم مصلحة الاستعلامات على أن يرأسها عبدالقادر حاتم ، ويتولى مصطفى المستكاوى مجموعة الصحافة فى المخابرات .. ويكون فى نفس الوقت ضابط اتصال مع سكرتارية المعلومات فيما يتعلق بالصحافة والإذاعات الداخلية والخارجية ، بالإضافة إلى تقارير الاستماع التى كات تمدنا بها الإذاعة المصرية ، تمهيداً للبت بصفة نهائية فى إنشاء سكرتارية صحفية للرئيس.

- **تطورالعمل فى سكرتارية الرئيس للمعلومات:**

فرضت علينا الأحداث بعد ذلك ، واتساع حجم العمل والخبرات التى أمكن اكتسابها، إضافة إلى الدراسة المستفيضة لأسلوب العمل المتبع مع الرؤساء فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية والهند والاتحاد السوفيتى ويوغسلافيا وفرنسا والصين ، كل ذلك فرض علينا إجراء تطويرات مهمة فى أسلوب العمل والخريطة التنظيمية لسكرتارية المعلومات ،كما كان لاحتياجات الرئيس التى لاتنقطع تأثيرها أيضا فى إضافة أقسام جديدة بالسكرتارية ، أو استحداث آليات جديدة ووسائل اتصال يمكن أن تلبى هذه الاحتياجات بأسرع وأنسب طريقة ممكنة.

ويمكن القول إن تجربة العمل فى سكرتارية المعلومات أفرزت مجموعة من المبادئ والاتجاهات ، إلى جانب خلق نوعيات مختلفة من العلاقات ـ سواء داخل مؤسسة الرئاسة أو مع مؤسسات الدولة وقياداتها ـ ولم تترك آثارها على سكرتارية المعلومات فقط، وإنما أثرت فى مواقف العديد من الشخصيات والأجهزة. وقادت فى بعض الأحيان إلى تراكم

بعض الرواسب التى ظهرت على السطح بعد رحيل الرئيس جمال عبدالناصر ، وتمثلت أهم الاتجاهات فى الآتى:

أولاً: لم يعتمد الرئيس جمال عبدالناصر على سكرتارية المعلومات وحدها فى الحصول على ما يريد من معلومات أو تحصيل المعرفة بصفة عامة ، بل كان دائم البحث عن كل ما يثرى معرفته ويصقل قراره ؛ حتى أكاد أقول أنه لم يصل إلى مصر زائر أجنبى ذو ثقل فى تخصصه أو كان على صلة بصناع القرار فى بلاده أو رشحه له أحد معاونيه ، إلا واستقبله الرئيس عبدالناصر فى جلسات حوار غير رسمية أو رسمية قد تطول أو تقصر حسب موضوع الحوار والمناقشة.

كما استن الرئيس جمال عبدالناصر تقليداً فى حواراته الصحفية والتليفزيونية حيث كان يطلب أن يحضر الكاتب أو المراسل الصحفى أو المحاور الذى يرغب فى إجراء الحوار قبل موعده بوقت كاف لإجراء مناقشة من نوع مختلف معه يستمع هو فيها للزائر ، وكان الرئيس يجرى مناقشات مطولة أيضاً مع زواره أو من كانوا على اتصال به من الرؤساء الأجانب أو الشخصيات العامة من مختلف أنحاء المعمورة .

وكان لكل من الرؤساء تيتو ونهرو وباندرانيكة وأحمد سيكوتورى وكوامى نكروما وشوإين لاى والإمبراطور هيلاسيلاسى وأنديرا غاندى وغيرهم من القادة الأجانب ، وكذلك القادة العرب الذين كان لهم وضع خاص مثل أحمد بن بلا والملك محمد الخامس وفؤاد شهاب ، وهوارى بو مدين والشيخ زايد آل نهيان ، والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم وعبد السلام عارف ومعمر القذافى وشكرى القوتلى ونيكيتا خروشوف وليونيد برجينيف والجنرال شارل ديجول والإمام الشيخ القمينى وماوتسى تونج وجون كنيدى والجنرال بيرون وكمال جنبلاط وصائب سّلام ومعروف سعد وحميد فرنجيه ورشيد كرامى ورينيه معوض ، كما كان يسعى لمناقشة بعض القادة العرب ممن كان يعلم أنهم مختلفون فكريا مع فكر الثورة، كان لكل هؤلاء نصيب وافر فى هذا المجال.

وقد فتح الرئيس جمال عبدالناصر بابه للسياسيين والمثقفين والمناضلين بالعالم الثالث حيث كانت الجلسات الطويلة معهم تستهدف الاستماع إلى آرائهم الشخصية والتعرف على شعوبهم وعلى تجاربهم السياسية والنضالية ومكونها الثقافى ، ولايستثنى من ذلك أبرز فلاسفة العصر مثل جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار وروجيه جارودى أو من كبار الأدباء والكتاب والمثقفون ، على سبيل المثال روبرت سان جون وكلود اسيتييه وجان لاكوتير وديزموند ستيوارت وويلتون وين وجون بادو وأندريه مالرو وجون جونتر وغيرهم من أقطاب الفكر الاستراتيجى والقادة العسكريين من أمثال الجنرال بوفر والماريشال البريطانى مونتجومرى وقد تم إيفاد أكثر من وفد مصرى ما بين عسكريين وسياسيين لمقابلة الجنرال

جياب ، حاملين رسائل واستفسارات شخصية من الرئيس للتعرف على تجربته فى مقاومة الاستعمار وأساليب القتال المتبعة للاستفادة منها فى مقاومة العدو الإسرائيلى فى معركة تحرير الأرض وقد قدمت كل هذه البعثات تقاريرها التى أودعت كوثائق فى أرشيف سكرتارية الرئيس للمعلومات ، ثم كبار رجال الاقتصاد مثل شاخت وإيرهارد وكبار رجال الصناعة فى أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا والاتحاد السوفيتى واليابان.

وكانت هذه اللقاءات أو الاتصالات ترتب أعباء إضافية علينا نتيجة ما نتلقاه من احتياجات من الرئيس فى أعقابها ، سواء لاستكمال معلومات تم تداولها مع الضيوف أو الذين اتصل بهم وقرأ لهم أو عنهم ، أو البحث عن كتب وإصدارات ودراسات جديدة يرغب فى الاطلاع عليها أو متابعة أحداث وأخبار تلقاها فى حواراته ومقابلاته.

ثانيا : كان الرئيس جمال عبدالناصر يحرص على أن يكون أقدم مسئول فى الرئاسة على بينة من كل الأمور وما يحدث فى كل الأفرع تجنباً لأى تعقيدات إدارية ، كما كان يحرص ـ من جانب آخر ـ على ألا ينحصر أو يحصر العاملين معه فى قوالب جامدة ، بل كانت تحركه دائماً نزعة التغيير لدرجة أننا كنا نعجز فى كثير من الأحيان عن مسايرة هذه النزعة ؛ وكانت النتيجة المنطقية لذلك هو إجراء مزيد من التطوير والتحديث فى مؤسسة الرئاسة وتعديل آليات العمل بما فيها سكرتارية المعلومات لمعالجة الثغرات وتحسين الأداء واحتواء أية حساسيات من وقت لآخر.

وعلى سبيل المثال فقد اقتضى العمل بعد ذلك ـ وقبل أن تتمكن المؤسسات التقليدية من تفهم أهداف الثورة والتكيف معها ـ توزيع مسئوليات العمل الخارجى والداخلى على مجموعة من المعاونين الذين يثق الرئيس فى إمكانياتهم وكفاءتهم وإخلاصهم : فتم إنشاء مكاتب موازية لبعض المؤسسات الهامة فى الدولة ، فأُنشئ فى رئاسة الجمهورية مكتب للشئون العربية وآخر للشئون الأفريقية وثالث لشئون آسيا وأوربا وأمريكا الجنوبية، علاوة على مكتب للشئون العلمية وآخر للشئون الاقتصادية. وكان الهدف الأساسى من إنشاء هذه المكاتب الموازية هو ضمان استمرار تدفق المعلومات وتقديم التحليلات وتقديرات الموقف بالنسبة للأنشطة المختلفة داخلياً وخارجياً بفكر مستقل ، وبعيداً عن تأثير بيروقراطية الإدارات ولعدم الانغلاق على رأي واحد من الجهة المعنية.

كان السيد محمود رياض يشرف على المكاتب السياسية ، أما باقى المكاتب الفنية الأخرى فكانت تتبع على صبرى .. مدير مكتب الرئيس للشئون السياسية، فوزير شئون رئاسة الجمهورية فيما بعد.

وعندما تولى السيد محمود رياض وزارة الخارجية رؤى ضم المكاتب السياسية إلى وزارة الخارجية ، ونقل المشرفين عليها كأعضاء فى السلك الدبلوماسى وذلك حتى نتجنب الازدواجية ، ولم يستثنى منها سوى مكتب الشئون الإفريقية الذى ظل يمارس دوره تحت إشراف محمد فائق ، ومكتب الشئون العربية الذى كان يشرف عليه فتحى الديب[1].

ومكتب شئون اللاجئين السياسيين الذى تولاه السيد حسن صبرى الخولى لفترة بسيطة ثم تولى رئاسته بعد ذلك السيد حسن رأفت حتى ١٣ مايو ١٩٧١ ، وكان يتم تنسيق أعماله مع سكرتير الرئيس للمعلومات ، وقد تعدت ميزانية هذا المكتب ثلاثة أرباع المليون من الجنيهات التى كان يتقاضاها اللاجئون السياسيون كمرتبات شهرية أو إعانات .

أحب أن أنوه بهذه المناسبة أن كل استحداثات لمكاتب أو أفرع جديدة فى الرئاسة لم يكن يستدعى إنشاء هياكل وظيفية لها ، بل كانت تعتمد على الشخص الموكول إليه المهمة فقط وكانت سكرتارية الرئيس للمعلومات هى التى تتولى جميع الشئون الإدراية والمكتبية والمساعدات الفنية لهذه المكاتب.

واستطراداً لمفهوم التطوير المستمر فقد أنشئ بعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا سكرتارية جديدة تحت رئاستى تختص بالمعلومات المتعلقة بالإقليم الشمالى ، وتولى الإشراف عليها الدكتور حسن صبرى الخولى الذى عُين ممثلا شخصياً للرئيس بعد إلغائها عندما وقع الانفصال.

ثالثاً: تشكل فى نفس الوقت فريق عمل تحكم علاقات أفراده وأفرعه قواعد عمل محددة وكان هو نفسه مؤسسة الرئاسة ، فرغم تعدد المكاتب والأفرع العاملة فى مجال المعلومات داخل الرئاسة أستطيع أن أقول إنه لم يقع أى نوع من الصدام أو الخلاف فيما بينها تحت أى ظرف من الظروف ، وكانت تعليمات الرئيس عبدالناصر واضحة فى هذا الشأن ، فكل ما تتداوله سكرتارية الرئيس للمعلومات ينقل صورة منه إلى على صبرى مدير مكتب الرئيس للشئون السياسية ، وكان أيضاً كل ما يعرضه على صبرى يتم تقديمه للرئيس عن طريق سكرتارية المعلومات .

ويقدر ما مثل ذلك دعما لسيولة المعلومات واستقرار العلاقات فى مؤسسة الرئاسة فقد كان مصدراً لاطمئنان الرئيس وتجنب إغراقه فى مشكلات صغيرة أو تفصيلات غير هامة وساعد على ذلك استحداث آليات عمل ديناميكية لدعم اتخاذ القرار؛ تمثلت أساسا فى تشكيل فريق العمل اليومى الذى كان يضم مدير مكتب الرئيس

---

(١) وكان من قبله يشرف عليه عبد المجيد فريد بعد عودته من بغداد إثر أزمة العلاقات المصرية العراقية أثناء حكم عبدالكريم قاسم ، وكان يعاونه فى ذلك الوقت محمد المصرى وطلعت صدقى ومحمد كبول وأمين عزالدين

للشئون السياسية ورئيس المخابرات العامة أو أحد نوابه ، ونائب وزير الخارجية ورئيس مصلحة الاستعلامات ، وسكرتير الرئيس للمعلومات ، ويقوم بأعمال السكرتارية منير حافظ ـ مساعد سكرتير الرئيس للمعلومات ـ وجميع محاضر هذه الاجتماعات وتسجيلاتها محفوظة فى أرشيف سكرتارية الرئيس للمعلومات بمنشية البكرى.

وقد كان مهمة « **لجنة العمل اليومى**» تقديم «**تلخيص**» من مختلف القطاعات والـوزارات ومؤسسات الدولة عن الأحداث خلال الأربع والعشرين ساعة السابقة وعرض التحليل والتقدير والتوصيات والبدائل على الرئيس يومياً . واستمر عمل هذه اللجنة التى تولى رئاستها فيما بعد محمود رياض حتى ١٩٦٧، حيث عُدلت لتكون برئاسة السيد أنور السادات وعضوية: على صبرى ومحمود رياض وشعراوى جمعة وأمين هويدى وسامى شرف وكان لها أن تستدعى من ترى من المسئولين، وظل نظام العمل فى هذه اللجنة هكذا حتى ١٣ سبتمبر ١٩٦٩ ، حيث عُدل التشكيل ليضم أيضاً السادة : أنور السادات وعلى صبرى ومحمود رياض وشعراوى جمعة وعبدالمحسن أبو النور لبحث مسائل خاصة بالاتحاد الاشتراكى ، وأمين هويدى والفريق أول محمد فوزى لبحث مسائل عسكرية ، وسامى شرف ومحمد حسنين هيكل.

رابعاً : لم تكن العلاقات تسير بنفس السلاسة مع جهات رئاسية أخرى ، ومن ذلك مثلا المؤسسة العسكرية ، إلا أن تعليمات الرئيس جمال عبدالناصر كانت تقضى بإخطار المشير عبدالحكيم عامر بكل ما يتم عرضه على الرئيس من أمور الدولة باستثناء ما يحدده الرئيس ، وإن كنت أقرر أن هذا الاستثناء لم يستخدم فى أى مرة قبل ١٩٦٧ . أما فيما يتعلق بالمعلومات العسكرية فقد كان الموقف عكسياً ، فلم تكن سكرتارية المعلومات تدخل ضمن معدلات التوزيع لما تصدره المخابرات الحربية أوباقى أجهزة القيادة العامة للقوات المسلحة أو وزارة الحربية ، وكان المشير عامر هو الذى يتولى بنفسه إخطارى بالمعلومات التى يرى عرضها على الرئيس أو يقوم هو فى أغلب الأحوال بإبلاغها للرئيس مباشرة .

و فى نفس الوقت كانت تعليمات المشير مشددة لى شخصياً بعدم الاتصال المباشر مع أفرع القيادة العامة للقوات المسلحة أو طلب أى شئ منها ، كما أعطى تعليمات للمخابرات الحربية ـ وبصفة خاصة فرع المعلومات ـ بعدم إبلاغى معلومات إلا إذا أقرها هو أو شمس بدران . وكذلك كان من المحظورات القاطعة الاتصال من أو إلى فرع الأمن بالمخابرات الحربية .ولايخفى على أحد أن هذا الأسلوب فى التعامل يكتنفه القصور سواء بالنسبة لعنصر الوقت أو دقة المعلومات أوموضوعيتها.

وقد ولّد ذلك بدوره إحساساً عالياً بالذات لدى غالبية معاونى المشير عبدالحكيم عامر ـ وفى مقدمتهم شمس بدران ـ وانعكس بالتالى على تصرفاتهم وأسلوب تعاملهم مع سكرتارية الرئيس للمعلومات أو حتى مع باقى مؤسسات الدولة ، وليس أدل على ذلك من اكتشاف أكثر من تدبير تآمرى تم بواسطة عناصر كانت تعمل فى مكاتب المشير عامر بعد أن أغرتهم السلطة ودفعتهم إلى التحليق فى آفاق حالمة بعيدة عن الواقع ! (قضايا عبد القادر عيد وداود عويس وعبدالكريم النحلاوى وغيرها).

كذلك انسحب هذا الأمر بشكل أو بآخر على العلاقات بين سكرتارية الرئيس للمعلومات والمخابرات العامة تحت قيادة صلاح نصر ؛ فرغم أن هذه العلاقة كانت تخضع لوضع قانونى وتنظيمى مؤسسى ومستقر ورغم احتفاظى بعلاقات جيدة ومبنية على الثقة مع كثيرين من قيادات المخابرات العامة بحكم عملى السابق فيه بل وترشيحى لعدد ممن أصبحوا قيادات فيه ، وكانت هناك سيولة كاملة فى انتقال المعلومات والدراسات والتحليلات من المخابرات العامة إلى سكرتارية الرئيس للمعلومات ، فإنه عندما تولى صلاح نصر رئاستها بترشيح من المشير عبدالحكيم عامر فى ١٩٥٧ بدأ نوع من الحساسية نحو سكرتارية المعلومات .وفى اعتقادى الشخصى أن ذلك كان يرجع ـ وكما أثبتته الحوادث فيما بعد ـ إلى ولاء صلاح نصر للمشير عبدالحكيم عامر وصداقته الحميمة لعباس رضوان وشمس بدران ، ولقد تحولت الحساسيات إلى اتهامات وشكاوى لدى الرئيس.

خامساً: فى الوقت الذى كان يفضل فيه غالبية أعضاء مجلس الثورة مثل عبداللطيف البغدادى وكمال الدين حسين التعامل المباشر مع الرئيس فيما يتعلق بالمهام الموكلة إليهم، فقد كان زكريا محى الدين فى جميع المناصب التى تولاها يتعامل مع مؤسسة الرئاسة من خلال سكرتارية الرئيس للمعلومات ، وهذا طبعاً لايعنى أنه لم يكن هناك اتصال مباشر بينه وبين الرئيس فى كثير من المسائل ، فقد كان «زكريا محيى الدين» مؤمناً بدور المؤسسات ، وبالذات سكرتارية الرئيس للمعلومات باعتبارها حجر الزاوية فى توثيق ما يرد إلى أو يصدر عن مؤسسة الرئاسة ، ولذلك كانت هذه الاتصالاتت توثق بعد بإبلاغى عن مضمونها سواء من جانب الرئيس عبدالناصر أو من زكريا محى الدين أو مكتبه . كذلك الحال كان مع كل من السادة جمال سالم وصلاح سالم وحسن إبراهيم وحسين الشافعى ، ونفس الأسلوب كان متبعاً مع باقى المسئولين والقيادات العليا فى الدولة.

وهكذا كانت كل الأمور مسجلة ومكتوبة ومصنفة وموثقة ومحفوظة فى أرشيف سكرتارية الرئيس للمعلومات بمنشية البكرى حتى مساء يوم١٣ مايو ١٩٧١ .

سادساً : تعرضت أساليب العمل فى سكرتارية الرئيس للمعلومات ، كما ذكرت من قبل، لتغيرات مستمرة لمعالجة الظروف المستجدة ، ولم يكن هناك أى جمود ، فقد كان جوهر الممارسة هو «التجربة والخطأ» ، وكانت العناصر الإدراية مستقرة وميسرة أما الجوانب الفنية فهى كانت تتعرض لتعديلات من وقت لآخر ، وتم الاستعانة بعناصر فنية من وزارة الخارجية والمخابرات العامة ووزارة الاقتصاد ومصلحة الاستعلامات والجامعات ومن أجهزة أخرى مختلفة فى الدولة ، إلى أن تمكّنا من إقامة نظام على درجة من الكفاءة يساعد على تدفق المعلومات فى وقتها ومن جميع المناطق الجغرافية فى مصر . وقد استخدمنا أحدث وسائل الاتصال التى ظهرت فى ذلك الوقت وهو التلكس ، والذى تم توصيله فى محافظات مصر الست والعشرين، إضافة إلى شبكتى التليفونات واللاسلكى كخطوط ودوائر خاصة بسكرتارية الرئيس للمعلومات غير أن التطوير الرئيسى كان بعد الانفصال بين مصر وسوريا.

وأضيف لما سبق أن الرئيس عبدالناصر لم يكن يعتمد على سكرتارية المعلومات وحدها فى الحصول على ما يريد ولم يكن أسيرا لها بل إن مصادر معلوماته كانت متعددة ومتنوعة من اللقاءات ورسائل المواطنين والتى بلغت فى الأيام الساخنة والأحداث الكبيرة لأكثر من مائة ألف رسالة يوميا ، علاوة على حصيلة الاستماع للإذاعات العالمية على مدار الساعة وحرصه على الاطلاع على الصحف والمجلات والدوريات العربية وخصوصاً اللبنانية والأجنبية.

- **يوم العمل عند الرئيس جمال عبدالناصر :**

حرص الرئيس عبدالناصر على ألا ينحصر فى قالب أو يضع العاملين معه فى وضع جامد بل على العكس كانت تحكمه إرادة التغيير الجامحة.

لقد كان يوم عمله يبدأ فى أغلب الأيام حوالى التاسعة صباحاً ، وفى بعض الأحيان يبدأ قبل ذلك ، وفى الأزمات الكبرى يستمر طوال الأربع والعشرين ساعة.

فعلى سبيل المثال خلال أزمة العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ وحتى سنة ١٩٥٨ ، والتى شهدت أحداث تأميم قناة السويس ثم العدوان الثلاثى فإجراءات التمصير ثم إعلان الوحدة المصرية السورية ، كانت الأمور كلها تستلزم التواجد ساعات طويلة بل إلى المبيت فى المكاتب . وكذلك كان الحال سنة ١٩٦٧ حيث أقمت فى منشية البكرى ليل نهار ، ولم أغادر المكتب إطلاقاً من يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ حتى منتصف يناير ١٩٦٨ .

ولقد بدأ العمل فى سكرتارية الرئيس للمعلومات فى أواخر شهر مارس سنة ١٩٥٥ بثلاثة أفراد وفى غرفتين اثنتين وجهاز تيكرز لوكالة الأنباء العربية (رويترز) ـ وكانت تبث أنباءها باللغة العربية و الإنجليزية فقط فى ذلك الوقت ـ وتليفون واحد وموتوسيكل

واحد، أى أننا كنا نعتمد على إمكانيات محدودة للغاية ، وكنت أؤمن بأن الجهد البشرى هو العنصر الأساسى والفيصل فى التحصيل.

كان يوم العمل يبدأ باستعراض التقارير والبرقيات الواردة من وزارات الخارجية والداخلية والمخابرات العامة والسفارات المصرية فى الخارج يضاف إلى ذلك إنتاج وكالة الأنباء العربية ؛ فقد كنا نحصل عليها من الإذاعة المصرية، أما باقى الوكالات الأجنبية مثل « **اليونايتد برس**»و « **الاسوشييتد برس** » لم نكن قد اشتركنا فيها بعد باعتبار أن التوجيه العام فى البداية أن نبدأ من أول السلم ثم نتطور ونكبر واحدة واحدة ـ والصحافة الأجنبية التى كانت تمدنا بها مجموعة الصحافة فى المخابرات العامة ثم بعد ذلك مصلحة الاستعلامات ووكالة أنباء الشرق الأوسط بعد إنشائها ،وقد اقتضى ذلك الاستعانة بمترجمين سواء مقيمين فى السكرتارية أو من مصلحة الاستعلامات . وفى الحقيقة فلقد كانت هذه فرصة لتوسيع مساحة العلاقات الشخصية فى هذه الجهات مما كان له أثره فى تيسير العمل وخلق نوع من التعامل بين هذه المؤسسات بروح الفريق على أسس علمية وإنسانية.

وفى النهاية يتم استعراض رسائل المواطنين للرئيس ـ سواء من الداخل أو من الخارج، وخصوصاً تلك التى كانت تحوى معلومات أو آراء مؤيدة أو معارضة للنظام ، بما فيها الشتائم والنكت ولا يخفى أن هذه الرسائل تعطى مؤشرات للرأى العام إلى أن تشكلت وحدات لقياس الرأى العام ،فى وزارة الإعلام ومصلحة اللاستعلامات على أسس علمية كانت تغطى كل الجمهورية.

وكانت كل هذه المواد يتم تصنيفها وتبويبها فى شكل تقرير يومى ينقسم إلى قسمين : الأول يحتوى على المعلومات السرية ، والثانى يشمل المعلومات العلنية ، ويتم فى هذا التقرير تلخيص كل الموضوعات التى تتضمنها التقارير المختلفة ، وتعرض منسوبة إلى مصادرها الأصلية ، وموضحا عليها تواريخ تحريرها وتاريخ وصولها إلى السكرتارية ، ويعلق عليها بمقترحات استكمالها من مصادر أخرى أو أنه جارى استيضاح المزيد من مصادرها الأصلية أو إجراءات متابعتها ، وإن احتاجت المعلومة إلى تحليل أو يمكن الاستفادة منها باستنتاجات تدون قرين المعلومة وهكذا.

وكان يتبع نفس الإجراء بالنسبة للمصادر العلنية ، ورسائل المواطنين ، ويدون أمام كل موضوع الإجراء الذى اتخذ حياله أو التوصية المقترحة أو الحلول التى يرى الرئيس أن يختار منها ما يراه مناسبا من وجهة نظره ، سواء بالموافقة أو التعديل أو الرفض أو المزيد من المعلومات.

وتجدر الإشارة إلى أننى كنت قد فكرت فى البداية فى إصدار التقرير اليومى لسكرتارية الرئيس للمعلومات فى شكل جريدة مصغرة تضم من أربع إلى ست صفحات ، ولكن صرف النظر عن هذه الفكرة للأسباب الآتية:

١ .. إن إصدار مثل هذه الجريدة قد يحدث تداخلا بين ماهو سرى وعلنى وقد يترتب على ذلك إهدار عامل السرية.

٢ ـ ارتفاع التكلفة ، وكان الخط العام هو تقليل الإنفاق قدر الإمكان.

٣ ـ إن ثمة مسائل لايجب أن تدرج فى التقرير اليومى لسريتها العالية ، والتى كان يقتضى إعدادها فى شكل تقرير منفصل قد يكتب باليد وليس على الآلة الكاتبة .. ويعنى هذا إزدواجية فى العمل وإهداراً للوقت.

فى هذا الإطار بدأ العمل فى سكرتارية المعلومات فى أواخر شهر مارس سنة ١٩٥٥ بثلاثة أفراد هم :

ـ سامـــــى شـــــــرف	سكرتير الرئيس للمعلومات.
ـ هاشم مصطفى نجيـب	آلة كاتبة وأرشيف .
ـ محمد عبدالحميد السعيد	سكرتير خاص ومسئول عن تجميع المصادر الصحفية العلنية.

وفى عام ١٩٥٦وفى منتصف يوليو ، وقبيل زيارة الرئيس جمال عبدالناصر الرسمية ليوغسلافيا والتى صاحبته فيها ، وقبيل العدوان الثلاثى ، بدأ أول توسع فى سكرتارية الرئيس للمعلومات حيث انتدب للعمل بها كل من :

عبدالرحمن عبداللطيف سالم ـ حسن فهمى الإمبابى ـ أحمد فؤاد أحمد على ـ توفيق عبدالعزيز أحمد ـ زكريا حسنى خليل.

وفى نفس الوقت كانت رئاسة الجمهورية قد أعيد تنظيمها من جديد ، وتقرر إنشاء السكرتارية الصحفية للرئيس سنة ١٩٥٦ ، قبيل العدوان الثلاثى، وقد تولى رئاستها كمال الحناوى ـ أحد الضباط الأحرار وعضو مجلس رئاسة اتحاد الدول العربية وعضو مجلس الأمة السابق ـ ولقد اتخذ الرئيس قرار إنشاء السكرتارية الصحفية كإجراء تنظيمى يكمل هياكل مؤسسة الرئاسة من ناحية ، ومن ناحية أخرى لتكون مسئولة عن النواحى الإعلامية المكتوبة والمسموعة وتنسيقها تمهيداً للعرض على رئيس الجمهورية وتلقى تعلياته لإبلاغها لوسائل الإعلام المختلفة علاوة على تنسيق الاتصال بوكالات الأنباء والصحافة والحصول على جميع الصحف والمجلات الأجنبية وتبويبها وتلخصيها وعرضها على الرئيس فى شكل تقرير يومى أو لحظى للأنباء العاجلة أو المهمة.

ومما يجدر الإشارة إليه أن الرئيس جمال عبدالناصر كان إعلامياً من الطراز الأول ، يتابع بنفسه الإذاعات العالمية مثل الإذاعة البريطانية ـ «بى بى سى» «.B.B.C» ، وصوت أمريكا، وإذاعة الشرق الأدنى من قبرص التى كانت لسان حال الاستعمار البريطانى فى

المنطقة ، وإذاعة «مصر الحرة» التى كان يتولى أمرها آل أبو الفتح بدعم من المخابرات الغربية وبعض الأنظمة العربية ـ وكانت أساساً موجهة ضد مصر الثورة ، وكذا إذاعة إسرائيل وصحافتها . وإن لم يتمكن من الاستماع بنفسه لهذه الإذاعات لسبب أو لآخر ، فقد كان يحرص على الإطلاع على تقرير استماع كامل وغير مختصر لهذه الإذاعات التى كانت تعطيه المؤشرات الحقيقية لاتجاهات وسياسات الدول التى تتبعها نحو مصر والمنطقة كلها . وفى الوقت نفسه كان الرئيس عبدالناصر يعتبر الصحف اللبنانية بمثابة مرآة ونافذة على العالم الخارجى عربياً وعالمياً ـ الغرب بالذات ـ وكان يهتم بكل ما تنشره هذه الصحف ، المعادى منها قبل المؤيد لسياسة الثورة . وإذا ما تأخر وصول هذه الصحف ، التى كان يجب أن يقرأها كما هى صادرة دون تلخيص أو عمل قصاصات منها ، كان يبدى ضيقه ويظل منتظراً وصولها ليطلع عليها . وكان أيضاً يحب أن يقرأ صحف ومجلات أجنبية بالذات مثل النيوزويك والتايم والنيويورك تايمز والواشنطن بوست من أمريكا ، والتايمز والجارديان والإيكونوميست البريطانية ، علاوة على تلخيص باقى الصحف والمجلات العالمية الأخرى من فرنسا وإيطاليا وألمانيا وغيرها ، هذا بخلاف ملخصات النشرات والدوريات السياسية والاقتصادية والعسكرية ذات الأهمية.

وفى عام ١٩٥٧ تم إلغاء السكرتارية الصحفية بسبب إصدار جريدة الشعب التى تولى مسئوليتها كمال الحناوى وكمال الدين رفعت ولطفى واكد ، وأيضاً بسبب إنشاء وكالة أنباء الشرق الأوسط التى تولى رئاستها جلال الدين الحمامصى ، ثم كمال الدين الحناوى . وقد أسندت مسئوليات واختصاصات السكرتارية الصحفية إلى سكرتير الرئيس للمعلومات باعتبارها المكمل للفرع العلنى لهذه السكرتارية[١].

وفى أكتوبر ١٩٥٦ تم استحداث فرع جديد فى سكرتارية الرئيس للمعلومات باسم «المكتب الفنى» أشرف عليه منير حافظ وعاونه :

محمد رشدى العمرى ـ سيد عثمان رفعت ـ مصطفى إبراهيم ـ صلاح الدين محمود ـ أحمد عبادى ـ محمد عبدالله الشفقى الذى لم يستمر طويلاً للعمل معنا وعاد للعمل فى مصلحة الاستعلامات ـ مختار الحمزاوى الذى نجح بعد ذلك فى امتحان وزارة الخارجية ووصل إلى درجة السفير ـ حسنى أحمد السيد.

ثم أعقب ذلك فصل وتوزيع الاختصاصات داخل السكرتارية بحيث تشمل فروعاً ثلاثة رئيسية:

---

(١) (أنظر لاحقاً ص ١٥٣ : الهيكل التنظيمى لرئاسة لجمهورية فى العام ١٩٥٦).

الأول : فرع الأمن

يعنى بأمن رئاسة الجمهورية وتحركات رئيس الجمهورية ، وكان يرأسه عز الدين عثمان ويعاونه محمد محمود عبدالكريم ثم انضم إليهما محمد رشاد حسن ، وهم من ضباط شرطة رئاسة الجمهورية الأكفاء الشرفاء.

الثانى : المكتب الفنى

ومهمته باختصار هى تجميع وتصنيف وتبويب وتلخيص وتوثيق المعلومات والتقارير والدراسات والتحليلات التى ترد إلى السكرتارية من مختلف المصادر التى سبق أن أشرت إليها ، ثم القيام بتجهيز التقرير اليومى الذى يعرض على الرئيس ، بعد عرضه علىّ.

وقد كان منير حافظ ينوب عنى فى حالة غيابى عن المكتب لأى سبب.

الثالث : أعمال سكرتارية إدارية وأرشيف

وفى نهاية ١٩٥٦ انضم إلى سكرتارية المعلومات :

محمد فتحى سعد ، وكان مسئولا عن تحصيل إيرادات خط السكة الحديد من القاهرة إلى غزة وبالعكس[١]، سامى أحمد سيد أحمد ، عبدالحميد عونى ، أحمد فؤاد عبدالرحمن ، عبدالعزيز قابل ، محمود نصر ، حسين زايد ، شعبان أحمد ، محمد محمود الجوهرى ، محمد حسين ، نبيل عبد الخالق ، محمد مجدى زعفان.

وفى عام ١٩٦١ وقبل وقوع الانفصال بين مصر وسوريا بأيام ، انضم لسكرتارية الرئيس للمعلومات كل من :

أحمد أبو زيد المنياوى [٢]، أحمد رؤوف أسعد [٣] ، بهى الدين بدر.

وكان الثلاثة من الضباط الأحرار وضمن ضباط الياوران فى رئاسة الجمهورية ، وكا ن واجبهم يقتصر على استلام بريد سكرتارية الرئيس للمعلومات من مقرها فى مبنى الحكومة المركزية بمصر الجديدة ، يتولوا وضع على مكتب الرئيس فى منشية البكرى ، خصص لهم مكتب ضمن السكرتارية الخاصة لرئيس الجمهورية فى منشية البكرى لأسباب أمنية.

---

(١) وأثناء العدوان الثلاثى وفى نفس اليوم الذى هاجمت فيه القوات الإسرائيلية سيناء كان هو فى القطار المتجه إلى العريش وهوجم القطار ونسفت بعض عرباته فقفز منه ومعه حصيلة الإيراد التى بلغت أكثر من السبعين ألفا من الجنيهات ونجح فى الوصول إلى القاهرة وقام بتسليم المبلغ بالكامل لرئاسته وعندما علمت بهذا الموقف الوطنى الشريف قررت ندبه للعمل فى مكتبى وعينته رئيساً للسكرتارية الإدراية فى سكرتارية الرئيس للمعلومات.

(٢) (نقل بعد ذلك ليكون مساعدا للسكرتير العام لرئاسة الجمهورية) ، بهى الدين محمد بدر (بقى منتدباً للعمل معى وتولى الإشراف على المكتبة والمكتب الصحفى ، ولكن لم يطل بقاؤه حيث انتقل إلى رحمة الله بعد فترة مرض قصيرة).

(٣) أحمد رءوف أسعد ، (نقل بعد ذلك ليكون مساعدا للسكرتير العام لرئاسة الجمهورية ومشرفا على القصور التى تتبع رئاسة الجمهورية ثم أميناً عاماً للرئاسة).

كما انضم للعمل بسكرتارية الرئيس للمعلومات فى عام ١٩٦٣ الدكتور فؤاد كمال حسين (وزير الدولة للمالية فيما بعد سنة ١٩٨١) ، للقيام بأعمال رصد ودراسة وتقييم المسائل الاقتصادية تمهيداً لعرضها على الرئيس ، وكذلك متابعة تعليمات الرئيس فيما يتعلق بهذا الفرع من المعلومات.

وانضم لعضوية المكتب الفنى فى فترة لاحقة بعد ذلك خلال عامى ١٩٦٨ و ١٩٦٩ كل من حاتم صادق ـ منتدبا من المخابرات العامة ـ وأشرف مروان ـ منتدبا من الحرس الجمهورى ـ سرية الكيمياء ـ باعتباره متخرجا من كلية العلوم ، وكان برتبة النقيب ، والأخت هدى جمال عبدالناصر ـ منتدبة من المخابرات العامة ـ وكانت أول عنصر نسائى تشاركنا العمل بصفة رسمية كعضو عامل فى أسرة سكرتارية الرئيس للمعلومات ، وفى سبتمبر ١٩٦٩ وبعد أن أصيب الرئيس جمال عبدالناصر بالأزمة القلبية الأولى تقرر أن تقوم بمباشرة عملها من داخل منزل الرئيس . كما تقرر حسبما أذكر سنة ١٩٦٨ ، أن يُنقل حاتم صادق ـ بناء على طلبه للمساهمة فى إنشاء مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى مؤسسة الأهرام الذى كان الهدف من إنشائه هو التركيز على ما يتعلق بالشئون الإسرائيلية.

ويلاحظ أنه لم يكن من بين جميع أعضاء سكرتارية الرئيس للمعلومات عسكرى واحد سواى أنا والمقدم عادل إبراهيم السكرتير العسكرى (الذى انضم لنا بعد يونيو ١٩٦٧).

ولقد كان هذا الفريق يتطور تدريجيا ضمن إطار مؤسسة الرئاسة التى بدأت فى التبلور بوضوح فى عام ١٩٥٦ بعد صدور الدستور وانتخاب الرئيس جمال عبدالناصر رئيساً للجمهورية.

كانت مؤسسة الرئاسة بمثابة المطبخ السياسى الأول والأكبر فى نظام عبدالناصر ، فمنها تنطلق الأفكار والمقترحات وإليها تصدر التوجيهات بإعداد تقديرات الموقف ، وبواسطتها يتم بلورة كل الرؤى الصادرة عن مختلف المؤسسات الدستورية فى الدولة فضلا عن اتجاهات الرأى العام والمساهمات الخاصة لبعض كبار المفكرين والاستراتيجيين.

كان يتبع سكرتير الرئيس للمعلومات مجموعة من الخبراء فى الترجمة الفورية المكتوبة والشفوية فى اللغتين الإنجليزية والفرنسية بالدرجة الأولى ثم انضم لهم عناصر تجيد اللغة الروسية والأسبانية كلما احتاج الأمر وكان يتولى ترجمة خطابات الرئيس لرؤساء الدول من اللغة العربية واللغة الإنجليزية سليم رزق الله كبير المذيعين باللغة الإنجليزية بالإذاعة ، كما كان يشاركه فى ترجمة خطب الرئيس المنطوقة السيدة دورا حليم ، أما بالنسبة للغة الفرنسية فقد كان يتولى ترجمة الخطب المنطوقة والخطابات المكتوبة للرئيس جمال عبد الناصر الدكتور

عادل عامر وكيل مصلحة الاستعلامات . وكان هؤلاء الثلاثة ، كل فيما يخصه يحضرون مقابلات الرئيس مع الرؤساء والمسئولين والصحفيين الأجانب ، علاوة على مصاحبة الرئيس فى رحلاته وزياراته للخارج . وكانت تقاريرهم ونتائج أعمالهم تقدم لسكرتير الرئيس للمعلومات الذى كان يقوم فى الوقت نفسه بتلقينهم بالمهام التى سيتولونها سواء فى الداخل أو فى خارج البلاد.

وكانت هذه المؤسسة تعمل وفقاً لروح الفريق ، وأخذت تتطور وتنمو تدريجياً منذ عام ١٩٥٥ قبيل وخلال هذه الفترة كانت مؤسسة الرئاسة تضم المكاتب التالية:

● **مكتب الرئيس للشئون السياسية**

أنشئ هذا المكتب لأول مرة سنة ١٩٥٤ ـ وكان على صبرى وقتها يعمل مديراً لمكتب القائد العام لشئون الطيران ومديراً لمخابرات الطيران ـ وبهذه الصفة عمل مع الرئيس جمال عبدالناصر بغير قرار مكتوب إلى أن تولى الرئيس عبدالناصر رئاسة الجمهورية فتم معه وضع التقسيم الإدارى للرئاسة بصورة رسمية.

وفى سنة ١٩٥٦ تولى على صبرى رسمياً رئاسة مكتب الرئيس للشئون السياسية واختص بكل المسائل السياسية الخارجية فى الأساس ، وتأتى بعدها المسائل الداخلية فى المرتبة الثانية، ثم أضيفت إليه المسائل الاقتصادية التى كان يحيلها إلى الدكتور إبراهيم حلمى عبدالرحمن الذى كان يشغل فى الوقت نفسه منصب سكرتير عام مجلس الوزراء .وكان يقوم بالتنسيق بين الوزارات المعنية فى هذا القطاع ورئاسة الجمهورية.

وكان مدير مكتب الرئيس للشئون السياسية مشرفاً فى الوقت نفسه على مكتب الشكاوى والأمناء والمراسم وكبير الياوران ، إلى جانب الإشراف على أعمال سكرتير عام مجلس الوزراء والشئون الإدارية والمالية برئاسة الجمهورية.

وقد كان الرئيس جمال عبدالناصر يتمتع بذاكرة قوية خصوصاً فى مسائل المتابعة وما يعرض عليه من موضوعات بصفة عامة وكثيراً ما كان يسأل عن تأشيرة له وضعها على موضوع مر على عرضه شهر مثلاً ويقول « فى صفحة كذا من مذكرة فلان بخصوص كذا إيه اللى تم بالنسبة للتأشيرة التى وضعتها ، وهل فلان رد وبماذا رد ، وهكذا كان أسلوبه فى المتابعة التى كان دائماً ما يحرص عليها.

وتقرر بعد ذلك تقنين هذا الأسلوب بتنفيذ فقرة هامة من برنامج إنشاء سكرتارية المعلومات وهو فرع المتابعة حيث خصصت له مكتب مستقل يتولى أمرين : الأول المتابعة والثانى متابعة المتابعة وأعدت لهذا الغرض نماذج ودفاتر نرصد بها المواضيع المطلوب

متابعتها أو متابعة متابعتها وهكذا ، والنماذج المشار إليها موجودة فى سكرتارية الرئيس للمعلومات بمنشية البكرى.

وفى مارس ١٩٦٤ تقرر إلغاء المكاتب السياسية وعين محمود رياض وزيراً للخارجية وهو الذى اقترح نقل تبعية المكاتب القائمة فى الرئاسة إلى وزارة الخارجية منعاً للازدواجية وبالفعل تم تعيين مديرى هذه المكاتب سفراء وهم حمدى أبو زيد (وزير الطيران المدنى فيما بعد) ومحمد شكرى ومصطفى مختار ، ولم يبق بالرئاسة إلامكتب الشئون الأفريقية يتولاه محمد فائق ، ومحمد فتحى الديب مسئولاً عن الشئون العربية ، وحسن صبرى الخولى الممثل الشخصى لرئيس الجمهورية ، والدكتور مراد غالب للشئون السياسية .

وفى الحقيقة فقد صاحب هذه الفترة من ١٩٥٨ حتى ١٩٦١ بعض التعارض والازدواجية بين المكاتب السياسية والإدارات المقابلة لها فى وزارة الخارجية . وتم فى البداية تعيين كل من السيد حسين ذو الفقار صبرى نائباً لوزير الخارجية ومحمد حافظ إسماعيل وكيلاً لهذه الوزارة فى محاولة لضبط المسائل ومنع الازدواجية واحتواء المشاكل ولكنها لم تحل بشكل نهائى إلا بتفرد وزارة الخارجية بالمسئولية بتعيين محمود رياض وزيراً لها.

وفى عام ١٩٥٨ وبعد قيام الوحدة العربية بين مصر وسوريا كان تنظيم رئاسة الجمهورية كما يوضحه الرسم الكروكى التالي[١]:

ثلاثـــة قطاعـــات أخـــرى:

١ ـ مستشارو الرئيس : حيث تولى السيد محمود رياض منصب مستشار الرئيس للشئون السياسية ، وأصبح بذلك مشرفاً على جميع المكاتب السياسية تحت قيادة وزير شئون رئاسة الجمهورية ـ السيد على صبرى ، متعاوناً عرضياً مع سكرتير الرئيس للمعلومات ، وكانت كل التقارير والمذكرات والدراسات ترفع للرئيس بواسطة سكرتير الرئيس للمعلومات حيث كانت السكرتارية هى فى الوقت نفسه السكرتارية الإدراية والفنية لجميع مكاتب الرئاسة.

٢ ـ مكتب الرئيس للشئون القانونية : تولى مسئوليته المستشار محمد فهمى السيد من مجلس الدولة وكان يعاونه مجموعة من المستشارين من الهيئة القضائية ومجلس الدولة منهم على سبيل المثال المستشارين محمد أبو نصير ، (وزير العدل فيما بعد) وعادل عبدالباقى (وزير الدولة فيما بعد) وعلى كامل وعمر الشريف ومحمد كامل مازن ومحمد إبراهيم كامل (وزير الخارجية فيما بعد) وآخـرون.

---

(١) انظر الرسم الكروكى ص ١٥٣ - ص ١٥٦.

كانت إختصاصات هذا المكتب تتلخص فى مراجعة مشروعات القوانين والقرارات الجمهورية قبل عرضها على مجلس الوزراء ومجلس الأمة أو مجلس قيادة الثورة قبل حله ، كما كان يراجع المذكرات التفسيرية لهذه المشروعات ، ويجرى المشاورات بشأن هذه القوانين والقرارات مع جهات الإختصاص مثل مجلس الدولة و وزير العدل واللجنة التشريعية فى مجلس الأمة ، كما كان يراجع الأحكام فى القضايا العسكرية قبل أن يصدق الرئيس عليها ، باعتبار أن الرئيس هو الحاكم العكسرى العام.

٣ ـ **مكتب الرئيس للشئون الاقتصادية** : تولى الدكتور عبد السلام بدوى منصب مستشار الرئيس للشئون الاقتصادية ثم تلاه المهندس حلمى السعيد (وزير الكهرباء فيما بعد) ـ عندما عين د. بدوى سكرتيراً عاماً لمجلس الوزراء.

٤ ـ **سكرتارية الرئيس للمعلومات للإقليم الشمالى فى دمشق** : تولاها الدكتور حسن صبرى الخولى(الممثل الشخصى لرئيس الجمهورية فيما بعد).

تنظيم
رئاسة الجمهورية
١٩٥٥

الرئيس

مدير مكتب الرئيس للشئون السياسية

سكرتير الرئيس للمعلومات

السكرتير الخاص لرئيس الجمهورية

المستشار القانوني لرئيس الجمهورية

أمن

معلومات

الحراسة الخاصة

أمن الرئاسة

أمن المقر

الأمناء

سكرتير عام مجلس الوزراء

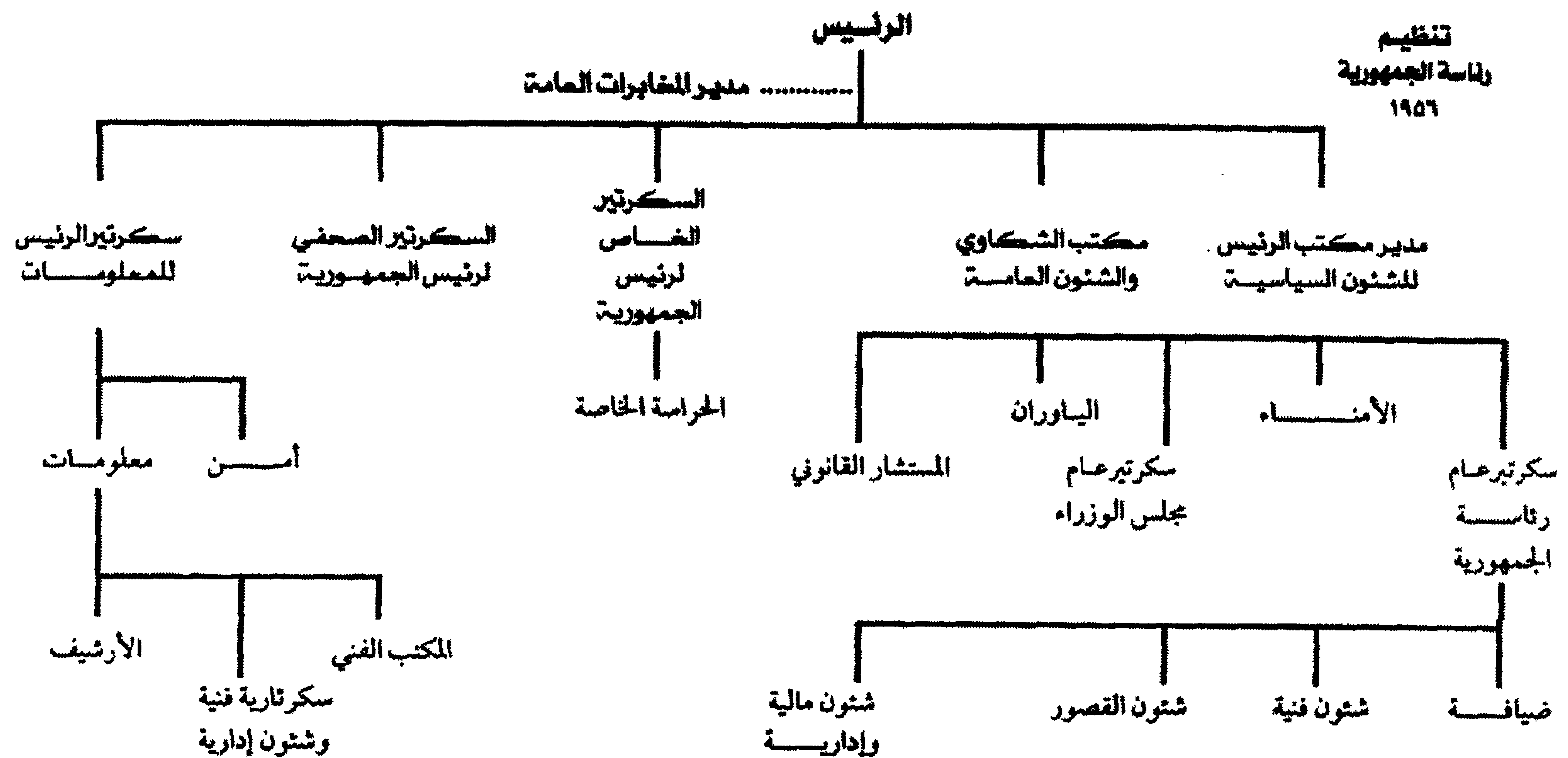
الياوران

العلاقات العامة

الأرشيف

مكتب الشكاوي ورسائل المواطنين





تنظيم
رئاسة الجمهورية
١٩٥٦
الرئيس
مدير المخابرات العامة
مدير مكتب الرئيس للشئون السياسية
مكتب الشكاوي والشئون العامة
السكرتير الخاص لرئيس الجمهورية
السكرتير الصحفي لرئيس الجمهورية
سكرتير الرئيس للمعلومات
سكرتير عام رئاسة الجمهورية
الأمناء
سكرتير عام مجلس الوزراء
الياوران
المستشار القانوني
الحراسة الخاصة
أمن
معلومات
المكتب الفني
سكرتارية فنية وشئون إدارية
الأرشيف
ضيافة
شئون فنية
شئون القصور
شئون مالية وإدارية

تنظيم
رئاسة الجمهورية
١٩٥٨
الرئيس
نواب الرئيس .... مدير المخابرات العامة
مستشارو الرئيس للشئون السياسية والاقتصادية
مدير مكتب الرئيس للشئون الداخلية والشكاوي
مدير مكتب الرئيس للشئون العلمية
سكرتير الرئيس للمعلومات
وزير شئون رئاسة الجمهورية
سكرتير عام رئاسة الجمهورية
الأمناء
القسم الطبي
الياوران
مديرو المكاتب السياسية
أفريقيا
العربية
آسيا
أوروبا وأمريكا
أمن
الرئاسة
المقر
المستشار القانوني (المكتب الفني)
معلومات
المكتب الفني
فرع سكرتارية المعلومات بالاقليم الشمالي
الأرشيف
السكرتارية الفنية
الشئون الادارية

تنظيم
رئاسة الجمهورية
١٩٧٠
الرئيـــس
نواب الرئيس ....
.... مدير المخابرات العامة
وزير الدولة (سكرتير المعلومات) المكتب الفني
مكتب الشئون الأفريقية
مكتب الشئون العربية
الممثل الشخصي لرئيس الجمهورية
الياوران
الأمناء
مدير مكتب الرئيس للشئون الداخلية
السكرتير الخاص
مستشارو رئيس الجمهورية
المستشار القانوني لرئيس الجمهورية (المكتب الفني)
مدير مكتب الشكاوي والتظلمات
وزير الدولة (الأمين العام)
الأمين العام المساعد (ضيافة – قصور)
الأمين العام المساعد للشئون المالية
الأمين العام المساعد للشئون الإدارية
الحملة
القسم الطبي
الأمن
السكرتير العسكري لرئيس الجمهورية
المعلومات
سياسي خارجي
سياسي داخلي
اقتصادي
صحافة إعلام ترجمة
مجلس الشعب والتنظيمات الشعبية
الشفرة

تنظيم رئاسة الجمهورية ١٩٧١

- **الرئيس**
  - نواب الرئيس .... مدير المخابرات العامة
  - مدير مكتب الرئيس للشئون الداخلية
  - مكتب الشئون الأفريقية
  - مكتب الشئون العربية
  - مدير مكتب الشكاوي والتظلمات
  - السكرتير الخاص لرئيس الجمهورية
  - المستشار القانوني لرئيس الجمهورية (المكتب الفني)
  - الممثل الشخصي لرئيس الجمهورية
  - **وزير شئون رئاسة الجمهورية (سكرتارية المعلومات)**
    - الأمن
      - الحرس الجمهوي
      - أمن الرئاسة / أمن المقر
    - المعلومات
      - المكتب الفني
        - سياسي خارجي
        - سياسي داخلي
        - اقتصادي
        - صحافة إعلام وترجمة
        - مجلس الأمة و التنظيمات الشعبية
        - الشفرة و الاتصالات
    - السكرتير العسكري لرئيس الجمهورية
    - الأمناء
    - الياوران
    - القسم الطبي
    - مستشارو رئيس الجمهورية
    - **الأمين العام**
      - الحملة
      - الأمين العام المساعد (ضيافة - قصور)
      - الأمين العام المساعد للشئون المالية
      - الأمين العام المساعد للشئون الإدارية



مهمة عمل ودراسة

وخلال فترة الوحدة بين مصر وسوريا كان الرئيس جمال عبدالناصر يعهد إلىّ ببعض المهام السياسية التى كانت تفرضها التطورات الدولية فى المنطقة ؛ وكان من بين هذه المهام تكليفى فى شهر مايو ١٩٥٨ بالتوجه إلى نيويورك لمعاونة وفد مصر الدائم فى الأمم المتحدة فى إدارة الأزمة التى أثارتها لبنان فى عهد كميل شمعون وقتئذ عندما تقدمت بشكوى ضد الجمهورية العربية المتحدة تتهمها فيها بالتدخل فى الشئون الداخلية للبنان عقب إنزال القوات الأمريكية على أراضيها.

فبعد دراسة الموقف قرر الرئيس جمال عبدالناصر عرض وجهة نظر الجمهورية العربية المتحدة فى هذه القضية أثناء نظرها أمام مجلس الأمن ، وكان يرأس وفد مصر الدائم فى ذلك الوقت السفير عمر لطفى . وقبل مغادرتى القاهرة تم عقد اجتماع فى القصر الجمهورى بالقبة برئاسة الرئيس جمال عبدالناصر وحضره السادة على صبرى ومحمود فوزى وسافرت مزوداً بالتوجيهات لمقابلة تصرفات وتوجهات الوفد اللبنانى الذى كان يترأسه شارل مالك ـ وزير خارجية لبنان والمعروف بميوله الغربية ومعاداته لثورة يوليو وكان من ضمن التوجيهات أيضاً العمل على الاتصال والتنسيق مع كافة الأطراف المعنية فى هذه القضية.. ومنها المجموعة العربية ، ودول العالم الثالث ، وكل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ، وكان الجانب الأمريكى قد أُخطر فعلا فى القاهرة قبل سفرى ممثلا فى شخص السفير الأمريكى وكذا ممثل المخابرات المركزية الأمريكية فى القاهرة فى ذلك الوقت تشارلز كريمينز.

كان من ضمن أعضاء وفدنا الدائم فى نيويورك كل من محمد رياض ـ الذى أصبح وزيراً للدولة للشئون الخارجية فى عهد السادات ـ ويحيى سامى وعمر شرف .وهم الذين تولوا مهمة إدارة جميع اتصالاتى فى نيويورك ، كما كانوا يصاحبونى فى جميع تحركاتى هناك بما فيها الإقامة.

وعندما وصلت إلى مطار آيدل وايلد فى نيويورك ـ والذى أصبح الآن مطار «كنيدى» ـ أن نودى على شخصى من قبل سلطات المطار قبل نزولى من الطائرة حيث اصطحبنى أحد المسئولين هناك إلى مكتب مغلق به شخص عرفنى بنفسه أنه موفد من قبل « **آلن دالاس**» مدير المخابرات المركزية الأمريكية ـ لاستقبالى ولإبلاغى باسم حكومته أنهم قرروا أن أكون ضيفا على حكومتهم ، وأنه قد حجز لى جناحاً خاصاً فى فندق «البلازا» ، كما تقرر وضع سيارة كاديلاك تحت تصرفى . قمت بشكره واعتذرت عن قبول الضيافة والسيارة، وطلبت منه إبلاغ خالص شكرى لرئاسته موضحاً له بأننى موفد من حكومة الجمهورية العربية المتحدة فى مهمة رسمية للمشاركة فى اجتماعات مجلس الأمن، وأن حكومتى ستتولى مسئوليتى بالكامل من ناحية الإقامة والتنقلات .

وكان فى هذه الأثناء قد تم إنهاء إجراءات الجوازات والجمارك والحجر الصحى بمعرفتهم، واصطحبنى إلى خارج المطار حيث كان فى استقبالى ـ الوزير المفوض ـ زكى قناوى المندوب المناوب لوفدنا هناك ـ ومعه كل من يحيى سامى ومحمد رياض وعمر شرف حيث توجهنا لمنزل عمر شرف للإقامة به طوال فترة إقامتى فى نيويورك.

وفى اليوم التالى عقدنا اجتماعا مع السفير عمر لطفى وبحضور جميع أعضاء الوفد وذلك لوضع خطة العمل وترتيب وتجهيز الاتصالات مع الوفود الصديقة . وقد كلفت محمد رياض بتولى أعمال السكرتارية وترتيب وتحديد المواعيد مع أعضاء الوفود الأخرى التى يستلزم الأمر الاتصال بها والتنسيق معها . وتمت مع الوفد السوفيتى مقابلة واحدة استغرقت حوالى خمسة وعشرين دقيقة بالمقر السوفيتى ، وبحضور كل من السفير عمر لطفى ومحمد رياض حيث تبادلنا وجهات النظر معهم بشأن القضية اللبنانية المثارة وقتئذ على الوجه سالف الذكر.

وبعد انتهاء دورة مجلس الأمن قرر الرئيس أن أتوجه إلى واشنطن للاطلاع على أسلوب العمل فى البيت الأبيض ـ وكان قد تم الترتيب بين القاهرة وبينهم على ذلك ـ وفعلا قمت بالاطلاع على أساليب العمل فيه خصوصاً كيفية الحصول على المعلومات وترتيبها وتبويبها وعرضها على الرئيس ، وفى الواقع لم أجد اختلافاً كبيراً بين الأسلوب الذى كنا نتبعه وما شاهدته هناك إلا فى الإمكانيات والمعدات الحديثة المستخدمة . ولقد لفت نظرى الحجم الكبير للرقابة التليفونية التى كانت تتم بواسطة الأجهزة المعنية هناك ، وعلى سبيل المثال ففى ذلك الوقت كانت تتم مراقبة ما بين ثمانية وعشرة آلاف خط تليفونى فى وقت واحد فى مدينة نيويورك فقط!!

اكتسبت سكرتارية الرئيس للمعلومات نضجها وتطورها مع تقدم الزمن وكان يجرى سد أى ثغرات أو جوانب قصور أولا بأول مع تزايد حجم العمل.

وندب للعمل بسكرتارية الرئيس للمعلومات فى أعقاب عدوان يونيو ١٩٦٧ الدكتور أسامة الباز من وزارة الخارجية[1]؛ وكذلك محمد أبو الغيط (وزير الخارجية فيما بعد) وعماد

---

(١) وقد بدأت معرفتى به منذ سنة ١٩٥٢ حيث كان أحد أفراد إدارة الأبحاث بوزارة الخارجية وكان من قبل وكيلاً لنيابة بورسعيد ثم التحق بالسلك الدبلوماسى ومنذ أن عملت بهيئة رقابة الأداة الحكومية كنت أتردد على إدارة الأبحاث لمتابعة مواضيع تتعلق بوزارة الخارجية ونشأت بيننا علاقة قوية استمرت حتى توفاه الله فى عام ٢٠١٣، تخللها تعامل مع سكرتارية الرئيس للمعلومات واتصال مستمر ، باعتباره عضوا بها منذ أن بدأ يحضر للدكتوراه فى أمريكا وقد انتخب فى ذلك الوقت رئيساً لاتحاد الطلبة العرب فى الولايات المتحدة الأمريكية مدعوما من الرئيس عبدالناصر وأمانة التنظيم الطليعى (تنظيم الخارج) من أجل العمل على تجنيد الطلبة العرب لخدمة القضايا القومية العربية ومقابلة ومناهضة الأنشطة السياسية والعنصرية المعادية وقد نجح بجدارة هو والطاقم المعاون له فى كل ما أوكل إليه من مهام ، وبعد عودته انضم للعمل فى سكرتارية الرئيس للمعلومات ، كضابط اتصال بينها وبين وزارة الخارجية لفترة ، ثم عاد للعمل فى وزارة الخارجية.

البط ومحمد محمود قاسم وصلاح إبراهيم وعبد الرحمن مرعى ونهاد عسقلانى للمعاونة فى دعم المجهود الكبير الذى كان يبذل فى تلك الفترة فى تجميع وتحليل الأوضاع السياسية، علاوة على اعتبارهم ضباط اتصال بين وزارة الخارجية ومؤسسة الرئاسة ، وكان دورهم مؤثراً وإيجابياً فى دعم عملية اتخاذ القرار على مستوى رئيس الجمهورية.

وفى واقع الأمر بدأت صلات خاصة خلال أزمة العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ مع بعض السفراء المصريين فى الخارج بشكل يكاد يكون منفرد من السفير عبدالفتاح حسن ـ نائب وزير الخارجية ـ عندما كان ممثلا لمصر فى جنيف : حيث بدأ يراسل الرئيس باعتباره ممثلا شخصياً له فى الخارج عارضاً عليه المواقف المختلفة للدول الممثلة فى الأمم المتحدة فى جنيف ، ثم تطورت هذه الرسائل لتشمل تقييمات وتحليلات للأوضاع وقد رؤى فى ذلك الوقت أنه من غير المناسب أن تمر هذه الرسائل فى دهاليز الإدارات بالوزارة وإنما يكون من الأفضل أن تكون تحت أنظار رئيس الدولة مباشرة لما تحويه من آراء ومعلومات حساسة يحسن ألا تتداول منعا للبلبلة ، لأن بعضها يكون قد حصل عليها بطريقة غير رسمية من أحد المسئولين فى الدولة المعتمد فيها أو غير ذلك مما يخرج عن وضعه الرسمى وقد يرى الرئيس أن تحصر مثل هذه الأمور فى أضيق دائرة وأعنى بها دائرة اتخاذ القرار.

وكانت هذه الرسائل فاتحة لأن يكلفنى الرئيس بالتعامل مع بعض سفرائنا فى الخارج بمثل هذا الأسلوب ؛ خصوصاً أن وجود السفير فى قلب مسرح الأحداث يجعله يرى الأمور بشكل أوقع مما ينشط رؤيته وخياله للوصول إلى تحليل أو استنتاجات أشمل عما إذا كان جالساً على مكتبه فى القاهرة ، كما أن الحرية الكاملة دون التقيد بأسلوب التقرير الرسمى واعتماد أسلوب الخطاب الشخصى سيكون عامل تحرر لإبداء آراء حرة غيرملزمة أو مقيدة لكونه سفيراً وموظفاً عاماً.

وجميع الرسائل التى تم تبادلها من ومع هؤلاء السفراء محفوظة فى أرشيف سكرتارية الرئيس للمعلوت بمنشية البكرى ـ ولديّ صور من بعضها.

وفى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ـ يوم الانفصال ـ حدث تطور جديد حيث انتقلت بمكتب سكرتارية الرئيس للمعلومات بكامل هيئته إلى منشية البكرى[1] .

وكان على اتصال مباشر أيضاً بسكرتارية الرئيس للمعلومات أعضاء التنظيم الطليعى فى وزارة الخارجية الذى بدأ فى نهاية ١٩٦٤ ، ولقد ساهم هؤلاء الأعضاء بجهود كبيرة من

(١) وكانت سكرتارية الرئيس للمعلومات قد اتخذت جغرافيا عدة مقرات فى أماكن مختلفة منذ أن تم إنشاؤها حتى هذا التاريخ: ففى المدة من إبريل ١٩٥٥ حتى أوائل ١٩٥٧ كان مقرها هو مبنى رئاسة مجلس الوزراء بشارع قصر العينى. ثم فى المدة من أوائل ١٩٥٧ حتى ربيع ١٩٥٩ فى مبنى رئاسة الجمهورية فى مصر الجديدة (ما سمى بالحكومة المركزية) فى الفترة وبعد ذلك فى المدة من ربيع ١٩٥٩ حتى يوم الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٦١ فى القصر الجمهورى بالقبة ، والمقر الأخير فى منشية البكرى حيث امتد إلى يوم ١٣ مايو ١٩٧١ بالمنزل المقابل لمنزل الرئيس جمال عبدالناصر.

أجل تصويب مواقف وتوضيح صور وكشف أمور دعمت عملية اتخاذ القرار، وأعضاء التنظيم الطليعى فى وزارة الخارجية[1] ...

وفى عام ١٩٦٦ طلب الرئيس جمال عبدالناصر إنشاء قسم خاص فى سكرتارية المعلومات يتولى مهمة ترجمة الكتب والدراسات والموسوعات التى تعتبر الأكثر مبيعاً والأكثر انتشارا فى العالم وإعداد ملخصات لها ، علاوة على ترجمة الكتب التى كانت ترسل إليه من الرؤساء وكبار المؤلفين والأدباء والكتاب فى مختلف مناحى الحياة والمواضيع ، وتولى الإشراف على هذا القسم الدكتور راشد البراوى يعاونه عدد من المترجمين المحترفين بكفاءة وبدرجة عالية من الدقة. وكانت هذه التراجم توزع على أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وأعضاء مجلس الرئاسة، وأعضاء اللجنة التنفيذية العليا وبعض الوزراء والمسئولين المعنيين.

لجان العمل اليومى فى مراحلها المختلفة :

عقب عدوان ١٩٦٧ شكلت لجنة تجتمع مرتين يومياً من كل من شعراوى جمعة، وأمين هويدى، وسامى شرف، وكان لها أن تلتقى بمن تراه من المسئولين لبحث المسائل المتعلقة بتسيير أمور الدولة ، وتعرض على الرئيس أهم الموضوعات والتوصيات فى مجال تسهيل عملية اتخاذ القرار.

وبعد مؤامرة المشير عبدالحكيم عامر تطورت هذه اللجنة لتضم أيضاً كلا من محمود رياض، والفريق أول محمد فوزى، والفريق محمد أحمد صادق، وعبدالمحسن أبو النور.

---

(١) وهم : حسن بلبل ـ حسين خلاف ـ سميح أنور ـ يحيى عبدالقادر ـ مراد غالب ـ عبد المنعم النجار ـ أحمد عصمت عبدالمجيد ـ حمدى أبو زيد ـ مصطفى مختار ـ لطفى متولى ـ فتحى الديب ـ أمين هويدى ـ جمال شعير ـ أسامة الباز ـ أحمد محمد صدقى ـ عمرو محمود موسى ـ وفاء حجازى ـ أنور السكرى ـ عز الدين شرف ـ أمين يسرى أحمد يسرى ـ إبراهيم يسرى عبدالرحمن ـ على شوقى الحديدى ـ فخرى أحمد عثمان ـ أحمد مختار الجمال ـ مختار الحمزاوى ـ بهجت إبراهيم الدسوقى ـ محب السمرة ـ مصطفى مرتجى ـ محمد التابعى ـ إبراهيم سامى جاد الحق ـ على خشبة ـ سمير عباسى ـ محمود فوزى كامل ـ فتح الله الضلعى ـ عادل شرف الدين ـ مصطفى حنفى ـ حسن شاش ـ فوزى محبوب ـ عمر جاد الحق ـ حسن عبدالحق ـ محمد أبو الغيط ـ محمود شريف ـ مصطفى حمدى ـ سيد أبوزيد ـ مهاب مقبل ـ مصطفى الفقى ـ محسن كامل بهاء الدين ـ مخلص قطب عيسى ـ عبد المنعم العزيزى سعودى ـ محمد زين العابدين الغبارى ـ عبدالله محمود عبدالله ـ خالد محمد الكومى . والسبعة الآخرون ألحقوا بوزارة الخارجية فى ديسمبر ١٩٦٦ باعتبارهم أعضاء فى منظمة الشباب وكانوا يعتبرون كأعضاء فى التنظيم الطليعى تحت الاختبار ريثما يتم تسكينهم فى مجموعات بوزارة الخارجية وقد سبب تعينهم فى الخارجية بعض الإشكالات والرفض حتى من جانب السيد محمود رياض الذى تفهم أسباب تعينهم بعد معارضته..

وكان السفير حسن بلبل هو المسئول عن التنظيم الطليعى فى وزارة الخارجية وكنت باعتبارى عضو الأمانة العامة للتنظيم الطليعى المسئول الأول عن أعضاء التنظيم الطليعى فى الخارج.

وفى بعض الأحيان كان يصعب إتمام اللقاء فى مسائل عاجلة وحيوية فكان يعقد ما يسمى بالمؤتمر التليفونى عبر شبكة تليفونات خاصة كانت تحت سيطرة المخابرات العامة وذلك بفتح خطوط تليفونية يستحيل التدخل عليها ، بين المؤتمرين الذين يتبادلون بحث الموضوع فى سرية وبسرعة دون اللقاء حول مائدة الاجتماعات.

فى عام ١٩٦٩ وعلى وجه التحديد إعتباراً من يوم ١٣ ديسمبر ١٩٦٩ ـ وهو اليوم الذى أصيب فيه الرئيس جمال عبدالناصر بالأزمة القلبية الأولى ـ أعيد تشكيل مجموعة التلقين اليومى وأطلق عليها إسم « **لجنة العمل اليومى** » وكان يرأسها أنور السادات وتضم على صبرى، وشعراوى جمعة وأمين هويدى والفريق أول محمد فوزى وسامى شرف كما كان ينضم إليها فى بعض الأحيان محمد حسنين هيكل . وكانت هذه اللجنة تطلب استدعاء أى من المسئولين أو الوزراء من ذوى العلاقة بالموضوع أو المسائل محل البحث.وكانت هذه اللجنة تجتمع فى مكتب سكرتير الرئيس للمعلومات مرة أو مرتين فى اليوم حسب تطورات الموقف الداخلى والخارجى والعسكرى .. الخ وفى بعض الأحيان كان يتم الاجتماع فى قصر الأمير عبدالمنعم بمنطقة بين روكسى والقبة[1].

السكرتارية العسكرية لرئيس الجمهورية

وفى نفس الإطار وعقب عدوان ١٩٦٧ وفى يوم ١٦ / ٦ / ١٩٦٧ على وجه التحديد، قرر الرئيس جمال عبدالناصر إنشاء فرع جديد سمّى « السكرتارية العسكرية لرئيس الجمهورية»، تتبع سكرتير الرئيس للمعلومات[2] وقد رشح الفريق محمد فوزى المقدم عادل إبراهيم محمد ، من القيادة العامة للقوات المسلحة للعمل كسكرتير عسكرى للرئيس، وكانت مهمته تتلخص فى الآتى :

١ ـ تجميع المعلومات العسكرية عن العدو بالتعاون مع مختلف الاجهزة العسكرية والمدنية التى تعمل فى هذا المجال.

٢ ـ تجميع صورة عن قواتنا المسلحة بالتعاون مع مكتب وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة والمخابرات الحربية ، وهيئة عمليات القوات المسلحة ، وقيادات الأسلحة

---

(١) أما بعد رحيل الرئيس جمال عبدالناصر يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ فتشكلت هذه اللجنة من كل من : عبدالمحسن أبو النور ـ الأمين العام للإتحاد الاشتراكى ـ ومحمود رياض ـ وزير الخارجية ـ وشعراوى جمعة وزير الداخلية ـ وأمين حامد هويدى وزير الدولة ـ حتى خرج في التعديل الوزارى فى ١٤ نوفمبر ١٩٧٠ وسامى شرف وزير شئون رئاسة الجمهورية ومدير المخابرات العامة (محمد حافظ إسماعيل ثم أحمد كامل) ومدير المخابرات الحربية (اللواء محرز مصطفى عبدالرحمن) ، كما كان يحضر اجتماعات هذه اللجنة أيضاً فى بعض الأحيان محمد فائق ـ وزير الإعلام ـ وكانت مهمة هذه اللجنة استمراراً لما كانت تقوم به اللجان المشابهة والمشكلة من سنة ١٩٥٨ .

(٢) انظر الرسم الكروكي السابق

الرئيسية فى مجالات التدريب والتسليح والعمليات والأمن ومتابعة معدلات التطور فى القوات المسلحة.

٣- القيام بعمل تحليلات مستمرة للموقف العسكرى لقواتنا وقوات العدو ، والعوامل المؤثرة على توازن القوى فى المنطقة.

٤ - حضور اجتماعات الرئيس جمال عبدالناصر بالقيادة العامة للقوات المسلحة ، والقيام بتسجيل محاضر هذه الاجتماعات[١].

٥ - مرافقة رئيس الجمهورية خلال حضوره المناورات العسكرية أو زياراته لجبهة القتال أو للوحدات العسكرية المختلفة ، وكتابة تقرير عنها وتسجيل ملاحظات وقرارات الرئيس والمناقشات التى تتم أثناء هذه الزيارات[٢].

وفى الساعة العاشرة من صباح يوم الأحد٢٦ إبريل ١٩٧٠ أضاءت اللمبة الحمراء للخط الساخن بين الرئيس جمال عبدالناصر وبينى فرفعت السماعة قائلاً : « أفندم».

قال الرئيس : « سامى .. صباح الخير .. حا أبعت لك ورقة دلوقتى تكتبها أنت بنفسك بعد ما تراجعها وتحطها فى الشكل المضبوط وترجعها لى على طول...

قلت : « حاضر يافندم ...»

بعد دقيقتين وصلنى مظروف مغلق من داخل منزل الرئيس ، ولما فتحته وجدت به غلافاً من الأغلفة الخاصة بسكرتارية الرئيس للمعلومات والذى كان يوضع بداخله عادة التقارير المرفوعة للعرض على الرئيس ، وكان مكتوباً على هذا الغلاف وبالميل وبخط يد الرئيس جمال عبدالناصر ما يلى:

« أصدر الرئيس جمال عبدالناصر القرارات التالية:

أولاً : عين كل مـن :

حسن التهامى وزيراً للدولة.

سعد زايد وزيراً للإسكان.

سامى شرف وزيراً للدولة.

محمد حسنين هيكل وزيراً للإرشاد القومى.

---

(١) تم فعلاً تسجيل هذه الاجتماعات كلها سواء تلك التى عقدت فى مبنى القيادة العامة أو خارجها وكانت هذه التسجيلات ومحاضرها محفوظة فى خزينة خاصة فى مكتبى الشخصى بمنشية البكرى حتى يوم ١٣ مايو ١٩٧١.

(٢) وكانت موجودة أيضاً فى الخزينة الخاصة فى مكتبى بمنشية البكرى

ثانياً : عين محمد فائق وزيراً للدولة للشئون الخارجية.

ثالثاً: عين بدرجة وزير برئاسة الجمهورية كل من :

محمود الجيار
محمد أحمد
عبدالمجيد فريد.
حسن صبرى الخولى.
عبدالرحمن أبو العينين.

أعددت مشاريع القرارات الجمهورية وبعثت بها إلى الرئيس فى غرفة نومه ، فطلبنى وقال لى : « مش عايز حد يعرف بالقرارات دى إلا لما أكلمك تانى..

ثم قال لى : « طيب ليه إنت كتبت فى القرار هيكل قبلك؟..هو أنا كاتب مين قبل مين فيكم؟!»

فقلت له « أنا تقيدت بوضع قانونى .. فهيكل رئيس مؤسسة يعنى يعامل مالياً بدرجة وزير .. أما أنا فمستشار لرئيس بدرجة نائب وزير».

فقال الرئيس : « هى الدرجات العليا بنتقيّد فيها بالأقدميات ؟ أنا حا أرجع لك القرار تعيد كتابته كما كتبته أنا بخط إيدى .. إنت قبل هيكل .. وأنا عارف أنا بأكتب إيه وليه.. وابعت لى مع القرار الجديد الورقة المسودة اللى بخط يدى...

ثم سألنى : « إنت ما سألتنيش ليه القرارات دى؟! ودلوقت؟».

فقلت له : « أنا فاهم ليه قرار هيكل ومحمد فائق..

قال لى : « ليه ؟ ..

فقلت « علشان هيكل فى الأيام الأخيرة أصبح كثير التعليق على ما يجرى فى مجال الإعلام والصحافة».

قال لى : « صحيح .. وعلشان كدة أنا قلت ييجى وزير إعلام ونشوف حا يقدر يعمل إيه لما يبقى المسئول الرئيسى .. وعلى الله يقدر ينفذ اقتراحاته وانتقادات الكثيرة وهو وزير للإرشاد القومى .. وطبعاً محمد فائق حايقدر يسد فى الخارجية ويساعد رياض ويفضل برضه مسئول عن إفريقيا...

فقال لى : « صحيح .. وعلشان كده أنا قلت ييجى وزير إعلام ونشوف حايقدر يعمل إيه لما يبقى المسئول الرئيسى .. وعلى الله يقدر ينفذ اقتراحاته وانتقاداته الكثيرة وهو وزير

للإرشاد القومى .. وطبعاً محمد فائق حايقدر يسد فى الخارجية ويساعد رياض ويفضل برضه مسئول عن إفريقيا...

ثم سألنى الرئيس : « عارف أنا عينت الباقين بدرجة وزير ليه ؟ علشان ماحدش منهم يقعد يقول إشمعنى وإشمعنى .. وخصوصاً إنهم كلهم عينهم عليك إنت وهيكل ومحمد فائق بالذات .. ومن ناحية تانية دى تجربة لتطبيق عملى على الأشخاص لبيان ٣٠ مارس على مستوى مؤسسة الرئاسة وإعادة تنظيمها ..ودى حا يكون عليك حمل كبير فيها».

وبعد نصف ساعة تقريباً أتصل الرئيس جمال عبدالناصر بى وقال : « ياسامى .. أنا بعثت لك القرارات موقعة وتذاع الساعة الثانية عشر ظهراً تماماً فى الإذاعة والتليفزيون .. وما تبلغش أى حد بها قبل إذاعتها .. وبالذات هيكل ..

فقلت للرئيس : « بس يا أفندم محمد فائق لازم يعرفها لأنه هو اللى حايصدر أمر إذاعتها». فقال: « مفيش مانع..»

إتصلت بمحمد فائق الساعة الثانية عشر إلا ربع بالضبط وأبلغته بالقرارات ، فاندهش منها .. خصوصاً ما يتعلق به وبهيكل ، إلا أننى أفهمته بصفة خاصة وشخصية بما قاله الرئيس حول هذا القرار .. فاقتنع ولم يعقب ، وأذيعت القرارات فى تمام الساعة الثانية عشر ظهراً وفى الحال اتصل بى هيكل تليفونياً يستفسر منى عن مدى صحة هذا الخبر فأكدته له ولم أزد ، فسألنى هل الرئيس فوق أم فى المكتب وهل عنده ضيوف أم لا؟فقلت له إن الرئيس فى المكتب.

وبعدها بقليل كلمنى الرئيس قائلاً إن هيكل اتصل به ورجاه أن يبقى كما هو فى الأهرام وإنه لاداعى لهذا القرار، إلا أن الرئيس كرر له ما قاله لى أنه اتخذ هذا القرار لكى نستفيد من آرائه وأفكاره وانتقاداته التى كثرت مؤخراً ، وأن الرئيس قد أتاح له الفرصة من أوسع الأبواب لكى ينفذ ما يراه فى مجال الإعلام ، كما وافق عبدالناصر على بقاء هيكل رئيساً لمؤسسة الأهرام بالإضافة إلى منصبه الجديد[1].

---

(١) وكان أن صدر القرارين الجمهوريين رقمى ٦٨٥ و ٦٨٧ لسنة ١٩٧٠ بتاريخ ٢٠ صفر ١٣٩٠ (٢٦ إبريل ١٩٧٠).
(الأوراق المتعلقة بهذه الحكاية محفوظة فى أرشيف سكرتارية الرئيس للمعلومات فى منشية البكرى). وبعد تعيينى وزيراً للدولة وعضواً فى مجلس الوزراء بنفس اختصاصات سكرتير الرئيس للمعلومات علاوة على تولى مسئولية رئاسة الجمهورية إدارياً ومالياً فقد أعيد تنظيم رئاسة الجمهورية.

● **مجلس الأمن القومى**

وفى ٢٨ يونيو ١٩٧٠ كلفنى الرئيس جمال عبد الناصر بأن أقوم بدراسة وبحث مشروع قرار جديد خاص بتشكيل « مجلس للأمن القومى» يكون مسئولاً عن عملية صنع القرار بالكامل فى شقيه الداخلى والخارجى.

ذلك كان هو الإطار العام الذى بنيتُه وعملتُ من خلاله منذ توليتُ هذه المهمة فى سنة ١٩٥٥ وحتى رحيل الرئيس جمال عبدالناصر ، ولعل فى فصول أخرى فى هذه المذكرات ما يشير إلى أن دورى لم يقتصر على المفهوم الإدارى من وظيفة سكرتارية المعلومات بوصفها قناة ربط بين الرئيس ومختلف مؤسسات وشخصيات الدولة ، وإنما تحول ونما تدريجيا إلى دور المستشار السياسى و كاتم الأسرار والفاعل الرئيسى فى تنفيذ الكثير من المهام بناءً على تكليف من الرئيس خاصة فى المجالات الأمنية والسياسية والعمل الشعبى و فى التنظيم الطليعى ..

وكان السيد أنور السادات يدرك ذلك جيداً ، بل وحاول أن يواصل نفس الأسلوب بعد رحيل الرئيس جمال عبد الناصر ، لكن الرواسب كانت أكبر من القدرة على تجاوزها أو كتمانها ...

و إذا كانت العلاقة الشائكة مع المؤسسة العسكرية قد تم تصفيتها بعد يونيو ١٩٦٧ وفى حياة الرئيس جمال عبد الناصر ، فإن العلاقات مع السيد أنور السادات لم تأخذ فرصتها لهذه التسوية على الإطلاق ، وفى اعتقادى أن السبب كان هو أن **سامى شرف يعرف الكثير**...![1]

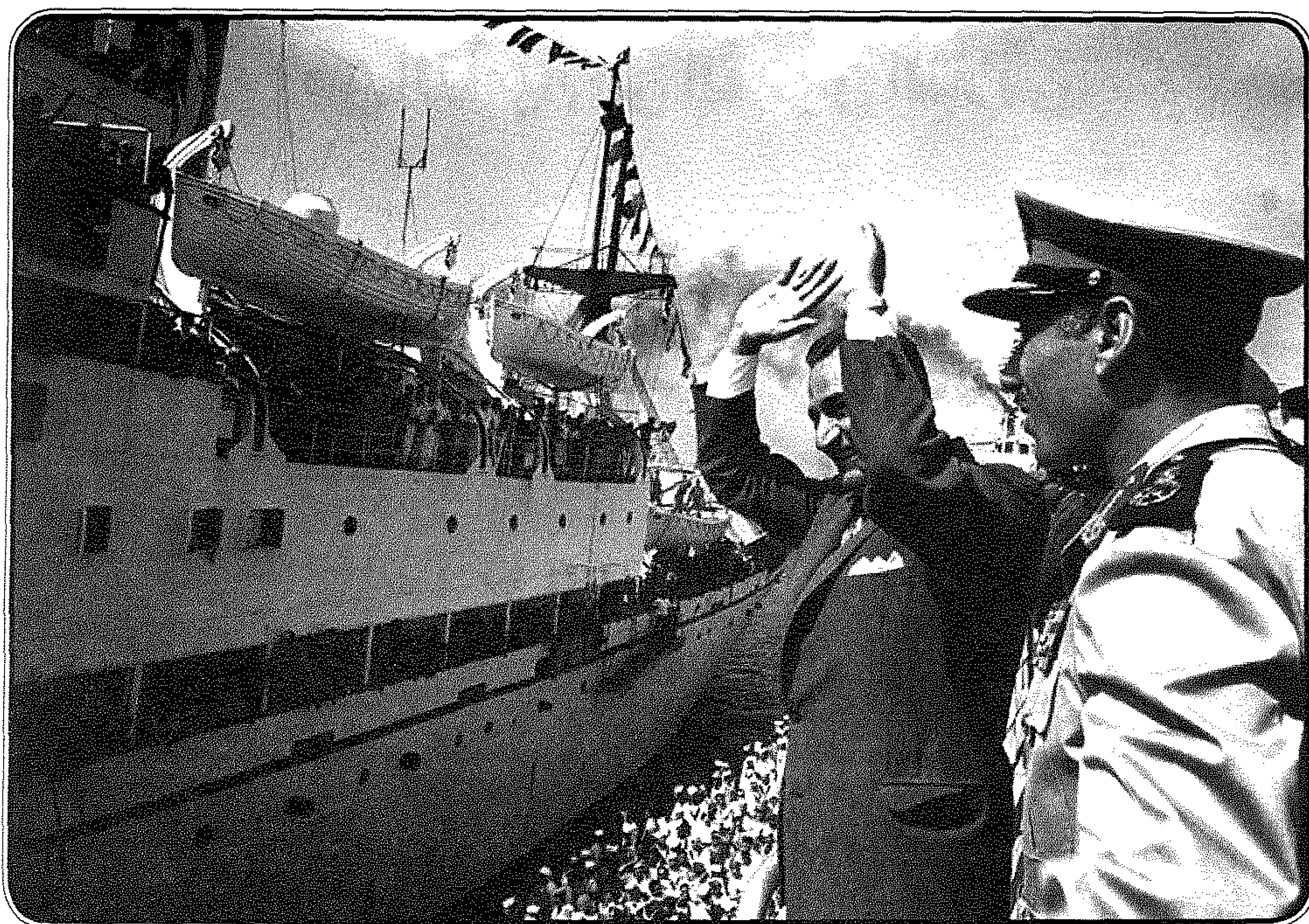
(١) سوف أتناول ما يخص ذلك بالتفصيل في الجزء الأخير من هذه الشهادة ..

الفصل الخامس

من التأميم إلى العدوان الثلاثى

« إن الشركة العالمية استعدت لكل الاحتمالات السياسية والفنية إلا احتمال التأميم أو قدرة مصر على تشغيل القناة التى أصبحت بعد الاحتلال البريطانى رمزاً للكرامة المصرية ، وفى هذا الجانب تكمن عبقرية الرئيس جمال عبدالناصر فى إدراكه أهمية القناة كرمز سياسى فى الذاكرة الجماعية للمصريين».

جان بول كالون



مقدمـــة

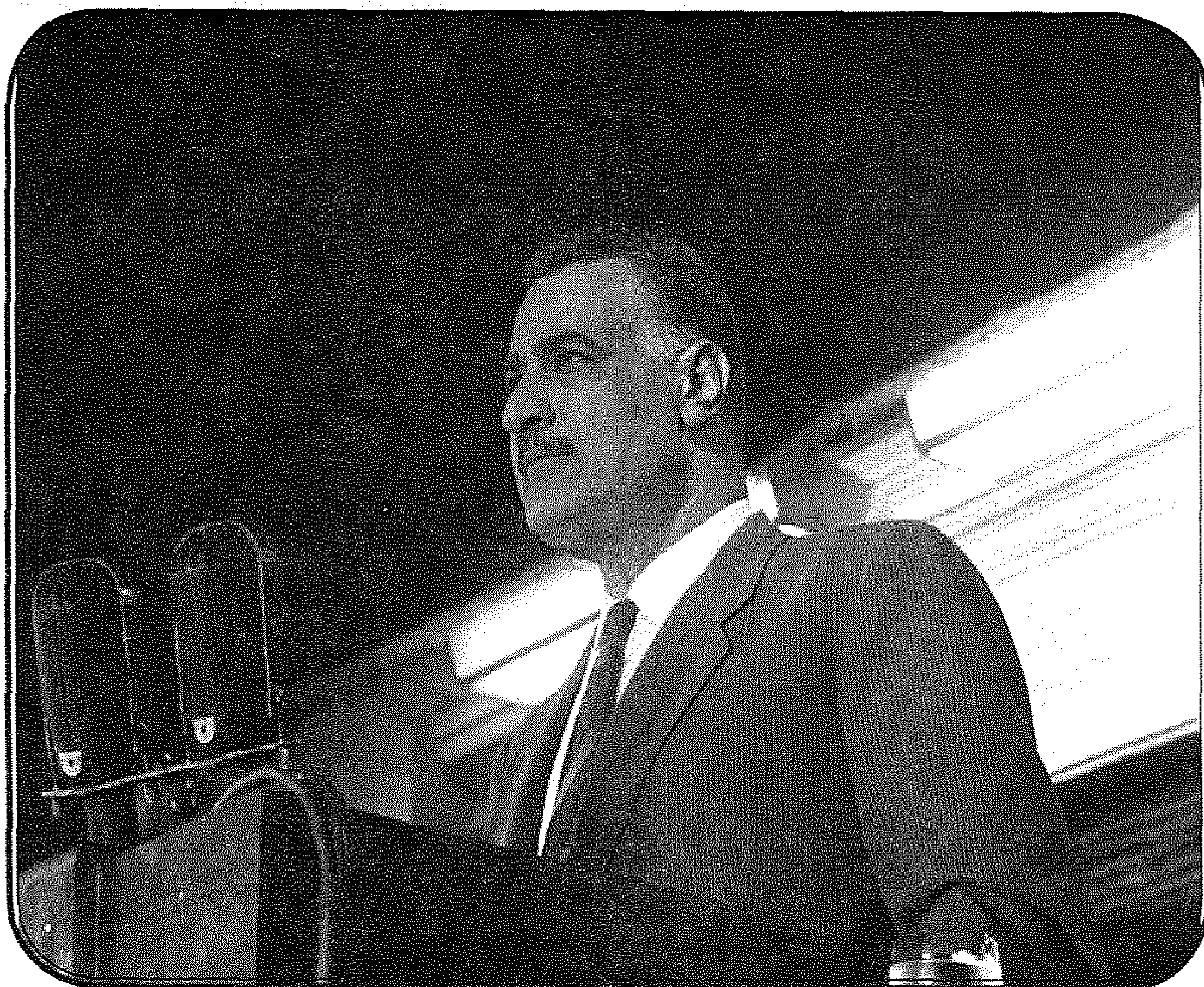
يقول **الدكتور جمال حمدان** أن قناة السويس هى بالدرجة الأولى سلاح سياسى واستراتيجية حرب تصل انعكاساتها واشعاعاتها إلى كل المحيطات والبحار السبعة وتمثل موقعاً حاكماً فى استراتيجية الصراع البحرى العالمى مثلما تشكل عقدة نووية فى الملاحة والتجارة الدولية.

والأخطار الأولى تتمثل فى المحل الأول فى الوجود الإسرائيلى واعتداءاته المنكرة القائمة أو الكامنة ، ثم كل ما يتصل بالصراع العربى الإسرائيلى عموماً من ضوابط وتفاعلات معقدة وانعكاسات وظلال مستمدة من لعبة السياسة الدولية واستراتيجية القوة العالمية.

أما الثانيـــة فالمقصود بها صراع النقل البحرى عموماً كما يتمثل فى مناقشة الطرق البديلة برية كانت أو بحرية ، أنابيب أو ناقلات ، وفى هذه الحالة أنابيب الشرق وناقلات الغرب ، ولكن بالأخص والتحديد الناقلات العملاقة وطريق رأس الرجاء الصالح.

إسرائيل ليست فقط العدو الأول السياسى لمصر ، ولا كذلك للعرب وبترولهم ، ولكنها أيضاً العدو الأول والأخطر للقناة.

وسيناء ليست مجرد صندوق من الرمال كما يتوهم البعض بل هى صندوق من الذهب مجازا ، كما هى حقيقة استراتيجية وهى ليست مجرد فراغ أو عازل بل إنها عمق جغرافى وإنذار مبكر يمكن أن نشترى به الزمان بالمكان ، وهى خط الدفاع الأخير عن مصر ، عن الدلتا والوادى ، إذا كانت فلسطين هى خط الدفاع الثانى وجبال طوروس الممتدة حتى حلب هى الأول ، فسيناء هى الأمن الوطنى المصرى ؛ وحيث أن النيل يروى الوادى فإن الدم المصرى هو الذى يروى رمال سيناء ، كما أنها اقتصاديا من آلاف السنين كانت منجم الذهب والمعادن الثمينة للفراعنة وهى الآن بئر بترول مصر.



عشت معركة التأميم

قدمت ثورة يوليو ١٩٥٢ منذ يومها الأول نموذجاً للتحدى لم تقدر القوى الاستعمارية التى كانت مسيطرة على النظام العالمى بعد الحرب العالمية الثانية على قبوله ، وكل ما سبق قيام الثورة من محاولات مماثلة إما أمكن إحباطها بالتدخل المباشر مثلما حدث مع حركة مصدق فى إيران ، أو أمكن احتواؤها وتطويعها مثلما حدث مع عديد من الحركات الوطنية فى الدول العربية.

ولقد انعكس هذا التحدى بداية فى القبول لمنهج التحليل الإستراتيجى الذى تتبعه القوى الاستعمارية لشكل العلاقات المتبادلة مع مناطق العالم المختلفة والذى كان ينطلق من نقطة واحدة فقط هى مقاومة المد الشيوعى حيث استبدلت ثورة يوليو ١٩٥٢ هذه النقطة بمدخل بديل آخر هو التحرر الوطنى والقومى من كل من أشكال النفوذ والهيمنة الخارجية.

ولاشك أن تبنى هذا المدخل قد استلزم خطوات مصاحبة يأتى فى مقدمتها بناء القوة الذاتية على الصعيد الإقتصادى والعسكرى فى إطار من الاستقلالية قدر الإمكان وحشد كل الإمكانيات المتاحة لصالح هذا الهدف والاستفادة من كل المعارك السياسية أو العسكرية التى خاضتها شعوب المنطقة سواء قبل الثورة أو بعدها فى تقوية البناء الذاتى للدولة وللأمة.

ومعركة العدوان الثلاثى على مصر لم تأت من فراغ ، ولم تنتهى إلى فراغ ، لقد تم تدبيرها فى إطار رؤية للمصالح السياسية للدول التى شاركت فى العدوان ، وتأسست هذه الرؤية على أساس قراءة متعمقة لكل التطورات والأحداث التى أعقبت تاريخ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وما يمكن أن تقود إليه من نتائج مؤثرة على هذه المصالح فى المستقبل .

والموقف المصرى والعربى فى مواجهة العدوان لم يكن مجرد موقفاً انفعالياً يعبر عن رفض الاحتلال أو التصدى للعدوان المسلح ، وإنما جاء تتويجا لسلسلة من المواقف كانت تؤكد طبيعة الاختيار الإستراتيجى الذى تتبناه ثورة ٢٣ يوليو والقوى القومية والتحررية التى تضامنت معها ، ومن ثمّ قبلت أن تتحمل ثمن هذا الاختيار إلى النهاية.

وفى كل القرارات والخطوات التى إتُخذت قبل وقوع هذا العدوان لم يكن أى منها منفصلاً عن الآخر ، بل جاءت كلها متداخلة ومتناغمة لتؤكد الارتباط فيما بينها ، وكان يكفى الامتناع أو التراجع عن قرار واحد من هذه القرارات حتى تأمن تداعيات كل القرارات الأخرى وتحتفظ لنفسها بالاستمرارية الهادئة ، ولكن كنظام أمكن تطويعه بنفس النسق والأسلوب الذى طبع نظم حكم أخرى سبقتها فى مصر أو عاصرتها فى الدول العربية.

من هنا كان التعرض لأحداث العدوان الثلاثى لابد أن يفتح أمامنا آفاقا لطرق العديد من القضايا ذات العلاقة المباشرة ، والتى تفجرت خلال السنوات الأربع التى سبقت وقوع العدوان ، بل وقبل وقوع العدوان فى مرحلة تبلور الفكرة الثورية لدى قادة يوليو وبالتحديد منذ قيام الدولة العبرية ونشوب حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨ .

حرب فلسطين
تحديد مصدر التهديد الرئيسى

لقد ساهمت حرب ١٩٤٨ فى فلسطين فى إلقاء الضوء مركزاً على الواقع القائم فى الدول العربية ومدى سيطرة القوى الاستعمارية على قرارها السياسى من ناحية ، وعلى جوانب القصور فى الجبهات الداخلية وما يعترى القيادات العربية من مظاهر فساد وتردد من ناحية أخرى ، فبرغم تزايد نشاط العصابات الصهيونية فى أرض فلسطين فى حقبة الأربعينات ، وإعلان بريطانيا رسمياً اعتزامها الانسحاب منها فى مايو ١٩٤٨ ، ووضوح الهدف النهائى الذى تعمل له العصابات الصهيونية منذ القرن لم تستطع القوى الفلسطينية ، أو القوى العربية أن تنظم صفوفها وترسى خطة محكمة للمحافظة على عروبة فلسطين.

ففى داخل فلسطين ورغم بروز اسم **الحاج أمين الحسينى** مفتى فلسطين كرمز للمقاومة ورئيساً للهيئة العربية العليا إلا أن المقاومة الفلسطينية كانت تعتمد إلى حد كبير على الارتجال ومحاولات الدفاع المحلى عن القرى والمناطق أكثر منها حركة مخططة وشاملة.

وعلى الصعيد العربى جرت بعض المبادرات التى قادها متطوعون عرب ، ففى السادس من مايو ١٩٤٧ دخل البكباشى أحمد عبدالعزيز فلسطين على رأس قوة من المتطوعين ، كانت تضم إلى جانب المصريين الذين كان على رأسهم الصاغ كمال الدين حسين وآخرين، وكذلك أفراد من كل من ليبيا وتونس فى حدود ألف مقاتل تقريباً لكن كان ينقصهم التدريب والسلاح الكافيين فضلاً عن غياب التنسيق بينهم وبين متطوعين آخرين قدموا من دول أخرى ، بل لا أبالغ إذا قلت أن ثمة تنافس وقع بين هذه المجموعات وبعضها وانتهى الأمر باستشهاد واحد من أكثر العناصر كفاءة وإخلاصاً للقضية هو **البكباشى أحمد عبد العزيز**.

أما على مستوى الحكومات ، فقد اجتمع فى الثانى عشر من ديسمبر ١٩٤٧ رؤساء الحكومات العربية الأعضاء فى الجامعة العربية للنظر فى أساليب نجدة الشعب الفلسطينى

وذلك فى أعقاب صدور قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ فى نوفمبر ١٩٤٧ والخاص بتقسيم فلسطين إلى دولتين ، إحداهما يهودية والأخرى عربية ، وقد ظهر فى هذا الاجتماع اتجاهان:

تمثل الاتجاه الأول:

والذى تبنته كل من مصر والسعودية وأيده العراق فى الدعوة إلى عدم استخدام القوة المسلحة العربية النظامية فى المعارك الدائرة فى فلسطين ، والاكتفاء بإمداد الفلسطينيين باحتياجاتهم من الأسلحة والذخيرة وتزويدهم بالمتطوعين.

أما الاتجاه الثانى :

فقد تبنته الأردن وأيدتها كل من سوريا ولبنان وكان يصر على إشراك القوات النظامية فى الصراع ضمن حدود معينة.

وقد لقى الاتجاه الأول تأييد الحاج أمين الحسينى الذى كان يرى أن الفلسطينيين قادرون على مواجهة الموقف بأنفسهم إذا ما تم تزويدهم بالسلاح والمتطوعين علاوة على توفير التدريب اللازم لهم.

لكن المؤتمر انتهى إلى التدخل بالقوات النظامية العربية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، والملفت للنظر هنا أن الملك فاروق أصدر أوامره بدخول القوات المصرية المعركة يوم ١٣ مايو ١٩٤٨ أى قبل التاريخ المحدد بيومين كنوع من المزايدة على باقى الدول العربية إلا أن اللواء أحمد المواوى قائد هذه القوات لم يتسلم أوامر القتال إلا فى اليوم التالى أى يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ أى أن التحرك قد بدأ دون صدور أوامر القتال.

كانت هذه القوات المصرية عبارة عن مجموعة لواء يتراوح عددها بين ألف وألف وخمسمائة جندى، ولحقت بها بعض المجموعات الرمزية من كل من السعودية والسودان لايتجاوز عدة مئات ، وكانت قوات ينقصها السلاح والتدريب مثلها مثل باقى القوات العربية التى بلغ مجموع عددها فى فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ حوالى ١٤ ألف جندى بينما كانت القوات الصهيونية فى حدود سبعة آلاف جندى يخضعون لقيادة موحدة وعلى درجة عالية من التدريب وخدم أغلبهم فى صفوف جيوش أجنبية مما دعم كفاءتهم القتالية ، والأهم أنهم يعملون وفقا لهدف سياسى واضح ويؤمنون به إلى حد التعصب.

وكانت النتيجة الطبيعية هو فشل التدخل العسكرى العربى فى تحقيق أيٍّ من أهدافه اللهم إلا الاحتفاظ بالضفة الغربية وقطاع غزة كمناطق عربية وارتكاز الصراع على المواجهة بين إسرائيل والعرب ككل ، وما ينطوى على ذلك من تشابك عميق مع أوضاع منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة.

على أن النتيجة الأهم فى سياق هذه المذكرات هو دور هذه الحرب فى تفتيح أذهان الضباط الذين أسسوا تنظيم الضباط الأحرار فى مصر وشاركوا فى هذه الحرب فلم تضع أيديهم على مصر الخطر الحقيقى فقط كما عبر عنه **جمال عبدالناصر** عندما كان محاصراً فى الفالوجة : « بأن المشكلة ليست هنا فى فلسطين وإنما فى القاهرة ..». بل وبدرجة أكبر فى بلورة الفكرة القومية فى إدراك قادة يوليو واقتناعهم الكامل بأن أمن مصر جزء لايتجزأ من أمن الأمة العربية ولايمكن الفصل بينهما بأى حال.

فالمشكلة الكامنة فى القاهرة التى عبر عنها **جمال عبدالناصر** كانت تبدأ بالتغيير وتنتهى إلى عدة أهداف جوهرية كالتالى:

١ ـ تحرير القرار المصرى من السيطرة الأجنبية ، ومن ثم فإن قضية الجلاء يجب أن تتصدر كل الأولويات بعد التخلص من النظام الملكى مع بناء جبهة داخلية متماسكة تكون خير سند للقرار.

٢ ـ بناء القوات المسلحة المصرية إلى الدرجة التى تجعلها قادرة على الدفاع عن أهداف الثورة وحماية مكتسباتها.

٣ـ وضع برنامج للتنمية الداخلية فى المجالين الاقتصادى والاجتماعى يتيح المجال للاستفادة بأقصى درجة ممكنة من الموارد الذاتية لمصر وقبول الاستعانة بأية موارد خارجية بعيداً عن التبعية والخضوع للهيمنة الأجنبية.

٤ـ بناء جبهة عربية داعمة لأهداف الثورة المصرية وأهداف الأمن القومى العربى بوجه عام مع اتباع سياسة التحرر من الاستعمار ليس فقط على مستوى الوطن العربى ، وإنما فى كل دول إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

محاولة تعزيز القوة الذاتية تمهد لكشف المواقف

انطلقت جهود الثورة خلال السنوات الأربع التى أعقبت ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى اقتحام هذه المجالات الأربعة بقوة . وكانت أولى الخطوات إنشاء مجلس أعلى للإنتاج ، وآخر للخدمات لإدارة عملية التغيير الاجتماعى والاقتصادى فى الداخل ، وبدأ التفكير مبكراً فى توفير المصادر الممكنة لتسليح القوات المسلحة.

بدأت المفاوضات مع الولايات المتحدة الأمريكية للحصول على السلاح فى ديسمبر ١٩٥٢ ، وكان **البكباشى جمال عبدالناصر** هو الذى اقترح ذلك كوسيلة لاختبار مدى جدية التعاون مع أمريكا ، والمدى الذى يمكنه أن يصل إليه ، وتم إيفاد قائد الجناح على صبرى مع لجنة من الجيش والبحرية إلى واشنطن لتفاوض على صفقة سلاح ، واعتبر جمال عبدالناصر أن نجاح هذه المهمة يمكن أن يفتح المجال للتعان فى مجالات أخرى سياسية أو اقتصادية، وانضم إلى هذه اللجنة فى واشنطن **اللواء عبدالحميد غالب** الملحق العسكرى فى ذلك الوقت وسفير مصر فى لبنان فيما بعد.

وفى الولايات المتحدة الأمريكية طالت المفاوضات دون مبرر ، وكانت تقارير على صبرى تعبر عن التشاؤم حتى أبلغه الجنرال **عمر برادلى** رئيس الأركان المشتركة صراحة أنهم لايستطيعون تدعيم مصر بالسلاح طالما أن هناك قضايا لم يتم حلها.

وكان يقصد بهذه القضايا التى لم تحل ، مشاريع الدفاع عن الشرق الأوسط وقضية الجلاء البريطانى عن مصر والعمليات الفدائية ضد الإنجليز فى قناة السويس.

وأشار **الجنرال برادلى** إلى أن بلاده مستعدة فقط لتزويد مصر بقنابل مسيلة للدموع وأسلحة خفيفة لقوات البوليس.

كانت هذه الاتصالات الرامية إلى الحصول على السلاح من الولايات المتحدة الأمريكية تهدف فى المقام الأول اختبار نوايا واشنطن تجاه ثورة يوليو ، وقد بدأت فى شكل تجديد للطلب الذى سبق أن تقدم به النحاس باشا فى عام ١٩٥١ لنفس الغرض عقب قيامه بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ بقرار من جانب واحد.

وفى الوقت الذى كانت فيه الاتصالات مع الولايات المتحدة الأمريكية تجرى على المستوى الرسمى بمعرفة **على صبرى** واللجنة المعاونة له ، كانت هناك قناة خلفية تشهد اتصالات موازية غير رسمية وتعمل على تبادل الرؤى وجس النبض من جانب كل طرف لدى الطرف الآخر ، وكانت هذه القناة يديرها من الجانب المصرى **البكباشى زكريا محى الدين ومحمد حسنين هيكل وحسن التهامى وحسن بلبل** ، ثم تولى إدارتها بعد ذلك على صبرى وسامى شرف ثم **صلاح نصر فأمين هويدى فحافظ إسماعيل ثم أحمد كامل** ، أى أنها كانت تجرى تحت إشراف مؤسسة الرئاسة والمخابرات المصرية ، بينما يديرها من الجانب الأمريكى **كيرميت روزفلت** أحد العناصر الرئيسية التى استخدمتها واشنطن فى إحباط انقلاب فى إيران ١٩٥١ ، وكانت تعمل تحت إشراف المخابرات المركزية الأمريكية، ويطلق على المجموعة المشاركة فيها اسم «**مجموعة ألفا**» وقد نشطت هذه القناة بشكل واضح خلال عامى ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ ، ومن العناصر المشاركة فيها أيكل بيرجر ، ومن بعده مايلز كوبلاند أحد عملاء المخابرات المركزية الأمريكية ومن بعده «**لاتراش**» ، ثم تلاهم تشارلز كريمينز الذى كان يعمل أستاذاً زائراً بالجامعة الأمريكية فى القاهرة وساعده فى تشغيل المجموعة شخص آخر يدعى فرانك كيرنز كان يعمل مراسلاً لإذاعة NBC وآخر يدعى **هارى كيرن**، كان يتخذ ساتراً له كمندوب لإحدى شركات البترول الأمريكية فى مصر، ولكن عمله الحقيقى كان إدارة شبكة مخابرات للحصول على المعلومات.

فى أكتوبر ١٩٥٣ قام **كيرميت روزفلت** بزيارة للقاهرة وتجدد الحديث عن التسليح الأمريكى لمصر ، ورغم التعاطف الذى أبداه مع المطالب المصرية إلا أن الحوار لم يسفر عن شئ يذكر على الصعيد العملى ، وإن كان قد واصل ممارسة دوره كقناة خلفية بين الإدارة الأمريكية والمخابرات المركزية من جانب ، وبين مؤسسة الرئاسة والمخابرات المصرية من جانب آخر ، من خلال ضباط اتصال مختصين بهذه المهمة.

حدث فى عامى ١٩٥٥ / ١٩٥٦ أن كان ضابط الاتصال المكلف بالمهمة يدعى «**لاتراش**» ـ وكان من أصل عربى « الأطرش» ـ وتم إبعاده نتيجة واقعة محددة حدثت منه فى مكتبى أثناء أزمة «تمبلر» و « جلوب» فى الأردن ، حيث طلب موعداً لمقابلتى لإبلاغنا رسالة كان محتواها « أن ترفع مصر يدها عن الأردن»، وهنا قمت واقفاً وضغطت على زر الجرس أمامى فدخل سكرتيرى **محمد السعيد** الذى قلت له : « فلتدل الضيف إلى الطريق إلى المصعد ..! منهيا بذلك المقابلة فى الحال ، رافضاً تصرفه هذا شكلاً وموضوعاً .. هذا التصرف حتى ولو كان خارج القناة الدبلوماسية أو الرسمية . ولما أبلغت الرئيس عبدالناصر بالواقعة عقب انصرافه من مكتبى ، أيدنى وقال لى « إنت إتصرفت التصرف الصحيح». وقد تم إبلاغ واشنطن بهذا التصرف الغير مقبول من جانب مندوبهم فقاموا باستدعائه وعاد إلى بلاده بالفعل.

وقد تبين للقيادة المصرية أنه لم يكن يوجد لدى واشنطن أية نية لبيع الأسلحة لمصر واكتشفت فيها بعد أن إلغاء الصفقة يرجع إلى مجموعة الأسباب التالية:

١ـ احتجاج بريطانيا لدى الجانب الأمريكي حيث اعتبرت أن إتمام الصفقة سوف يؤثر على قدرات القوات المسلحة المصرية بما يضر بمركز وإمكانيات القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس ، وكان سببا فى التهرب الذى لجأ إليه الطرف الأمريكى سواء بدعوى مفاوضات الجلاء وطلب الانتهاء منها أولاً ، أو المطالبة بعقد للدفاع المشترك مع مصر ، الأمر الذى رفضه جمال عبدالناصر من حيث المبدأ ، وإن كانت هذه النقطة قد استخدمت من جانب مصر كورقة ضغط على مفاوضات الجلاء ، مما ساعد على اختصار الكثير من الوقت والجهد فى هذه المفاوضات.

٢ ـ تزامن الاتصالات مع الولايات المتحدة الأمريكية مع تصاعد الدعوة التى أطلقها عبدالناصر لإقامة نظام للأمن العربى يرتكز على اعتبار الصهيونية هى مصدر الخطر الأساسى الموجه للأمة العربية وليس الخطر الشيوعى وكان ذلك يتعارض مع المحاولات الأمريكية الرامية لفرض وجهة نظر محددة تتماشى مع التوجيهات الأمريكية تجاه موسكو والمعسكر الشيوعى.

إذن كان الاختبار الثانى للموقف الأمريكى من ثورة يوليو متمثلاً فى قضية الأحلاف، حيث كانت واشنطن مصممة ـ وفقاً لرؤيتها فى ذلك الوقت ـ على محاصرة الاتحاد السوفيتى بالأحلاف والقواعد العسكرية فى كل مناطق العالم بما فيها منطقة الشرق الأوسط وأدركت واشنطن أن قيام حلف فى الشرق الأوسط بدون مصر سيكون حلفا عديم القيمة من الناحية الإستراتيجية ، ومن ثمّ جرى تكثيف العمل على ضم مصر لحلف بغداد.

ولم تكتف مصر الثورة برفض الانضمام للحلف فقط ، بل خاضت معركة واسعة لمنع انضمام دول عربية أخرى إليه ، حيث رأت فيه إعادة للهيمنة الاستعمارية وللتبعية الأجنبية.

ففى يوليو ١٩٥٤ استقبلت القاهرة زيارتين لكل من **الأمير عبد الإله** ولى عهد العراق ، والثانية قام بها **عبدالله اليافى** رئيس وزراء لبنان ، واجتمعا والرئيس جمال عبدالناصر كل على حدة ـ وبحكم عملى فى القسم الخاص بالمخابرات العامة وقتها فقد كلفت بتسجيل محاضر الاجتماعات مع المسئولين العرب ،وفى هذه الاجتماعات طرح عبدالناصر بوضوح موقفه وأكد على رفض مقولة الانضمام إلى مقاومة الشيوعية مؤكداً على الأبعاد التالية :

١ ـ إن الاتحاد السوفيتى الزعيم الأول للشيوعيين يقع على بعد آلاف الأميال من الوطن العربى ، ولايوجد معه اتصال جغرافى.

٢ـ إن الدين الإسلامى يوفر لنا الحماية الضرورية من الشيوعية.

٣ـ أن معركتنا الحقيقية ليست مع الشيوعية ، وإنما مع الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية فى فلسطين ، وعندما ننتهى من هذه القضية يمكن النظر فى قضايا أخرى ، فالأولوية يجب أن توجه إلى فلسطين وإلى حماية أمتنا العربية وأمننا الوطنى والقومى.



وفى أغسطس من نفس العام ١٩٥٤ قام جمال عبدالناصر بأداء فريضة الحج ، والتقى بعدها **بالملك سعود** ، ودار النقاش مجددا حول قضية الأحلاف وسعي النفوذ الغربى لإحكام سيطرته على المنطقة العربية ، كما شملت المباحثات أيضاً وضع إسرائيل فى المنطقة، وطالب عبدالناصر ببلورة توجه عربى موحد لمقاومة التيارات الزاحفة على المنطقة ومحاولات الاحتواء الخارجى ، وأبدى الملك سعود وقتها تجاوبا كبيراً مع كل ما طرحه عبدالناصر.

وفى نفس الوقت كلف **صلاح سالم** عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الإرشاد القومى ، بالتوجه إلى كل من لبنان وسوريا والعراق واليمن فى مهمة لشرح وجهة النظر المصرية فى سياسة الأحلاف والدعوة إلى مزيد من التضامن العربى ، وكان الوفد المصاحب له يضم كلا من محمود رياض وعبدالقادر حاتم وفتحى الديب وسامى شرف ، وتشعبت الاتصالات وتضاعفت الجهود السياسية والدبلوماسية فى نفس الإطار حيث قام **نورى السعيد** رئيس وزراء العراق بزيارة القاهرة فى ١٤ سبتمبر ١٩٥٤ ، وفى نفس الشهر نجحت الولايات المتحدة الأمريكية فى توقيع اتفاق مع **الملك إدريس السنوسى** ملك ليبيا لإقامة قاعدة عسكرية كبرى فى طرابلس أطلق عليها اسم « **قاعدة هويلس**» ، وكانت بريطانيا قد وقعت اتفاقا لإقامة قاعدة أخرى فى طبرق باسم «**قاعدة العضم**» ، وكان ذلك يعنى فى بُعده

الإستراتيجى تهديداً مباشراً للأمن القومى المصرى ، أى أن المقصود هو إحاطة مصر من حدودها الغربية.

وفى ٢٤ فبراير ١٩٥٥ أعلن رسميا قيام حلف بغداد ولم تنضم له سوى العراق مما أُعتبر من وجهة نظر الغرب فشلا لسياسة الأحلاف فى المنطقة ، ومن وجهة النظر العربية أُعتبر قيام حلف بغداد تهديداً للأمن القومى العربى.

وقام إيدن فى أعقاب إعلان حلف بغداد مباشرة بزيارة للقاهرة لمواصلة الضغط على الحكومة المصرية لإقناعها بالإنضمام للحلف والعمل على استكمال مفاوضات الجلاء البريطانى.

وتؤكد الوثائق الأمريكية عن هذه الفترة فاعلية التنسيق بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية فى جميع القضايا التى أثيرت مع حكومة الثورة فى ذلك الوقت ، والمحاولات المكثفة لاحتوائها ، وانتهت هذه المرحلة بحدث كان بمثابة نقطة تحول فى التفكير الإستراتيجى المصرى ، ففى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ـ أى بعد قيام حلف بغداد بأربعة أيام ـ قامت إسرائيل بشن غارة مفاجئة على قطاع غزة بدون أى مقدمات وأسفرت عن إحداث خسائر كبيرة فى الأفراد والمعدات ، حيث بلغت الخسائر البشرية حوالى ٣٨ ما بين ضابط وجندى ، وأحدثت هذه الغارة تحولا فى تفكير عبدالناصر وقادة الثورة تجاه إسرائيل . فقد كان عبدالناصر ينظر إلى إسرائيل باعتبارها دخيلا فى جسم الأمة العربية ، وأن هذا العضو مصيره إلى زوال ، والزمن كفيل بحل هذه المشكلة ويرى أن التوازن السكانى فى فلسطين يسير فى صالح العنصر العربى حيث أن معدل الزيادة السكانية فى العنصر اليهودى بطبيعة تكوينه وثقافته تتجه إلى التناقص فى وقت تتزايد فيه معدلات النمو السكانى فى العنصر العربى ، وبالتالى فسوف يعود اليهود إلى أقلية حتى داخل فلسطين.

كذلك تبلور اتجاه داخل القيادة الثورية فى مصر يقوم على أن إسرائيل لن تبادر بالعدوان تجنبا لإثارة العالم العربى وتفجير أزمة مشابهة لأزمة ١٩٤٨ ، خاصة فى ظل تصاعد الوعى العربى والمد القومى الذى يرفض الخضوع للقوى الاستعمارية وأن هذا العدوان لن يجد مبرراً لدى الغرب الداعم لإسرائيل.

وقد خلص هذا التقويم إلى عدم المبادرة بالصدام العسكرى مع إسرائيل والتركيز بالدرجة الأولى على ضرورة تقوية مصر فى كل المجالات لتشكيل قوة ردع لإسرائيل ومنعها من التفكير فى شن أعمال عدوانية ضد مصر ، أى الهدف فى هذه المرحلة كان تحييد إسرائيل قدر الإمكان ، والتركيز على وضع مصر على عتبات التنمية الشاملة وبناء قوتها الذاتية.

وكان **دافيد بن جوريون** قد سطر فى كتابه « **إسرائيل تاريخ شخصى**» ما يلى بالنص:

« **إنه يندر أن نجد أكاديمى أو سياسى إسرائيلى لم يتثقف على أيدى الموساد ، ومن خلال منظمات الإرهاب الإسرائيلى فى الأربعينات**».

كما كان **دافيد بن جوريون** أيضاً له تفكير مختلف ، فعندما التقى وزير خارجية فرنسا «كريستيان بينو» فى عام ١٩٥٤ ثم مع « **ناحوم جولدمان**» رئيس المنظمة الصهيونية العالمية سألهما عن رأيهما فى جمال عبدالناصر فكانت إجابتهما متقاربة وخلاصتها:

« إنه رجل يميل للتعاون مع الغرب من أجل إصلاح الشأن فى بلده وينادى بالتنمية بدليل أنه شكل مجلس أعلى للإنتاج وآخر للخدمات ، ويأخذ مجلس قيادة الثورة بتوصيات المجلسين فى تنفيذ مشروعات التنمية مثل التوسع فى إقامة المدارس والمستشفيات وإنشاء مجمع للحديد والصلب وتطوير صناعات للغزل والنسيج ... الخ».

وكان تعقيب بن جوريون:

« **إن هذا هو أخطر ما فى سياسة جمال عبد الناصر ، فالتنمية معناها القضاء على إسرائيل**».

وجاءت الغارة على غزة كوسيلة قوية للتنبيه ، وسببا فى إعادة النظر فى كل التقويمات التى توصلت إليها الثورة بالنسبة للنوايا المستقبلية ، وكان تقدير الرئيس جمال عبدالناصر بعد الغارة أنها ليست عملية عادية ، وإذا كانت تمثل مجرد وسيلة لاختبار القدرات العسكرية المصرية فماذا يمكن أن يكون عليه الموقف إذا ما قامت عمليات عسكرية أوسع.

أى أن عبد الناصر اعتبر أن **غارة غزة** هى وسيلة لاختبار قدراتنا العسكرية فى المستقبل، وإذا ما تكررت بحجم أكبر فسوف تؤدى إلى هزيمة الثورة ، وقد خلص من هذا البحث والتقدير إلى ضرورة العمل المكثف لأولوية تنفيذ أحد المبادئ الستة لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الذى كان ينص على بناء جيش وطنى قوى وتحديثه بأحدث الأسلحة كهدف رئيسى لهذه المرحلة ، مع انتهاج كل السبل الممكنة لتوفير هذا السلاح من أى مصدر فى نفس الوقت الذى يواصل فيه جهوده لبناء إطار عربى جماعى للأمن القومى ، أى إجراء إعادة ترتيب شامل لكل الأوراق.

ففى نفس الأسبوع الذى وقعت فيه الغارة الإسرائيلية على غزة ، تم توقيع اتفاقية للدفاع المشترك مع سوريا ، يتم بموجبها إنشاء قيادة مشتركة للقوات المسلحة فى البلدين ، وقد انضمت كل من السعودية واليمن لهذه الاتفاقية بعد ذلك ، وكان معنى ذلك أن كلاً من مصر وسوريا والسعودية واليمن لن تنضم إلى حلف بغداد ، وقد أعلنت السعودية بوضوح عن تضامنها مع مصر فى مقاومة الأحلاف.

وبدأ عبدالناصر يطرق أبواب الغرب من جديد للحصول على السلاح ، ففى العاشر من مارس ١٩٥٥ التقى مع السفير الأمريكى فى القاهرة هنرى بايرود ، واستعرض معه الموقف مجددا وطلب الحصول على السلاح ومؤكداً أنه فى الوقت الذى تُحرم فيه مصر من الأسلحة تواصل إسرائيل أنشطتها العدوانية وغاراتها المسلحة وتحصل - مع ذلك إلى جانب العراق - على المزيد من الأسلحة.

ومرة أخرى جاءت الإجابة سلبية وأصبح على يقين أنه لن يحصل على السلاح من الغرب طالما أنه لم ينفذ شروطه فيما يتعلق بنظام الدفاع عن الشرق الأوسط ومن ثم كان الاتحاد السوفيتى هو البديل الأنسب للغرب فى توريد الأسلحة ، ولم يعد أمام الرئيس عبدالناصر إلا التفكير فيه بعد أن نفذ صبره وأوصدت كل الأبواب أمامه.

الاتجاه إلى مصادر بديلة

جاءت الفرصة أثناء انعقاد مؤتمر باندونج فى الثامن من إبريل ١٩٥٥ ، وجرى أول اتصال بين الرئيس **جمال عبدالناصر وشوإن لاي** رئيس وزراء الصين ، ودار الحديث عن الأوضاع فى الشرق الأوسط ، وما تتعرض له مصر من تهديدات إسرائيلية وموقف الغرب من قضية التسلح ، ثم سأله عن إمكانية مساهمة الاتحاد السوفيتى فى تزويد مصر بالأسلحة، ووعد **شو إن لاى** بمفاتحة المسئولين السوفيت فى ذلك ، وبعد عودة الرئيس من باندونج، رأى أن يلمح لكل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بأن تسويفهما فى الاستجابة لطلبات مصر من الأسلحة قد يدفعه للبحث عن مصدر آخر وسوف يضطر لقبول العرض السوفيتى إذا لم تستجب الدولتان.

واعتقدت لندن وواشنطن أن عبدالناصر يمارس ضغوطاً عليهما ، ورغم نصيحة سفرائهما لحكومتيهما بأن عبدالناصر يعنى ما يقول، إلا أن رد البلدين جاء سلبياً.

وعلى الجانب الآخر بحثت موسكو الطلب المصرى بكثير من الجدية ، ففى أعقاب عودة جمال عبدالناصر من باندونج بفترة قصيرة طلب السفير السوفيتى فى القاهرة **دانيال سولود** مقابلته لتسليمه رسالة من القادة السوفيت ، وكانت هذه الرسالة تتضمن موافقة القيادة السوفيتية على طلب مصر بشأن الحصول على الأسلحة.

وبدأ التنفيذ على الفور ، وتشكل فريق عمل للجانب المصرى برئاسة عبدالناصر وكان يضم **اللواء عبدالحكيم عامر** وكلاً من **على صبرى وسامى شرف ومحمد حافظ إسماعيل ونور الدين قرة**(الأخيران كانا مديراً مكتب عبدالحكيم عامر) وكُلف سامى شرف بعملية التنسيق والإشراف على أساليب الاتصال فى الداخل والخارج.

تشكل وفد مصرى عسكرى برئاسة **محمد حافظ إسماعيل** ومعه **عباس رضوان** للسفر إلى براغ ، حيث فضل الجانب السوفيتى أن تقوم تشيكوسلوفاكيا بإتمام الصفقة تجنبا لإثارة الغرب إذا ما وقعت مع موسكو مباشرة.

وقد قمت بوصفى سكرتيراً للرئيس للمعلومات بالتحضير والمشاركة فى ترتيب الصفقة، وتم وضع خطة لتأمين التنفيذ فى سرية كاملة على مستويين ، الأول تأمين الاتصال بين

البعثة ومكتبى بالقاهرة ـ سواءً لاسلكيا عن طريق سفارتنا فى براغ أو عن طريق الرسائل والتقارير والحقيبة الدبلوماسية لإبلاغنا بنتيجة التفاوض والمباحثات وتقارير بنجاح المهمة وتم تخصيص ماكينات للشفرة من نوع خاص جديد استوردناها من سويسرا لهذه المهمة ، وأعددنا جداول شفرة جديدة بأسلوب حديث ومعقد وغير مبنى على المعادلات الحسابية المعروفة والتى تقوم بها ماكينات الشفرة العادية، وإنما استحدثنا أسلوب تشفير للشفرة وذلك بالتعاون مع فنيين ودبلوماسيين من وزارة الخارجية المصرية (إدارة الأبحاث) ، وكان هناك مندوب حامل حقيبة دبلوماسية جاهز للتحرك على مدار الأربع والعشرين ساعة فى القاهرة سواء من سكرتارية المعلومات أو من وزارة الخارجية المصرية ويقابله مندوب آخر فى براغ وموسكو جاهزين للتحرك إلى القاهرة حاملين الرسائل فى أى لحظة.

وهكذا انحصرت الاتصالات التى كفلت سريتها وتم تأمينها تماماً ، فالرسائل والبرقيات الشفرية كانت تصلنى شخصياً وأقوم بنفسى بحل الشفرة وتكتب بخط يدى لتعرض على الرئيس عبدالناصر ويطلع عليها عبدالحكيم عامر وعلى صبرى ، وكذلك كانت التقارير ، ثم تعود للحفظ فى خزانة خاصة فى مكتبى ، وكل هذه الأوراق والوثائق محفوظة فى أرشيف سكرتارية الرئيس للمعلومات بمنشية البكرى ، وكذلك دفاتر الشفرة هى والماكينات التى كنت أحتفظ بها فى مكتبى للتذكار.

وأُعد مشروع الاتفاقية بين القاهرة وموسكو ، وكانت تنص على أن تشترى مصر أسلحة سوفيتية من بينها مقاتلات من طراز «ميج» وقاذفات للقنابل من طراز «إليوشين» و «توبوليف» ، ودبابات من طراز « ستالين» و «ت٥٤ و ٥٥» وغواصات ومدافع ميدان ومضادة للطائرات من جميع العيارات الثقيلة والخفيفة ، وزوارق طوربيد وعربات مدرعة ونظام رادارى كامل ، على أن يسدد ثمن هذه الصفقة بالقطن المصرى والأرز وسلع تقليدية مصرية أخرى بفترة سماح لأربعة سنوات ثم يقسط الثمن على عشرين سنة بفائدة ٢٪ سنوياً.

وحاولت واشنطن إثناء عبدالناصر عن إتمام الصفقة بعد أن وصلتها أخبار نتيجة تسريب غير مقصود من أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة فى حديث له مع **مصطفى أمين** ، ولكنها فشلت ، فقد أرسلت بمساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط **جورج آلن** كمبعوث خاص ، وأذاعت وكالات الأنباء أنه جاء يحمل إنذارا لمصر ، وعندها بادر الرئيس عبدالناصر بالبحث عن أى مناسبة عامة يتحدث خلالها مع الجماهير فلم يجد سوى معرض أقامته القوات المسلحة فاختار أن يشارك فى افتتاحه ، وقام خلال حديثه بالإعلان رسمياً **عن صفقة الأسلحة التشيكية فى ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥.**

وبالطبع أثار الإعلان عن الصفقة ردود فعل عنيفة لدى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والغرب بصفة عامة.

فقد طلب السفير البريطانى فى القاهرة لقاءا عاجلاً مع الرئيس عبدالناصر وزعم خلال حديثه أن الصفقة تتعارض مع اتفاقية الجلاء التى تشير فى ديباجتها إلى الصداقة والرغبة فى التعاون ، وأن الصفقة تهدد أمن القاعدة البريطانية فى القناة لأن الأسلحة قادمة من بلد شيوعى وسوف تستلزم وجود فنيين وخبراء أجانب ، وقد رد عليه الرئيس عبدالناصر بأنه لايوجد نص فى اتفاقية الجلاء يمنع مصر من شراء الأسلحة من أى مصدر وأن عدد الفنيين سيكون محدوداً وسوف أختار أماكن التدريب فى مناطق بعيدة عن القاعدة ، ثم سأله السفير عن إمكانية إلغاء الصفقة ؟ فأفاده عبدالناصر بأن ذلك قد يؤدى إلى ثورة فى الجيش المصرى.

وفى نيويورك كان وزراء خارجية الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا يعقدون اجتماعاً لم يدرج فى جدول أعماله موضوع صفقة الأسلحة التشيكية لمصر ، لكنهم أصدروا بياناً مشتركاً يقول : إن سياسة الدول الثلاثة تهدف إلى تمكين دول الشرق الأوسط من المحافظة على أمنها الداخلى ، والدفاع عن سلامتها ، وتجنب قيام تسابق بينها على التسلح لأن ذلك سيولد مزيداً من التوتر فى المنطقة.

وأعلنت الحكومة البريطانية أن شراء مصر للأسلحة السوفيتية يقلب الأوضاع التى كانت سائدة ، ويجعل التصريح الثلاثى الصادر فى عام ١٩٥٠ غير ذى موضوع ، وسيدفع إسرائيل للمطالبة بمزيد من الأسلحة.

ووصفت الصحف البريطانية الصفقة بأنها خطوة مشئومة وأن الاتحاد السوفيتى سيحصل على موطئ قدم فى البحر المتوسط.

ووجهت واشنطن احتجاجا إلى الاتحاد السوفيتى ، واتهمته بأنه يتصيد فى الماء العكر.

وعاد جمال عبدالناصر ليؤكد أن الصفقة لن تحول دون تنفيذ مصر لالتزاماتها وليست هى السبب فى سباق التسلح ، لكنها ستمنع إسرائيل من مواصلة اعتداءاتها ولاتعنى تسرباً للنفوذ السوفيتى فى مصر ، وأنها قبل ذلك وبعده تعنى تحرير الإرادة المصرية ، وامتلاك مصر، لحقها فى شراء الأسلحة من أى جهة ، وأنها اضطرت لعقد هذه الصفقة بعد تسويف الغرب، وقيام إسرائيل بغارتها على غزة.

ومن هنا مثلت هذه الصفقة محطة الاختبار الثالثة فى علاقات الولايات المتحدة الأمريكية بثورة يوليو ، فلم تكن المسألة مجرد صفقة سلاح بين مصر والاتحاد السوفيتى ، بل كانت بمثابة تعديل كلى لمفاهيم السياسة الدولية ، فلأول مرة يقوم الاتحاد السوفيتى بتسليح دولة غير شيوعية ، ويخرج إلى منطقة حساسة جدا بالنسبة للاستراتيجية الأمريكية ، هى منطقة

الشرق الأوسط مما كان يعنى ضربة شديدة للسياسة الأمريكية الخاطئة تجاه الثورة مما ترتب عليه آثار بعيدة المدى سوف نلحظها فيما بعد فى العلاقات المصرية الأمريكية.

والأهم من ذلك أن رد الفعل العربى على الصفقة كان حماسيا بدرجة كبيرة حتى أن مجلس النواب فى سوريا قرر تهنئة الرئيس جمال عبدالناصر باعتبار أن الصفقة تمثل كسراً للحصار المفروض على تسليح العرب ، وأخذت الصحف العربية تشيد بهذه الخطوة بل إن نورى السعيد رئيس وزراء العراق بعث مهنئا جمال عبدالناصر فى محاولة للخروج من العزلة العربية التى ضُربت حوله بسبب انضمامه لحلف بغداد.

لقد كانت معركة عبدالناصر لإفشال سياسة الأحلاف ، ودعوته لبناء إطار أمنى عربى جماعى بديل لما يطرحه الغرب والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص ، وترجمت هذه الدعوة فى شكل تحركات عملية لدعم النضال العربى ضد المستعمر فى كل الدول العربية ، وهو ما كانت تخشاه دول الغرب ومعها إسرائيل وتخطط لإيقافه بكل السبل وفى مراحل مبكرة من عمر الثورة.

ففى عام ١٩٥٣ ، وأثناء عملى بالمخابرات تلقيت تعليمات من البكباشى زكريا محى الدين مدير المخابرات فى ذلك الوقت ، باختراق مبنى الكنيسة الإنجليزية فى القاهرة وكان موقعها مكان فندق هيلتون النيل الآن ، وذلك بعد أن وصلتنا معلومات تؤكد بأن ثمة نشاط يمارس من داخلها لا علاقة له بوظيفة الكنيسة ورسالتها الدينية ، وأن البكباشى جمال عبدالناصر قد طلب تأكيد هذه المعلومات.

وقد كُلف مع النقيب محمد شكرى حافظ من المباحث (*) ، لتنفيذ هذه المهمة وتمكنا بالفعل من الوصول إلى مستندات ووثائق فى خزانة الكنيسة مدونة باللغة الإنجليزية تتضمن رسائل متبادلة مع جهاز المخابرات البريطانى «MI6» تتناول احتياجات للحصول على معلومات والردود عليها ، كما كان من بين هذه المستندات محاضر اجتماعات عقدها المستر إيفانز المستشار الشرقى بالسفارة البريطانية بالقاهرة وبين بعض قيادات جماعة الإخوان المسلمين والتى كانت تعقد فى منزل **أحمد سالم** بالمعادى وأوضحت طلب الجانب البريطانى إقناع اللواء محمد نجيب باستخدام الجيش فى تهيئة الرأى العام تمهيداً لإحكام سيطرته على السلطة ، وتحريض الإخوان المسلمين للعمل ضد الثورة ، وكان يشارك فى هذه الاجتماعات كل من المرشد العام **حسن الهضيبى وصالح أبو رقيق والدكتور أحمد سالم**(**).

(*) انتقل فيما بعد للمخابرات العامة ـ وقد ألف كتاباً عن مذكراته بعنوان « عبدالناصر والمخابرات البريطانية» فى سلسلة إصدارات كتاب الحرية برقم ٢٦.

(**) هذه الوثائق محفوظة فى أرشيف المخابرات العامة والمباحث العامة.

غير أن أخطر ما تم العثور عليه فى عملية اختراق الكنيسة البريطانية كانت وثيقة معنونة باسم « **روديو** » وكانت عبارة عن وثيقة سرية للغاية تشمل خطة عسكرية بريطانية مفصلة لإعادة احتلال مصر وخاصة منطقة الإسكندرية والدلتا إذا ما دعت الضرورة ذلك ، أى أنه فى نفس الوقت الذى كانت تجرى مفاوضات الجلاء بهدف إخلاء منطقة قناة السويس من القوات البريطانية ، وإخلاء مصر كلها من أى مظاهر للنفوذ الأجنبى ، كانت هذه الخطة تعنى ـ من وجهة نظر الإستراتيجية البريطانية ـ استحالة التسليم بالواقع الجديد ، وأن مصر يجب أن تظل دائماً هدفاً لا يجب إسقاطه من أى تخطيط بريطانى.

وبقدر ما كانت احتمالات الجلاء البريطانى عن مصر مصدر قلق وانزعاج للمخططين والسياسيين فى دول الغرب وخاصة فى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، فقد تسببت فى تولد الشعور بالخطر لدى المسئولين فى إسرائيل باعتبار أن أنتهاء الوجود العسكرى البريطانى ـ والذى لعب الدور الأهم والأقوى فى التمهيد لقيام الدولة العبرية ـ سوف يشكل خطراً كبيراً على الوجود الإسرائيلى نفسه قبل أن يسبق الجلاء توفير أرضية ملائمة للتسوية السياسية بين مصر وإسرائيل ، كما كانت الأخيرة تتابع بقلق وترقب الاتصالات المصرية الأمريكية وتعمل على إفسادها ، وكانت أبرز محاولاتها فى هذا الشأن ما عرف بقضية « **لافون** » والتى تتلخص فى دفع بعض عملاء الموساد لتنفيذ سلسلة من عمليات التخريب والتفجيرات ضد عدد من مراكز التواجد الأمريكى فى القاهرة والإسكندرية وتصويرها على أنها عمليات عدائية مدبرة من الحكومة المصرية ضد الولايات المتحدة ، وقد أدى كشف هذا التدبير إلى تحويلها إلى فضيحة سارع عدد من المسئولين وفى مقدمتهم **دافيد بن جوريون** للتخلص منها ونفى علمهم بها.

ففى صيف ١٩٥٤ وفى شهر يونيو على وجه التحديد أصدرت المخابرات العسكرية الإسرائيلية أوامرها لشبكة من جواسيسها فى مصر للقيام بأعمال تخريبية ضد أهداف مدنية مصرية وأمريكية وبريطانية . وبدأ فعلاً تنفيذ هذه التعليمات اعتباراً من الثانى من يوليو ١٩٥٤ وكانت أول عملية هى تنفيذ انفجار قنبلة حارقة فى أحد مكاتب البريد بالإسكندرية وفى الرابع عشر من يوليو ١٩٥٤ شب حريقان فى مكتبين للاستعلامات الأمريكية فى كل من القاهرة والإسكندرية بقنابل فسفورية تركهما مجهولون . وبعد حوالى عشرة أيام جرت محاولة لحرق مكتب البريد الرئيسى فى ميدان العتبة بالقاهرة، وفى نفس اليوم كان من المقرر إجراء تفجير لسينما «ريو» بالإسكندرية لكن العملية فشلت وانكشف المخطط الإسرائيلى.
وكانت تفاصيل الحادث أنه فى الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم احترقت نتيجة لشدة حرارة الجو قنبلة فسفورية صغيرة وضعها أحد الشباب اليهود اسمه « **فيليب ناتسون** » فى جيبه داخل شنطة صغيرة من الجلد كان يستخدمها لحماية نظارته الشمسية ، ولم يتمالك

نفسه فصرخ واستغاث بالمارة فى الشارع الذين نقلوه للمستشفى بمعرفة البوليس وهناك اتضحت الأمور والحقائق وكانت المفاجأة التى لم تكن تخطر على بال أحد وبتفتيش منزل ناتاسون عثر على قنابل فسفورية حارقة من نفس النوع وقبل أن يعترف **ناتاسون بكل** ما عنده اشتعلت النيران فى محطة سكك حديد مصر بالقاهرة وفى دارين للسينما وكان ذلك فى يوم ٢٣ يوليو ، وباعتراف ناتاسون تم القبض على اثنين من المشاركين معه وهما روبير **داسا وفيكتور ليفى** ، وبعد ذلك بأيام تم اعتقال باقى أفراد الشبكة بالكامل ومنهم **موسى مرزوق** وكان طبيبا من أصل تونسى يعمل فى المستشفى اليهودى بالإسكندرية **وصمويل عازار** الذى كان يعمل أستاذا بكلية الهندسة بجامعة الإسكندرية ، وماكس بينيت من أصل مجرى ، **ومارسيل نينو** وكانت تعمل فى إحدى الشركات البريطانية فى مصر ، ونجح كل من **أبراهام دار** ، رئيس الشبكة ، فى الهرب إلى خارج البلاد ومعه **يورهام سيد نبرج** ، الذى كان معروفاً فى مصر باسم « **بول فرانك** » ، والمعروف فى إسرائيل الآن باسم « **آفرى إيلعاد** »، وذلك قبل القبض على الشبكة.

ومن خلال التحقيقات اتضح أن أفراد الشبكة سبق أن دُربوا فى إسرائيل ثم تجمعوا فى باريس ليدخلوا منها إلى مصر بجوازات سفر مزورة وبأسماء مستعارة(*).

وتمت محاكمة أفراد الشبكة فى ديسمبر ١٩٥٤ بعد الإعلان عنها خلال شهر أكتوبر من نفس السنة وفى ٥ أكتوبر على وجه التحديد ، تمت المحاكمة أمام محكمة عسكرية كانت جلساتها علنية وحضرها الدبلوماسيون والمراسلون الأجانب فى مصر وأفراد الجالية اليهودية كما حضرها مندوبون عن منظمة حقوق الإنسان ومنظمات الحريات المدنية فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

وفى أثناء المحاكمة نجح **ماكس بينيت** فى الانتحار ، وفى أوائل سنة ١٩٥٥ صدرت الأحكام بإعدام موسى **ليتو مرزوق وصمويل عازار** ، اللذين تم فعلا تنفيذ الحكم فيهما ، كما حكم كذلك بالإعدام عل الهاربين وحكم على الآخرين بأحكام بالسجن لمدد متفاوته.

على أن ذلك لم يؤثر على استمرار المخاوف الإسرائيلية ، فقد حرص مسئولوها على تنويع مصادر دعمهم من دول الغرب والبحث باستمرار عن احتياطى إستراتيجى يمكن الاستعانة به وقت اللزوم ، وكان الطرف الجاهز لتوفير هذا الاحتياطى الإستراتيجى هو فرنسا التى وجدوا فيها ضالتهم والتقت جهودهم مع موقف فرنسى يتزايد عداءه لثورة يوليو تدريجياً .(**)

(*) للتفاصيل راجع المؤامرات الصهيونية على مصر ـ جميل عارف ـ المكتب المصرى الحديث ١٩٩٩.

(**) يقول الجنرال « جاك ماسو » قائد فرقة المظليين الفرنسية التى أُنزلت فى السويس : « كان إشراك إسرائيل أمراً بالغ الأهمية بالنسبة لنا إذ كنا نود تخفيف الأعباء التى نتحملها فى الجزائر عبر إزالة عبدالناصر، لكن القضية =

فقد كانت مصر تحتضن الزعيم التونسى الحبيب **بورقيبة** لاجئا سياسياً ومناضلاً ضد الاستعمار الفرنسى لبلاده ، كما عارضت بقوة التغيير الذى دبرته فرنسا فى المغرب وأطاح **بالملك محمد الخامس** ، وعينت بدلا منه أحد عملائها ويدعى **محمد بن عرفة** ، وكانت الخطوة الأكبر عندما وصل إلى مصر فى عام ١٩٥٣ رجل جزائرى سمى نفسه « **مزيادى مسعود**» ولم يكن هذا الاسم إلا اسما حركيا للزعيم الجزائرى أحمد بن بيلا ، الذى التقى فتحى الديب فى البداية وقدمه للبكباشى زكريا محى الدين الذى اصطحبه بدوره مع فتحى الديب لمقابلة البكباشى جمال عبدالناصر فى منشية البكرى ، ومنذ اللحظة الأولى التقت آراء وأفكار الزعيمين أحمد بن بيلا وجمال عبدالناصر وارتكزت عند نقطة واحدة هى إيمان ثورة يوليو بمبدأ أساسى هو تحرير الوطن العربى من كل الاستعمار ، وفى مقدمتها حركة النضال التى يقودها الشعب الجزائرى ضد المستعمر الفرنسى الذى يعمل على شن حرب إبادة وإلغاء للهوية العربية فى الجزائر ويعتبرها جزءا لايتجزأ من الأراضى الفرنسية ، وقد صدر البيان الأول للثورة الجزائرية فى أول نوفمبر ١٩٥٤ من إذاعة صوت العرب من القاهرة ، وإحقاقا للحق فقد لعب أحمد سعيد مدير صوت العرب دوراً هاماً فى هذا الصدد سواء على الصعيد الشخصى أو الصعيد الموضوعى.

لقد التقت المخاوف الإسرائيلية مع الاستياء الفرنسى(*) تجاه ثورة يوليو ، وبينما اتجهت فرنسا لإشراك الولايات المتحدة فى مسئولية المواجهة بصفتها زعيمة التحالف الغربى بعد أن أصبحت واشنطن تملك ١٦٪ من أسهم شركة قناة السويس بعد الحرب العالمية الثانية ، واعتبر الفرنسيون أن قناة السويس تمثل المدخل الملائم لجذب اهتمام الأمريكان وإقناعهم بأن الطريق إلى فيتنام يمر بقناة السويس ، وإذا ما نجحت فى لفت أنظار واشنطن لقناة السويس والبحر الأحمر وصولاً إلى المستعمرات الفرنسية فى آسيا فسوف يكون من السهل تحييدها من الصراع المتصاعد فى شمال إفريقيا والمغرب العربى.

بالنسبة للإسرائيليين كانت تكتسب أهمية أخرى ، فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية لم تقبل مصر بوجود إسرائيل، ومنعت مرور السفن الإسرائيلية عبر قناة السويس ، وحاصرت فى ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ خليج العقبة. وكانت الدول المحيطة بإسرائيل أى مصر وسوريا والأردن قد تلقت كمية من الأسلحة الروسية ؛ الأمر الذى يشكل مصدراً لتهديد إسرائيل ، إضافة إلى ذلك كانت إسرائيل ترغب فى القضاء على الإرهابيين (الفدائيين الفلسطينيين) فى قطاع غزة. إذن إسرائيل صاحبة مصلحة حقيقة فى الاشتراك فى هذه العملية. وكنت معجبا شخصياً بالجنرال «موشيه ديان» لأنه يشبه الجنرال «لوكليرك» ـ هو مساعد الجنرال ديجول محرر باريس من الاحتلال النازى ، وكنت أراهن على أن يتمكن من إقناع «بن جوريون» بعمل شئ ما ضد عبدالناصر».

(*) يقول وزير الدفاع الفرنسى م.ب . مونورى : « تولد لدى انطباع أن ناصر قد صمم على الاندفاع الى الأمام ، وأنه كان يأمل من خلال ذلك التأميم أن يحقق مجداً حاسماً فى المحيط الذى يتحرك فيه (الوطن العربى) ، وفى وسط شعبه الذى يؤيده ، وهذا ما حدث بالفعل. كنا نرى أن مافعله شبيه بما فعله هتلر قبل الحرب العالمية الثانية ، طبعاً لم تكن تلك هى الحال تماما حينذاك ، ولكن هذا ما كنا نعتقده لكن من المؤكد أن ناصر كان يبدى رغبة واضحة فى لعب دور المنقذ فى أفريقيا ، ومن المعروف أن الدور والتأثير العربى أحرزا تقدما هائلاً فى تلك الفترة فى أفريقيا».

أقول فى الوقت الذى كانت تتواصل فيه هذه التحركات الفرنسية مع واشنطن كانت الإستراتيجية الإسرائيلية تعمل على جر فرنسا للدخول فى الصراع فى منطقة الشرق العربى. وإدخالها كأحد الأطراف الرئيسية الداعمة لإسرائيل انطلاقا من وحدة الهدف. وبالفعل بدأت حوارات شارك فيها **أبا إيبان** سفير إسرائيل فى واشنطن فى ذلك الوقت، وانتهت إلى قرار إسرائيلى بجس نبض فرنسا من خلال مهمة يقوم بها **شيمون (شمعون) بيريز** سكرتير عام وزارة الدفاع الإسرائيلية . وفى الوقت الذى سافر فيه بيريز إلى باريس كانت فرنسا قد أوفدت وزير خارجيتها **كريستسان بينو** لزيارة مصر للتباحث مع الرئيس جمال عبدالناصر حول مستقبل شركة قناة السويس عند حلول عام ١٩٦٨، موعد انتهاء الامتياز الممنوح للشركة.

التقى شيمون بيريز مع **الجنرال كاترو** الذى كان حاكما عسكريا فى سوريا قبل أن تنال استقلالها، كما التقى بزعماء الحزب الاشتراكى الفرنسى وعدد من القيادات السياسية والعسكرية فى فرنسا، وأسفرت مهمته عن توقيع صفقة سرية لتوريد أسلحة فرنسية لإسرائيل شملت عشرين دبابة من طراز «AMX» وستين دبابة من طراز شيرمان وأربع وعشرين طائرة من طراز ميستير ٤، وكمية من المدافع والمعدات الحربية الأخرى.

خلال هذه الفترة كانت السفارة المصرية فى باريس تضم مجموعة عناصر نشطة وعلى وعى كامل بالتطورات السياسية فى المنطقة، وتؤمن إيماناً عميقاً بأهداف ثورة يوليو، وكان من بينهم **عبدالمنعم النجار وثروت عكاشة وعيسى سراج الدين** (وهم من الضباط الأحرار)، وقد نجح الثلاثة بالتعاون مع باقى طاقم السفارة من أعضاء السلك الدبلوماسى بعد مجهود ضخم وتنسيق دقيق من اختراق الأجهزة الفرنسية من خلال الصداقات الشخصية خاصة مع عناصر وزارة الخارجية الفرنسية (الكى دورسيه) وقصر الإليزيه ووزارة الدفاع، وأمكن بواسطة ذلك الحصول على معلومات تفصيلية عن صفقة الأسلحة الفرنسية لإسرائيل وتوقيتات وصولها إلى تل أديب.

(كل التقارير والوثائق والمعلومات التى حصلوا عليها محفوظة
فى أرشيف سكرتارية الرئيس للمعلومات بمنشية البكرى).

وبعد أن اطمأنت إسرائيل إلى التأييد الفرنسى راحت تعمل فى أكثر من اتجاه مستخدمة كل مؤسساتها السياسية والاقتصادية وأجهزتها المخابراتية فى سبيل الحصول على اعتراف بوجودها من جانب، وضمان السيادة الغربية المتحيزة لها من جانب آخر وفى هذه الأثناء أظهرت إسرائيل انزعاجا بالغا من توقيع اتفاقية الجلاء بين مصر وبريطانيا، وقد صرح **موشى شاريت** رئيس الوزراء الإسرائيلى أمام الكنيسيت فى ٣٠ أغسطس ١٩٥٤ بقوله : « إن منطقة القناة بما فيها المطارات إلى السلطة العسكرية المصرية يزيد من قوتها على العدوان على إسرائيل..».

وحاولت إسرائيل عرقلة مفاوضات الجلاء بالقيام بعمليات تخريبية ضد المصالح البريطانية والأمريكية فى مصر كما سبق أن أوضحت ، وبعد توقيع اتفاقية الجلاء فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ ركزت إسرائيل على إثارة مسألة السماح للسفن الإسرائيلية بالمرور فى قناة السويس ، وضمان حرية الملاحة فى خليج العقبة ، وعمدت إلى إرسال سفينة تحمل العلم الإسرائيلى لمحاولة المرور فى قناة السويس من ناحية بورسعيد وكان ذلك فى ٢٨ ديسمبر ١٩٥٤ ، ولكن مصر التى ما زالت تعتبر نفسها فى حالة حرب مع إسرائيل تصدت للسفينة واعتقلت قبطانها وطاقمها بتهمة قتل اثنين من الصيادين أثناء اقترابهم من بورسعيد ، وقدمت شكوى إلى لجنة الهدنة بينما قدمت إسرائيل شكوى لمجلس الأمن ، ورغم فشل المناورة الإسرائيلية إلا أنها وضعت قضية التسوية بين العرب وإسرائيل على رأس جدول أعمال الدول الغربية فى ضوء التغيير فى موازين القوى بعد توقيع اتفاقية الجلاء ، فبدأ تنسيق أمريكى بريطانى مكثف لتحقيق تسوية عربية / إسرائيلية فى إطار مجموعة عمل أطلق عليها اسم «ألفا» «ALPHA» وتشكل بالفعل فريق عمل أمريكى بريطانى لوضع الإطار العام للتسوية المقترحة ، وكانت نقطة الاتفاق التى بدأ بها البحث هى اعتبار أن مصر تملك وحدها مفتاح التسوية ، وهذا يستلزم ضرورة التفاهم مع الرئيس جمال عبدالناصر ، والبدء بجس نبضه قبل إثارة أية مشروعات للتسوية ، وقد كان تقديرهم أن أية دولة عربية لن تشارك فى التسوية إلا إذا قبلتها مصر ، ومن ثمّ فمن الضرورى تقديم الإغراءات الممكنة لعبد الناصر بإظهار الاستعداد لمساندة خطط التنمية الاقتصادية فى مصر وتمويل مشروع السدالعالى.

ورؤى أن يقوم **أنطونى إيدن** وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الوقت ، بزيارة القاهرة والالتقاء مع الرئيس جمال عبدالناصر أثناء عودته من بانكوك عاصمة تايلاند ، وقد وصل إيدن فى ٢٠ فبراير ١٩٥٥ وتناول العديد من المسائل فى لقائه مع عبدالناصر ووسط هذه المناقشات سأل إيدن الرئيس جمال عبدالناصر عما إذا كان يرى أية إمكانية للتقدم نحو تسوية النزاع العربى الإسرائيلى وأنه ـ أى إيدن ـ يرى أن مصر هى الدولة الوحيدة القادرة على المبادرة بالسعى نحو حل النزاع ، وأجابه عبدالناصر بأنه لايرى أية إمكانية لتحقيق تسوية جزئية . وأبدى إيدن موافقته على ذلك ، وأكد أن بلاده سوف تدعم أية فرصة للتسوية قد تراها ملائمة ، ولم يزد على ذلك . كما لم يتطرق إلى المساعدة الاقتصادية لمصر.

كان التوقيت غير ملائم بالمرة فبعد لقاء الرئيس جمال عبدالناصر وأيدن بأربعة أيام وقع رسميا حلف بغداد ، وبعدها بأربعة أيام أخرى وقعت الغارة الإسرائيلية على قطاع غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، وحاولت بريطانيا امتصاص غضب مصر واستئناف جهود التسوية، فبعثت إلى سفيرها فى القاهرة **السير رالف ستيفنسون** تطلب إليه التعاون مع السفير الأمريكى هنرى بايرون للتوصل إلى رأى مشترك بشأن إمكانية التقرب إلى عبدالناصر.

التقى السفير البريطانى بالرئيس الذى أبلغه أن النزاع مع إسرائيل هو السبب الرئيسى للوضع المضطرب فى منطقة الشرق الأوسط إلا أنه لايتوقع إمكانية تحقيق خطوات معينة فى هذا النزاع فى المدى القريب ،وإن كان يرى أن الخطوة الأولى يجب أن تبدأ بعودة اللاجئين الفلسطينيين ، والتنازل عن جنوب صحراء النقب لايجاد اتصال جغرافى مباشر بين مصر والأردن ، وأضاف فى نهاية المقابلة أنه يشعر بالحيرة تجاه الأهداف الحقيقية لبريطانيا.

لقد ترك جمال عبدالناصر الباب مفتوحا مع إظهار تشككه وعدم ثقته فى نوايا الغرب ، لكنه فى الوقت نفسه كان قد نجح فى استبعاد مشاركة إسرائيل فى مؤتمر باندونج ، ونجح أيضاً فى إدراج قضية الصراع العربى الإسرائيلى على جدول أعمال المؤتمر نفسه ، وتواصل نشاط الفدائيين داخل إسرائيل نفسها بعد عدوان ٢٨ فبراير ١٩٥٥ على قطاع غزة ، وأدى ذلك بدوره إلى تكرار اعتداءات إسرائيل على القطاع واشتعل التوتر على خطوط الهدنة.

كذلك واصلت مصر موقفها المتشدد تجاه مسألة المرور فى قناة السويس وخليج العقبة، ففى العاشر من إبريل ١٩٥٥ منعت السلطات المصرية السفينة البريطانية «أرجوبيك» من المرور فى خليج العقبة متوجهة إلى إسرائيل وأدرجت سفينتان بريطانيتان أخريتان على القائمة السوداء بسبب ترددهما على ميناء حيفا ، وفى ٣ من مايو ١٩٥٥ أطلقت بطاريات خفر السواحل المصرية النيران على السفينة البريطانية **«أنشون»** أثناء مرورها فى خليج العقبة لأن قبطانها رفض الاستجابة للأوامر المصرية بضرورة التوقف.

وتوترت العلاقات البريطانية المصرية واغتنمت إسرائيل الفرصة ونددت بالتصرفات المصرية وواصلت اعتدائها على الحدود المصرية ، وفى نهاية أغسطس ١٩٥٥ شنت هجوماً كبيراً على قطاع غزة ، وفى الشهر التالى احتلت منطقة العوجة المنزوعة السلاح ، والتى تتحكم فى عدة طرق داخل الأراضى المصرية.

وعندما أعلنت مصر عن **صفقة الأسلحة التشيكية فى ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥** صعّدت لندن حملتها وثارت ثائرة إسرائيل ، وراحت تلح فى طلب أسلحة من الغرب وشنت هجوماً جديداً ضد سيناء ، وأصبح الموقف مهدداً بالانفجار فى أية لحظة ، وطلب وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية « **أنتونى ناتينج**» لقاء السفير المصرى فى لندن وطلب منه أن تبذل مصر أقصى ما يمكنها للأمتناع عن الاشتباك مع إسرائيل على الحدود.

عاد بن جوريون إلى منصب رئيس الوزراء فى إسرائيل ، وأعلن استعداده للاجتماع مع الرئيس جمال عبدالناصر لوضع تسوية مشتركة ، وهدد باستخدام القوة لفتح الممر الملاحى فى خليج العقبة ، وفى نفس الوقت امتدت الاعتداءات الإسرائيلية إلى الحدود السورية ـ فأبلغ عبدالناصر السكرتير العام للأمم المتحدة فى منتصف ديسمبر ١٩٥٥ أن مصر وسوريا ستتخذان ما تريانه مناسباً إذا ما أقدمت إسرائيل على تنفيذ أى عدوان ضد أى منهما ، تنفيذا لاتفاقية الدفاع المشترك.

وفى النصف الثانى من يناير ١٩٥٦ ، جاء إلى مصر **روبرت اندرسون** (بوب) مبعوثا من الرئيس الأمريكى **أيزنهاور** وصديقه الشخصى (وكان يشغل منصب وزير الخزانة ومن قبلها نائباً لوزير الدفاع)، وكان يعمل كقناة اتصال غير رسمية مع مصر لترتيب أوضاع ما بعد إتمام الجلاء البريطانى عن قناة السويس ، والتقى مع عبدالناصر الذى كرر موقفه من التسوية وتركيزه على قضية الأرض واللاجئين ، وأشار إلى أن تحقيق تسوية سريعة أمر يبدو مستحيلاً . وأثار المبعوث الأمريكى من جانبه فكرة عقد لقاء سرى ومباشر بين عبدالناصر وبن جوريون ، ولكن عبدالناصر رفض الاقتراح بحسم وبلا مناقشة.

وقد تكررت محاولات ترتيب لقاء مباشر بين جمال عبدالناصر وبن جوريون من جانب كل من وزير الخارجية الأمريكى **جون فوستر دالاس** وشقيقة **آلان دالاس** رئيس المخابرات المركزية الأمريكية «CIA» ، ولم يتغير موقف الرئيس الرافض للفكرة بإصرار وبلا تردد.

وجاءت زيارة **سلوين لويد** وزير الخارجية البريطانى فى مارس ١٩٥٥ لمواصلة جهود استمالة عبدالناصر وأثار مجدداً قضية النزاع العربى الإسرائيلى لكن عبدالناصر لم يبد اكتراثا وخرج الوزير البريطانى من المقابلة بانطباع متشائم.

وواصل الرئيس نقده للسياسات الإسرائيلية ، وفى إبريل ١٩٥٦ شنت إسرائيل هجوما جديداً على غزة بزعم ضرب قواعد الفدائيين ، واستمر التوتر على الحدود ، وتدفقت الأسلحة البريطانية والفرنسية على إسرائيل ، وفى مايو ١٩٥٦ قام الرئيس بزيارة قطاع غزة، وألقى خطاباً فى رجال القوات المسلحة هناك يحمّل فيه الغرب مسئولية الاعتداءات الإسرائيلية بسبب تزويدها بالسلاح ، وتعالت الأصوات فى بريطانيا تطالب باتخاذ موقف متشدد من مصر وعبدالناصر.

هكذا كانت الأرضية مهيأة تماماً خلال عام ١٩٥٦ لصدام كبير وعلنى بين مصر من جانب وكل من إسرائيل والقوى الاستعمارية الغربية من جانب آخر.

وقد يكون من المناسب هنا أن أتعرض بشئ من التفصيل لما تعرضت له ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من مؤامرة ومحاولات مستميتة لضربها وإجهاض الدور الذى كان يقوده جمال عبدالناصر من أجل التحرر والاستقلال فى هذه المنطقة الحيوية من العالم.

فى العالم السرى للمخابرات البريطانية ، كان هناك فرع يطلق عليه «**إدارة العمليات الخاصة**» مهمتها القيام بالقتل والاغتيال وتتمتع بمهارة خاصة فى تصوير الاغتيال على أنه حادث أو صدفة.

وحين طرد **الجنرال جلوب** من قيادة الجيش الأردنى فى أول مارس ١٩٥٥ أُصيب رئيس الوزراء البريطانى أنطونى إيدن بحالة من الجنون ، وحمّل عبدالناصر مسئولية هذا العمل، وكان رده عنيفاً وأعلن حرباً شخصية ضد عبدالناصر وقال : « **إما هو أو نحن**»، وقد

عارض تفكير أنتونى ناتينج فى كيفية حل الصراع العربى الإسرائيلى حيث كان يميل ناتينج إلى حل المشكلة فى إطار الأمم المتحدة وهو ما يفيد بريطانيا أيضاً إلا أن إيدن رفض قائلاً له: « **ألا تفهم ؟ إنى أريد تدميره ! أريد قتله ! ولا أريد بديلا ...**» وقال حاول وكيل الخارجية البريطانية «**إيفون كيركباتريك**» بعد ذلك بأيام نفس المحاولة إلا أن إيدن قال له : « **لا أريد بديلا**» فرد عليه وكيل الخارجية قائلا : لا أعتقد أن هناك فرعا فى الوزارة لهذا النوع من العمليات ، وإذا كان لدينا مثل هذا الفرع فإنه ليس تحت إداراتى بالتأكيد.

يقول **جوردو بروك** ، وهو أحد ضباط المخابرات البريطانية : « إن القيام باغتيال ناصر لم يكن أبداً عملية سهلة وإن بعض المسئولين فى المخابرات كانوا لايؤيدونها لأن المخابرات فى تلك الأيام وبعد الحرب العالمية الثانية لم تعد تعيش فى عصر « جيمس بوند». ولكن إيدن تجاوز وزارة الخارجية وتجاهل سلوين لويد وزير خارجيته الذى يقال أنه تخلص من ملف خاص بعملية قتل ناصر كان فى مكتبه وذهب مباشرة إلى المخابرات واتصل بأحد كبار المسئولين فيها وهو « باتريك دين» الذى كان يتفق مع رأى إيدن فى ضرورة إزاحة ناصر من المسرح السياسي بأية وسيلة ممكنة ـ ويقول الكاتب أنه يبدو أن إيدن وباتريك دين لم يحاولا الحصول على موافقة مدير المخابرات البريطانية «**جون سينكلير**» الذى كان ينظر إليه على أنه شخصية ضعيفة واعتمد على « **جورج يونج**» الذى كان يتمتع بشهرة واسعة بعد اشتراكه فى الانقلاب الذى أطاح بحكومة محمد مصدق فى إيران سنة ١٩٥٣.

فى ١٥ مارس ١٩٥٦ بعث إيدن برسالة سرية للغاية إلى أيزنهاور يحذره فيها من خطط ناصر للسيطرة على العالم العربى كما أن المخابرات البريطانية ألحقت ذلك بمعلومات أن ناصر قرر محاربة إسرائيل وأنه اختار شهر يونيو لبدء الهجوم .

وعلى أساس معلومات المخابرات البريطانية التى لم تكن موثقة ومشكوك فى صحتها قرر مجلس الوزراء البريطانى فى ٢١ مارس ١٩٥٦ الموافقة على اقتراح وزير الخارجية بالعمل لإقامة حكومة صديقة للغرب فى سوريا وبعد ذلك بثلاثة أيام وفى واشنطن درست لجنة خاصة من وزارة الخارجية والمخابرات المركزية الأمريكية ممثلة برئيسها آلان دالاس وجيمس إنجلتون وكيرميت روزفلت قدرة ناصر على حشد التأييد العربى لحربه ضد إسرائيل وتأثير ذلك على إمدادات البترول العربى ، واحتمالات الشيوعية .

وفى ٢٨ مارس اتفق على تشكيل لجنة أمريكية بريطانية مشتركة تحت اسم «**أوميجا**» كان هدفها الأول تحذير عبدالناصر من نتائج تعاونه مع الاتحاد السوفيتى . ويقول « كيث كامبل» ضابط المخابرات أنه بحث أيضاً تنفيذ عمليات سرية ضد ناصر وتقرر اتخاذ إجراءات عنيفة وتم الاتفاق على مؤامرة أنجلو أمريكية لزعزعة ناصر تشمل احتمالات القيام بانقلاب

عسكرى فى سوريا إذا استمرت دمشق فى تأييد ناصر وأطلق على هذه العملية اسم كودى «ستراجل» «Struggle».

فى ٣١ مارس ١٩٥٦ التقى **جورج يونج** عدداً من رجال المخابرات المركزية الأمريكية من بينهم **جيمس آيكل بيرجر** - مدير مكتبها فى القاهرة - وتتابعت الاجتماعات، وكان رأى المخابرات البريطانية أنه يجب البدء بعمليات شاملة ضد ناصر وأنه يجب اعتبار مصر أداة فى يد الاتحاد السوفيتى ودعوا الأمريكان للتخلى عن الوقوف على السياج وأنهم إذا لم يتحركوا على الفور فذلك يدل على ضحالة المعلومات الأمريكية والتى وصفتها بـ« الزبالة» وكانت وجهة نظر الإنجليز أن سوريا هى مفتاح المنطقة وأن مصير الأردن ولبنان يتوقف على ما يجرى فى سوريا.

فى أول إبريل بعث مندوبو المخابرات المركزية الأمريكية بتقرير إلى واشنطن يوجزون فيه الموقف البريطانى والذى يلخصه كلام أحد ضباطهم : « مستعدة لخوض معركتها الأخيرة، ومهما تكن التكاليف فسوف ننتصر» ، وفى الوقت نفسه لم تكشف لندن للأمريكان عن عملياتهم السرية المزمع القيام بها ولو أنها أوضحت أن هدفها الرئيسى هو إقامة حكومة سورية صديقة للهاشميين فى العراق واستنتج الأمريكيون أن بريطانيا قد تحدثت مع تركيا والعراق بشأن خططها . ومما جاء فى تقرير المخابرات الأمريكية: « نعتقد أن الحكومة البريطانية تدرس استخدام الخطط التالية أو بعضها : الصرف من الأموال العراقية لتأييد الأحزاب الصديقة للعراق فى سوريا ، التأييد النشط لشق حزب البعث ، إثارة القلاقل القبلية فى منطقة الجزيرة والاضطربات الحدودية مع تركيا وإسرائيل مما يستدعى المساعدة العراقية لإعادة الاستقرار إلى سوريا والاستعانة بالأحزاب الصديقة للتسلل من لبنان . ولكن ضابط المخابرات الأمريكية « **ويلبور كرين إيفلاند**» - وهو بالمناسبة مؤلف كتاب « حبال من الرمال» «Ropes Of Sand» - ، الذى كتب التقرير سخر من هذه الخطط البريطانية واستبعد قدرة العراق على تنفيذها، وأضاف إيفلاند فى تقريره أن المخابرات البريطانية تتوقع أن تقوم إسرائيل بعمليات خاصة ضد مصر وتدمير أسلحتها الجديدة التى استوردتها من الاتحاد السوفيتى وأن تشن هجوما ضد غزة ، ولكن الذي لم يعرفه إيفلاند حينذاك أن بن جوريون كان قد اقترح بالفعل على إيدن القيام بعملية مشتركة ضد ناصر مما مهد للتواطؤ الذى تم بعد ذلك فى الهجوم على مصر سنة ١٩٥٦.

وشهدت هذه الفترة عودة التعاون الوثيق بين المخابرات البريطانية والمخابرات الإسرائيلية وشغلت امرأة رئاسة مكتب المخابرات البريطانية فى تل أبيب . بعد ذلك بدأت الحكومة البريطانية فى إعداد الرأى العام البريطانى والدولى وتهيئته لتنفيذ مؤامرتها ضد مصر وسوريا

فقامت المخابرات البريطانية بتسريب أخبار عن تدفق الأسلحة السوفيتية والتشيكية إلى سوريا ، ونقل بعضها مراسل جريدة « الديلى تلغراف» فى بيروت الذى كان عميلاً سريا للمخابرات البريطانية وقد قامت المخابرات الأمريكية بالتحقق من هذه المعلومات فوجدتها زائفة.

وبعث إيدن فى ١٥ مايو برسالة إلى أيزنهاور تتضمن معلومات المخابرات البريطانية بأن جمال عبدالناصر يخطط لقلب أنظمة الحكم فى العالم العربى خاصة صديقة الغرب .

وبدأت المؤامرة ضد سوريا . ففى يونيو بدأ السفير البريطانى فى دمشق **«جون جاردنر»** بدعم الفئات الصديقة للعراق بتقديم الأموال للضباط المناوئين لليسار حتى يتمكنوا من التعاون مع السياسيين **ميخائيل إليان وجلال السيد** وكذلك مساعدة بعض الفئات القبلية على الحدود السورية العراقية.

كذلك عمل السفير البريطانى على ضمان تأييد الإخوان المسلمين ، وهى الحركة التى قام بتأسيسها قبل الحرب العالمية الثانية الكاتب والرحالة و رجل المخابرات البريطانية **«د.فريا ستارك»** ودعّم نشاطها فى مدينة الإسماعيلية من سنة ١٩٢٨ شركة قناة السويس العالمية عندما بدأ حسن البنا أول نشاط له فى مصر.

ولكن ميخائيل إليان وبقية المتآمرين اضطروا للفرار من سوريا حين ارتد عليهم رد الفعل الوطنى فى سوريا . بعد ذلك قابل رئيس الأركان العراقى **اللواء غازى الداغستانى** فى جنيف **أديب الشيشكلى** ـ الذى سبق أن سقط حكمه سنة ١٩٥٤ ـ كذلك اجتمع الشيشكلى بعدد من ضباط المخابرات البريطانية فى بيروت الذين كانوا يعدون جماعات ضاربة لاغتيال الضباط اليساريين ـ يعنى الوطنيين .

فى منتصف يوليو ١٩٥٦ سحب العرض الغربى بتقديم قرض لبناء سد أسوان (السد العالى) ، وكان رد عبدالناصر التفكير بتأميم شركة قناة السويس واحتياطيا بعث بمجموعة من ضباط المخابرات إلى مالطا وقبرص ـ وكانت العلاقات بين عبدالناصر والأسقف مكاريوس وطيدة جدا وكانت مصر تؤيد نشاط **منظمة أيوكا** باعتبارها إحدى حركات التحرير ، كما كانت العلاقات جيدة مع **دوم منتوف** رئيس وزراء مالطة ـ وذلك لتقييم احتمالات الرد العسكرى البريطانى ولمعرفة تفاصيل حجم ووضع القوات البريطانية فى المنطقة.

فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أعلن عبدالناصر فى خطاب جماهيرى ، وصف فى لندن بأنه «هستيرى»، تأميم شركة قناة السويس ومن وجهة النظر القانونية لم يكن ما قام به أكثر من شراء أسهم الشركة . فى تلك الليلة لم يخف إيدن مرارته من هذا القرار وهو يستقبل زائريه: **الملك فيصل**

ملك العراق ورئيس وزرائه **نوري السعيد** وكانت نصيحته لإيدن : «لم يبق أمامك سوى طريق واحد هو أن تضرب وأن تضرب بعنف الآن ، وإلا فسيكون كل شئ متأخراً . » وما أن غادر ضيوفه حتى عقد إيدن مجلسا للحرب (مجلسا عسكرياً) استمر حتى الساعة الرابعة صباحاً ، ومما قاله إيدن فى تلك الليلة : « **لن أسمح لناصر أن يضع يده على زورنا** » (**قصبة تنفسنا) لابد من تدمير موسولينى المسلم .. أريد إزاحته ولا اكتراث على الإطلاق إذا سادت مصر الفوضى والدمار**»

وشكل إيدن على الفور ما سُمي «**بلجنة مصر**» للإشراف على الرد وإدارة الأزمة خاصة إذا تقرر أن تنتهج بريطانيا وحدها سياسة مستقلة دون مشاركة أمريكية أو بقية الحلفاء الغربيين برئاسة سكرتير مجلس الوزراء «**نورمان بروك**» وعضوية بعض الوزراء وكبار الموظفين وكان الهدف الرسمى لهذه اللجنة هو أن يؤدى استخدام الدبلوماسية الحاسمة وعرض القوة العسكرية معا لإسقاط ناصر ، اختبر عدد من العسكريين لوضع مشروع خطة أطلق عليها «موسكيترز Muskeeters»(*) حصر تداولها بين عدد قليل من كبار المسئولين ـ وللأعين فقط ـ ولم تبلغ واشنطن حليفة بريطانيا الأقرب ، ونسقت مع المخابرات الفرنسية بسرية تامة لتحقيق الخطة . وفى الوقت نفسه شكلت لجنة أخرى « **لجنة دووس ، باركر**» الاستشارية من الخارجية البريطانية لاستخدام الوسائل غير العسكرية فى الدعاية والإعلام ومواجهة الإعلام المصرى . وتبنت اللجنة خطة « للدعاية السوداء» واختراق وسائل الإعلام الإقليمية بهدف تقليل نقد السياسة البريطانية فى المنطقة حتى أنه طلب من هيئة الإذاعة البريطانية المعروفة باستقلالها ولو نظريا على الأقل بتبنى سياسة إعلامية أشد عدوانية ، وأطلقت هذه اللجنة وغيرها من فروع المخابرات البريطانية حملة من الدس والوقيعة وبث المعلومات الخطأ بواسطة الجرائد ووكالة الأنباء العربية ـ وهى وكالة أنباء كانت مدعومة من المخابرات البريطانية ـ ومختلف وسائلها فى كل الشرق الأوسط. بل عمدت هذه الحملة إلى طباعة منشورات مزورة باسم هيئة الاستعلامات المصرية تدعو فيها إلى السيطرة على الأقطار العربية وعلى صناعة النفط بواسطة مصر ، ومن اختراعات الدعاية البريطانية التى استخدمت فى هذه الحملة فضح وجود معسكرات اعتقال مصرية يشرف عليها النازيون السابقون.

(*) بعد تأميم القناة وفى (بونكر) تحت الأرض فى لندن وضعت خطة عسكرية فرنسية ـ بريطانية ضد مصر أطلق عليها اسم «موسكتيرز» لخصت فيها كل التفاصيل ، ومن بينها من سيتولى القيادة العسكرية ، وكانت من نصيب الانجليز حيث تولى الجنرال «كاتلى» رئاسة الأركان ونائبها له الجنرال الفرنسى «بارجو» وأن تكون القوات البرية بقيادة الأميرال الانجليزى «ستوكول» وأن يكون مساعده الجنرال الفرنسى «بوفر» وهكذا قبل الفرنسيون أن يكونوا تحت رحمة الانجليز.

وافتتح فى عدن ماسمى «صوت مصر الحرة» بدأت تبث برامجها فى ٢٨ يوليو ١٩٥٦ ـ واعتقدت السلطات فى مصر حينذاك أن هذه الإذاعة تعمل فى فرنسا وهو ما سارعت إلى تأييده المخابرات البريطانية للتعمية والتموية ، إلا أنه أتضح بعد ذلك أن الذين كانوا يديرون هذه المحطة هم **آل أبو الفتح** ، الذين كانوا يتعاونون مع جميع الأجهزة الغربية الإنجليزية والفرنسية والأمريكية والسعودية كذلك على حد سواء.

وتتابعت خطوات المخابرات البريطانية فى حملتها ضد الرئيس جمال عبدالناصر وهدفها الأول هو التآمر على اغتياله ويتساءل البعض إذا كان أنطونى إيدن قد أصدر أمراً مكتوباً للمخابرات باغتيال عبدالناصر أو أنه اكتفى بتعليمات وأوامر شفوية.

ولكن بعض ضباط المخابرات البريطانية كانوا يشكون فى جدوى هذه السياسة وينتقدونها ويعتقدون أنها لن تنتهى بأى نتيجة ، وفى أول يوم حضر فيه إلى «**برودواى**» (إسم أحد مكاتب المخابرات) «**ديك وايت**» مدير المخابرات الجديد حذره ضابط المخابرات «**جاك أسيتون**» مما يجرى فى الشرق الأوسط من عمليات يجب أن تتوقف وأن أكثرها ليس سليماً أو أمنياً».

ولكن الذى حدث هو انه استبعد كل الذين لايؤيدون رئيس الوزراء والمخابرات فى سياستهم العدائية والدموية ضد عبدالناصر ، وحدث ما هو أكثر من ذلك.

فقد تطورت العلاقة البريطانية مع الموساد وإسرائيل إلى درجة التواطؤ ، وأرسل «**نيكولاس إليوت**» مندوبا للمخابرات البريطانية إلى تل أبيب لإقامة نظام اتصال مأمون، وأقيم خط مباشر للإتصال بين إيدن وبن جوريون والمخابرات العسكرية الإسرائيلية وجرى استخدام نظام اتصال سرى للغاية يتجاوز وزارة الخارجية للاتصال مع الفرنسيين أيضاً.

عرفت المخابرات الأمريكية أن بريطانيا تخفى شيئاً ، و « تتقوقع داخل صدفة» ، وأن ضباطها لايريدون إشراك زملائهم الأمريكيين فى المعلومات.

فى هذه الأيام الخطيرة اجتمع النائب البريطانى المحافظ «**روبرت بوتين**» برئيس الوزراء البريطانى وسمع منه خططه وسياساته نحو مصر وعبدالناصر ، وبعد هذه المقابلة قام النائب المحافظ بزيارة وكيل وزارة الخارجية البريطانية «**إيفون كيركباتريك**» وقال له : أعتقد أن رئيس وزرائنا مجنون ! فرد عليه كيركباتريك « كنت أستطيع أن أؤكد ذلك منذ أسابيع !.

ولم تتوقف المحاولات البريطانية عن استعداء أمريكا ضد عبدالناصر ، واعتباره خطرا يجب استئصاله.

قام « **جورج يونج**» بثلاث زيارات لواشنطن لإقناع **الأخوين دالاس** ـ أحدهما «**جون**» وزير الخارجية ، والثانى «**آلان**» مدير المخابرات ـ بأن عبدالناصر هو الذى يفتح أبواب الشرق الأوسط أمام الاتحاد السوفيتى . وفى أحد الاجتماعات قام «يونج» «بإبلاغ المخابرات الأمريكية بأن بريطانيا والعراق سوف يقدمان على تدبير انقلاب فى سوريا وعندئذ وافقت المخابرات الأمريكية على وجهة نظر المخابرات البريطانية فى هذه النقطة، وأصرت على عودة عملية «إستراجل «Struggle» ، والتى تهدف إلى تنفيذ الانقلاب ، وطلب ميخائيل إليان من إيفلاند ومن «آرشى روزفلت» مندوب المخابرات المركزية الأمريكية مبلغ نصف مليون دولار وفسحة ثلاثون يوماً لإقامة نظام جديد وتحدد توقيت الانقلاب فى نهاية شهر أغسطس ١٩٥٦ .

ومضت المخابرات البريطانية فى تشكيل حكومة ظل مصرية بعد أن منحها إيدن تفويضا فى هذا الاتجاه ، فاتصلت ببعض المحيطين باللواء محمد نجيب الذى كان قد عُزل من منصبه كما اتصلت ببعض رجالات حزب الوفد وبعض السياسيين كما سبق أن أوضحت ، لكن السفير البريطانى فى القاهرة والمخابرات العسكرية البريطانية كانوا يعتقدون بأنه لايوجد فى مصر أى بديل يمكن أن يتصدى لجمال عبدالناصر .

وفى ٢٧ أغسطس ١٩٥٦ قام عدد من المسئولين ورجال المخابرات البريطانيين بلقاء عدد من الشخصيات المصرية فى جنوب فرنسا ، وفى جنيف تم لقاء آخر بين ضباط فى المخابرات البريطانية وأعضاء من حركة الإخوان المسلمين فى مصر .

وقيل فى هذه الاجتماعات إن **اللواء محمد نجيب** سينطلق من بيته ـ المعتقل فيه ـ للاستيلاء على الرئاسة وإن بعض الضباط المنشقين يتفاوضون مع بعض المدنيين لاغتيال جمال عبدالناصر وإقامة حكومة جديدة برئاسة **محمد صلاح الدين** وزير الخارجية الوفدى السابق، وذكر أيضاً اسم على ماهر وأن فى جيبه أعضاء الوزارة الجديدة ، وبرزت أسماء مجموعة من الضباط المتآمرين بقيادة البكباشى حسن صيام قائد إحدى كتائب المشاة.

ولكن الوزير البريطانى «**جوليان إيمرى**» كان يفضل اختيار **الأمير محمد عبدالمنعم** ابن الخديوى السابق عباس حلمى الذى عزلته بريطانيا من الحكم لميوله الوطنية سنة ١٩١٤، وأن يعهد **لأحمد مرتضى المراغى** برئاسة الحكومة ، وكان يقيم فى بيروت ، بعد أن فر من مصر . وقد قام المتآمرون بإبلاغ «إيمرى» أنهم لن يتحركوا إلا بعد أن تزحف القوات البريطانية والفرنسية فى اتجاه القاهرة . وكان أهم شخصية اعتقد الإنجليز أنهم نجحوا فى تجنيدها هو قائد الجناح **عصام الدين محمود خليل** مدير مخابرات الطيران المصرى الذى اجتمع فى روما مع أحد أبناء العائلة المالكة محمد حسين خيرى وبعد ذلك بأسابيع فى بيروت اجتمع خليل مع مدير المخابرات البريطانية فى لبنان «**جون فارمى**».

وكان عصام الدين محمود خليل يبلغ كل ما يتعلق بهذه الاتصالات وكلفه عبدالناصر بمتابعة الاتصال بهم لكشف مخططاتهم ونواياهم هم والأمريكان والفرنسيين وكان يتسلم فى كل مقابلة مبلغ من الجنيهات الإسترلينية كان يسلمها لخزينة الرئاسة وبعد أن قرر عبدالناصر فضح هذه المؤامرة قمت بأوامر من الرئيس عبدالناصر بتسليم المبالغ كلها وكانت تقارب المائة وسبعين ألف جنيه ، وحسبما أذكر ١٦٦ ألف جنيه إسترلينى ، للسيد حسن عباس زكى وزير الخزانة فى ذلك الوقت لإيداعها فى خزينة الدولة ، كما تقرر أن يتم صرف المبالغ لتعويض المتضررين من شعب بورسعيد نتيجة العدوان عليهم .والأوراق الرسمية الخاصة بهذه القضية محفوظة فى أرشيف سكرتارية الرئيس للمعلومات بمنشية البكرى وفى مكتب وزير الخزانة بلاظوغلى حيث تسلم منى المبالغ هناك.

وفى ٢٧ أغسطس ١٩٥٦ تلقت المخابرات البريطانية أولى هزائمها فى حربها ضد عبدالناصر ، حين أعلنت السلطات المصرية الكشف عن شبكة مخابرات بريطانية والقبض على أعضائها ، منهم «**جيمس سوينبرن**» المدير التجارى لوكالة الأنباء العربية والذى أدلى باعترافات كاملة عن دوره ونشاطاته كجاسوس بريطانى وعدد آخر من البريطانيين الذين كانوا يعملون فى مصر تحت غطاء أعمال تجارية . وبعد هذه الضربة التى تلقتها المخابرات البريطانية فقدت رصيدها كله فى مصر ولم يبق لها أحد من عناصرها الذاتية.

وفى محاولة جديدة لاغتيال جمال عبدالناصر أضطرت إلى الاستعانة بعميل من خارج إطاراتها ، فاتصلت بالصحفى البريطانى «**جيمس موسمان**» مراسل الدايلى تلغراف فى القاهرة والذى كان يعمل من قبل فى هيئة الإذاعة البريطانية ال «BBC» وطلبت منه التعاون معها وحين تردد الصحفى قال له ضابط المخابرات البريطانى فى القاهرة « يجب أن تقوم بهذا العمل فنحن على وشك الدخول فى حرب مع مصر » ، وحين وافق الصحفى على التعاون طلب منه أن يضع رزمة ملفوفة فى مكان معين على بعد اثنى عشر ميلا من القاهرة، وكانت الرزمة تحتوى على مبلغ عشرين ألف جنيه إسترلينى رشوة لطبيب عبدالناصر ليقوم باغتياله بالسم . وهذه كانت أخطر المحاولات البريطانية .. تلك المحاولة التى اعتمدت على قيام أحد الأطباء بدس السم لعبدالناصر ، وكان الميجور فرانك كوين رئيس فرع «Q» فى المخابرات قد أعد هذا السم وطلب أن يوضع السم فى الشوكولاته التى يعدها محل جروبى المشهور فى القاهرة ، وتم الحصول على دستة من علب جروبى لوضع السم فى قاعدة محتوياتها من الشوكولاته ، وبعد عدد من التجارب لئلا يفسد السم من تغير درجات الحرارة تمكن «كوين» من التوصل إلى الوصفة الملائمة ، وحين أبدى قلقه من أن يتناول الشوكولاتة بعض الأبرياء ممن يحيطون بالهدف قيل له « ألا يقلق فالخطة محكمة».

وتم تسليم العلب بالفعل ولكنها لم تصل أبدا إلى هدفها المطلوب حيث كان الطبيب هو أحد ضباط المخابرات العامة المصرية.

وكانت هناك خطة أخرى ؛ فقد وضع فرع « الخدمات التقنية» فى المخابرات البريطانية فى لندن خطة جديدة لاغتيال عبدالناصر بالغاز لسهولة استخدامه ، وادعت المخابرات البريطانية بأن عميلا فى القاهرة يستطيع الوصول إلى أحد مقرات عبدالناصر ، وكانت الخطة هى وضع أنابيب من غاز الأعصاب داخل نظام التهوية ، ولكن تنفيذ العملية كان يتطلب كميات ضخمة من الغاز ، فاستبعدت على أساس أنها غير عملية. وقد كشف هذه المحاولة مدير المخابرات البريطانية الأسبق «**موريس أولدفيلد**» والذى كشف أيضاً أن إيدن قرر العدول عنها لأنه لم يستطع استخدام الغاز ، فمن المعروف أن إيدن اشترك فى الحرب العالمية الأولى التى استخدم فيها الغاز السام ، وأنه كان يعتبرها من جرائم الحرب، ولكنه فى سنة١٩٥٦ لم تثقل عليه أى هواجس باستخدام وسائل سخيفة أخرى للاغتيال والقتل.

ثم كانت هناك خطة أخرى أعدتها مؤسسة وزارة الدفاع لأبحاث المفرقعات وتطويرها عبارة عن علبة سجائر تطلق سهاماً سامة وقد جربت هذه الوسيلة عل بعض الماشية للتأكد من فاعليتها ، وحين أُطلق السهم وأصاب الماشية اصطكت ركبها وغمغمت أعينها وعلا الزبد ثم بدأت تتساقط على الأرض وهى تفارق الحياة.

كما أن الفرنسيين والإسرائيليين أعدوا بدورهم عدداً آخر من مؤامرات الاغتيال . فقد وضع مدير المخابرات الفرنسية «**بيير بورسيكوت**» (الاشتراكى) ، من رجال المقاومة الفرنسية السابقين ـ خطة تنطلق بموجبها مجموعة من الكومادوز من مقر السفارة الفرنسية فى القاهرة لتعبر النيل بالقوارب المطاطية وتهاجم مقر مجلس قيادة الثورة على الضفة الأخرى من النيل ، وحدد الأول من سبتمبر ١٩٥٦ لتنفيذ العملية ولكن أُجل الموعد ، ثم عُدل عن العملية.

أما المحاولة الإسرائيلية فقد استخدمت جرسونا يونانياً كان يقوم بخدمة الحفلات التى يحضرها الرئيس عبدالناصر وكلفته بوضع حبة السم فى فنجان الرئيس عبدالناصر ولكن حين اقترب الجرسون منه اهتزت يده وتملكته رعشة شديدة فعدل عن فعلته واعترف بما كُلف به . وهذه القضية وثائقها محفوظة فى سجلات النيابة العامة والمخابرات العامة والمباحث العامة وأرشيف سكرتارية الرئيس للمعلومات بمنشية البكرى.

بعد هذه المحاولات الفاشلة والتى لم يبق أمام إيدن سوى طريق واحد هو الاعتداء العسكرى على مصر.

فى ٢٢ أكتوبر ١٩٥٦ نظم « **بيير بورسيكوت**» مدير المخابرات الفرنسية اجتماعاً فى «سيفر» من ضواحى باريس حضره **سلوين لويد** وزير خارجية بريطانيا **وباتريك دين** من المخابرات البريطانية **ودافيد بن جوريون وموشى ديان وشيمون بيريس** عن إسرائيل ورئيس الوزراء الفرنسى **كريستيان بينو** ووزير خارجيته **جى موليه** استمر الاجتماع من السابعة مساء حتى منتصف الليل وتم فيه التواطوء بين الأطراف الثلاثة على تفاصيل العدوان الثلاثى على مصر بموجب اتفاقية أطلق عليها اسم المكان « **اتفاقية سيفر**».و فى هذا الاجتماع عقد أيضاً تحالف فرنسى ـ إسرائيلى تعهدت فيه فرنسا ببيع الطائرات النفاثة وتقديم المعلومات العلمية والتقنية لبناء مفاعل نووى فى إسرائيل.

عهد إلى « **بول بولسون**» بقيادة طاقم المخابرات البريطانية الذى سينزل على الشاطئ المصرى مع أول موجة من جنود الغزو . وكان الطاقم يتكون من وحدة تقوم بتشكيل حكومة دمى بعد الإحاطة بعبدالناصر ووحدة أخرى للقيام بمهام تخريب ضد المنشآت ، ووحدة للتحقيق مع الأسرى المصريين ، ووحدة لرصد ردود الفعل السوفيتية الدبلوماسية وغيرها. وعقد اجتماع على مستوى عال حضره إيدن ولجنة رؤساء الأركان وبحثت فرضية نجاح التآمر على قتل ناصر ، وحين قال فى الاجتماع أحد الضباط البريطانيين وهو يضحك: « إن البلطجة ليست على أجندتنا!» أسفرت أسنان إيدن عن ضحكة واسعة . وفى تلك الفترة كانت المخابرات البريطانية قد فقدت كل عملائها فى مصر فتقرر إرسال طاقم من ثلاثة رماة من لندن لاغتيال عبدالناصر ، وبالفعل دخل مصر هؤلاء الثلاثة ولكنهم عجزوا عن عمل أى شئ فغادروا من حيث أتوا . وفى الوقت نفسه وصلت معلومات للمخابرات المصرية بوجود مرتزق ألمانى استأجرته المخابرات البريطانية للقيام بعملية ، لكنه اختفى قبل أن تقبض عليه السلطات المصرية ، ويعُتقد أنه هرب تحت غطاء دبلوماسى.

كانت هناك خطة بريطانية لاستخدام قوات طيران خاصة بعد بدء الغزو لقتل الرئيس عبد الناصر أو لأسره ، ولقد كان للفرنسيين دور فى كل هذه المخططات الفاشلة من البداية للنهاية .. فقد جرب رجال الضفادع البحرية الفرنسية الوصول إلى الرئيس عبدالناصر ولكنهم لم يملكوا أية معلومات تمكنهم من الوصول إلى الهدف. وفى نوفمبر ١٩٥٦ كانت هناك محاولة فرنسية ثانية ولكنها فشلت أيضاً بعد أن تمت تصفية عملاء المخابرات الفرنسية فى القاهرة.

وفى داخل مصر كان من المنتظر أن يقوم أعداء الرئيس عبدالناصر بالتحرك ؛ فاجتمع الضابط **حسن صيام** ـ المتآمر العسكرى الرئيسى ـ بالوزير الوفدى **عبدالفتاح حسن** لبحث ما يمكنهم عمله ، فطلب الواحد من الآخر أن يبدأ هو بالخطوة الأولى ، وفى الوقت نفسه انتقل **مرتضى المراغى** من بيروت إلى قبرص ـ القاعدة الرئيسية التى انطلقت منها القوات

البريطانية . طلب **حسن صيام** من المتآمرين المدنيين أن يطلبوا مقابلة عبدالناصر ولكنهم رفضوا القيام بأى حركة قبل أن يكون العسكريون قد تخلصوا منه . ويتذكر أحد ضباط المخابرات البريطانيين أن ضباط مصريين معارضين لعبدالناصر زودوا بأسلحة كانت مخبأة فى بقعة مناسبة قريبة من القاهرة ولكنها كانت غير صالحة للاستعمال . ووثائق هذا الموضوع محفوظة فى أرشيف القيادة العامة للقوات المسلحة والمباحث الجنائية العسكرية والمباحث والمخابرات العامة وسكرتارية الرئيس للمعلومات بمنشية البكرى.

انتهت حرب السويس والعدوان الثلاثى وكل المؤامرات ضد ناصر بالفشل . وأعلن «**جورج يونج**» ضابط المخابرات البريطانية : « لقد انهار كل شئ ، وأصبحت رجلاً عجوزاً فى ليلة واحدة !. وقال ما أعتقد معه أنها نهاية بريطانيا ونفوذها فى المنطقة.

لكن حقد إيدن لم ينته حتى اللحظات الأخيرة ، ففى ٢٣ نوفمبر ١٩٥٦ طلب من المخابرات البريطانية استئناف محاولاتها لاغتيال عبدالناصر ، وكان ذلك هو آخر أوامره قبل أن يعتكف فى منزل «**أيان فليمينج**» مخترع روايات جيمس بوند ، وعندها حزم مدير المخابرات البريطانية فى بيروت « **دونالد براتر**» حقائبه وعاد إلى لندن على الفور وهـو يقول « البلطجة على الأجندة » ، فقد أعطى إيدن موافقته لعملية ـ مجهولة حتى الآن أسماء وخطة ـ لعدد من الضباط المصريين المعادين لعبدالناصر تحت قيادة ضابط مجهول سمى « يارو» ، يمكنهم استخدام أسلحة كانت مخبأة قريباً من القاهرة.

وفى سنة ١٩٧٥ قامت لجنة من مجلس الشيوخ الأمريكى بالتحقيق فى إشاعات عن تجاوزات المخابرات الأمريكية وسوء استخدامها لسلطاتها وأنها استهدفت اغتيال عبدالناصر هى أيضاً . فقد نقل عن **آلن دالاس** قوله مهدداً : قل للكولونيل ناصر صديقك.. أنه إذا زوّدها .. فسنمزقة إلى نصفين!»، ولايمكن الاستهانة بهذا التهديد لأن أعوان المخابرات الأمريكية فى القاهرة أصبحوا أكثر عدداً مما كان لبريطانيا ، ولكن اللجنة لم تستطع الحصول على دليل على هذا الزعم ، وعلى أى حال فإن «مايلز كوبلاند» الجاسوس الأمريكى ـ لاحظ أن الإنجليز يقولون عليه الجاسوس حيث أنه فعلا لم يكن ضابط مخابرات ـ وأستاذ دس المعلومات الخطأ ، يقول أنه أُختير إعطاء جمال عبدالناصر علبة سجائر «كنت» التى كان يدخنها بعد أن تم تسميمها على يدى الدكتور «سيدنى جوتليب» رئيس دائرة الخدمات التقنية فى المخابرات الأمريكية بمادة «بويتلوليزم» التى تضمن القتل بعد ساعة أو ساعتين.

وفى ٢٣ديسمبر ١٩٥٧ أعلن جمال عبدالناصر فى احتفال جماهيرى فى بورسعيد عن الكشف عن مؤامرة أنجلو فرنسية لإعادة الملكية ، وتبين أن الضابط عصام الدين محمود خليل مدير مخابرات القوات الجوية المصرية فى ذلك الوقت ـ قام بتبليغ عبدالناصر بكل

ما طلبته منه المخابرات البريطانية من اليوم الأول ، واستمر فى خداعها بناء على تعليمات من عبدالناصر الذى أعلن أن بريطانيا دفعت لخليل ١٦٦ ألف جنيه إسترلينى ، وأنه قرر صرف هذه الأموال تعويضاً للمواطنين المصريين الذين تضرروا من أعمال القصف الذى أصاب بورسعيد من القوات البحرية البريطانية.

السد العالى ـ أزمة التمويل

مشروع السد العالى هو مشروع قديم يرجع الفضل فى طرحه إلى المهندس اليونانى **«دانينيوس»**، وقد سبق أن تقدم به لأكثر من حكومة مصرية قبل الثورة ولكنه لم يكن يلقى أدنى استجابة حتى على سبيل الوعد ببحث المشروع وجدواه الاقتصادية ، وفى عام ١٩٥٣ تقدم بمشروعه من جديد إلى مجلس قيادة الثورة ، ولكنه هذه المرة حظى باهتمام كبير من جانب القيادة الثورية وكلف قائد الجناح جمال سالم عضو مجلس قيادة الثورة بتولى مسئولية هذا المشروع إلى جانب الفنيين فى المجالس والهيئات المتخصصة الذين سيتولون البحث والدراسة...الخ.

لقد سبق أن وضعت القيادة الثورية التى تولت السلطة بعد يوليو ١٩٥٢ قضية التنمية على رأس اهتماماتها وفى مقدمة جدول أعمالها ، وحرصت على إزالة أية عقبات كانت تعترض مساهمة رأس المال الوطنى أو الأجنبى فى التنمية ، كما أصدرت فى شهر أكتوبر قانون ، والذى تم بموجبه إنشاء المجلس الدائم للإنتاج كهيئة مستقلة تتبع لرئاسة مجلس الوزراء ويتولى مهمة بحث ودراسة المشروعات الاقتصادية الكبرى التى يكون من شأنها تنمية الإنتاج على المستوى القومى ، ووضع مخطط وطنى متكامل للتنمية الاقتصادية.

وبدأ هذا المجلس فى وضع الدراسات التفصيلية لعديد من مشروعات التنمية فى قطاعات الرى والتوسع الزراعى وتكرير البترول وخطوط أنابيب البترول وتنمية الثروة المعدنية والمواصلات وغيرها من القطاعات فى إطار رؤية بعيدة المدى للاقتصاد المصرى.

وبالتالى كان من الطبيعى أن يلقى مشروع السد العالى الاهتمام الواجب فى مجلس الإنتاج بعد أن تحمست له قيادة الثورة على المستوى السياسى ، وبالفعل تم تشكيل لجنة فرعية تضم عدداً من أعضاء مجلس قيادة الثورة وعدد من أعضاء مجلس الإنتاج من الخبراء والفنيين

برئاسة جمال سالم لإجراء مزيد من البحث والدراسة لهذا المشروع ، وعقدت اللجنة عدة اجتماعات فى مقر مجلس قيادة الثورة بالجزيرة ، حضر بعضها المهندس اليونانى دانينيوس، وانتهت بعد دراسات مستفيضة إلى الإقرار بجدوى المشروع وضرورة تنفيذه وقدمت أيضاً توصيات بهذا المعنى لمجلس قيادة الثورة الذى وافق من حيث المبدأ على تنفيذ المشروع والبدء فى اتخاذ الخطوات العملية فى هذا الشأن.

وكانت الخطوة الأولى هى تنظيم سلسلة من المحاضرات عن السد العالى ، وبدأت بمحاضرات وندوات فى نادى ضباط الجيش بالزمالك تحدث فيها عدد من المهندسين المتخصصين وشرحوا أبعاد المشروع وما ينتظر منه من عائد ، كما عقدت سلسلة محاضرات أخرى فى نقابة المهندسين ، وفى جمعية المهندسين المصرية استهدفت كلها تهيئة الرأى العام على المستويات العلمية والسياسية والشعبية لهذا المشروع.

لقد تمثل العائق الأساسى الذى حال دون بحث أو تنفيذ مشروع بهذا الحجم فى عهود ما قبل الثورة فى غياب الاستقرار السياسى ، على سبيل المثال فقد كان هناك مشروع كهربة خزان أسوان ، وهو مشروع كان محل مزايدة بين الأحزاب فى برامجها، وتستخدمه كأداة للدعاية ووسيلة للوصول إلى السلطة ثم سرعان ما يطاح بها ويطوى المشروع فى غياهب النسيان لتأتى حكومة حزبية أخرى تجدد نفس السيناريو ، فلما جاءت الثورة بتنفيذ فورى لمشروع كهربة خزان اسوان ، وعملت فى الوقت نفسه على إشراك مكاتب استشارية أجنبية فى دراسة مشروع السدالعالى إلى جانب الخبراء المصريين الذين يمتازون بقدرات وكفاءات كبيرة وعالمية أيضاً فى هذا المجال ، وكل الدراسات أكدت سلامة المشروع من حيث الجدوى الاقتصادية لمستقبل مصر ، وكان من بين من تولى دراسة المشروع بصورة رسمية البنك الدولى للإنشاء والتعمير ، وقد أعد بالفعل دراسة قدمها يوجين بلاك ، كان ملخصها أن حالة الاقتصاد المصرى تسمح بإتمام مشروع السدالعالى.

كما جاء خبراء من الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا الغربية وفرنسا للتنسيق مع المجموعة المكلفة ببحث المشروع ، وتولى كل من المهندسين محمد صدقى سليمان ومحمود يونس وسمير حلمى وأحمد عبده الشرباصى وإبراهيم زكى قناوى وموسى عرفة وآخرين التنسيق مع هؤلاء الخبراء وتقديم التسهيلات اللازمة لهم لوضع الدراسات المطلوبة حول المشروع.

إن أهم الآثار التى يمكن أن تترتب على السد العالى هو إحداث تطوير هائل فى إنتاج الكهرباء الرخيصة ـ أهم فروع البنية الأساسية فى الإنتاج ـ وتنمية الاستخدام الموسع للمصادر المائية وهو ما يساعد على إنشاء أول شبكة كهربائية موحدة للبلاد باستخدام

أحدث التكنولوجيا التى توفرت فى ذلك الوقت ، وثمة تنمية أخرى لاتقل أهمية إن لم تزد تتمثل فيها يوفره السد العالى من طاقات ضخمة لتخزين مياه النيل أمام السد ، وهو ما يساعد على حل مشكلة نقص المياه فى سنوات الجفاف وتوفير المياه التى كانت تهدر فى البحر فى مواسم الفيضان ، وحماية مصر من أخطار الفيضانات العالية ، واستصلاح حوالى تسعمائة واثنا عشر ألف فدان بفضل المياه التى أمكن تخزينها أمام السد، وتحويل تسعمائة وثلاثة وسبعين ألف فدان من رى الحياض إلى الري الدائم إضافة إلى زيادة المساحات المزروعة بالأرز دعما لعائدات التصدير للمنتجات الزراعية، وفى نفس الوقت فإن اكتمال عملية التخزين التدريجى فى بحيرة ناصر يفتح الطريق لإقامة العديد من المشروعات التكميلية فى مجال استصلاح الأراضى والانتقال من الوادى الضيق علاوة على تنمية الثروة السمكية، وتجدر الإشارة إلى أن مشروع توشكى الذى يجرى تنفيذه حالياً يعد فى حقيقته أحد ثمار السدالعالى.

- **وقد يكون من المناسب أن أتعرض بشىء من التفصيل لقصة السد العالى:ـ**

* بدأ التفكير فى المشروع فى نهاية سنة ١٩٥٢ ـ المهندس اليونانى المصرى دانينيوس.
* بدأ تنفيذ المشروع فى ٩ يناير ١٩٦٠.
* انتهت المرحلة الأولى فى منتصف مايو ١٩٦٤ بتحويل مياه النهر إلى قناة التحويل .
* فى منتصف أكتوبر ١٩٦٧ ارتفع جسم السد إلى منسوب ١٧٢ متراً ، وانطلقت الشرارة الأولى من محطة كهرباء السد العالى فى ٩ يناير ١٩٦٩ بتشغيل ثلاثة توربينات.
* فى يوليو ١٩٧٠ اكتمل المشروع بتشغيل ١٢ توربيناً.
* بلغت تكلفة بناء السد العالى حوالى ٤٠٠ مليون جنيه ، ولو أردنا بناءه اليوم سيتكلف ١٨ مليار جنيه . (حسب تقدير شيخ المهندسين إبراهيم زكى قناوى).
* السد العالى من رخام الجرانيت والرمال والطمى تتوسطه طبقة صماء من الطين الأسوانى
* السد يغلق مجرى النهر على مسيرة حوالى سبعة كيلومترات إلى الجنوب من سد أسوان القديم ويحول المياه إلى مجرى جديد عبارة عن قناة مكشوفة تتوسطها ستة أنفاق متصلة فى نهايتها بمحطة كهرباء مزودة بإثنى عشر وحدة.
* سعة بحيرة ناصر ١٦٤ مليار متر مكعب منها ٣٠ مليار متر مكعب لاستيعاب الطمى بعد استمرار رسوبه لعدة قرون ، و ٣٧ مليار متر مكعب لمواجهة الفيضانات العالية ، و٩٧ مليار متر مكعب تمثل السعة الحية للخزان التى تضمن تصرفاً سنوياً ثابت مقداره: ٨٤ مليار متر مكعب يخص مصر منها ٥ , ٥٥ مليار ويخص السودان ٥ , ١٨ مليار ، والباقى ١٠ مليار مقدر أنه يفقد من حوض الخزان بالبخر والتسرب .

* عرض مجرى النهر عند موقع السد	٥٢٠ متر .
* طول السد عند القمـــــة	٣٨٢٠ متر .
* أقصى ارتفاع للسد	١١١ متر .
* عرض قاعدة السد	٩٨٠ متر .
* عرض الطريق فوق السد	٤٠ متر .

البحـــيرة :

* طول البحيرة	٥٠ كيلو متر .
* متوسط عرض البحيرة	١١,٨ كيلو متر .
* مساحة سطح البحيرة	٥٩٠٠ كيلو متر مربع .
* اقصى سعة للتخزين فى البحيرة	١٦٤ مليار متر مكعب .

مجرى التحويـــل :

* الطول الكلى لمجرى التحويل	١٩٥٠ متر .
* طول القناة الأمامية المكشوفة	١١٥٠ متر .
* طول القناة الخلفية المكشوفة	٤٨٥ متر .
* طول النفق	٢٨٢ متر .
* عدد الأنفاق	٦
* أقصى تصرف يمكن تمريره بمجرى التحويل	١١٠٠٠ متر مكعب / ثانية
* القطر الداخلى للنفق	١٥ متر .

محطة توليد الكهربـــاء :

* مجموع القوة المركبة	٢,١ مليون كيلووات .
* عدد الوحدات الكهربائية	١٢
* قوة كل وحدة	١٧٥٠٠ كيلو وات.
* الضاغط التصميمى	٥٧,٥ متر .

القطاع العام والسد العالى :

المقاولون العرب :

حجم الأعمال التى أوكلت لشركة «المقاولون العرب» فى بناء السد العالى لم تتعدى نسبة ١٢٪ بميزانية لم تتعدى ٤٠ مليون جنيه من جملة التكاليف التى بلغت ٣٣٠ مليون جنيه .

والمقاولون العرب قامت بأعمال حفر وهدم . ولم يشرف عثمان أحمد عثمان على أى عملية بل كان المشرفون هم أمين عمر وأحمد عوض.

مصر للأسمنت المسلح :

كان حجم أعمالها ٦٠ مليون جنيه بنسبة ١٨٪ وهو يعادل مرة ونصف حجم الأعمال الذى أنجزته المقاولون العرب.

وأهم الأعمال كالتبطين للأنفاق وبناء محطات الكهرباء والستارة الرئيسية للحقن فقد قامت بها شركة مصر للأسمنت المسلح والهيئة العامة للسد العالى.

إن مشروعا بهذا الحجم كان فى حاجه إلى قرار سياسى جرىء ، وكان جمال عبدالناصر يتمتع برؤية إستراتيجية بعيدة المدى ، ولم يكن يتخذ القرار المتسرع، ولم تكن موافقته نابعة من رد الفعل ، ومن ثمّ فقد استوعب كل النتائج التى توصلت إليها الدراسات الفنية المتخصصة لمشروع السد العالى وسعى إلى تحويله إلى « حلم قومى» يستأهل أن تجند له كل الطاقات والخبرات لوضعه موضع التنفيذ وبدأ يضعه فى جدول أعماله فى مناقشاته واجتماعاته مع كل المسئولين العرب والأجانب كما تداول بشأنه فى حواراته المستمرة مع الرئيسين تيتو ونهرو ، وأخذ يبحث عن مصادر لتمويله ، وبدأ بعرضه على البنك الدولى للإنشاء والتعمير الذى أكد فى تقرير نشره فى شهر يونيو ١٩٥٥ جسامة المشروع، و ورد بهذا التقرير أيضا أن مصر اعتمدت ثمانية ملايين دولار لتنفيذ بعض الأعمال التحضيرية للمشروع وتشمل إنشاء خطوط للسكك الحديدية ، ومساكن للعاملين فى الموقع، وفى أغسطس من نفس العام أصدر البنك تقريراً آخر يؤكد قدرة الاقتصاد المصرى على تنفيذ المشروع ، وفى سبتمبر ١٩٥٥ أعلنت بعض الشركات الألمانية الغربية والفرنسية والبريطانية تقدمها بعروض للمشاركة فى تنفيذ المشروع فى شكل «كونسورتيوم».

لقد بدأ المشروع يحظى باهتمام فى الدوائر السياسية فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وقد اعتبروه فرصة للربط بين دعم خطط التنمية التى بدأتها الثورة من جانب ، وإقامة نظام إقليمى يضمن المصالح الغربية، ويفتح الطريق للتسوية مع إسرائيل من جانب آخر.

وبدأ الاتحاد السوفيتي يدخل كطرف ثالث فى التنافس ـ خاصة بعد عقد صفقة الأسلحة التشيكية ـ ففى سبتمبر عام ١٩٥٥ ، وفى نفس وقت إعلان أنباء الصفقة صرح السفير السوفيتي فى القاهرة أن بلاده مستعده للمساهمة فى بناء السد العالى ، وحدد هذه المساهمة بالمعونة الفنية والمعدات وأموال يتم تسديدها بسلع خلال خمسة وعشرين عاما ، وأدى ذلك إلى فزع كبير فى الغرب ، وتحركت بريطانيا لتحذير واشنطن من التهديد السوفيتي القادم.

وقد اختار عبدالناصر أن يختبر نوايا الغرب مرة أخرى بعد أن فشلت محاولات الحصول على السلاح منه فبدأ **الدكتور عبد المنعم القيسونى** وزير الاقتصاد سلسلة من الزيارات للعواصم الغربية وجرت العديد من المفاوضات ، أسفرت عن اتفاق من حيث المبدأ أعلنته الخارجية الأمريكية فى ١٦ ديسمبر ١٩٥٥ ويقضى بأن يتولى كل من البنك الدولى والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تمويل مشروع السدالعالى بتكلفة تبلغ ١,٣ مليار دولار يتم توزيعه كالتالى:

١ ـ تقديم ٧٠ مليون دولار للمرحلة الأولى فى المشروع (تقدم الولايات المتحدة مبلغ ٥٦ مليون دولار ، وتقدم بريطانيا مبلغ ١٤ مليون دولار).

٢ ـ تقديم ٢٠٠ مليون دولار للمرحلة الثانية فى صورة قرض من البنك الدولى بالإضافة إلى ١٢٠ مليون دولار أخرى كقرض من الولايات المتحدة الأمريكية ومبلغ ٨٠ مليون دولار قرضاً من بريطانيا ، على أن تدفع فى صور أقساط سنوية بفائدة ٥٪ تسدد على مدى أربعين سنة.

٣ـ باقى المبلغ تتحمله مصر بالعملة المحلية.

٤ ـ يضاف إلى ذلك منحتين الأولى من الولايات المتحدة وقدرها عشرين مليون جنيه، والثانية من بريطانيا وقدرها خمسة ونصف مليون جنيه.

وفى الوقت الذى كانت فيه المفاوضات حول تمويل السد العالى تتخذ هذا المسار الإيجابى على السطح كانت العلاقات السياسية بين مصر من جانب وكل من الولايات المتحدة وبريطانيا من جانب آخر تتخذ مساراً مختلفاً بسبب معركة الأحلاف وصفقة الأسلحة والاعتداءات الإسرائيلية على غزة وغيرها كما أوضحت ، وقد بدا واضحاً حرص الدولتين على امتلاك أوراق ضغط على ثورة يوليو تتعارض والاستراتيجية التى انتهجتها الأخيرة بشأن استقلالية قرارها والإصرار على استكمال التحرر من أية ضغوط أجنبية، وجاءت الشروط التى وضعتها الدولتان لتنفيذ اتفاق تمويل السدالعالى مؤكدة لهذا الاتجاه ، فقد اقترن العرض السابق بالشروط التالية:

١ـ أن تركز مصر برنامجها التنموى على السد العالى بتحويل ثلث دخلها القومى ولمدة عشر سنوات لهذا المشروع مع فرض رقابة على المشروعات الاقتصادية الأخرى.

٢ـ وضع ضوابط للحد من زيادة التضخم والإنفاق الحكومى، وفرض رقابة على مصروفات الحكومة المصرية وعلى الاتفاقيات الأجنبية أو الديون الخارجية . وألا تقبل مصر قروضاً أخرى أو تعقد اتفاقيات فى هذا الشأن إلا بعد موافقة البنك الدولى.

٣ـ الاحتفاظ بحق إعادة النظر فى سياسة التمويل فى حالات الضرورة.

وأثارت هذه الشروط غضب الرئيس عبدالناصر ، فقد كانت أشبه بالوضع الذى كان سائداً فى عهد الخديوى إسماعيل ، وأنتج ذلك كله حالة فقدان الثقة فى إمكانية معاونة الولايات المتحدة فى تنفيذ المشروع ، وانتهى الرئيس إلى تقدير موقف اقتنع به بهذا المعنى، لكنه حرص على تفادى المواجهة لآخر لحظة حتى يتكشف الموقف الأمريكى بوضوح وجلاء وصراحة فى ضوء الرسائل المتكررة التى حملتها القنوات الخلفية والزيارات الرسمية للمسئولين الأمريكيين ، والتى أكدت حقيقة واحدة هى إصرار الجانب الأمريكى على التحكم فى سياسات الثورة ودفعها إلى مسار يخدم الاستراتيجية الأمريكية ومصالح الغرب فى الأساس ، وخاصة فيما يتعلق بالتفاهم مع إسرائيل ، وكان ذلك يجرى بتنسيق محكم مع الجانب البريطانى تكشف أبعاده فى أكثر من مناسبة وكما كشفته الوثائق الأمريكية والبريطانية التى نشرت مؤخراً.

وفى هذا الإطار استقبل الرئيس جمال عبدالناصر يوجين بلاك رئيس البنك الدولى، وبعد مفاوضات وافق عبدالناصر فقط على أن يكون للبنك الدولى حقوق معقولة فى تفقد الإجراءات التى سوف تتخذها مصر للحد من التضخم ـ عقد اتفاق أعلن فى ٨ فبراير ١٩٥٦ يقدم البنك بموجبه قرضاً قيمته مائتان مليون دولار على أن يتوقف تنفيذه على التوصل إلى اتفاق آخر مع لندن وواشنطن حول الشروط التى أعلنوها لتقديم المساعدة.

وفى الأسبوع الأول من يوليو ١٩٥٦ استقبل الرئيس عبدالناصر السفير أحمد حسين سفير مصر فى واشنطن فى استراحة برج العرب غرب الإسكندرية ، ودار الحديث حول الموقف الأمريكى من تمويل مشروع السد العالى ، وكان **أحمد حسين** معروفاً بميوله الأمريكية ، ومن أنصار تطوير العلاقات والتعاون مع واشنطن وقد حاول فى هذا الاجتماع أن يبرر موقف **جون فوستر دالاس** وزير الخارجية الأمريكى الذى اتسم بالمماطلة والتعنت وأخذ يسهب فى تفسير الضغوط التى يتعرض لها من الدوائر الصهيونية وبعض رجال الكونجرس الأمريكى ، ولكن الرئيس جمال عبدالناصر كان يدرك فى قرارة نفسه أن الأمر لايخرج عن حدود المناورة ، وأن أمريكا لن تقدم على المساهمة فى تنفيذ المشروع ، وتمسك

أحمد حسين بموقفه ومحاولاته للتفسير والتبرير ، وبعد أن استمع له عبدالناصر مطولا بادره قائلاً:

« حسنا (قالها بالإنجليزية **All Right**) سأعطيك الفرصة لكى تثبت شيئاً من أجل مصر يا أحمد ، ترجع لدالاس وتقول له إنك قبلت بجميع شروطه ، ثم لاحظ رد فعله ، وحانشوف إيه اللى حايجرى بعد كــده؟».

وأسقط فى يد أحمد حسين واستفسر من الرئيس عما إذا كان لايريد أن يعدل من الشروط الأمريكية.

فقال له عبدالناصر : « لاتعديل فى الشروط ، وأنت مفوض تفويضاً كاملا ومعاك **Carte blanche** وتقول لدالاس :

«إننى قبلت بشروطكم وبأن يتجدد الالتزام الأمريكى تجاه السدالعالى سنوياً ، لكننى أحذرك يا أحمد إياك أن تقول أو تفعل أى شئ يمس كرامة مصر؛* هذا لسبب واضح تماماً هو أننا لن نحصل على السد العالى من الأمريكان».

وتوجه أحمد حسين إلى واشنطن عن طريق لندن ، وعلى خلاف اتفاقه مع الرئيس جمال عبدالناصر أدلى بتصريحات دلت على تخاذل لامبرر على الإطلاق فقد قال:

« إن مصر تقبل بجميع المقترحات المقررة بشأن السد العالى ، وأنها ترجو مساعدتها فى بناء السدالعالى ، وتعتمد على هذه المساعدة وتطلبها».

كنا فى هذه الأثناء فى صحبة الرئيس جمال عبدالناصر فى زيارة رسمية ليوغسلافيا عندما أدلى أحمد حسين بهذه التصريحات ، وأعرب الرئيس عن ضيقه : إذ شعر أن مصر قد أهينت، وما كان لأحمد حسين أن يصرح بكلمه قبل أن يقابل دالاس حسب التعليمات ويفاجئه بموقفه.

ذكّرت الرئيس بما لدينا من معلومات مسبقة بشأن أحمد حسين ، وتزايد ارتباطاته فى هذه الفترة ١٩٥٥ / ١٩٥٦ مع بعض الجهات فى أمريكا ، وقد رأيت هذا التصريح بمثابة تسريب للموقف المصرى بشكل مفصل ويحمل معنى التخريب فى سياستنا ؛ خاصة وأن الرئيس قد حذره من عدم الإقدام على أى قول أو فعل يترتب عليه المساس بكرامة مصر ، فلماذا تطوع أحمد حسين بهذا الموقف ؟ ولماذا فى لندن بالذات ؟ ولماذا قبل اجتماعه بدالاس فى واشنطن؟

(*) اعترف جان بول كالون المستشار القانونى لوفد فرنسا فى مفاوضات التأميم مع مصر فى شهادته : بأن الغرب ارتكب حماقة بعدم فهمه لهذه النقطة بالذات ، فضلا عن أنه اتخذ موقفا متصلباً بينما أدركت الشركة أن التاريخ لن يعود إلى الوراء، وفضلت التفاوض مع الرئيس عبدالناصر، وقال إن العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ كان قمة هذه الحماقة ، وإن الشركة بذلت جهوداً كبيرة بمساعدة البنك الدولى لإقناع عبدالناصر بالتفاوض ، وقال إن العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ كان قمة هذه الحماقة . إن الشركة بذلت جهوداً كبيرة بمساعدة البنك الدولى لإقناع عبدالناصربالتفاوض.

خاصة وأنه سمع تقدير محدد من الرئيس جمال عبدالناصر يعرب فيه عن اعتقاده الجازم بأن أمريكا لن تقدم السدالعالى لمصر.

كان رأى أحمد حسين الذى عبر عنه فيما بعد ، أنه قصد المناورة وممارسة الضغط على الجانب الأمريكى ؛ خاصة وأنه ألمح فى تصريحاته إلى استعداد الاتحاد السوفيتى لتقديم المساعدة فى بناء السدالعالى . والحقيقة أنه لم يجر أى اتصال من جانب مصر مع الاتحاد السوفيتى حول هذا الموضوع لا من قريب ولا من بعيد إلا بعد سنة ١٩٥٧ ، وكل ما حققه التصريح هو إعطاء الفرصة لدالاس لأن يعد نفسه جيداً.

وما أن وصل أحمد حسين إلى واشنطن حتى تتابعت الأحداث على النحو التالى:

عندما تسلم دالاس تصريح أحمد حسين سارع بإبلاغ أيزنهاور الذى كان متواجدا فى كامب دافيد أثر إصابته بأزمة قلبية، ولإحساس دالاس أنه سيواجه حرجاً شديداً إذا ما أبلغه أحمد حسين رسميا قبول مصر للشروط الأمريكية ،أبلغ أيزنهاور بأن المصريين لايتجاوبون معه البتة ، وأنه يقترح سحب عرض المساعدة فى بناء السدالعالى ، ورد أيزنهاور بأنه يفوضه للتصرف بحرية مطلقة وفق مايراه.

تحدد ظهر يوم ١٩ يوليو ١٩٥٦ موعداً لاستقبال دالاس لأحمد حسين فى مبنى وزارة الخارجية الأمريكية ، وبعد دخوله مكتب دالاس بدقائق معدودة أصدر المتحدث الرسمى باسم الخارجية الأمريكية «**لينكولن وايت**» ، بيانا يعلن فيه سحب العرض الأمريكى لتمويل مشروع السد العالى ، وكان قبل أن يبدأ الحديث بين أحمد حسين وجون فوستر دالاس.

وقد بعث أحمد حسين بتقرير إلى الرئيس عبدالناصر عن اللقاء جاء فيه:

ـ أن دالاس فاجأه عندما هم بالجلوس بقوله أن الولايات المتحدة الأمريكية يا سيادة السفير ستصدر بياناً الآن ، وأننا نأسف لأننا لن نساعدكم فى بناء السدالعالى وأن بلاده قد قررت سحب عرضها ؛ لأن اقتصاد مصر لن يستطيع تحمل هذا المشروع.

وهنا حاول السفير أحمد حسين أن يحتج لكن دالاس واصل قراءة ماهو مكتوب أمامه والذى أعد مسبقاً حيث استطرد قائلاً:

« إن الولايات المتحدة الأمريكية تعتقد أن من يبنى السدالعالى ـ أيا كان ـ سيكسب كراهية الشعب المصرى ؛ لأن الأعباء المترتبة عليه ستكون مدمرة وساحقة ـ وأضاف ـ أنه ليس فى وسع الشعب المصرى أن يتحمل عبء تنفيذ هذا المشروع الضخم ، فمتطلباته تتجاوز ما تستطيع مصادر مصر احتماله خاصة بعد التزامها بشراء الأسلحة (يقصد صفقة الأسلحة التشيكية) ، وإننا فى الولايات المتحدة الأمريكية لانريد أن نكون مكروهين فى مصر، وسوف نترك هذه المنفعة للاتحاد السوفيتى إذا كان يعتقد أنه يريد أن يبنى السدالعالى».

ـ ويضيف دالاس أن بلاده تعتقد أن الاتحاد السوفيتى لايملك المصادر الكافية لإنجاز المشروع ، ولو تعهد بتنفيذه فإن الدول التابعة له ستتمرد عليه حيث أنهم يساعدون مصر بينما يرفضون تقديم المساعدات المماثلة التى تطلبها هذه الدول.

ـ يؤكد دالاس أن صفقة الأسلحة التشيكية التى عقدتها مصر ستسبب للحكومة الأمريكية حرجاً فى شأن استمرار مساعدتها الاقتصادية لمصر ؛ لأن كرامة أمريكا أصبحت الآن فى التراب بسبب مزاعم بعض الأصوات فى أمريكا بأن وسيلة مصر للحصول على المساعدات هى التشهير بالسياسة الأمريكية ومعارضتها.

ـ أنه منزعج شخصياً من صفقة الأسلحة خاصة وأن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية قد أثبتت فى السنوات الأخيرة صدق نيتها فى مساعدة مصر كما لعبت دوراً مهما فى التوصل لاتفاقية الجلاء ، والتزمت موقفا غير منحاز بين العرب وإسرائيل ، بل ومارست الضغط على إسرائيل عندما حاولت تنفيذ مشروعاتها فى بحيرة طبرية برغم قرار مجلس الأمن بإيقاف هذه المشروعات . وقال أيضاً أن قادة إسرائيل صرحوا له بأن إسرائيل لايمكن أن تنتظر حتى يكمل العرب استعدادهم للقضاء عليها ، كما ذكر النتائج الخطيرة التى تترتب على تمكين الشيوعية من بترول البلاد العربية وحرمان الدول الغربية منه، وأنه شخصياً يجد نفسه محرجاً ومركزه صعب ! لأن إسرائيل ستطالب ولاشك بالحصول على الأسلحة وبضمانات أمريكية ، وستستخدم فى سبيل تحقيق مطالبها كل وسائل الضغط التى إن نجحت فسوف تسئ لأمريكا عند العرب.

وفى رد عاجل على هذه الآراء أوضح أحمد حسين مايلى :

* أنه نقل إلى وزير الخارجية الأمريكى تأكيد الرئيس جمال عبدالناصر بأن صفقة الأسلحة التشيكية ما هى فى الواقع إلا صفقة تجارية لاتحمل فى طياتها أى طابع آخر.

* أن مصر لن تسمح بتسرب أى نفوذ أجنبى إليها ، وتحرص كل الحرص على مقاومتها الشيوعية، وأنها قبلت بالعرض التشيكى نتيجة الصعوبات التى واجهتها فى الحصول على السلاح من الدول الغربية .

* ويضيف أحمد حسين أنه دلل فى هذه المناسبة على سياسة مصر الواقعية ، والبناءة مذكراً بالدور الكبير الذى قام به الفنيون المصريون لمساعدة إيريك جونستون فى وضع مشروعه الخاص بنهر الأردن ، وأن الرئيس جمال عبدالناصر نفسه قد عبر للوفود العربية الأخرى عن تأييده للمشروع ؛ وهو ما ساعد جونسون على إقناع بعضها بجدوى المشروع وسلامته .

* كما تطرق إلى المساعدات الاقتصادية الأمريكية فى العام الحالى ، وأوضح أن مصر تريد التقدم بطلب ٢٦٠ ألف طن من القمح الأمريكى وفقاً للقانون ٤٨٠ ب (P480).

هكذا لم تكن القضية التى تشغل بال المسئولين الأمريكيين أو الخارجية الأمريكية على وجه الخصوص هى قدرة الاقتصاد المصرى أو الآثار السياسية أو الاقتصادية المترتبة على مشروع السد العالى بل تكمن الأزمة الحقيقة فى عدم تقبل الإدارة الأمريكية الأوضاع الجديدة فى المنطقة التى ترتبت على قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وعدم قدرتها على التعامل مع القوة الجديدة بما طرحته من أهداف تحمل فى طياتها ـ من وجهة النظر الأمريكية ـ تحديا لكل الثوابت التى أرسلتها القوى الاستعمارية فى الشرق الأوسط على مدى السنوات الطويلة السابقة .

* * *

فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ وَكَفَى بِاللّٰهِ وَكِيلاً



قـرار تأميم قنـاة السويس

جاء لاثبات تحرر الارادة المصرية من الهيمنة الغربية
والتي تمثلت في التعنت الغربي لتمويل بناء السد العالي

تأميم شركة قناة السويس
الثورة الثانية

● تمثل قناة السويس صفحة من صفحات النضال المصرى نحو التحرر ، وإنهاء التبعية بقدر ما مثلت أحد الأشكال البارزة للتدخل الأجنبى فى مصر ، ومنذ حفر قناة السويس ، والشركة الفرنسية التى حصلت على امتيازها تتحكم فيها وتتخذ الشركة من باريس مقراً لها وقد أصبحت بريطانيا شريكاً لفرنسا فى السيطرة على القناة بعد أن اشترت نصيب مصر فى أسهم القناة ، ولم تكن مصر تحصل من أرباح القناة إلا على نسبة ضئيلة..

فعلى سبيل المثال وصل دخل القناة ٣٥ مليون دولار فى عام ١٩٥٥، كان نصيب مصر منها مليون جنيه فقط ، وكان موعد انتهاء امتياز الشركة الفرنسية يحين فى عام ١٩٦٨ لتعود ملكيتها بعد هذا التاريخ إلى مصر ، ولقد استوعبت قيادة الثورة هذه الحقائق منذ البداية ، وبدأت بالفعل فى العمل على تعديلها ابتداء من عام ١٩٥٣ لترتيب أوضاع ما بعد ١٩٦٨، وكان ذلك من خلال مجموعة من الدراسات طلبت القيادة إجراءها حول النقاط التالية:

١ـ موقف القوة البشرية فيما يتعلق بمستوى الإدارة أو العناصر الفنية المطلوبة لانتظام العمل والكفاءات البديلة ونوعياتها.

٢ـ الجوانب القانونية التى تحكم وضع القناة والشركة التى تديرها من واقع قواعد القانون الدولى البحرى التى تنظم التعاون مع الموقف وعلاقته بالسيادة المصرية.

٣ـ المشروعات المقترحة لتطوير قناة السويس وتحسينها.

٤ـ احتمالات التدخل العسكرى البريطانى فى القناة فى حالة فشل مفاوضات الجلاء فى ظل وجود القوة العسكرية البريطانية فى منطقة القناة.

ومن جانب آخر كانت مفاوضات الجلاء واحتمالات إنهاء الوجود العسكرى البريطانى مصدر قلق وانزعاج شديدين لشركة قناة السويس ، ومع بداية ١٩٥٣ فكرت كل من لندن وواشنطن فى إنشاء هيئة للمنتفعين بالقناة لتكون بديلاً للقاعدة البريطانية فى حماية القناة ،

ونشط الأعضاء البريطانيون فى مجلس إدارة الشركة فى تجسيد الأخطار المحتملة بعد الجلاء على القناة ، وتكون ماعرف باسم « جماعة السويس» من أعضاء مجلس العموم البريطانى للدفاع عن الشركة آخذين فى الاعتبار تجربة تأميم البترول الإيرانى ، وتخوفهم من استيلاء مصر على القناة وما قد يترتب على ذلك ـ من وجهة نظرهم ـ من أخطار على القناة.

وكان رئيس مجلس إدارة الشركة يردد تعبيراً يدرك تماماً معناه لدى الغرب حيث يقول :

« **إن القناة هى وريد الدورة الدموية للبترول فى العالم**» وقد لقى هذا التعبير صدى كبيراً لدى المسئولين البريطانيين حتى أن إيدن كان يردده أيضاً فى خطبه ذلك أن بريطانيا كانت من أكثر الدول انتفاعا بالقناة.

والملفت للنظر أنه رغم الأهمية الكبرى التى تحظى بها قناة السويس من كل المنتفعين بخدماتها فلم تضع الشركة المسؤولة عنها أية خطط للتطوير أو تحسين الخدمة فى برنامجها.

ومن هنا أدركت قيادة الثورة أن قناة السويس لاتمثل مرفقاً اقتصادياً فقط بل إنها تمثل قضية ذات أبعاد سياسية وأمنية واستراتيجية إلى جانب البعد الإقتصادى ، وأصدر الرئيس عبدالناصر قراراً فى مرحلة مبكرة ، وفى أعقاب توقيع اتفاقية الجلاء مباشرة بتشكيل مجموعة عمل لوضع الدراسات اللازمة فى قناة السويس وفقاً لما سبق تحديده ، وكانت هذه المجموعة تضم كلا من **على صبرى وسامى شرف وأمين أنور الشريف** رئيس جهاز التعبئة العامة والإحصاء ، أطلقت بتجميع البيانات اللازمة والمعلومات الضرورية عن نشاط شركة قناة السويس فى كل الاتجاهات.

وفى ١٧ نوفمبر ١٩٥٤ أشار عبدالناصر فى إحدى خطبه إلى الفترة المتبقية من عمر امتياز شركة قناة السويس ، وضرورة استثمارها كفترة تحضير لتأهيل المصريين لإدارة القناة بعد تسلمها من الشركة.

وفى فبراير ١٩٥٥ انضم للمجموعة السابقة كل من **الدكتور مصطفى الحفناوى والدكتور حلمى بهجت بدوى ومحمد على الغتيت** ، وكان لعلى صبرى الذى رأس هذه المجموعة أحقية الاستعانة بأى من الخبراء الفنيين أو القانونيين وفقا لتقديره وتركز البحث أيضاً على وضع القناة بعد سنة ١٩٦٨ .

وكان يجرى عرض ما يتم التوصل إليه من دراسات أو تقديرات باستمرار على عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة وخاصة عبدالحكيم عامر وعبداللطيف البغدادى وزكريا محى الدين.

قدمت المجموعة آخر دراساتها فى عام ١٩٥٥ وخلصت فى نهايتها لاقتراح يقضى بالإسراع فى وضع القناة تحت السيادة المصرية بالكامل دون أن تستخدم مصطلح «التأميم»، وقد جرت مناقشة الموضوع مع أعضاء مجلس قيادة الثورة، وقد أبدى اللواء عبدالحكيم عامر فى جلسة خاصة مع عبدالناصر تحفظه على هذه الفكرة ، وكان يرى الاكتفاء فقط بزيادة الرسوم التى تحصل عليها مصر من عائد المرور فى القناة ، وأن الاستيلاء على الشركة لايعد فى صالح مصر نظراً لوجود القوات البريطانية فى منطقة القناة وأن مثل هذا القرار قد يدفعها للتدخل فى الأوضاع الداخلية المصرية و إحباط القرار المصرى ، وكانت تجربة مصدق بتأميم البترول الإيرانى مازالت ماثلة فى الأذهان .

وعندما عرضت هذه الدراسة لم يكن مطلوباً وقتها اتخاذ قرار محدد وإنما كان الهدف هو مجرد عرض الموضوع بصفة خاصة على عبدالحكيم عامر باعتباره قائداً عاماً للقوات المسلحة لاستطلاع رأيه فقط من ناحية المبدأ ، وضعت الدراسة كمثيلاتها فى الخزنة.

ومن جانبها قامت شركة قناة السويس فى عام ١٩٥٤ بإيفاد وفد يمثلها برئاسة محام مصرى بارز هو **سابا حبشى** لإجراء اتصالات مع الحكومة المصرية حول فرص مد امتياز الشركة بعد عام ١٩٦٨ ،والتقى الوفد بالسيد زكريا محيى الدين ثم بالرئيس جمال عبدالناصر لكن لم يتلق ردا شافياً من أى منهما.

فى نفس الوقت وضع اهتمام قيادة الثورة بالتعرف على ما يجرى داخل شركة قناة السويس، وكان مجلس إدارتها يضم ممثل أو أكثر للحكومة المصرية لم يكن له أى دور فعلى ، لكنها فى إطار التوجه الجديد حرصت الحكومة على تعيين ممثل لها داخل مجلس الإدارة وتم تكليفه بالتعرف على كل ممارسات الشركة من الداخل.

وفى مارس ١٩٥٦ عندما كان وزير الخارجية البريطانى **سلوين لويد** يزور القاهرة تطرق الحديث إلى قناة السويس ، وأشار إلى أن بلاده تعتبرها جزءاً من مجتمع البترول فى الشرق الأوسط ؛ فرد عليه الرئيس جمال عبدالناصر أن الدول العربية تتقاضى ٥٠٪ من أرباح البترول بينما تتقاضى مصر فقط ٥٪ من أرباح القناة، وأن المفروض أن تعامل مصر معاملة الدول المنتجة للبترول.

هكذا يتضح أن قناة السويس لم تكن غائبة عن التفكير السياسى لثورة يوليو ، بل كانت قيادتها مهيأة تماماً لاتخاذ إجراء محدد سبق دراسته والتداول بشأنه بصورة موسعة ، وكانت المشكلة فقط ترتبط باختيار التوقيت المناسب ، كما أن قوى الغرب وشركة قناة السويس كانت تمعن التفكير فى احتمالات هذه الخطوة وسعت بأساليب شتى للحصول على موقف محدد من الرئيس عبدالناصر بشأنها، لكنه لم يشأ أن يقدم هذا الرد صراحة ، وجاء القرار

الأمريكى بسحب المساهمة فى تمويل السد العالى ليحدد توقيت التحرك المصرى بمنتهى الدقة.

ففى التاسع عشر من يوليو ١٩٥٦ كنا فى طريق عودتنا من يوغسلافيا ، وخلال رحلة العودة بالطائرة من بلغراد - ولم تكن رسالة أحمد حسين قد وصلت بعد ، طلب الرئيس منى الاستماع لنشرة الأخبار من إذاعة القاهرة فوجدت أنها أخبار عادية فطلب الاستماع لمحطة إذاعة الـ «BBC» فى لندن فإذا بها تعلن قرار الولايات المتحدة الأمريكية بسحب عرض المساهمة فى تمويل مشروع السدالعالى ، تضيف أن بريطانيا سوف تصدر بياناً بعد قليل ، وقد صدر البيان البريطانى بالفعل بعد ذلك بساعتين.

كان مع الرئيس عبدالناصر على نفس الطائرة فى رحلة العودة رئيس وزراء الهند **جواهر لال نهرو** مصحوباً بوفد كان مقرراً أن يقوم بزيارة رسمية للقاهرة لمدة ثلاثة أيام لاستكمال حواراته مع الرئيس بعد انتهاء الاجتماع الثلاثى فى بريونى.

سلمت الرئيس ورقة بالخبر فقرأها ثم ناولها لنهرو ، وكانت مكتوبة بالعربية فاستفسر عن مضمونها فأبلغه عبدالناصر ، ثم انتقل تاركا له فرصة للتفكير - وتحدث مع كل من السادة عبداللطيف البغدادى ومحمود فوزى وعلى صبرى وهيكل ، وكان رأى عبدالناصر : أن لدينا بدائل للرد عليهم ، ومصر ليست مفلسة كما يقول دالاس ويمكن بجهودها وبمعاونة أصدقائها أن تبنى السد العالى وسوف تبنيه ، ومع ذلك فليس من المصلحة إعلان رد فعل فورى.

بعد أن وصلنا للقاهرة تحدث الرئيسان نهرو وجمال عبدالناصر واتفقا على عقد جلسة المباحثات الأولى فى الصباح لمناقشة الموقف الجديد بعد أن يكون قد أخذ فرصته للتفكير والتشاور مع معاونيه ، ثم التفت إلىّ وقال : « **بكرة تصحى بدرى وتجيب المجموعة اللى جهزت دراسات قناة السويس ، كل منهم على حدة ولاتستخدم التليفونات أو وسائل الاتصال العادية وتستنى منى تعليمات**».

كانت هذه المجموعة كما ذكرت تضم **مصطفى الحفناوى وأمين أنور الشريف ومحمد على الغتيت وحلمى بهجت بدوى** . وفى الصباح طلب الرئيس تجميع كل الدراسات التى سبق إعدادها على أن نجتمع مع **على صبرى** لوضع التوصيات التى يمكن بحثها إذا ما أجبرنا على اتخاذ إجراءات تتعلق بإدارة قناة السويس ، ولم يطرح أيضاً هذه المرة كلمة «تأميم».

بدأنا مناقشاتنا ، وتحمس اثنان من الحاضرين هما مصطفى الحفناوى ومحمد على الغتيت لاتخاذ قرار لفرض السيطرة المصرية الكاملة على شركة قناة السويس.

وتركنا على صبرى ليلحق باجتماع الرئيس جمال عبدالناصر ونهرو فى قاعة الاجتماعات الكبرى بمبنى مجلس الوزراء ، ثم انتقل الرئيسان وحدهما إلى مكتب الرئيس جمال عبدالناصر، وعاد على صبرى ليلحق باجتماع الرئيس جمال عبدالناصر ونهرو فى قاعة الاجتماعات الكبرى بمبنى مجلس الوزراء ، ثم انتقل الرئيسان وحدهما إلى مكتب الرئيس جمال عبدالناصر ، وعاد على صبرى بعد ساعة تقريباً ليقول لنا : « **فيه كلام حول تأميم شركة قناة السويس ، الرئيس أثار الموضوع مع نهرو ، وإن لم يقله بصراحة بل أشار إلى نوع من أنواع فرض السيطرة المصرية على المرفق.وكان رد نهرو « أن الدول الصغيرة يجب أن تعطى المثل للدول الكبيرة حتى تمنعها من التمادى فى شئونها وتبرز قدرتها على الرد .. ولكن هذا القرار يعنى الحرب .. فهل انتم مستعدون ؟ على العموم نحن تحت أمركم ، واعتبرونا معكم فى أى معركة ستواجهها مصر ، وأنه يتوقع أن مصر مقدمة على ظروف صعبة وقاسية سوف تشغل القيادة ، وأنه يفضل العودة إلى بلاده حتى يترك الوقت للقيادة المصرية لترتيب أمورها واتخاذ القرار الذى يكفل حقها وكرامتها مع تأكيده على استعداده لتقديم أى عون تطلبه مصر**». وسافر نهرو فعلا فى ذلك اليوم.

بعد توديع نهرو عاد الرئيس جمال عبدالناصر ليعقد اجتماعاً فى مبنى مجلس لوزراء حضره السادة عبدالحكيم عامر وعبداللطيف البغدادى وجمال سالم وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى وصلاح سالم وعلى صبرى ، وطرح الرئيس فى هذا الاجتماع لأول مرة فكرة تأميم قناة السويس ، ولقى الاقتراح موافقة جماعية من كل الحاضرين ، وقد طرح فى هذا الاجتماع أيضاً ترشيح الرئيس جمال عبدالناصر **للمهندس صدقى سليمان أو المهندس محمود يونس** لتولى تنفيذ هذه المهمة.

بعدها طلبنى وقال : « ها نأمم القناة» .. ووافق على ضم المستشار **محمد فهمى السيد** مستشار الرئيس للشئون القانونية ومساعده المستشار **عمر الشريف** لفريق العمل ، وقال: **« تقعدوا تتكلموا فى الموضوع ، وتقول لهم بصراحة اللى حايطلع كلمة برة سيكون لنا معه حساب جامد قوى وعسير ، وتجهز القرار وتحفظه فى خزنتك لغاية لما أعطيك أوامر جديدة»**.

صعدت إلى مكتبى .. ودعوت محمد فهمى السيد للانضمام لمداولاتنا و تناقشنا فى صيغة القرار، وقمت بكتابة الصيغة التى انتهينا إليها بنفسى على الآلة الكاتبة ، ثم توجهت لعرضها على الرئيس جمال عبدالناصر فقال لى : « **طيب خليها عندك لغاية لمانتكلم فى الموضوع ، وأكد عليهم مافيش حد يفتح هذا الموضوع مع أى مخلوق كأن لم يسمعوا ولم يروا** .».

عدتُ وأبلغتهم بالتعليمات ، ودار نقاش من جديد حول ما يجب اتخاذه من إجراءات بعد قرار التأميم ، وطلب المجتمعون الالتقاء مع الرئيس لمناقشة الموقف ؛ فحدد لهم الساعة

السابعة من مساء نفس اليوم على أن يحضروا فرادى ومتفرقين فى الفترة ما بين الساعة الخامسة والساعة السابعة حتى لا يلحظهم أحد.

وخلال الاجتماع مع الرئيس طرحوا الأسئلة التالية:

١ـ هل يتم الاستيلاء على شركة قناة السويس بصورة سلمية أو فى إطار تحرك عسكرى؟

٢ـ موقف المرشدين وغالبيتهم من الأجانب إنجليز وفرنسيين وألمان ويونانيين كما يوجد عدد محدود من المصريين.

٣ـ ضرورة التأكد من احتمال وجود خطوط ربط بين إدارة الشركة وبين القيادة العسكرية البريطانية وقاعدتها فى القناة وطبيعة وسائل الربط.

٤ـ فى ضوء احتمال وقوع عمليات تخريب أو انسحاب للمرشدين ، ماهى البدائل الممكنة لتوفير المرشدين مع المحافظة على أمن العملية؟

وتعددت الأسئلة وتشعبت المناقشات فقمنا بتقسيم الفريق إلى ثلاثة مجموعات يتولى كل منها اقتراح البدائل المناسبة للإجابة على عدد من الأسئلة واصلنا عملنا طوال فترة الليل، واقترح اسما كوديا للعملية هو ـ « فرديناند دى ليسيبس»ـ وركزت المجموعة عملها على وضع الخطط التفصيلية فى المجالات السياسية والاقتصادية والقانونية وخطة التحرك شاملة التوقيتات وتوزيع المهام والمسئوليات لكل فرد أو جهاز، وبناء على أوامر من الرئيس انضم للمجموعة **عباس رضوان** مدير مكتب عبدالحكيم عامر ليكون مسئولا عن المشاركة فى التخطيط والتنفيذ فيما يتعلق بالنواحى التى ستكلف بها القوات المسلحة وتجهيز الحملة ووسائل الاتصال المرتبطة بتنفيذ العملية.

وخلال المداولات المكثفة أثيرت مسألة جديدة حول ضرورة اختراق الشبكة اللاسلكية لشركة قناة السويس ، فقد كانت هذه الشبكة بعيدة المدى وعلى اتصال مباشر بمقر الشركة الرئيسى فى باريس وبعدد من العواصم الأوروبية ، وتتبادل بعض رسائلها وفق شفرة خاصة بها ، وقد وجه عبدالناصر فى مرحلة التحضير إلى ضرورة التقاط جميع الرسائل والإشارات الصادرة عن هذه الشبكة وتجميعها ودراستها وتحليلها لمعرفة حقيقة ما ترسله إلى رئاستها أو إلى الأفرع الأخرى وما يصل إليها من احتياجات وتعليمات سواء من رئاستها أو أية جهة أخرى.

وهنا يجب أن نذكر تفاصيل أمور تجسد قدرات وذكاء الإنسان المصرى ، فقد ساهم فى التقاط هذه الرسائل اللاسلكية المشفرة وغير المشفرة كل من جهاز المخابرات العامة والمباحث العامة ، وتم تشكيل طاقم من ضباط الجهازين كانوا يعملون ليل نهار فى مكتب **صلاح الدسوقى** أركان حرب وزارة الداخلية فى ذلك الوقت منهم عبدالفتاح رياض

وآخرون ، وكان يصاحبهم دبلوماسى من وزارة الخارجية المصرية متخصص فى شئون الشفرة والرمز، وظل هذا الفريق يواصل عمله مستخدما ماكينات فك شفرة حديثة جداً بعضها لم يأت بالنتائج المرجوة ، فاستخدموا عقولهم فى محاولات لكسر هذه الشفرة ، وتمكنوا من تحقيق نتائج باهرة بفضل من الله ثم عرق هؤلاء الضباط.

وفى الحقيقة فقد أفاد النجاح فى هذه العملية فى توفير كمية ضخمة من المعلومات المهمة أمكن الاستفادة بها فى الدراسات التى أعدت بعد إعلان التأميم ، وكان لها دورها فى تحقيق ثلاثة أرباع النجاح لعملية التأميم نفسها . فقد كانت البرقيات المتبادلة تتناول الأوضاع فى مصر بما فيها الموقف العسكرى ، وكان من بينها برقية مختصرة لا تتعدى السطرين أرسلت من رئاسة الشركة فى باريس إلى مركزها فى الإسماعيلية ، وذلك عقب إعلان الرئيس جمال عبدالناصر قرار التأميم بساعات ، وكان مضمونها هو « أن يتم سحب جميع المرشدين الأجانب من العمل فى قناة السويس فى تاريخ معين». وكان الهدف بالطبع هو تعطيل المرفق وإظهار الإدارة المصرية بأنها عاجزة عن تأمين انتظام المرور مما يستدعى تدخلا دولياً للمحافظة على انتظام المرفق.

وكانت تعليمات الرئيس جمال عبدالناصر فى ضوء ذلك (كان ذلك بعد التأميم)، تقضى بأن يتم الاتصال الفورى بالدول الصديقة ، وطلب مساعدتها بإيفاد مرشدين للعمل فى القناة ، وسارعت هذه الدول بالفعل ـ وكان فى مقدمتها اليونان وقبرص ـ بإيفاد الأعداد المطلوبة فى أقل من الأربع والعشرين ساعة من طلبهم ، بل إن بعض المرشدين الإنجليز والأمريكان رفضوا الانسحاب ، وطلبوا التطوع لمواصلة عملهم بعد التأميم إلى جانب المرشدين اليونانيين الذين كانوا يعملون فى القناة فى السابق ،ولم تتعرض الملاحة لأى تعطيل(*) . وكان هناك بالطبع عدد من المرشدين المصريين أيضاً(**)

نعود إلى سياق الأحداث ففى يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٦ استدعى الرئيس جمال عبدالناصر القائمقام مهندس **محمود يونس** من سلاح المهندسين إلى مكتبه بمبنى رئاسة مجلس الوزراء وأبلغه ـ للمرة الأولى ـ بالنية لإعلان قرار تأميم شركة قناة السويس فى خطابه الذى سيلقيه بالإسكندرية بمناسبة عيد الثورة يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ .

(*) قال جان بول كالون المستشار القانونى لوفد فرنسا فى مفاوضات التأميم مع مصر : « إن الشركة العالمية استعدت لكل الاحتمالات السياسية والفنية إلا احتمال التأميم أو قدرة مصر على تشغيل القناة التى أصبحت بعد الاحتلال البريطانى رمزاً للكرامة المصرية ، وفى هذا الجانب تكمن عبقرية الرئيس جمال عبداناصر فى إدراكه أهمية القناة كرمز سياسى فى الذاكرة الجماعية للمصريين».

(**) جميع الرسائل والاشارات اللاسلكية التى التقطت من شبكة شركة قناة السويس فى ذلك الوقت سواء كانت مشفرة أو مفتوحة كذا المحاولات التى بذلت من طاقم الضباط الذين كلفوا بهذه المهمة وكذا تقديرات الموقف ومنها ما كان بخط يد الرئيس جمال عبدالناصر ومنها ما كان لآخرين من المسئولين والخبراء كلها محفوظة فى أرشيف سكرتارية الرئيس للمعلومات بمنشية البكرى.

وقام عبدالناصر بشرح القضية تفصيلاً ، وأبلغه بملخص الدراسات التى تمت والإحصائيات والتقديرات والمواقف السياسية والقانونية والدولية التى تعطينا الحق فى تأميم هذه الشركة والتوقعات المبدئية للآثار المنتظرة نتيجة تنفيذ هذا القرار ، وكلفه بمهمة تولى مسؤولية ترتيبات الاستيلاء على مكاتب ومنشآت الشركة فى كل من مدن القاهرة والإسماعيلية وبورسعيد والسويس ، والعمل على إدارتها عند إعلان قرار التأميم ، كما طلب منه أن يقوم بوضع تصور لما يراه لتنفيذ المهمة فى سرية تامة حتى لمن سيتقدم بأسمائهم كمعاونين له فى تنفيذ المهمة.

وفى صباح يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٦ عاد **محمود يونس** لمقابلة الرئيس جمال عبدالناصر وعرض عليه الخطوط العريضة لخطته ، وأبلغه الرئيس أن كلمة السر هى «دى ليسيبس». وأن عليه عند سماعه هذه الكلمة أثناء إلقائه لخطابه بالإسكندرية أن يتحرك فوراً لتنفيذ مهمته على جميع المحاور ، وطلب منه أن يخرج من مكتبه ليتوجه إلى مكتبه ليتوجه إلى مكتب سامى شرف بالدور العلوى حيث سيبلغه كافة التفاصيل وباقى التوقيتات الأخرى.

حضر محمود يونس إلى مكتبى واستعرضنا جميع النقاط التى لديه كما أطلعته على كل ما لدى من وثائق ودراسات واتفقنا على مايلى :

١ ـ عليه أن يقابل الصاغ عباس رضوان مدير مكتب القائد العام للقوات المسلحة فى كوبرى القبة يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٦ الساعة الثالثة بعد الظهر أو كما نقول سعت ١٥٠٠ من نفس اليوم ، ليرتبا معا القوات والحملة اللازمة وترتيب وسائل اتصال بديلة وكذا إخطار القيادات العسكرية المعنية لبذل كافة أنواع المساعدات التى يقتضيها تنفيذ الخطة علاوة على تعيين ضباط اتصال ليكونوا تحت تصرفه على مدى الأربع والعشرين ساعة.

٢ ـ أبلغت مدير المباحث العامة وأركان حرب وزارة الداخلية فى حضوره بأن يكون مفتشو المباحث العامة فى القاهرة والإسماعيلية وبورسعيد والسويس تحت تصرف محمود يونس أو من ينيبه فى جميع ما يطلبه من مساعدات بشرية أو فنية من الآن ولحين صدور أوامر أخرى وذلك لتفادى أى عمليات تخريب أو إخفاء مستندات أو مقاومة من عناصر الشركة الأجانب.

٣ـ أبلغت المخابرات العامة بنفس التعليمات لتبلغ لمكاتبها فى منطقة قناة السويس كما طلبت منهم التنسيق مع المباحث العامة والقيادة العامة للقوات المسلحة.

وقد اختار المهندس محمود يونس لمعاونته من الفنيين المهندسين **عبدالحميد أبو بكر** ومشهور **أحمد مشهور ومحمد عزت عادل ، ثم عاد ورشح المهندسين فؤاد الطودى ومحسن إدريس** للمشاركة فى معاونته ، وتمت الموافقة على طلباته وترشيحاته.

ومن هذه اللحظة فتحت قناة اتصال مباشرة ومؤمنة ومستمرة بين سكرتارية الرئيس للمعلومات والمهندس محمود يونس ، وظلت هذه القناة مفتوحة لعدة سنوات بعد ذلك .

وفى يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ قبل توجه الرئيس جمال عبدالناصر إلى الإسكندرية لإلقاء خطابه ، اجتمع مع أعضاء مجلس قيادة الثورة فى القطار الخاص الذى أقلهم إلى هناك ، ثم عقد لقاء آخر بعد وصوله للإسكندرية فى استراحة ستانلى مع مجلس الوزراء ، وشاركه عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة وأبلغهم بالقرار الذى يعتزم إعلانه بتأميم شركة قناة السويس ، وقد وافق الجميع على القرار بالإجماع ، ثم توجه لإلقاء خطابه ، واستعرض فيه موضوعات متعددة ، وركز على قصة تمويل السد العالى وربط بين يوجين بلاك مدير البنك الدولى وبين ديليسيبس ، وكان الإسم الأخير - كما أوضحت - هو الاسم الحركى لعملية التأميم، وقد ردده الرئيس جمال عبدالناصر أكثر من مرة حتى يتأكد محمود يونس تماماً من البدء فى إجراءاته ، ثم أعلن فى نهاية خطابه قرار تأميم « الشركة العالمية لقناة السويس البحرية»، وأكد على تعويض حملة الأسهم عما يملكونه من حصص بقيمتها مقدرة بحسب سعر الإقفال السابق عن تاريخ إعلان القرار فى بورصة الأوراق المالية فى باريس ، وأن يتم دفع التعويضات بعد إتمام استلام الدولة لجميع ممتلكات الشركة المؤممة(*) .

وأحدث القرار دوياً هائلا فى العالم ، وتحركت مظاهرات التأييد والمساندة فى مصر والعالم العربى وبعض دول العالم الثالث ، وبدأت الأجهزة والمؤسسات تنسق جهودها بقليل من الحذر بعد كسر حاجز السرية.

تلقى **إيدن** الخبر أثناء حفل عشاء كان يقيمه لتكريم **الملك فيصل الثانى** ملك العراق ورئيس وزرائه نورى السعيد - فنزل الخبر عليه كالصاعقة ، فبرغم أن كل المخططين البريطانيين كانوا يتحسبون لهذه الخطوة منذ وقت طويل إلا أن رئيس الوزراء البريطانى لم يتصور أن يكون رد فعل الرئيس جمال عبدالناصر على سحب تمويل السدالعالى بهذه الجرأة

(*) كشف جان بول كالون المستشار القانونى لوفد فرنسا فى مفاوضات التأميم مع مصر عن أن الغرب شعر بالاستياء لأنه اعتبر أن التعويضات التى ستقدمها مصر - وقدرها ٢٨ مليوناً و ٣٠٠ ألف جنيه مصرى - تافهة جدا، وتناسى أن أرصدة الشركة فى بنوك العالم وممتلكاتها العقارية بلغت أكثر من **٧٥ مليار فرنك** بحسابات اليوم ، وهو رقم فلكى ، ولم تطالب بها مصر . وأوضح أن عبدالناصر لم يكترث بالتفاصيل المادية فى مسألة التعويضات ، لأن الأهم لديه كان استرداد القناة . وأضاف أن المشروعات الكبرى التى تشهدها مصر اليوم فى منطقة القناة والوادى الجديد وتوشكى هى مشروعات نابعة من «روح البناء» لدى المصريين وهى الروح نفسها التى كانت وراء عزيمتهم فى حفر واستعادة القناة.

وبهذه السرعة ؛ فأنهى العشاء على الفور ، ونقل الخبر إلى ضيوفه وتباروا جميعاً فى توجيه الأوصاف لجمال عبدالناصر(*).

وانتقل إيدن إلى قاعة مجلس الوزراء ومعه بعض وزرائه ، كما استدعى رؤساء أركان حرب القوات البريطانية والسفير الفرنسى والقائم بالأعمال الأمريكى فى لندن وعبر عن الموقف فى البداية بقوله : « **لقد وضع المصرى إبهامه على قصبتنا الهوائية** »

وأخذ يحذر من الإدارة المصرية للقناة وأنها سترفع رسوم المرور ، وأن أوروبا هى التى سوف تعانى من هذا القرار ، وطالب بضرورة التحرك الفورى للاستيلاء على القناة وعدم السماح لناصر بالفوز بغنيمته.

وأوضح مجموعة المستشارين القانونيين والدوليين الذين انضموا للمجموعة وكان يشاركهم **الدكتور حامد سلطان والدكتور مصطفى كامل** ـ أستاذ القانون بكلية الحقوق ـ وسفير مصر فى الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك وآخرين أن قرار التأميم لايشكل خرقاً لاتفاقية القسطنطينية الموقعة سنة ١٨٨٨ والعبرة بانتظام الحركة فى القناة.

وعلى مسرح الأحداث فى مصر كان الرئيس جمال عبدالناصر ـ قبل صدور قرار التأميم ـ قد اجتمع مع على صبرى ثم استدعانى وبعدها استدعى كمال رفعت فكمال الحناوى كل على حدة ، وأعطى كلاً منا تكليفاً واحداً هو القيام بعمل تقدير للموقف حول ما يمكن أن يترتب على قرار التأميم وما هى الاحتمالات المتوقعة ، وطلب أن يقدم كل منا تقديره منفصلا دون التنسيق مع الآخر فيما عدا سامى شرف وكمال الحناوى فقد أعدا تقريراً موحداً باعتبار أن سكرتارية المعلومات والسكرتارية الصحفية يعملان فى مكتب واحد.

كما تشاور جمال عبدالناصر مع كل من السادة عبداللطيف البغدادى وزكريا محى الدين وعدد محدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، لكنه لم يأخذ رأى عبدالحكيم عامر بسبب سابق اعتراضه على مبدأ التأميم ، ولكنه أثار الموضوع أثناء سفره بالقطار إلى الإسكندرية مع أعضاء مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء حيث أبلغ عامر بالقرار وكان رده: « **على خيرة الله ياريس** » ، وسكت ولم يعقب بكلمة وإن بدا على وجهه علامات الاستياء.

(*) صدر فى ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٠ اعترافات فرنسسية جديدة حول العدوان الثلاثى ١٩٥٦ ، فبعد ٤٤ عاما من تأميم قناة السويس أعلن « جان بول كالون» أن شركة قناة السويس العالمية ارتكبت خطأ بشعا عندما عزلت نفسها عن المصريين ، ولم تلتفت إلى التطور السياسى والاجتماعى فى مصر ، الأمر الذى جعل لقرار الرئيس جمال عبدالناصر بالتأميم وقع الصاعقة عليها لأنها لم تتخيل أنه يقدر على اتخاذ هذا القرار.

ـ **تم إعداد أربع تقديرات للموقف وبصور مختلفة ومنفردة:**

أعد التقدير الأول الرئيس **جمال عبدالناصر** ، وكان يقع فى حوالى ست صفحات، وثلاث تقديرات أخرى أعدها كل من **على صبرى، وكمال رفعت، ثم سامى شرف، وكمال الحناوى.** والتقت التقديرات فى نتائجها واستنتاجاتها باستثناء نقطة واحدة تتعلق باحتمالات التدخل العسكرى ضد مصر وتوقيته حيث:

ـ كان تقدير الرئيس أنه يستنتج أنه إذا لم يقع العدوان بعد التأميم مباشرة فإن احتمالاته ستضعف مع مرور الزمن والوقت وبنى استنتاجه على معلومة تقول أن القوة البريطانية المحمولة جوا (قوة الانتشار السريع) موجودة فى أجازة فى بريطانيا خلال شهرى يوليو وأغسطس ، ويصعب تعبئتها خلال هذه الفترة ، وأن القواعد البريطانية فى قبرص وعدن غير مهيأة للتحرك قبل مضى شهرين بعد تاريخ التأميم ، وأن هذين الشهرين كافيان لإفشال أى عمل عسكرى لو تم (*).

ـ كانت تقديرات كل من على صبرى وسامى شرف وكمال الحناوى تتوقع العدوان من جانب إسرائيل ، وكنا نستبعد فى تلك الفترة ـ على ضوء المعلومات المتوفرة ـ احتمال التآمر الثلاثى أو اشتراك قوة أجنبية فى العدوان.

ـ ترك تقدير كمال رفعت الباب مفتوحاً بشأن احتمالات التدخل العسكرى الأجنبى إلى حين وصول المعلومات التى طلبها الرئيس من قبرص عن حجم القوات البريطانية ودرجة إستعدادها وأوضاعها فى أعقاب قرار التأميم وهو ما نسميه فى العلوم العسكرية، «Order Battle» ، وقد بعثنا لأصدقائنا القبارصة برسالة عاجلة ليوافونا بهذا الاحتياج عن طريق أصدقاء مشتركين كانوا معتمدين بين عبدالناصر الأسقف مكاريوس وعلى رأسهم **«لاساريدس»**.

والثابت أن الرئيس جمال عبدالناصر لم يثبت عند تقدير موقف جامد ، فمع توالى الأحداث واستمرار تدفق المعلومات كان نطاق الرؤية يتسع باستمرار ويعاد التقييم والتقدير من وقت لآخر لدرجة أنه فى بعض الأحيان كان تقدير الموقف يعدل فى اليوم الواحد مرتين . لكن قناعة عبدالناصر أن القرار لن يمر بالساهل ولابد أن يولد ردود أفعال قوية من جانب الأطراف صاحبة المصلحة ، ويقصد بريطانيا وفرنسا نظراً لتاريخهما

(*) كان ذلك يتفق مع رأى السكرتير العام للأمم المتحدة **داج همرشولد** عندما قال للدكتور محمود فوزى:
« لونجحتم فى تنفيس البخار المكبوت فإن أى عمل عسكرى سيأتى بعد ذلك سوف يكون فاشلا ، ولو تم فور التأميم لتكررت تجربة مصدق ..».

الاستعماري في المنطقة وتشعب مصالحها الاقتصادية والسياسية فى قناة السويس ، وعملا على قياس ردود الفعل الدولية بدقة : بدأ عبدالناصر يوجه احتياجات عديدة إلى المخابرات الحربية والمخابرات العامة ، وإلى السفارات المصرية فى الخارج خاصة فى باريس ولندن وغيرها ، والأجهزة الفنية بمتابعة الموقف فى الداخل أيضاً.

وبدأ تدفق المعلومات يتزايد وتتضح منه أبعاد الصورة تدريجياً ومن ثمّ تختلف تقديرات الموقف وتتجه إلى تلمس خطوط أكثر تحديداً ، وعلى سبيل المثال كان التقدير فى أول أغسطس ١٩٥٦ مختلف عن ذلك الذى أعد فى يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٦ فى قياس أبعاد رد الفعل ووفقاً لما أُعلن من مواقف.

ففى ٢٧ يوليو إكتفت إنجلترا وفرنسا بإعلان إحتجاجها على قرار التأميم ، وفى ٢٨ يوليو تم تجميد أرصدة مصر فى بنوك الدولتين مما أعطى مؤشرا لمنحنى التصرف*.

أما فى ٣٠ يوليو فقد شكلت الدولتان قيادة عسكرية مشتركة مما جعل من التحرك العسكرى احتمالا مرجحا ، وكان الرئيس جمال عبدالناصر يتعامل مع هذه التطورات بجدية بالغة ولم يأخذها ببساطة أو بتهوين.

فقد كان بعض السفراء يقدرون أن تشكيل قيادة عسكرية يعد فقط استعراضاً للقوة. لكن عبدالناصر كان يميل إلى الأخذ بالاحتمال الأسوأ وعد الاستهانة بهذا الإجراء...

فى ٣٠ يوليو أيضاً صدر قرار الحكومتين فى إنجلترا وفرنسا بتجميد أرصدة مصر المالية فى بنوكها وفى أول أغسطس أصدرت الدولتان بياناً مشتركاً طالب بوضع قناة السويس تحت إشراف دولى ، كما طرح أيضاً مؤتمراً فى لندن لبحث القضية فى ١٦ أغسطس ١٩٥٦.

وقد عُقد المؤتمر بناء على دعوة من الولايات المتحدة الأمريكية بدعوى وضع ترتيبات عملية فى إطار النظام الدولى لضمان استمرار سير العمل فى القناة وفقا لما حددته معاهدة القسطنطينية ، ودعى لهذا المؤتمر ٢٤ دولة هم أطراف المعاهدة المذكورة والدول الأكثر استعمالا للقناة ، وقد حضرته ١٩ دولة فقط ورفضت مصر المشاركة ، وتولى المندوب الهندى كريشنا مينون عرض وجهة مصر بناء على اتفاق سابق بين القاهرة ودلهى ، بينما سافر على صبرى لمتابعة التطورات من خلال سفارتنا فى لندن .

* كان وزير الدفاع موريس بورجيس مونورى يقول «إن بلداً كبلدنا فرنسا تاريخه معمر لم يعامله أحد بمثل السخرية التى يعامل بها الآن . وهو لايستحق أن يعامل بمثل هذا الاستخفاف من قبل شخص (ناصر) لم يتمكن حتى الآن من تقديم الحد الأدنى الضرورى لشعبه ، يحق لفرنسا أن تعامل كدولة كبيرة تنتمى إلى مجتمع الأمم المتحدة.

وشهد المؤتمر خلافا حادا منذ بدايته ، فقد كان الهدف الأساسى لبريطانيا وفرنسا هو إجهاض النتائج السياسية لقرار التأميم ، وفى سبيل ذلك كان إصرارهما على إنشاء هيئة دولية أو سلطة دولية تعمل على ضمان حرية الملاحة ، أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد تركز اهتمامها على معالجة المشاكل القانونية والفنية المترتبة على قرار التأميم.

وفى ٢٢ أغسطس انتهى مؤتمر لندن بالموافقة على إرسال بعثة للقاهرة برئاسة روبرت منزيس رئيس وزراء استراليا وسميت « **بعثة منزيس** » ، وكان الهدف منها هو إقناع جمال عبدالناصر بتسليم قناة السويس إلى شركة جديدة خماسية الإدارة تؤول إليها الحقوق والامتيازات الأساسية للشركة السابقة المؤممة.

وعندما اختار مؤتمر لندن منزيس ليرأس لجنة للتباحث مع مصر كان اختياره مبنيا على كونه ضخم الجثة يتسم بالجرأة والميل إلى التطاول والخروج عن اللياقة فى الحديث وقيل أن إيدن كلفه (بتهويش) جمال عبدالناصر.

وبناء على هذه المعلومات طلب الرئيس إبلاغ رسالة إلى السفارة البريطانية فى القاهرة ـ من خلال القنوات الخلفية ، وأن يتولى الاتصال بها فى هذه المرحلة محمد حسنين هيكل وصلاح الدسوقى ـ تحذر من أنه إذا تفوه منزيس بكلمة واحدة خارجة أو لجأ لاستعراض عضلاته فسوف يتم طرده على الفور.

ووصل منزيس بالفعل وعندما دخل إلى مكتب الرئيس جمال عبدالناصر وكنا جميعاً وقوفا فى مدخل مبنى مجلس الوزراء فى شارع القصر العينى وداخل مكتب الرئيس ، وعندما جلس منزيس بدأ ضاحكاً ، ففهم عبدالناصر أن الرسالة قد وصلته حيث المفروض أن يجلس متجهما ويكشر عن أنيابه تنفيذا لوصية إيدن.

بدأ منزيس يتحاور مع عبدالناصر فى جوانب لا صلة لها بالمهمة المكلف بها على سبيل التهدئة ، وعندما بدأ يتكلم فى الموضوع طلب معرفة وجهة نظر عبدالناصر لكن الرئيس أبلغه أنه يجب أن يسمعه أولا لكى يعرف النوايا وطبيعة المسائل التى يرغب فى إثارتها ، وبعد أن تركه يتكلم حيث بدأ فى عرض قرارات مؤتمر لندن التى تطالب بالعودة عن قرار التأميم وقبول الإشراف الدولي و ألا تنفرد مصر بإدارة قناة السويس ، قاطعه الرئيس قائلاً:

« أنت الآن فى أرض مصرية وده مرفق مصرى ، ودى إدارة مصرية ، وستظل مصرية ، ولن نحيد عنها ولن نغير القرار».

وانتهت مهمة منزيس بهذا الشكل ، وحسبما عرفنا من القناة الخلفية أن منزيس تأثر بشخصية الرئيس جمال عبدالناصر ، ولكنه قال « أنه لايستطيع أن ينقل انطباعه للحكومة البريطانية»*.

بدأت بعد ذلك عملية الاستقالات من جانب المرشدين الأجانب من شركة قناة السويس وكان البديل جاهزا ، ففى يوم ١٠ سبتمبر ١٩٥٦ تم تعيين ٤٦ مرشداً منهم ٢٨ أجنبياً من جنسيات مختلفة لكن أغلبهم كانوا من اليونانيين والقبارصة واليوغسلاف والباقى مصريون.

على أثر فشل بعثة منزيس قررت الحكومة البريطانية عرض مشروع على الأمم المتحدة يدعو مصر للتفاوض على أساس مقترحات مؤتمر لندن الأول ، ووافقت فرنسا على مسودة المشروع ، لكن الولايات المتحدة الأمريكية عارضت المشروع وتقرر تأجيل عرضه على مجلس الأمن.

فى ١١ سبتمبر ١٩٥٦ اقترحت الولايات المتحدة الأمريكية الدعوة إلى عقد مؤتمر جديد لبحث نظم وأساليب عمل «ناد» للمنتفعين ، وفى ١٣ سبتمبر ١٩٥٦ أعلن أنتونى إيدن فى مجلس العموم البريطانى أن الحكومة البريطانية بالاتفاق مع حكومتى الولايات المتحدة وفرنسا قد قررت إنشاء هيئة مؤقتة للمنتفعين بقناة السويس ، وفى اليوم التالى أعلنت الخارجية البريطانية الدعوة لعقد مؤتمر ثان فى لندن اعتباراً من ١٩ سبتمبر ١٩٥٦ لبحث إنشاء الهيئة المقترحة .

وردت مصر على هذا الإجراء فى رسالة سلمها السفير أحمد حسين لوزير الخارجية الأمريكى جون فوستر دالاس تؤكد فيها مصر بأن تنفيذ هذه الخطة معناه الحرب ..

بينما أعلن الاتحاد السوفيتى بأنه سوف يستخدم حق الفيتو ضد أية محاولة تهدف إلى دفع الأمم المتحدة للقيام بعمل ضد مصر.

---

* وأذكر أن هذا الموقف تكرر أكثر من مرة ومع أكثر من شخصية أجنبية من مختلف البلاد غرباً وشرقاً شمالاً وجنوباً ، بعضها كان يتولى مناصب رسمية رفيعة فى بلاده وجاءت إلى مصر تحمل تهديدات أو إنذارات أو مجرد أنها متحفزة لاستفزاز أو إثارة الرجل أو يقابله بروح عدائية نتيجه التأثر بدعايات أجنبية .. الخ ، وسرعان ما كانت تتبدد هذه المشاعر المعادية غالبا وتتحول الجلسة إلى جلسة ودية أو حتى مرحة أو يسودها الاحترام المشوب بالتقدير إن لم يكن الحب .. وقد حضرت مرة لقاء بين عبدالناصر ومراسل جريدة النيويورك الأمريكية سالزبيرجر ، وكان ذلك فى فترة الحصار الاقتصادى على مصر ، وقد جاء متحفزا يحمل عددا من الأسئلة التى بعث بها قبل اللقاء وكانت كلها استفزازية ، لكنه خرج بعد لقائه مع جمال عبدالناصر مقتنعا بكل كلمة قالها ومنهيا اللقاء بمصافحة حارة جداً معه.

وعقد المؤتمر الثانى فى لندن فى الفترة من ١٩ ـ ٢١ سبتمبر ١٩٥٦ بحضور ١٨ دولة ، أيدت مقترحات مؤتمر لندن الأول ، واقترح دالاس هيئة للمنتفعين بالقناة مع إنشاء إدارة مصغرة بالتعاون مع السلطات المصرية لإدارة القناة ، وطالب بوضع بدائل طويلة الأمد للقناة مثل بناء ناقلات ضخمة ، والمرور عبر رأس الرجاء الصالح ومد خطوط لأنابيب البترول ، واقترح أيضاً إنشاء صندوق مؤقت للهيئة يتم تمويله من الرسوم المحصلة لحين التوصل إلى تسوية دائمة ، وقد وافق المؤتمر على المقترحات الأمريكية.

وفشلت هذه الجهود بدورها فى إثناء مصر عن موقفها وبدأت القضية تأخذ مساراً جديداً باستخدام الأمم المتحدة (*).

كانت ساحة المعركة كبيرة وشاسعة ووقف أصدقاء مصربشجاعة إلى جانبها فى كل المحافل الدولية والإقليمية ، ولكن القيادة فى مصر حرصت أيضاً على ترتيب المسرح السياسى والعسكرى العربى لتقويه الموقف العربى، وكما قلت فإن تقدير وقوع العدوان المسلح كان يتزايد من وقت لآخر وفقاً لتطور الأحداث.

وعندما صدر بيان إنشاء القيادة العسكرية المشتركة بين بريطانيا وفرنسا فى الأول من أغسطس ١٩٥٦ جرت اتصالات بين مصر وسوريا لبلورة تنسيق عسكرى ـ وكانت الأخبار قد بدأت تتوارد عن نشاط إسرائيل فى فرنسا ـ وقد خلصت هذه الاتصالات إلى توقيع اتفاقية للدفاع المشترك بين البلدين ـ مصر وسوريا ـ وإنشاء قيادة عسكرية موحدة، وكان السوريون يطالبون فى البداية بتعيين قائد سورى على رأس هذه القيادة ، ولكن بعد مناقشات وباعتبار أن مسرح العمليات الأساسى سيكون فى الأراضى المصرية قبلوا بتعيين قائد مصرى يكون قادراً على فرض نظام للتحكم والسيطرة على مسرح العمليات.

وكان نظام الحكم فى سوريا برئاسة الرئيس **شكرى القوتلى** يقوم على مشاركة جميع الأحزاب ، ففيها الشيوعى وممثلى الإقطاع والرأسماليين والموالين للسعودية أو لحلف بغداد، وكل منهم يسعى لتحقيق أكبر قدر من المكاسب لنفسه ولحزبه ، وكانت قيادة الأركان العسكرية السورية تضم فى أغلبها عناصر قومية ويرأس المكتب الثانى (المخابرات) **عبدالحميد السراج** ، وكان من أكثر العناصر وطنية وإخلاصاً للعروبة إلى جانب مجموعة من العناصر المشهود لها بالكفاءة والوطنية منهم **أكرم ديرى** مدير العمليات **وطعمة العودة**

(*) يقول «باتريس جلينيتا» مدير ندوة بثها راديو فرنسا الدولى حول حرب السويس عام ١٩٨٧، « المؤتمر الدولى الذى عقد فى لندن لبحث إنشاء شركة دولية جديدة لتشغيل القناة لم يسفر عن شئ ، كما أن اقتراح دالاس بانشاء هيئة مؤقته للمنتفعين بقناة السويس رفضه عبدالناصر ، لأنه كان يعرف أن الأمريكان لن يدخلوا فى اختبار قوة معه»

الله قائد الجبهة الجنوبية وجاسم علوان وجادو عز الدين الذى كان مسئولا عن الجولان وأحمد جنيدى وآخرين.

فى ١٦ من شهر يوليو ١٩٥٦ وكان يوافق الثامن من ذى الحجة ١٣٧٥هـ كنت عضواً فى وفد برياسة عبدالحكيم عامر لزيارة المملكة العربية السعودية ، وتم الاجتماع بكل من الملك سعود والأمير فيصل بن عبدالعزيز ـ الملك فيما بعد ـ والأمير سلطان بن عبدالعزيز وزير الدفاع والطيران ، وكان محور الحديث هو احتمالات تعرض مصر للعدوان ، وطلب موافقة المملكة العربية السعودية على انتشار الطيران المصرى والهبوط فى الأراضى السعودية إذا ما وقع العدوان (*)

وقد وافق الجانب السعودى ، وعرض تقديم نفس التسهيلات للقوات المسلحة أيضاً مع تأكيد استعدادهم لتلبية أية احتياجات أخرى تطلبها مصر وأذكر الأمير سلطان كان من أكثر المتحمسين لدعم الموقف المصرى دون أية تحفظات ، وترك بحث التفاصيل الفنية للخبراء العسكريين المرافقين وبعد انتهاء المباحثات دعانا الأمير فيصل بن عبدالعزيز لتناول طعام العشاء فى قصره بوسط المدينة فى جدة ، وكان اللقاء ودياً وأخويا للغاية . وقد قمنا بأداء العمرة فى تلك الليلة وتمنيت أن أبقى لأداء فريضة الحج التى كانت قد بدأت شعائرها فى ذلك اليوم ، إلا أن التطورات حتمت ضرورة عودتنا فى فجر ذلك اليوم إلى القاهرة لتنفيذ ما أتفق عليه فى جدة ، ولإبلاغ الرئيس جمال عبدالناصر بتفاصيل المباحثات التى تمت مع الجانب السعودى.

فى نفس الوقت حرصت مصر على تأكيد حسن نواياها واستعدادها للتوصل إلى تسوية سلمية للنزاع ، لكن الأطراف الأخرى كانت تعمل على تصعيد الموقف باستمرار .

ففى ٢٥ سبتمبر ١٩٥٦ قدم مندوب مصر الدائم فى الأمم المتحدة رسالة إلى مجلس الأمن يطلب فيها عقد اجتماع لبحث الأعمال التى تدبرها ضد مصر قوى دولية وخاصة بريطانيا وفرنسا ، وتقدمت الدولتان من جانبهما يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٥٦ بمشروع قرار

(*) يقول **كريسيان بينو** وزير خارجية فرنسا : « كان الاسرائيليون مصممون على اقتحام سيناء ولكن كانوا يقولون نخشى أن تقصف مدننا ونخاف من الطيران المصرى ، وطلبوا أن نؤمن لهم دعما عسكريا من خلال قصف المطارات الحربية المصرية ؛ لأنهم لايملكون ما يكفى من الطائرات القاذفة».
كما يقول **بورجيس مونورى** وزير الدفاع الفرنسى : « كان بن جوريون حريصاً على ألا تكون مدنه تحت مرمى العدو لذا أصر على التمتع ليس فقط بالدعم البريطانى وإنما الفرنسى أيضاً ، كانت قضية التغطية الجوية لاسرائيل فى غاية الأهمية ؛ فقد قدمنا حينذاك وحدات فرنسية وألبسناها الزى الحربى الإسرائيلى ، وموهنا طائراتنا بالرموز الإسرائيلية ، وهذه المرة الأولى التى يحدث فيها هذا فى تاريخ فرنسا ، ولم يسقط أى من طائراتنا أو طيارينا فى ذلك الحين».

لمجلس الأمن حول الأزمة ، واعترض الاتحاد السوفيتى ودول عدم الانحياز ، وبعد مناقشات عسيرة فى الفترة من ٥ أكتوبر وحتى ٢٣ منه تم إصدار قرار من ستة نقاط يطالب بحرية الملاحة فى قناة السويس واحترام السيادة المصرية وعزل القناة عن سياسة أى دولة، والنص على أسلوب تحديد الرسوم وتخصيص نصيب عادل لتطوير القناة واللجوء للتحكيم فى المنازعات التى تنشأ فى المستقبل.

وتقدم الرئيس جمال عبدالناصر بخطوة أخرى للأمام استهدفت اختبار المواقف وتفادى الضغوط الدولية على الصعيدين الاقتصادى والسياسى ، فاتصل **بالدكتور محمود فوزى** أثناء تواجده فى نيويورك وأبلغه بقبول تشكيل مجموعة استشارية دولية ـ وهو الاقتراح الذى عرضته الهند ـ لتعمل بالتشاور مع الهيئة المصرية المؤممة.

وهناك وثيقة بخط يد الرئيس جمال عبدالناصر تشمل ملاحظات وتوجيهات للدكتور محمود فوزى وزير الخارجية حول المشروع الهندى وكيفية إدارة الأزمة فى الأمم المتحدة نصها:

مجلس قيادة الثورة

مكتب الرئيس

كنتيجة للمؤتمر ـ تقوية لموقف مصر تصر على سيادتها

الحجج بالنسبة للتأميم :

ـ عد إمكان إدارة القنال بدون شركة القنال هذه الحجج هزمت .

ـ لجنة الخمسة معناها إهمال اقتراح الهند .

ـ من الضرورى إعلان موقف مصر بالنسبة للمسائل الرئيسية لمشكلة القنال.

ـ من ناحية يجب أن يقال تأكيد أن مصر تدافع عن سياسة مصر إلى النهاية.

ـ حقوق مصر فى قنال السويس .

ـ حق مصر فى مباشرة إدارة القنال .

ـ هذا ضرورى حتى لايشك أى إنسان أن مصر ستكون مصرة على إدارة القنال إدارة مصرية.

ـ يجب اعتبار أنه من الضرورى بطريقة الإقناع تأكيد أن مصر تصمم على مبادئ حرية الملاحة فى القنال ومصالح المستعملين الأجانب للقنال ومستعدة لمقابلة الاقتراحات التى تهدف إلى إقامة تعاون دولى.

Ready to accept the proposals which have aim for such form of international cop. which will guarantee the freedom of navigation on the canal for the ships of all nations, it would help to quiet those circles in different .

- الدول المهتمة بتأمين حرية الملاحة وفى نفس الوقت فإنها تخيف الذين لايريدون إقامة صراع حقيقى بالنسبة لقنال السويس.

- يمكن أيضاً أخذ اقتراح الهند فى الاعتبار ، والاقتراحات الأخرى التى يمكن أن تقبلها مصر فى مؤتمر لندن.

- فى نفس الوقت يمكن إظهار على أى أسس وكيف تسير مصر القنال خاصة لاعتبار إمكان الآتى:

١ - موقف مصر بالنسبة لحرية الملاحة نستخدم النقط الرئيسية ١٨٨٨ إعادة تأكيدات مصر فى ٥ أغسطس

٢ - بيان موافقة مصر على إقامة استشارية مكونة من ممثلى الدول المهتمة بالملاحة، موافقة مصر على إقامة :

Definite forms or international coperatien in regard of changing the rate tech assistance to forces some form of comn.of Egypt , cop. with the UN In order to define phase who are for inter of canal from these arguments.

- إن مصر مستعدة لاستخدام القنال كسلاح سياسى كعمل مضاد لهذا القول يمكن إعلان المبادئ الأساسية لإدارة القنال من جهة مصر لهذا فإن الحكومة المصرية أقامت هيئة القنال التى لن يكون لها أى عمل سياسى فى نفس الوقت يكون صحيحاً إذا قامت حملة كبيرة فى الدول الغربية وآسيا من أجل القرار الهندى.

- مصر تستخدم نفوذها فى إندونيسيا وسيلان وبورما والدول العربية فى الشرق الأوسط من أجل أن تؤيد الدول المشروع الهندى ، وفى نفس الوقت يمكن وصف الشركة كمستقلة قانونياً هيئة اعتبارية.

- هذه الهيئة ستحافظ على عمل القنال على أساس احترام شديد لمبادئ حرية الملاحة .. المساواة الكاملة لسفن جميع العالم بدون أى تمييز.

- روسيا ليس عندها شك .. إذا كانت مصر تتقبل مع الدول الشيوعية ستؤيد المشروع الهندى.

ـ يلاحظ فى ذلك أن التكتيك يكون أحسن إذا كانت الدول العربية والآسيوية أولاً

كل هذا سينزع السلاح من أيدى الإنجليز والفرنسيين والأمريكان . خصوصاً ما يقولونه أن من جانبهم ١٨ دولة وعلى الجانب الآخر ٤ وسيكون لمصر تأييد عام»

(انتهى نص الجزء المتاح من هذه الوثيقة)

وجاء فى وثيقة أخرى تعليمات بشأن :

ـ نشر تحريض الشركة للمرشدين والتعقيب عليه .
ـ تفنيد مشروع دالاس فى الصحف.
ـ مهاجمة الإجراءات التعسفية التى اتخذتها إنجلترا بتجميد الأرصدة الموجودة فى لندن لاتتمشى مع تصرفات بنك مركزى وله الثقة المالية فى الدعوة إلى تكوين المدفوعات بين الدول الإفريقية الآسيوية».

(انتهى نص الوثيقة)

وفى ١٥ أكتوبر ١٩٥٦ وجه **الدكتور محمود فوزى** رسالة إلى رئيس مجلس الأمن يعلن فيها قبول الحكومة المصرية لاتخاذ المبادئ الستة التى تضمنها قرار المجلس فى ١٣ أكتوبر أساساً للتفاوض حول القناة ، كما أبلغ السكرتير العام للأمم المتحدة فى ٢٠ أكتوبر إستعداد مصر لبحث إنشاء هيئة دولية للإشراف على القناة . وتم إبلاغ هذه المقترحات لوزيرى خارجية فرنسا وبريطانيا خلال اجتماعهما مع داج همرشولد و الذى حضره أيضاً وزير الخارجية محمود فوزى ، ورغم توصل الاجتماع إلى عقد لقاء ثان يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ لبحث التفصيلات إلا أن وزير خارجية بريطانيا وفرنسا عادا من جديد ليؤكدا إصرارهما فى مناقشات مجلس الأمن على عرض مطالب لايمكن لمصر قبولها .

وقد وضح أن العملية كلها تسير فى طريق التسويف وكسب الوقت ، فقد كانت كل المؤشرات تؤكد أن العدوان المسلح أصبح وشيكا ، وأن الجهود السياسية لا تعدو أن تكون مناورات ومحاولات للخداع والتمويـــه.

العدوان الثلاثى

المؤامرة الكبرى

تكاثرت نذر الحرب وبدا جليا أن كلا من بريطانيا وفرنسا تعملان فقط على كسب الوقت ، ومن ثم أصبحت احتمالات الصدام العسكرى تفوق بكثير فرص التسوية السلمية وبخاصة بعد الموقف الذى أظهره مندوبا الدولتين فى مجلس الأمن وحرصهما على تعويق أى محاولة للخروج من المأزق ونزع فتيل الأزمة.

فى الثامن والعشرين من أكتوبر ١٩٥٦ ـ أى قبل وقوع العدوان بيوم واحد ـ وردت معلومات مؤكدة عن اعتزام إسرائيل شن هجوم عسكرى على مصر ، وقد تجمعت هذه المعلومات من عدة مصادر على النحو التالى:

- السفير عبدالحميد غالب سفير مصر فى بيروت.
- القائمقام ثروت عكاشة الملحق العسكرى المصرى فى باريس .
- القائمقام طيار مصطفى مرتجى الملحق العسكرى المصرى فى روما .
- البكباشى زكريا العادلى إمام الملحق العسكرى المصرى فى تركيا.
- القائمقام إسماعيل صادق والصاغ محمد المصرى (مساعدى فيما بعد للشئون العربية) الملحقين العسكريين فى ليبيا.
- منظمة «أيوكا» (حركة التحرر الوطنى فى قبرص) بتعليمات من الأسقف مكاريوس شخصياً .
- المجموعة ٨٨ من جهاز المخابرات العامة المصرية وكان يرأسها فى ذلك الوقت كمال رفعت.
- المجموعة ٣٢ من جهاز المخابرات العامة المصرية.
- مجموعة الخدمة السرية من جهاز المخابرات العامة المصرية.
- المكتب الثانى السورى.
- المكتب الثانى اللبنانى.

قرر الرئيس عبدالناصر إبلاغ هذه المعلومات للقيادة العسكرية ، كما وجه احتياجات للمخابرات الحربية لمعرفة أحدث أوضاع للقوات المسلحة الإسرائيلية ، وهل هناك حشود على الجبهة المصرية أو أية تحركات عسكرية ملفته ، وكان رد المخابرات الحربية يؤكد أن الوضع عادى ، ولايتضمن أية مؤشرات بالهجوم ، وفى الحقيقة كانت وسائل الاستطلاع المتاحة فى تلك الفترة ضعيفة وقاصرة ، وترتكز فقط على العنصر البشرى والأساليب اليدوية باستخدام المندوبين والعملاء.

ولم تكن المخابرات العامة قد تمكنت بعد من توفير مصادر جيدة فى داخل إسرائيل باستثناء مصدر واحد رئيسى هو **رفعت الجمال** (رأفت الهجان) ، وكان مازال فى دروى الإعداد ومرحلة التعرف على المجتمع الإسرائيلى ، ولم يثبت إقدامه بعد فى الميدان ، بينما كان أحد ضباط المخابرات العامة وهو **إبراهيم بغدادى** (من الضباط الأحرار والمحافظ فيما بعد) قد استخدم صحفياً مصرياً يدعى **إبراهيم عزت** من مجلة روز اليوسف تمكن من إدخاله إلى إسرائيل فى عملية مخابراتيه بغرض الحصول على المعلومات، ولم يستطع إبراهيم عزت العودة إلا بعد انتهاء العدوان الثلاثى وعن طريق باريس . وبالمناسبة تشير بعض الكتابات إلى أن هذه العملية كانت أول اتصال أو تطبيع مع إسرائيل ، وهو ما يخالف الحقيقة حيث أن عملية إبراهيم عزت كما قلت استهدفت فقط الحصول على المعلومات لصالح المخابرات العامة ، وبتكليف واضح منها ، ولم يكن لها أى بُعد سياسى ولا تستند إلى قرار رئاسى حتى من رئاسة الجهاز نفسه!.

وكان جمال عبدالناصر يتبنى نظرية يقوم بتدريسها فى كلية أركان حرب تعتبر أن غزة هى المدخل السهل والمباشر لأى عمل عسكرى من جانب إسرائيل ، ومع اقتراب تجمع مؤشرات العدوان حذر عبدالناصر من الهجوم على غزة وطالب بتأمينها واعتبر أن اختراقها يعد مسألة حياة أو موت للقوات المصرية ، كما وجه إنذاراً للقوات الجوية بتنفيذ خطة الانتشار فى حالة ثبوت التفوق الجوى الإسرائيلى وذلك بالتوجه للسعودية تنفيذاً للاتفاقيات السابقة مع المسئولين فيها ، أو إلى بعض مطارات جنوب الوادى ، وبما أن مطارات جنوب الوادى لم تكن مهيأة إلا لاستقبال الطائرات الصغيرة فقد كان الانتشار الأساسى يجب أن يكون فى الأراضى السعودية ، لكن هذا الإجراء لم يتخذ للأسف!.

وسوف أعود لهذه النقطة مرة أخرى لاحقاً..

صباح يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ أصدر الرئيس جمال عبدالناصر توجيهات بانتشار جميع الأجهزة الحساسة والسيادية لتحتل أماكن تبادلية وعدم التجمع فى مكان واحد ، وقد جرى بالفعل توزيعها على أكثر من موقع ؛ فانتقلت القيادة العامة للقوات المسلحة إلى

مبنى تبادلى فى حديقة الزهرية بالزمالك أمام نادى ضباط الشرطة ، وانتقل مكتب الرئيس للشئون السياسية وسكرتارية المعلومات إلى المبنى الجديد الذى تشغله حالياً وزارة الحكم المحلى، وهو مبنى تم تجهيزه ضد الزلازل وضد القنابل الثقيلة كما يتوفر فيه ملاجئ وخزائن حديدية تحت الأرض وكان مقراً مناسباً تماماً .

أما مقر مجلس قيادة الثورة فقد كان مقراً تبادليا للقيادة السياسية رغم اعتراض زكريا محى الدين وعلى صبرى وسامى شرف حيث كانت وجهة نظرنا أنه هدفاً مكشوفاً واضحاً، ولكن عبدالناصر أعرب عن تفاؤله واعتزازه بهذا المبنى وأنه يعتبره حافزاً لدفع المعنويات ، وأنه قد شهد صدور القرارات المهمة الكبرى فى تاريخ مصر الثورة ، وقد تم تركيب شبكة اتصالات كاملة وتبادليات بين هذه المواقع وبعضها.

فى نفس اليوم ٢٩أكتوبر ١٩٥٦ وقعت أول غارة بالهجوم على غزة كما حذر الرئيس جمال عبدالناصر ، والذى كان وقتها هو فى منشية البكرى فى اجتماع مع مبعوث إندونيسى لتسليمه رسالة من سوكارنو.

كان الاتفاق السرى إنجليزى / فرنسى / إسرائيلى ـ كما تكشف بعد عشرين عاماً ـ قد تم فى «سيفر»* ورقتين وقعهما ديفيد بن جوريون عن إسرائيل وكريستيان بينو عن فرنسا

*** بروتوكول سيفر ٢٤ أكتوبر ١٩٥٦:**

١ـ تقوم القوات الإسرائيلية بخلق حالة صراع مسلح على مشارف قناة السويس لتستغل بريطانيا وفرنسا كذريعة للتدخل العسكرى ضد مصر.

٢ـ توفر القوات الفرنسية الحماية الجوية لإسرائيل ، كما توفر القوات البحرية الفرنسية الحماية البحرية للمياه الإقليمية الإسرائيلية.

٣ـ تصدر بريطانيا وفرنسا إنذاراً مشتركاً لكل من مصر وإسرائيل لوقف أعمال القتال والابتعاد عن القناة مع قبول مصر احتلال منطقة قناة السويس احتلالا مؤقتاً بواسطة القوات الأنجلوفرنسية، لحماية الملاحة البحرية فيها.

٤ـ تقوم القوات الجوية البريطانية بتدمير المطارات والطائرات والأهداف العسكرية المصرية وتحقق السيطرة الجوية فى سماء مصر.

٥ـ تدافع فرنسا عن موقف إسرائيل فى الأمم المتحدة ، وفى نفس الوقت تبذل بريطانيا جهودها ـ بصفة سرية ـ بالاتصالات الخاصة لمساندة إسرائيل ، دون أن تكشف علانية عن ذلك حتى لايضار مركزها فى الوطن العربى.

٦ـ وبالمقابل تتعهد الحكومة الفرنسية بإمداد حكومة إسرائيل بمفاعل ذرى له القدرة على انتاج القنابل الذرية.

توقيعـــــــــات

عن المملكة المتحدة	عن الجمهورية الفرنسية	عن دولة إسرائيل
باتريك رين	كريستيان بينو	دافيد بن جوريون

وباتريك دين عن بريطانيا ؛ وينص الإتفاق على أن تقوم إسرائيل ببدء الحرب مساء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ وأن تتدخل بريطانيا وفرنسا للفصل بين المتحاربين والسيطرة على قناة السويس.

وقد استهدف التدخل الإسرائيلى فى العملية تحقيق ما يلى :

١ـ تحطيم القدرة العسكرية المصرية.

٢ـ إجبار المصريين على إدراك أن إسرائيل لاتقهر.

٣ـ القضاء على الفدائيين المصريين بتدمير قواعدهم فى سيناء وغزة.

٤ـ إجبار مصر على قبول مرور السفن الإسرائيلية عبر قناة السويس ومضيق تيران.

٥ـ تعديل رفض مصر المستمر للجهود الإسرائيلية من أجل التسوية السلمية بينهما .

فى مساء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ صدرت التعليمات بتنفيذ خطة الحرب ، وبدأ الهجوم على غزة فتم اجتياحها ، كما احتلت القوات الإسرائيلية ثلاث مواقع فى الكونتلا ورأس النقب ونخل ، ولم يتوفر حتى اليوم معلومات دقيقة عن حقيقة ما حدث فى هذا الهجوم ، بل وقد لوحظ اختفاء يوميات الحرب المتعلقة بهذا اليوم حسب علمى.

وفى ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ تعرض مطار ألماظة الحربى لهجوم جوى ، ورفض عبدالناصر انتقال عائلته إلى منزل بديل فى الزمالك كان تابعا للمخابرات أو إلى منزل آخر فى المرج، وأخذ هو ينتقل ما بين مبنى مجلس الوزراء ومجلس قيادة الثورة بالجزيرة ، ومبنى القيادة العامة للقوات المسلحة فى حديقة الزهرية ، وفى الأخير اطلع على الموقف وسير العمليات الحربية ، كما تم ترتيب إقامة دائمة له فى مبنى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة وتولى إدارة الأزمة من هناك مكتفياً بالتواجد فى مجلس الوزراء خلال اللقاءات الرسمية فقط.

فى مبنى مجلس قيادة الثورة تم تخصيص أول غرفة فى الدور الثانى للرئيس وهى تطل على النيل وعلى فندق شيراتون الجزيرة الحالى ، وغرفة ثانية خصصت كصالون ومكتب وغرفة تابعة **لمحمد أحمد** السكرتير الخاص ، أما الغرفتين الرابعة والخامسة فكانتا لأعضاء مجلس قيادة الثورة ، الذين كانوا يتواجدون فى المبنى ، ويضاف إلى ذلك غرفتا نوم كان الرئيس يقضى فترة الراحة بعد الظهر فى إحداهما ، وكان الجناح المقابل والذى يطل على الشارع تشغله العيادة والأرشيف وضباط الحراسة ، وبعض المكاتب الاحتياطية لسكرتارية المعلومات والسكرتارية الصحفية ، وسكرتارية أعضاء مجلس قيادة الثورة عند اللزوم.

فى صباح ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ عقد اجتماع فى لندن ضم كلاً من رئيس وزراء بريطانيا أنتونى إيدن ووزير خارجيته **سيلوين لويد** ورئيس وزراء فرنسا **جى موليه** ووزير خارجيته

كريستيان بينو تمهيداً لتوجيه الإنذار وفق الخطة المرسومة ، وفى نفس الوقت بدأت إسرائيل فى إسقاط وحدات المظلات فى منطقة المضايق فى سيناء مما دعى عقد اجتماع برئاسة الرئيس جمال عبدالناصر فى القيادة العامة للقوات المسلحة شارك فيه قادة الأسلحة البرية والجوية والبحرية ، وكان من رأي الرئيس استخدام القوات الجوية المصرية لوقف العدو فى سيناء. ولكنه فوجئ بارتباك قائد القوات لجوية الذى أشار إلى وجود صعوبات تحول دون تنفيذ هذه الخطة بسبب نقص الوقود فى مطار غرب القاهرة الذى يمثل القاعدة الجوية الرئيسية فى ذلك الوقت.

فى ظهر نفس اليوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ صدر الإنذار البريطانى الفرنسى(*) ، وكان يطلب من كل من مصر وإسرائيل وقف إطلاق النار وسحب قواتها خلال اثنى عشرة ساعة إلى مسافة تبعد عشرة أميال شرق وغرب قناة السويس ـ ولم تكن إسرائيل حتى هذا التاريخ قد وصلت إلى قناة السويس ، وبدا الإنذار كما لو كان دعوة لإسرائيل للتقدم نحو القناة ـ وأضاف الإنذار أن تقبل مصر بوجود قوات مشتركة للدولتين فى منطقة القناة ومدن بورسعيد والإسماعيلية والسويس لحماية الملاحة فى القناة وإلا ستضطر الدولتان للتدخل بالقوة المسلحة.

كان الرئيس جمال عبدالناصر فى ذلك الوقت ـ وكانت الساعة حوالى الثانية عشر ظهراً موجوداً فى مبنى مجلس الوزراء وكنت أنا متواجداً مع على صبرى فى مكتبه فى الدور الثانى وسمعت صوت التليفون المباشر بين على صبرى والرئيس ـ كان نوعاً من الديكتافون يسمعه من فى الغرفة إلا إذا رفعت السماعة فيصبح الحديث قاصراً على المتكلمين فقط ، وقال الرئيس: « **يا على الدكتور فوزى حايبعت دلوقتى رسالة إستلمها من السفير البريطانى** ».

وبعد وصول الرسالة طلب الرئيس عقد اجتماع سريع وطلب الرأى والدراسة ، وبدأ أعضاء مجلس قيادة الثورة يتوافدون على مجلس الوزراء حيث حضر عبدالحكيم عامر ثم

(*) الإنذار البريطانى الفرنسى لمصر فى ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ .

١ـ استدعى كيرك باتريك سفير مصر فى لندن السفير سامى أبو الفتوح وسلمه صورة الإنذار الموجه من الحكومتين البريطانية والفرنسية إلى الحكومة المصرية والذى يتضمن طلب :

ـ إيقاف جميع الأعمال الشبيهة بالحربية فى البر والبحر

ـ سحب جميع القوات العسكرية المصرية إلى مسافة عشرة أميال عن قناة السويس.

ـ أن تقبل مصر احتلال الأراضى المصرية بواسطة القوات البريطانية والفرنسية للمواقع الرئيسية فى بورسعيد والاسماعيلية والسويس.

ـ يطلب الإنذار الإجابة عنه فى الساعة السادسة والنصف صباحا بتوقيت القاهرة يوم ٣١ أكتوبر الحالى، فاذا لم تتسلم حكومتا المملكة المتحدة وفرنسا هذه الإجابة فى الوقت المحدد ، فإنهما سيتدخلان بالقوة بالقدر الذى تريانه ضروريا لضمان إجابة مطالبها .

صلاح سالم ـ وكان تم إبلاغ عبدالحكيم عامر بأمر الإنذار تليفونيا ـ كما حضر عبداللطيف البغدادى وحسين الشافعى وزكريا محى الدين وكان موجوداً أيضاً الدكتور أحمد ثروت الطبيب الخاص للرئيس.

لم يبد الدكتور فوزى أى رأى فى الإنذار لا بالقبول ولا بالرفض ، وكان الاتجاه العام لدى الحاضرين هو الرفض وإن اختلفت وسيلة الرفض ؛ هل يغلق المظروف ويرد إلى السفارة البريطانية ؟ أم يقوم الدكتور فوزى باستدعاء السفير البريطانى ويوجه إليه رفضا شديد اللهجة؟.

ولكن ما أن دخل **صلاح سالم** المكتب حتى فاجأ الرئيس والحاضرين جميعاً بأن خلع غطاء الرأس الخاص به (الكاب) ، ووجه كلامه لعبدالناصر قائلاً:

« ياريس أحسن حاجة نستسلم ، وأنا لو منك أروح أسلّم نفسى للسفارة الإنجليزية!!».

فضحك جمال عبدالناصر والتفت إلى الدكتور أحمد ثروت ـ طبيب الرئاسة ـ قائلاً:

« ياثروت إديله حقنة تهديه». فرد صلاح سالم:

« ياريس أنا أعنى هذا الكلام ، إحنا مش قد الإنجليز والوضع الطبيعى أن نسلم أنفسنا وإنت ياريس عليك أن تروح وتقابل السفير الإنجليزى وتطلب منه المعذرة!!».

فرد عليه عبدالناصر بعنف ووصفه بالجبن ، وفى لحظة الانفعال المتبادلة بين الاثنين دخل أحد السفرجية حاملاً صينية عليها القهوة فأمره صلاح سالم أن يسلمه ملابسه المدنية ، وقام صلاح سالم بلبسها وتقدم من الرئيس قائلا:

« السلام عليكم يا ريس أنا مسافر السويس وسأقاتل من هناك!».

وفعلا غادر المكان وركب سيارته واتجه إلى السويس وانضم للمقاومة الشعبية فى السويس ، وقام بالفعل من هناك بالتنسيق مع عناصر المقاومة فى تنفيذ أول عملية لإغراق سفينة محملة بالأسمنت بهدف تعطيل الملاحة فى قناة السويس.

بعد مغادرة صلاح سالم تم الاتفاق بالإجماع على رفض الإنذار ، كما اتفق على تسليم الرد بأسلوب بعيد عن العصبية وهو أن يقوم وزير الخارجية محمود فوزى باستدعاء السفير البريطانى ويبلغه برفض الإنـذار(*).

(*) استدعى الرئيس جمال عبدالناصر فى الساعة العاشرة من مساء يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ سفير المملكة المتحدة فى القاهرة السير **همفري تريفيليان** وأبلغه برفض الحكومة المصرية للإنذار البريطانى الفرنسى وقال له إن الإنذار الذى وجهته بريطانيا باسمها واسم فرنسا إلى الحكومة المصرية اليوم لايمكن قبوله بأى حال بل تعتبره اعتداء على حقوق مصر وكرامتها ويُعد امتهاناً صارخاً لميثاق الأمم المتحدة ففى الوقت الذى تدافع فيه عن نفسها داخل أراضيها ضد =

رفضت إسرائيل بدورها الإنذار لأنها كانت قد بدأت العمليات العسكرية وفق مخطط سبق الاتفاق عليه مع البلدين بريطانيا وفرنسا، وكان الهدف هو تمكينها من تحقيق أهدافها(*).

ولابد أن أشير هنا إلى أنه عندما وقعت الغارة الجوية على مطار ألماظة يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ أدرك الرئيس عبدالناصر أن هناك معركة تستهدف إسقاط النظام ، وليس مجرد إلغاء قرار التأميم أو فرض السيطرة على قناة السويس ، فحجم العمليات العسكرية وما صاحبها من تحركات فرنسية بريطانية معلنة ـ حتى قبل وصول الإنذار كانت تؤكد أن الهدف النهائى هو إسقاط نظام ثورة ٢٣ يوليو.

ففى ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ تقدمت مصر بشكوى إلى مجلس الأمن الدولى تشير إلى العدوان الإسرائيلى وما أعقبه من إنذار بريطانى فرنسى ، وتقدمت الولايات المتحدة الأمريكية بمشروع قرار يدعو إلى وقف القتال فوراً بين مصر وإسرائيل وانسحاب الأخيرة إلى خط الهدنة ، ومطالبة جميع أعضاء الأمم المتحدة بالامتناع عن استخدام القوة أو التهديد بها فى منطقة النزاع ، وتجنب تقديم أى مساعدات لإسرائيل ما لم تمتثل للقرار.

فى اليوم التالى قدم الاتحاد السوفيتى مشروع قرار آخر لمجلس الأمن يتطابق والمشروع الأمريكى ، لكن بريطانيا وفرنسا استخدمتا حق الاعتراض (الفيتو) لإفشال التوصل لأي قرار بل وتقدمت فرنسا بمشروع قرار مضاد يدين مصر لمساعدتها الثورة الجزائرية . ودفع هذا التطور بداج همر شولد السكرتير العام للأمم المتحدة إلى عرض استقالته من منصبه احتجاجاً على التدخل البريطانى الفرنسى السافر ضد مصر ، وألقى بيانا يدين فيه الدولتين وأنهما تسببتا فى ضياع الجهود التى تبذل لوقف إطلاق النار لإقرار مبادئ التفاوض حول مشكلة قناة السويس نتيجة توجيه الإنذار، وطالب الدول الأعضاء باحترام الأمم المتحدة لكن لم تتم الموافقة على استقالته ، وكان ذلك تعبيراً عن التضامن مع مصر ورفض العدوان عليها.

دفعت هذه التطورات بالرئيس جمال عبدالناصر لإعادة تقييم الموقف ، وكان قراره هو رفض إتاحة الفرصة لهذه القوى لتحقيق أهدافها بأية صورة والحرص على استمرار الثورة

= العدوان الإسرائيلى تتحفز بريطانيا وفرنسا للعدوان على المعتدى عليه . وأنذره الرئيس جمال عبدالناصر بأن مصر لايسعها إزاء أى عدوان عليها إلا أن تدافع عن حقوقها وكرامتها . كما استدعى الرئيس جمال عبدالناصر القائم بالأعمال الفرنسى فى القاهرة جى روشيه وأبلغه رفض مصر للإنذار البريطانى الفرنسى.

(*) كانت الخطة المرسومة أن يقوم الجيش الاسرائيلى بمساعدة الطيران الفرنسى بالهجوم على سيناء فى إطار ما يسمى بعملية «قادش» والوصول إلى منطقة القناة واحتلال سيناء بالكامل ، فى نفس الوقت ينتظر «لوى ونجان» ـ مستشار وزير الدفاع الفرنسى ـ الذى كان موجوداً بإسرائيل انتهاء مدة الانذار ، كذريعة لتدخل عسكرى بريطانى ـ فرنسى.

مهما كلف الأمر ، وكانت حسابات القوى التى يرتكز عليها تشمل القوات المسلحة المصرية وقدرتها على الصمود فى مواجهة العمليات المنتظرة ، والجبهة الداخلية وتماسكها إلى جانب الدعم العربى الواسع وخاصة من جانب القوى الوطنية الشعبية والحاكمة فى كل من سوريا ولبنان والأردن والسعودية.

وعندما بدأت العمليات أجرى الرئيس جمال عبدالناصر تقييمه السريع للموقف العسكرى وخرج بنتيجة سلبية حيث أدرك أن القوات المصرية لايمكنها مجابهة العدوان ووقفه ؛ فانتقل إلى بديل آخر هو المقاومة الشعبية بأبعادها المسلحة والإعلامية ، وعمل على أن تمتد أيضاً إلى صعيد مصر كله فى شكل مظاهرات واحتجاجات ، ومن هنا جرى التفكير فى توزيع السلاح على الشعب المصرى باعتبار أنه فى حالة وقوع هزيمة عسكرية ودخول قوات الاحتلال إلى القاهرة فيجب أن تدفع ثمناً غالياً.

بدأ الرئيس فى اتخاذ سلسلة من القرارات الهامة :

جاء أولها من منطلق حساباته العسكرية لأهداف العدوان ، والتى أدرك من خلالها أن القوات المعتدية تعمل على تطويق الجيش المصرى فى سيناء عملا على إبادته ، وكان أسلوب القيادة العكسرية فى إدارة المعركة يساعد على ذلك برغبتها فى تحقيق انتصار سريع مما دفعها إلى تحريك قوات كبيرة إلى سيناء وجعلها هدفاً سهلاً للغارات الجوية وأوقع فى صفوفها خسائر كبيرة، ومن ثم فقد تدخل الرئيس عبدالناصر وأصدر قراره بسحب القوات المسلحة المصرية من سيناء إلى غرب القناة* ؛ تفاديا لمزيد من الخسائر التى ستنجم حتما عن وقوعها

*** قرار القائد العام للقوات المسلحة بسحب القوات إلى غرب القناة سعت ٢٢٠٠ يوم ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ :**

١ـ ينقل المجهود الرئيسى للقوات المسلحة المصرية إلى غرب قناة السويس للتمسك بمنطقة بورسعيد ـ السويس ـ القاهرة بحيث يتم ذلك قبل أول ضوء يوم ٢ نوفمبر.

٢ـ تخلى القوات المسلحة المصرية من سيناء إخلاء كاملاً إلى غرب القناة ، وتتخذ الإجراءات اللازمة لسحب القوات المسلحة فى قطاع غزة ورفح والعريش وشرم الشيخ وقوات الاحتياطى المدرع والاحتياطى المشاة للقيادة الشرقية.

٣ـ تنتقل رئاسة الفرقة الرابعة المدرعة والمجموعة الثانية المدرعة إلى غرب القناة وتعمل كاحتياطى استراتيجى هناك.

٤ـ تقتصر أعمال الدفاع الجوى على أعمال المدفعية المضادة للطائرات والدفاع الجوى السلبى.

٥ـ تنتقل الطائرات إلى المطارات الجنوبية توطئة لإقلاعها إلى قواعد صديقه خارج الجمهورية.

٦ـ تقتصر أعمال القوات البحرية على تنظيم الدفاع عن الساحل والقيام بالدوريات والاستطلاع البحرى فى المياه الإقليمية.

٧ـ تنظيم قوة النضال الشعبى الموضوعة تحت قيادة الجبهات والمناطق العسكرية ، وتنسق أعمالها مع عمليات القوات العسكرية ، وتركز الجهود المشتركة للدفاع عن المدن والقرى إلى آخر طلقة وآخر رجل .

لواء أركان الحرب
قائد عام القوات المسلحة
محمد عبد الحكيم على عامر

بين حصار القوات الإسرائيلية من الشرق والقوات البريطانية والفرنسية ـ التى أُنزلت جوا فى منطقة قناة السويس ـ من الغرب ، وكان قرارا سياسياً ناجحاً بكل المقاييس ساعد على حماية الجيش المصري وإفشال أهداف القوى المعتدية.

كان القرار الثانى هو تصعيد المقاومة الشعبية ؛ ففى أول يوم للعمليات العسكرية البريطانية الفرنسية المشتركة ، أصدر تعليمات بفتح كل مخازن الأسلحة والذخيرة الموجودة فى القاهرة ، وتم شحنها فى مئات اللوارى التى انتشرت فى أحياء القاهرة وبعض المحافظات القريبة مثل القليوبية والغربية والشرقية والجيزة.. الخ.

كما أصدر الرئيس جمال عبدالناصر توجيهات بإعداد مقر احتياطى لرئاسة الجمهورية فى أسيوط بحيث يتم الانتقال إليه فى حالة نجاح العدوان باحتلال الدلتا كما كانت تنص على ذلك الخطة «روديو» ، والتى سبق أن حصلنا عليها من أرشيف سرى خاص بداخل مبنى الكنيسة الإنجليزية فى قصر النيل فى نهاية ١٩٥٤ ، وكانت ترتكز على إعادة احتلال القوات البريطانية للجمهورية عندما تقتضى الضرورة ذلك ..كما أصدر توجيهاته بتعزيز التسليح والتحصينات فى باقى المحافظات ...، وكانت كلمة السر لعملية توزيع السلاح هى **«حنحارب .. حنحارب»**

شمل توزيع السلاح جميع أفراد الشعب مهما اختلفت مشاربهم ، ولم يسأل أى فرد عن هويته أو انتمائه السياسى أو العقائدى عند تسليمه السلاح ، وكان يصحب عملية التسليح فقط التوعية بتعليمات الأمان فى التعامل مع السلاح .. وتم بالفعل توزيع مايقرب من مليونى قطعة سلاح. فى نفس الوقت شارك متطوعون من كافة شرائح المجتمع من ضباط وجنود جيش إلى ضباط وجنود من الشرطة إلى المتطوعين المدنيين منهم المحامين والأطباء والمهندسين ورجال الدين الإسلامى والمسيحى والشباب من عناصر الفتوة بنين وبنات وطلبة الجامعات والمعاهد والمدراس الثانوية والعمال والفلاحين...

كانت الروح الوطنية تشكل نسيجا بديعاً يجمع كل هؤلاء .. وأود أن أشير باعتزاز وفخر إلى أنه بعد أن هدأت الأمور ، وتم جلاء القوات البريطانية والفرنسية أمكن جمع كل الأسلحة بالكامل دون أن ينقص منها قطعة واحدة اللهم إلا الأسلحة التى استخدمت داخل بورسعيد نفسها وهذه أيضاً لم يفقد منها إلا القليل جداً.

كانت المقاومة فى منطقة القناة تعمل وفق تنظيم محكم تحت إشراف الرئيس وتولى القيادة المباشرة كل من زكريا محى الدين وكمال الدين حسين وصلاح سالم يعاونهم على سبيل المثال لا الحصر كل من:

كمال الدين رفعت ـ عبدالفتاح أبو الفضل ـ سعد عفرة ـ محمد فائق ـ سمير غانم ـ لطفى واكد ـ محمود حسين عبدالناصر ـ فريد طولان ـ صلاح الدسوقى ومجموعة من ضباط الشرطة ـ بالإضافة إلى مجموعة من ضباط الصاعقة المصرية منهم جلال هريدى ـ أحمد عبدالله ـ حسين الفار ـ وآخرين .. إلى جانب العديد من العناصر المدنية وكان من ضمنهم سيدات مثل أمينة شفيق من جريدة الأهرام التى سافرت إلى بور سعيد بصحبة بعض السيدات وقد دخلنها فعلا عن طريق التسلل عبر بحيرة المنزلة.

عندما اشتعلت المقاومة فى بورسعيد اتخذ الرئيس جمال عبدالناصر قراره بالذهاب شخصياً إلى المدينة الباسلة للإطلاع بنفسه على ما يجرى فيها ، ولكن كل المحيطين به أعربوا عن اعتراضهم على هذا القرار حرصاً عليه ، وما أذكره الآن أثناء قيامى بعرض تقرير المعلومات عليه فى مبنى مجلس قيادة الثورة وكنا ساعة المغرب تقريباً لاحظت أنه يجرى إعداد بعض السيارات تساءلت عن السبب فجاءنى الرد أن الرئيس متوجه إلى منطقة القناة، ولما دخلت مكتب الرئيس قال لى أنا رايح أشوف بنفسى ماذا يجرى هناك ولا أعرف إن كنت سأشاركهم المقاومة ، وهو ما أتمناه أم سأضطر للعودة؟.

وعلمت أن كلا من عبد اللطيف البغدادى وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى سيرافقون الرئيس ، وكان موقف صلاح سالم قد استقر فى مدينة السويس وكمال الدين حسين يتولى المقاومة فى الإسماعيلية ... تحركت السيارات فعلاً حوالى الثامنة والنصف مساء وعدت إلى مكتبى فى مبنى مجلس الوزراء وقد وصل الرئيس إلى مدينة الإسماعيلية حيث قابله كمال الدين حسين وكمال الدين رفعت اللذان اعترضا على قرار الرئيس وعملا على إثنائه عن مواصلة السفر إلى بورسعيد وقالا له : « إحنا المسئولين عن هذا الخط ، وأنه من الخطر التقدم بعد الإسماعيلية ، ومن رأينا أن تعود إلى القاهرة حيث أن قيادتك من هناك أجدى بكثير من تواجدك فى رقعة ضيقة من أرض المعركة التى هى أرض مصر كلها والعالم العربى كله ، وأن وسائل الاتصال هنا تكاد تكون معدومة كما أنه لايوجد أى وسائل للإعلام ، وأن وجودك هنا يعد خطأ على المستويين التكتيكى والاستراتيجى»، شارك الحاضرون فى هذه المناقشات واستقر رأيهم على ضرورة عودة الرئيس إلى القاهرة وعاد بالفعل بعدما اقتنع بوجهة نظرهم.

صاحب المقاومة المسلحة حركة مقاومة إعلامية نشطة شارك فيها جميع الصحفيين والأدباء ورجال الإعلام والفنانين والمبدعين .. تطوعوا من تلقاء أنفسهم، كل يعرض إمكانياته واستعداده للمشاركة فى هذه المعركة الوطنية.

كانت مؤسسة **روز اليوسف** بمثابة بؤرة للنضال الوطنى ، ومصدر إشعاع خطير للغاية.. الكل يعمل .. والكل يبدع .. والكل يبدى أفكاره تصب فى إذكاء المعركة، كان هناك صلاح جاهين وصلاح حافظ وحسن فؤاد وأحمد حمروش وفتحى غانم وأحمد بهاء الدين وعبدالغنى أبو العينين و أحمد عباس صالح و راجي عنايت ومحمود المراغى وجمال كامل ومنير عامر ونجاح عمر يشاركهم منير حافظ وإبراهيم بغدادى وآخرون من الأبطال الذين قد لاتسعفنى الذاكرة الآن بأسمائهم هذا بخلاف مجموعة العمال الذين كانوا يعملون فى المطابع وعلى رأسهم عم حسن وعمال التوزيع الخ ، وكانت هناك مثلها فى وكالة أنباء الشرق الأوسط ، وبؤرة ثالثة فى مصلحة الاستعلامات التى كانت منشأة حديثاً ، ورابعة فى الصحف اليومية: الأهرام والأخبار والجمهورية والإذاعة المصرية وصوت العرب .. علاوة على عناصر عديدة يُصعب إحصاؤها أو تفضيل واحد منها على الآخر ..

لم يتخلف أحد وكل منهم أعطى ربما بما يفوق طاقته فى التحرك داخلياً أوخارجياً مع الأصدقاء والمؤسسات ، وعلى سبيل المثال فقد تم إيفاد الصحفى **مصطفى أمين** إلى بيروت حيث اصطحب معه **سعيد فريحة** الصحفى اللبنانى المشهور بحبه لمصر وثورة يوليو ـ واتجها إلى لندن لمخاطبة الرأى العام البريطانى ، ودحض ما تدعيه وسائل الإعلام هناك ضد مصر .. وتم أيضاً إيفاد عناصر أخرى إلى فرنسا وإيطاليا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، والبعض منهم سافر على نفقته الخاصة ... وكانت إذاعة صوت العرب بجميع كوادرها ، وصوت **أحمد سعيد** يحرض ويجمع أبناء الأمة العربية من القاهرة وباقى الإذاعات الموجهة وإذاعات الدول العربية شعلة لاتنطفىء من الوطنية والقومية العربية المتضامنة مع القضية المصرية.

تصادف أن تعرضت هوائيات الإذاعة المصرية فى أبو زعبل للقصف الجوى صباح يوم الأول من نوفمبر ١٩٥٦ ، وأدى ذلك إلى انقطاع الإرسال الإذاعى ، وكان الرئيس جمال عبدالناصر متواجدا فى مكتبه بمجلس الوزراء وقرر أن يؤدى صلاة الجمعة بالجامع الأزهر الشريف..

طلبنى الرئيس بعد أن أبلغته بضرب هوائيات الإذاعة المصرية وقال : « تقدروا يا سامى تشغلوا الإذاعة على الأقل فى حدود دائرة مدينة القاهرة؟

فقلت : « يافندم ما أقدرش أعطى سيادتك رداً إلا بعد إجراء بعض الاتصالات مع الفنيين فى الإذاعة وعموماً سيادتك إدينى دقائق لمعرفة الموقف بالضبط...

قال الرئيس : « **يا سامى حانصلّى الجمعة فى الأزهر إن شاء الله .. شد حيلك..**».

بعد اتصالات تليفونية فورية مع الفنيين حضر إلى مكتبى على عجل كل من **محمد أمين حماد** مدير الإذاعة والمهندسين **عز الدين فريد وصلاح عامر ومحمد الشافعى والمذيع فهمى عمر** ، ثم جاء بعد قليل **جلال معوض** ، وأبلغونى أنه يمكن البث قبل صلاة الجمعة بشرط توفير خطوط تليفونية بشكل فنى معين لو أمكن ترتيبه مع مصلحة التليفونات بصفة عاجلة، أما عن الهوائيات فجارى بالفعل إصلاح بعضها بما يؤدى لاستمرار الإذاعة فى حدود دائرة مدينة القاهرة . وبالفعل اتصلت بالدكتور محمود رياض مدير التليفونات ولما أبلغته بالمطلوب قال لى إنه توقع مثل هذا الأمر فأرسلت له على الفور المهندس عز الدين فريد لمقر المصلحة فى شارع رمسيس لإنهاء الترتيبات الفنية ، وقد اكتشف أن هناك خط تليفونى بين أبو زعبل ودار الإذاعة فى شارع الشريفين لم يتعرض للتلف ، وتم الاستفادة بهذا الخط وكان الجانب الآخر فى محطة أبو زعبل المهندسين **صلاح عامر والجارحى القشلان** اللذين أمكنهما بالتنسيق مع زملائهم الآخرين من تفعيل الخطين الآخرين اللذين أمكن ترتيبهما فى مكتبى من خلال مصلحة التليفونات وتحويله إلى تليفونات مجلس الوزراء، وفى خلال ساعة ونصف أو يزيد قليلاً ، أمكن استئناف إرسال الإذاعة فى دائرة قطرها عشرين كيلومتراً.

ونفذت أول تجربة .. تكلم من خلالها لأول مرة منذ انقطاع الإذاعة فهمى عمر مردداً **«هنا القاهرة»** ثم توجه مع زميله جلال معوض إلى الجامع الأزهر الشريف لإجراء التجارب والاستعداد لاستئناف الإرسال الإذاعى من هناك تمهيداً لإذاعة صلاة الجمعة منه.

عملنا بعد ذلك كإجراء احتياطى على اختبار قوة الاستماع فطلبت مفتش المباحث لمدينة القاهرة **اللواء يوسف القفاص** الذى عمل على تكليف ضباط الإدارة فى جميع أقسام القاهرة بالتبليغ عن قوة الاستماع والوضوح لإذاعة القاهرة التى تبث من مكتبى بمبنى مجلس الوزراء ومن الجامع الأزهر الشريف . أثناء المكالمة هذه اتصل أحد ضباطه به مبلغاً إياه أن الإذاعة عادت للإرسال وأن فهمى عمر يقول هنا القاهرة ويردد أناشيد وطنية.

توجهت إلى مكتب الرئيس عبدالناصر وأبلغته بالنتائج التى وصلنا لها وتمام استئناف الإذاعة ، فأعرب عن سعادته وامتنانه لكل من شارك فى هذا العمل ، وكان أحمدسعيد مدير صوت العرب قد لحق بالمجموعة المتواجدة فى مكتبى فور أن سمع «هنا القاهرة» وانضم لفريق العمل من المذيعين والفنيين.

بقى طاقم الفنيين بمكتبى للإشراف على التجهيزات الفنية والعمل على تقويتها بواسطة بعض الأجهزة التى أمكن الحصول عليها من مخازن الإذاعة والتليفونات وذلك حتى عودة الرئيس جمال عبدالناصر ومخاطبته الشعب المصرى والعالم أجمع من خلال الإذاعة

ووكالات الأنباء التى نقلت عن الإذاعة معلنا من فوق منبر الجامع الأزهر الشريف :

«الله أكبر ..ـ التى قيلت لأول مرة سنة ١٩٥٦ من فوق منبر الجامع الأزهر الشريف ـ سنقاتل ... سنقاتل .. ولن نستسلم ..».

بدأ العمل بعد ذلك مباشرة لترتيب استئناف إرسال الإذاعة على مستوى الجمهورية وخارجها من أبى زعبل.

وكانت عملية تشرفتُ كثيراً بتلقى التكليف بها وبإنجازها من خلال جهد جماعى من كل رجال الإذاعة المصرية من فنيين ومهندسين ومذيعين كانوا كلهم بدون استثناء على مستوى المسئولية.

وكانت إذاعة «أم كلثوم» منذ ذلك اليوم ، والتعليمات التى صدرت باستمرار هذه الإذاعة كانت صارمة حول بث أغانى السيدة أم كلثوم وحدها فقط ولمدة خمسة ساعات يومياً تبدأ من الخامسة وحتى العاشرة مساء.

ووسط هذه الصفحة الناصعة البياض والمشرفة من تاريخ النضال المصرى ظهرت نقطة سوداء وضعتها مجموعة من السياسيين القدامى الذين عقدوا اجتماعاً ضم عناصر من أحزاب الوفد والسعديين والأحرار الدستوريين والإخوان المسلمين . وكان معهم **سليمان حافظ** الذى كان نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للداخلية فى بداية الثورة ، وكان من قبل نائباً لرئيس مجلس الدولة ـ وقد قرروا فى نهاية اجتماعاتهم إعداد رسالة موجهة للرئيس جمال عبدالناصر ، وبقيت أمامهم مشكلة من الذى يسلم هذه الرسالة للرئيس جمال عبدالناصر.

فى يوم الجمعة ٢ نوفمبر ١٩٥٦ أوفد المستشار سليمان حافظ زوج ابنته الضابط عبداللطيف الرافعى لمقابلة صلاح نصر مدير مكتب القائد العام للقوات المسلحة فى ذلك الوقت ، يطلب سليمان حافظ فى رسالته تدبير لقاء فورى بين الرئيس جمال عبدالناصر وسليمان حافظ لأمر بالغ الخطورة . فقام صلاح نصر بتكليف من الرئيس بمقابلة سليمان حافظ ليستطلع منه شخصياً عن أسباب طلبه اللقاء ، وفهم منه أن الرسالة تخص الأحداث المتعلقة بالوضع المترتب على العدوان الثلاثى ، وأن هناك اقتراحات بتنحى القيادة السياسية الحالية عن مسئوليتها لإنقاذ مصر من الدمار الذى ستتعرض له وكرر طلبه مقابلة الرئيس.

كانت تحركات واتصالات سليمان حافظ وغيره من السياسيين القدامى مرصودة بالطبع فى تلك الفترة ـ ولما أبلغ صلاح نصر رسالة سليمان حافظ للرئيس رفض مقابلته وكلف عبداللطيف البغدادى بمقابلته ، ولما بلغ صلاح نصر الضابط الرافعى بأن البغدادى كلف بمقابلة سليمان حافظ ، طلب على لسان الأخير أن يحضر المقابلة أيضاً اللواء عبدالحكيم عامر ، وقابله فعلاً كلا من البغدادى وعامر الذى قال بعد المقابلة :

« الراجل ده حقيقى أنيابه زرقاء .. ولم ينس حقده على جمال عبدالناصر ... فهو يطلب تنحى عبدالناصر لأنه مكروه ـ هكذا !! ـ وأن يتولى محمد نجيب رئاسة مصر بحيث أنه مؤهل للاتفاق مع الإنجليز ، ويعلن حياد البلد وتتولى وزارة حزبية الأمور فى البلاد وأن يعود «العسكر!» إلى ثكناتهم ..».

وعندما نقلا الرسالة للرئيس كان تعليقه :

« إنه من سيحضر إلى هنا منهم سوف يُضرب بالنار».

كان التحليل والتقدير بناء على نتيجة هذه المقابلة هو أن سليمان حافظ بالتعاون مع بقايا الأحزاب يريد أن يمهد لتولى وزارة حزبية شئون البلاد تحت رئاسة اللواء محمد نجيب الذى بعد أن يتخلصوا منه تتعاون الحكومة مع الغزاة ..(لتجنب ويلات الحرب...).

وثبت بعد ذلك من واقع تقارير المعلومات وتحريات الأجهزة الأمنية أن اللواء محمد نجيب لم يكن بعيداً عن بقايا جبهة أزمة مارس سنة ١٩٥٤ فى هذه الأحداث(*).

ورغم تشابه موقف السياسيين القدامى ـ من حيث الشكل ـ مع موقف صلاح سالم إلا أن منطلقات كل طرف كانت مختلفة تماماً ، فصلاح سالم الذى خانته أعصابه فى لحظة ما ، أكد تصرفه اللاحق بالتوجه إلى السويس وقيادة المقاومة الشعبية فيها قدراً عالياً من الفدائية، كما عكس نبل أهدافه ، وأن الأمر يكمن فقط فى الخشية من آثار العدوان وغيرته على سلامة البلاد ولم يكن متطلعاً إلى سلطة أونفوذ رغم الاختلاف معه فى أسلوب تعبيره عن هذه الأهداف أو انفعاله على الرئيس جمال عبدالناصر ...

أما عناصر الأحزاب والسياسيين القدامى فقد كان موقفهم نابعاً عن تفكير متخاذل وانهزامية واضحة ، علاوة على أنه كان يعكس قدراً عالياً من الشماتة والرغبة فى تصفية الحسابات مع الثورة ، وانتهاز الفرصة لتجديد علاقاتهم بالإنجليز ، وهى نفس المواقف التى طبعت سلوكهم السياسى فى فترة ما قبل الثورة ..

لقد أظهر جمال عبدالناصر ثباتاً قوياً فى مواجهة الموقف كما امتلك قدرة كبيرة فى معالجة كل التفصيلات مهما كانت ثانوية أوبعيدة ـ شكلا ـ عن لب القضية ، وعلى سبيل المثال فقد كان يحرص على الإلمام بالموقف التموينى يومياً من القمح والسكر والدقيق والزيت والشاى والبنزين والجاز والبوتاجاز وخلافه من المواد التى تشكل أساساً لاحتياجات المواطن وعصب المعركة .. وبالمناسبة ومن هذا التاريخ استمرت سكرتارية الرئيس للمعلومات

(*) يرجع لتقارير المتابعة فى أرشيف سكرتارية الرئيس للمعلومات بمنشية البكرى وإدارة المباحث العامة فى لاظوغلى.

فى إعداد تقرير يومى بالموقف التموينى مع التطوير بإضافة الأرصدة المتبقية والكميات المطلوبة توافرها ولمدد تتراوح بين ستة شهور وسنة حسب السلع المطلوبة للمواطنين مع الوضع فى الاعتبار مدى توافر العملة الصعبة اللازمة للاستيراد ..

وتواصلت معدلات كثافة العمل بنفس القدر حتى تمام جلاء القوات البريطانية الفرنسية عن بورسعيد فى ديسمبر ١٩٥٦، وحتى بعد وقف القتال كان هناك استعداد دائم وحالة تعبئة فى الداخل لمواجهة أى طارئ قد يقع ، وكانت الاجتماعات لاتنقطع ويجرى إعداد تقديرات الموقف بشكل متوالى لاختيار أنسب البدائل لإدارة المعركة سواء فى مواجهة القوات المعتدية أو فى داخل المنظمة الدولية ـ الأمم المتحدة ـ وفى مجال تهيئة الرأى العام العربى والدولى لمساندة قضية مصر فى معركتها المصيرية.

كان الشعب العربى كله حاضراً وبقوة منذ صدور قرار تأميم شركة قناة السويس وحتى وقوع العدوان بعد أن نجح الرئيس عبدالناصر فى بعث فكرة القومية العربية وتحويل التضامن العربى إلى واقع ملموس.

فمنذ صدور قرار التأميم خرجت مئات التظاهرات وعقدت المؤتمرات فى كل أرجاء الوطن العربى تعلن مساندتها للقرار ووقوفها إلى جانب مصر فى معركتها لاسترداد. حقوقها فى القناة ، وبنفس القوة كانت مساندة الحكومات والقيادات الرسمية للقاهرة فى شكل بيانات واتصالات مع القيادة المصرية وتحركات دبلوماسية وغيرها ، وفور وقوع العدوان المسلح انهالت على السفارات المصرية فى دمشق وعمان وبيروت والقنصلية المصرية فى القدس وفى دول المغرب العربى والمغتربين العرب فى أوروبا وأمريكا بخلاف مئات الألوف من الرسائل التى وصلت للرئيس تطالب بالتطوع لمحاربة المعتدين إلى جانب القوات المصرية.

ولم تقتصر ردود الفعل على التجمعات الشعبية وحدها بل شاركت الحكومات والقيادات المسئولة أيضاً.

فقد توجه الرئيس شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية إلى موسكو لمطالبة الاتحاد السوفيتى بتقديم الدعم اللازم لمصر وتزويدها باحتياجاتها من السلاح ، وكان قبل سفره قد اتصل بالرئيس جمال عبدالناصر مستفسراً عن أخبار المعركة واحتياجات مصر(*).

(*) أرجو الرجوع إلى نصوص الرسائل المتبادلة بين الرئيسين فى ذلك الوقت فى أرشيف سكرتارية الرئيس للمعلومات وأرشيف إدارة الرمز بوزارة الخارجية المصرية والتى تم تبادلها من خلالها العديد من الرسائل فى هذه المرحلة.

ومن سوريا أيضاً اتصل بعض الضباط الوطنيين عارضين خدماتهم ، وكان أهم هذه الاتصالات ما تقدم به عبدالحميد السراج ـ نائب رئيس الجمهورية أثناء الوحدة ورئيس الشعبة الثانية (المخابرات) فى الجيش السورى سنة ١٩٥٦ ـ يعرض نيته نسف خط أنابيب البترول الذى ينقل الخام من العراق إلى البحر الأبيض عبر سوريا ، لكن الرئيس عبدالناصر نصح بعدم التورط فى المعركة حماية لهم ولسوريا برغم اقتناعه أن هذا العمل سيوفر دعما كبيراً لمصر . لكن عبدالحميد السراج كان قد بدأ فعلاً فى اتخاذ الخطوات التنفيذية ..

وقد استدعى ناظم القدسى رئيس الوزراء فى سوريا كلا من اللواء شوكت شقير واللواء عفيف البزرى ـ قادة الجيش السورى آنذاك ـ ونقل لهما أن السفارة البريطانية أبلغته بوجود وحدات عسكرية حول محطات الضخ الخاصة بخط أنابيب التابلاين فنفيا علمهما بهذا الموضوع ، فقام ناظم القدسى باستدعاء عبدالحميدالسراج ، وأعاد عليه نفس السؤال فنفى بدوره علمه بأية مخططات فى هذا الشأن ..

فقال له ناظم القدسى : « **إن لديه معلومات تقول كذا وكذا ..وإنت حاتضيعنا وتؤذى الوضع العام !!. فرد عليه عبدالحميد السراج « طيب يا سيدى أنا سوف ابحث الموضع وسأرد عليك لأن الخط طوله حوالى ٨٠٠ كيلو متر وليس لدى طائرة ، بل إن بعض المناطق يمكن أن أصل إليها بواسطة الجمل أو الحصان ... أعطنى ثلاثة أو أربعة أيام حتى يمكن أن أرد عليك ..**».

وكان السراج قد رتب العملية وأعطى التعليمات لضباطه بتوقيتات التنفيذ وكان قراره فى حالة تعرض مصر للعدوان يقوم بنسف محطات الضخ ... وتم نسف هذه المحطات فعلا ثانى يوم العدوان الثلاثى على مصر.

لقد تصرف عبدالحميد السراج على مسئوليته ، وأحدثت العملية صدى واسعاً فى العالم كله ، أما فى العالم العربى فقد بادرت العناصر الوطنية فى أكثر من دولة بإخطارنا باعتزامهم تنفيذ عمليات مماثلة فى بلادهم ، ولكن تم تحذيرهم بوضوح باعتبار أن اتساع رقعة مثل هذه العمليات لن يخدم المصلحة القومية ويكفى انفجار واحد لأن انتشار هذه الظاهرة يمكن أن يقود إلى تأليب الرأى العام العالمى والأوروبى خاصة ، وكان قد بدأ يميل إلى جانب مصر.

وقد خرج على هذه القاعدة المناضلون الليبيون من جماعة عمر المختار بقيادة الأستاذين مصطفى بن عامر وبشير المغيربى وزملائهم الذين قاموا بتنفيذ بعض العمليات ضد المصالح البريطانية فى ليبيا حيث تم تفجير قنبلة فى بنك باركليز البريطانى ، كما قاموا بنسف أنابيب البترول فى ميناء بنغازى وأشعلوا النيران فى خزانات الوقود الخاصة بالقوات البريطانية.

كما ظهرت لأول مرة فى بعض الدول والإمارات العربية مثل الكويت الدعوة لوقف تصدير البترول إلى المعتدين وسحب الأموال العربية من البنوك البريطانية ومقاطعة البضائع الفرنسية والبريطانية.

ولم يكن الموقف الدولى يقل استنكاراً للعدوان عن الموقف العربى أخذا فى الاعتبار بالطبع القيود التى تفرضها التوازنات الدولية.

فكما أشرتُ فى السابق ، حرصت الولايات المتحدة الأمريكية على امتلاك زمام المبادأة بعرض مشروع قرار فى مجلس الأمن يدين العدوان ، وصحب ذلك إعلان الرئيس الأمريكى دوايت أيزنهاور على شاشات التليفزيون أن واشنطون عارضت منذ البداية اللجوء للقوة ، وأنها لم تستشر من قبل المعتدين.

واتخذ الاتحاد السوفيتى موقفا مؤيداً لمصر منذ بداية الأزمة ، ولكن التمرد الذى كانت شواهده قد بدأت تتجمع فى المجر فرض قيداً على حركة الاتحاد السوفيتى ، ومن هنا كان رد خروشوف على الرئيس شكرى القوتلى أثناء زيارته لموسكو عدم إمكانية تقديم مساعدة عسكرية لمصر لكنه شن حملة دبلوماسية مكثفة على القوى المعتدية فى الإطار الثنائى وفى الأمم المتحدة.

ففى الإطار الثنائى بعد بعث بولجانين برسالة إلى أنطونى إيدن رئيس وزراء بريطانيا تتضمن تهديداً باستخدام الصواريخ العابرة للقارات لوقف العدوان ، ثم بعث رسالة أخرى بنفس المعنى إلى رئيس وزراء فرنسا جى موليه ، وبرسالة ثالثة إلى دافيد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل يصف فيها إسرائيل بأنها تعمل كأداة فى يد الإمبريالية ، ويحذرها من العبث بمصير السلام ، وطالب بأن تعود إسرائيل إلى رشدها وتوقف عملياتها العسكرية ضد مصر قبل فوات الأوان ثم قام باستدعاء سفيره فى تل أبيب، واعتبرت هذه الرسائل بمثابة إنذارات للدول الثلاثة ، وكان قد سبقها إرسال رسالة إلى الرئيس أيزنهاور يستعرض فيها الأخطار المترتبة على الموقف القائم وما ينذر به من احتمال اشتعال حرب عالمية ، وأن على موسكو و واشنطن بما يملكانه من قوة ، العمل معا لإيقاف الحرب.

وتقدمت الهند ممثلة للدول الآسيوية الإفريقية بمشروع قرار للجمعية العامة للأمم المتحدة يطالب بوقف القتال وسحب القوات المعتدية ، وأن يقدم السكرتير العام للأمم المتحدة تقريراً بذلك خلال اثنتى عشرة ساعة وقد حظى القرار بالموافقة من الجمعية العامة*.

* يقول كريستيان بينو وزير الخارجية الفرنسى : «طالبت مجموعة عدم الانحياز والمجموعة السوفياتية إسرائيل بوقف اطلاق النار الفورى ، أضعنا عدة أيام قبل أن تنزل قواتنا إلى مصر ، وكانت تلك غلطة كبيرة من جانبنا ، لقد جوبهنا مجابهة عنيفة فى الأمم المتحدة ، وأصيب ممثلنا هناك بانهيار عصبى وكان يجب استبداله، إنها بالفعل لحظات =

هكذا لعب النظام الدولى بتركيبته التى كانت قائمة فى ذلك الوقت وظهور قوة ثالثة لها صوتها المؤثر فى المحافل الدولية ؛ هى قوة عدم الانحياز التى لعبت دوراً هاماً فى تعرية الأهداف الإمبريالية التى سعت قوى الاستعمار القديم وشكل قاعدة صلبة لمساندة الدول الصغيرة وحقها فى الحرية.

ومع إعلان القوات المعتدية قبولها إيقاف القتال يوم ٦ نوفمبر ١٩٥٦ استجابة لقرارات المنظمة الدولية بدأت معركة لاتقل شراسة عن المعركة المسلحة ...**لقد كانت المعركة الجديدة ذات بعدين أساسيين:**

البعد الأول :

يرتبط بالمقاومة المسلحة التى استهدفت حرمان القوات المعتدية من امتلاك أية فرصة للراحة أو الاستقرار فى مدينة بورسعيد ، وقد حصلت بالفعل إنجازات ضخمة فى هذا المجال وسقط الشهداء وتنوعت البطولات الغير مسبوقة فى التاريخ الحديث..

أما البعد الثانى :

فقد كان مرتبطاً بالمعركة الدبلوماسية وخاصة فى الأمم المتحدة بهدف إتمام انسحاب قوات الدول المعتدية الثلاث.

فقد استأنفت الجمعية العامة للأمم المتحدة جلساتها فى السابع من نوفمبر ١٩٥٦ ، وطالب مندوب مصر فى المنظمة الدولية السفير عمر لطفى بانسحاب المعتدين ، ولكن مندوبا بريطانيا وفرنسا رفضا مشروع الإنسحاب الفورى بدعوى تخوفهما من تجدد القتال بين مصر وإسرائيل.

وتطرقت المناقشات إلى تشكيل قوة طوارئ دولية ، وتكاثفت الضغوط ، وهدد السكرتير العام للأمم المتحدة بفرض عقوبات صارمة على إسرائيل إذا لم تسحب قواتها مما دفعها للإعلان رسمياً فى الثامن من نوفمبر ١٩٥٦ اعتزامها سحب قواتها من مصر والتعاون مع قوة الطوارئ الدولية.

وبدأت المباحثات مع السلطات المصرية حول تشكيل قوة الطوارئ الدولية واعترض الرئيس عبدالناصر على اشتراك كندا فيها نظراً لعضويتها فى الكومنولث كما اعترض أيضاً على مشاركة نيوزيلاندا وباكستان نظراً لتبعية الأولى لبريطانيا وعضوية الثانية فى حلف بغداد.

= صعبة جدا . لكن فى الوقت نفسه وفى أروقة الأمم المتحدة كان البعض يقول لنا استعجلوا وتخلصوا من عبدالناصر قبل أن نقترع ـ لن أفضح أسماء.. هناك كثيرون ممن طالبونا بذلك وبصورة خاصة ممثلوا بعض الدول العربية . الحقيقة أن ناصر كان يتمتع بشعبية فى الأكواخ وليس فى السفارات العربية.

وصلت طلائع قوة الطوارئ الدولية إلى مصر يوم ١٦ نوفمبر ١٩٥٦ ومعها السكرتير العام للأمم المتحدة **داج همر شولد** للقاء الرئيس جمال عبدالناصر ، وفى ٢٣ نوفمبر ١٩٥٦ عقدت الجمعية العام للأمم المتحدة جلستها لمناقشة مشروع قرار قدمته مجموعة الدول الآفروآسيوية يطالب الدول المعتدية بالإذعان للقرارات السابقة بشأن الانسحاب، وحظى القرار بالموافقة فى ٢٤ نوفمبر ١٩٥٦ وعارضه فقط الدول الثلاث ومعها كندا وبلجيكا وامتناع عشرة دول عن التصويت.

وسعت إسرائيل للمراوغة والتملص من قرارات الأمم المتحدة أو محاولة فرض شروط فى مقابل الانسحاب ، وتكررت اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة وخاض محمود فوزى وزير الخارجية معركة كبيرة بالتنسيق مع جمال عبدالناصر حتى أتمت إسرائيل انسحابها الكامل دون أن تحصل على أى من مطالبها بإقرار مصر رسمياً بحرية المرور لسفنها فى قناة السويس ، وبعد أن كانت القوات البريطانية الفرنسية قد أتمت انسحابها فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦.

* * *

وعندما نعود اليوم بعدما يزيد على خمسين عاماً إلى معركة العدوان الثلاثى سوف نلاحظ انقساماً بين الباحثين الأكاديميين ؛ فالبعض يرى أن العنصر الأهم الذى أدى إلى وقف العدوان هو التحرك السوفيتى الذى يعبر عنه فى كل الكتابات على أنه «**الإنذار السوفيتى**» لقد أيد الاتحاد السوفتيى موقف مصر منذ بداية الأزمة لكن مع بداية العدوان بدأ صوته يخفت تدريجياً نتيجة انشغاله بالثورة المضادة له فى بودابست «المجر» ، وخشيت موسكو من تدخل الغرب فى أزمة المجر إذا ما تدخلت فى أزمة السويس ، ومن هنا أبلغ **خروشوف** السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى السيد شكرى القوتلى رئيس سوريا الذى كان يزور موسكو وقتها أنه أى خروشوف لايستطيع تقديم مساعدة حربية لمصر ، كما تم تبليغ السفير المصرى فى موسكو بنفس المعنى*.

لكن تطور الأمور وتصاعد ردود الفعل العالمية المضادة للعدوان الثلاثى دفعت موسكو لإعادة ترتيب أوراقها من جديد فسعت إلى صياغة تعاون مع واشنطن فى هذا المجال وأرسل **بولجانين** رئيس الوزراء السوفيتى برسالة إلى **أيزنهاور** فى ٥ نوفمبر ١٩٥٦ يحذر فيها من إمكانية تفجر حرب عالمية ثالثة ، وأنه لابد من التعاون لسحق العدوان.

---

* يقول كريستيان بينو وزير الرفاع الفرنسى : لقد هدد الروس الانجليز باطلاق قنبلة نووية على لندن . وعندما قابلت خروشوف بعد أشهر قال لى : بالتأكيد لم يكن مطروحاً الهجوم على لندن ، ولم أكن أعتقد أنكم أغبياء إلى حد تصديق ذلك.

وفى نفس اليوم أرسل ثلاث رسائل إلى الدول المعتدية فرنسا وبريطانيا وإسرائيل* ؛ تضمنت كلها تهديداً غير مباشراً وتحذير من تعرض هذه الدول لهجوم من دول أقوى تملك كل أنواع أسلحة الدمار الحديثة وحذرها جميعاً من العبث بمصير السلام العالمى ، كما طالب السوفيت بعقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن للنظر فى وقت القتال فوراً.

يرى الكثير من المحللين أن هذا الإنذار كان له تأثير قوى فى وقف العدوان ، ولكن البعض الآخر يرى فى الموقف الأمريكى المضاد للعدوان ، والذى أنطوى على استياء بالغ تولد لدى واشنطن من أسلوب التصرف الذى أقدم عليه إيدن ومعه فرنسا وإسرائيل حيث أعلن أيزنهاور على شاشات التليفزيون أن واشنطن عارضت منذ البداية اللجوء لاستخدام القوة ، وأنها لم تستشر من قبل المعتدين ، وأنها لن تتورط فى الصراع وستقدم مساعيها لإنهاء المشكلة سلمياً.

وبعد صدور الإنذار السوفيتى** خشى أيزنهاور من بروز الدور السوفيتى ، وكان قد تم انتخابه لفترة رئاسية ثانية فواصل ضغطه على إيدن لقبول وقف إطلاق النار ، وهدد بأنه إذا ما امتنعت بريطانيا فلن يقدم لها المساعدة لإنقاذ عملتها المترنحة ، ولن يساعد فى تمويل

*** رسالة من الماريشال بولجانين رئيس مجلس رئاسة الاتحاد السوفيتى إلى دافيد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل ١٥ نوفمبر ١٩٥٦ :**

السيد رئيس مجلس الوزراء

لقد سبق للحكومة السوفيتية أن أعلنت تصميمها على إدانة العدوان المسلح الذى قامت به إسرائيل ، وكذا المملكة المتحدة وفرنسا ضد مصر ، والذى يعتبر خرقاً صريحاً واضحاً لميثاق الأمم المتحدة ومبادئها.

ولقد أدانت الأغلبية الساحقة من دول العالم هذا العمل العدوانى ضد الدولة المصرية فى الاجتماع الاستثنائى الذى عقدته الجمعية العامة للأمم المتحدة ، كما طالبت حكومات إسرائيل والمملكة المتحدة وفرنسا بإنهاء العمليات الحربية فوراً ، وسحب القوات المعتدية من الأراضى المصرية.

لقد وصم سكان العالم ـ بازدراء تلك الأعمال الإجرامية التى قام بها المعتدون الذين فرضوا أنفسهم فرضاً على أراضى الدولة المصرية وسيادتها واستقلالها.

يقول وزير الخارجية الفرنسى « كريستيان بينو » : « تلقى ايدن اتصالا هاتفياً من ايزنهاور قال له فيه : سأسقط الجنيه الاسترلينى اذا لم تتركوا القناة بسرعة وفوراً»، ويستطرد «بينو» لقد مارست الانتخابات الأمريكية دوراً فى هذا التحرك الأمريكى ؛ يومذاك قال أيزنهاور لسفير فرنسا لدى الولايات المتحدة : « إنى رجل مقعد فى السن وأصعد على سلم يقود إلى السماء وهناك أرغب أن أتقدم إلى خالقى ويداى نظيفتان».

ويستطرد «بينو» هذه الجملة أنقلها حرفيا عن سفيرنا فى الولايات المتحدة ، أعتقد أنهم تحركوا لأسباب انتخابية نحن كنا أخبرنا الولايات المتحدة بواسطة الـ C.I.A وبالتحديد شقيق فوستر دالاس الذى كان يقود المخابرات الأمريكية فى حينه ، وقد وصل تقرير شقيق دالاس إلى الرئيس الأمريكى بعد ١٥ يوماً من العملية ، وكأن ذلك بمحض الصدفة . ما الذى يمكن قوله بعد هذا ».

**** الإنـذار السوفيتى**

« السيد دافيد بن جوريون

إن الحكومة الإسرائيلية المجرمة التى تفتقر إلى الشعور بالمسئولية ، تتلاعب الآن بأقدار العالم وبمستقبل شعبها بالذات.

شحنات البترول البديلة. هكذا يؤكد هؤلاء المحللون من الاتجاهين أن العامل الخارجى هو الذى أنقذ مصر من أن تبتلعها الدول الثلاث، فليكن أن الاتحاد السوفيتى يبحث عن دور فى الشرق الأوسط ، وأن واشنطن ترى أن الدول الثلاث قد خدعتها عندما تصرفت من وراء ظهرها ، ولكن ماذا يمكن أن يكون عليه مواقف هذه القوى الكبرى لو أن القيادة الثورية انهارت فى الساعات الأولى للعدوان ، أو أن خطة السياسيين القدامى نجحت فى تجميع الشعب وتأليبه ضد قيادته إلى حد مطالبتها بالتسليم ، هل كان من المنتظر أن تقف هذه القوى نفس المواقف التى أعلنتها فى التصدى للعدوان الثلاثى.

إن العامل الأهم من كل ذلك هو الصمود الذى أظهره الشعب المصرى فى كل المواقع، وانتفاضته ضد العدوان ، وثبات قيادته وعدم تخاذلها تحت ظروف الحملة العسكرية الشرسة التى تعرضت لها مصر برغم الفوارق الكبيرة فى موازين القوى العسكرية ، ولاشك أن الصورة التى أوضحتها فى الصفحات السابقة عن الملحمة الشعبية والثورية التى ساهمت فى التصدى للعدوان لخير تعبير عن هذا الصمود وذلك الثبات.

لقد تميزت حرب العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ بأنها الحرب التى كسبها سياسياً أحد جانبيها المتضادين(مصر)، بينما كسبها عسكرياً الجانب الآخر (إنجلترا وفرنسا وإسرائيل).

لقد كان هذا العدوان نقطة تحول فى تاريخ منطقة الشرق الأوسط والعالم العربى ، إذ أنه أنهى قبضة الاستعمار الفرنسى البريطانى على المنطقة ، وفتح المجال أمام كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى للدخول فيها كقوتين عظميين يسعيان إلى أن يرثا المستعمرين السابقين ويحققا مصالحهما الذاتية فى هذه المنطقة ذات الأهمية الاستراتيجية البالغة بكنوزها المطمورة فى باطن الأرض وما يحيط بها من مياه دافئة فضلاً عن توسطها قلب الأرض.

السيد انتونى إيدن

السيد جى موليه

ترى الحكومة السوفيتية أنها مضطرة إلى لفت نظركم إلى الحرب العدوانية التى تشنها بريطانيا وفرنسا ضد مصر والتى لها أوخم العواقب على قضية السلام.

كيف كانت بريطانيا تجد نفسها إذا ما هاجمتها دولة أكثر قوة ، تملك كل أنواع أسلحة التدمير الحديثة ؟ إن هناك دولة الآن لا يلزمها إرسال أسطول أو قوة جوية إلى سواحل بريطانيا ولكن يمكنها استخدام وسائل أخرى مثل الصواريخ. إننا مصممون على سحق المعتدين ، وإعادة السلام إلى نصابه فى الشرق الأوسط عن طريق استخدام القوة، إننا نأمل فى هذه اللحظة الحاسمة أن تأخذوا حذركم ، وتفكروا فى العواقب المترتبة على ذلك.

ماريشال بولجانين

الواقع أن أزمة السويس التى أشعلت حرب العدوان الثلاثى على مصر قد تفجرت يوم آقال الملك **حسين** ملك المملكة الأردنية الهاشمية الجنرال «**جون باجت جلوب**» من منصب رئيس هيئة أركان حرب الفيلق العربى الأردنى فى مطلع شهر مارس سنة ١٩٥٦ . وفى نفس هذا اليوم أعلن السير أنتونى إيدن رئيس الحكومة البريطانية حرباً شخصية على الرئيس جمال عبدالناصر لظنه أنه اليد المحركة لما حدث فى الأردن ، ثم راحت مشاعر العداوة والبغضاء تضطرم فى قلب إيدن ، وبلغت ذروتها عندما صرح بأن العالم لم يتسع له ولعبد الناصر ، وأن على أحدهما أن يتوارى*.

وعندما أصدر الرئيس جمال عبدالناصر قرار تأميم شركة قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ حذر إيدن دول غرب أوربا بأن ناصر أصبح يقبض على أعناقهم ، وأن الموقف أصبح يتطلب القيام بعمل حاسم ضده.

وعندما بدأ العدوان الثلاثى على مصر سجل التاريخ الدبلوماسى للنصف الثانى من القرن العشرين كدرس مستفاد منه أن السياسة ليست كعلم الحساب ، بل هى مفعمة بالخداع والحيل والمناورات التى يتطلب نجاحها مستوى رفيع من البراعة والإتقان ، وهو ما افتقرت إليه الخطة السياسية الأنجلو فرنسية لإدارة الأزمة ، فكانت أن مُنيت بالفشل السياسى الذريع ونتيجة لذلك اعتبر العدوان الثلاثى نذيراً واقعياً لما ينتظره أمثاله من مغامرات سيئة التحضير والتنفيذ على حد سواء ؛ نظرا لما انتهى إليه العدوان من فشل سياسى كان من ضمن عواقبه سقوط حكومة إيدن قبل مضى شهرين على العدوان ، ثم سقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة فى منتصف عام ١٩٥٧ .

ولم يعد الغرب بعد هذه المغامرة الفاشلة التى انتهجت شريعة الغاب وضربت بالقانون الدولى عرض الحائط ؛ أهلا لثقة أحد من دول العالم الثالث الذى رفض مزاعمه بأنه يمثل تطلعات بنى الإنسان إلى عالم تسوده العدالة وتحكمه قوانين الشرعية الدولية.

وبالمقابل استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى بمناصرتهما - ولو ظاهرياً - لضحية العدوان أن ينفذا إلى منطقة الشرق الأوسط تلك المنطقة التى كان قياصرة روسيا يحلمون بالوصول إلى مياهها الدافئة ، مثلما هى أيضاً مطمع للولايات المتحدة الأمريكية التى تتطلع إلى وراثة المركز الأوروبى الغربى فى تلك المنطقة.

ترتب على نجاح مصر فى إدارة أزمة قناة السويس من الناحية السياسية أن ارتفع رصيدها من كم التقدير والإعجاب بين دول العالم الثالث ، ودول أمريكا اللاتينية التى اتخذت مصر

---

* جريدة الصنداى تايمز ٤ سبتمبر ١٩٥٦ .

مثلا يُحتذى لما يمكن أن تفعله الشعوب المقهورة والمغلوبة على أمرها عندما تصر على التحرر من قبضة الاستعمار، وتحرير إرادتها الوطنية، وسرعان ما اشتعلت حركات التحرر الوطنى فى معظم قارات العالم فعجلت بسقوط النظم الحاكمة الممالئة للاستعمار الغربى بدءاً من العراق الذى خرج من حلف بغداد فحرم الحلف من اسمه بما اضطر سدنته إلى أن يغيروا اسمه إلى الحلف المركزى بعد أن انتقلت بغداد نفسها إلى المعسكر المضاد.

وبذلك تم رسم كثير من الملامح الجديدة على الخريطة السياسية لعالم ما بعد العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦.

وبالنسبة لمصر كان هذا العدوان دافعاً لها إلى تركيز جهودها لاستكمال استقلالها الوطنى وتحرير إرادتها وتنمية اقتصادها بتمصيره كخطوة أولى بالإضافة إلى التوحد مع العالم الذى تنتمى إليه والذى هو فى نفس الوقت يكن لمصر مشاعر الإعجاب بوقفتها الصلبة فى وجه دولتين كبيرتين دون أن تبدى إزاءهما خشية أو تخاذل؛ بل فعّلت إرادتها الحرة فى اتخاذ القرارات التى تفرضها عليها هذه الإرادة ما قابلته من مواقف.

كما أنه بفضل هذه الوقفة المصرية اكتشف شعب مصر مصادر قوته الذاتية وطاقاته الكامنة بما أقنع الدول الصغيرة بأنها تستطيع أن تواجه وتتحدى أعتى الإمبراطوريات، وأن تتصدى لأشد المخاطر والتهديدات لتبلغ أمانيها الوطنية المتشددة، فلو أن الشعب المصرى كان قد تردد أو أظهر تخاذلا فى مواجهة الزحف الإسرائيلى والغزو الأنجلو فرنسى، لما كانت هناك جدوى من أى شئ، لا من حنكة إدارة الرئيس جمال عبدالناصر للأزمة، ولا من تضامن الشعب العربى والحكومات العربية، ولا من تعاطف الشعوب الأفروآسيوية، ولا من مؤازرة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ولا من دفع الولايات المتحدة الأمريكية لاتخاذ موقف منحاز ضد العدوان - حتى إن كان على غير رغبتها الحقيقية - ولا من الإنذار السوفيتى أو الخطابات التى بعثت بها القيادة السوفيتية لرؤساء دول العدوان الثلاثى.

وإلى جانب الموقف المصرى برز الموقف العربى فى أفضل صور تكاتفه لدعم وجهة نظر مصر، وليؤكد قدرة العالم العربى على التأثير فى مجريات الأمور ووعيه بحقائق الارتباط بالجماهير التى يعود إليها الفضل فيما تحقق من مكاسب، وما نزل بالأعداء من هزائم وخسائر عسكرية واقتصادية وسياسية جسيمة.

أما فى الغرب فقد تسبب العدوان الثلاثى فى أفول نجم إمبراطوريتين استعماريتين كبيرتين ؛ إذ تحولت بعده كل من بريطانيا وفرنسا إلى دولتين تجاريتين ، وانتهى عصرهما الإمبراطورى بينما صعد نجم قوة جديدة ، هى الولايات المتحدة الأمريكية التى برز وجودها ودورها إبان الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، ثم أتاحت لها أزمة السويس مسرحاً جديداً نفذت من خلاله إلى منطقة الشرق الأوسط وغيرها من المناطق المتوترة*.

كما خرج الاتحاد السوفيتى بفضل العدوان الثلاثى على مصر من عزلة عصر «جوزيف ستالين» ليمارس دوراً نشيطاً بعد أن تمكن من القفز عبر الحزام الشمالى إلى الشرق الأوسط ليصل إلى مياهه الدافئة . كما لم تعد المواجهة بينه وبين الولايات المتحدة تدور من وراء الستار الحديدى ومتاريس الكتلة الشرقية ، وإنما صارت صراعاً محتدماً وشديد السخونة، تلك السخونة التى أذابت ثلوج الحرب الباردة بوقائعها المتتالية التى تداخلت دينانيتها، وتنوعت أهدافها وأساليبها ؛ فشملت العالم الثالث مع تركيز خاص على الشرق الأوسط والوطن العربى ، الذى أصبح المنطقة الحرجة فى المواجهة الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية بين الكتلتين الغربية والشرقية.

أما بالنسبة لأطراف التواطؤ الثلاثى فقد كانت بريطانيا هى التى نزلت بها أفدح الخسائر لعدة أسباب:

أولاً : أثار التواطؤ جدلا سياسياً صاخباً بين الأحزاب السياسية وطوائف الشعب البريطانى انقسم بسببه الرأى العام العالمى إلى أقسام متناوئة أفسدت التجانس القومى ، وأشعلت نيران العداوة والبغضاء بين الجماهير ، ثم أُسقطت حكومة أنتونى إيدن فى يناير سنة ١٩٥٧ .

---

* يقول «**باتريس جلينيتا**» مدير ندوة بثها راديو فرنسا الدولى حول حرب السويس عام ١٩٨٧ : «كانت الحلقة فى هذه القضية ـ حرب السويس ـ تتصل بدور واشنطن ؛ لقد اعتقدت الحكومتان الفرنسية والبريطانية أن بوسعهما الاعتماد على وزير الخارجية الأمريكى جون فوستر دالاس المعروف برجل الحرب الباردة ـ وقد التقى به وزير الخارجية الفرنسية فى لندن فى أول أغسطس ولاحظ أن الموقف الأمريكى بارد. علما بأن الولايات المتحدة وبريطانيا قررتا بعد تأميم قناة السويس العمل ضد ناصر ، ولم يكن واردا لهما إشراك اسرائيل ، بل التحرك فى إطار ما يعرف بالحلف الأطلسى.

ـ ويقول « **لوى مونجان**» مستشار وزير الدفاع الفرنسى : « بداية كانوا ـ الأمريكان ـ يدفعون الفرنسيين والبريطانيين للقيام بعمل عسكرى ، وفيما بعد حملوا القضية إلى الأمم المتحدة عندما بدأنا التحضير للعمليات بدون الأمريكان ، طبعاً لم يقل دالاس لا ولم يرفض».

ـ ويقول وزير الخارجية الفرنسى : « قال لى شخص أمريكى رفيع المستوى ولن أذكر اسمه : إن سياسة دالاس تقضى بإزاحة الفرنسيين والإنجليز من كل النقاط الاستراتيجية فى العالم وتمثيل الأمريكان فيها ، كان الأمريكان يتحدثون عن التفاوض لكن دون اندفاع كبير، كنا نحن أيضاً نجرى مفاوضات ، ولكن هم كانت لهم مفاوضات من جانب آخر ـ يقصد مفاوضات مع الجانب المصرى..».

ثانياً : فقدت بريطانيا احترام الرأى العام العالمى ، وأدانت الأمم المتحدة عدوان بريطانيا على مصر ، وأجبرتها على إيقافه ، وسحب قواتها المسلحة من مسرحه.

ثالثاً : خسرت بريطانيا قاعدتها العسكرية الضخمة فى قناة السويس ، وكل ما كانت تحتوى عليه من أسلحة وعتاد وذخائر.

رابعاً : تدهور مركز بريطانيا السياسى والأدبى ، كما استحكمت أزمتها الاقتصادية بتدهور قيمة الجنيه الاسترلينى بالقدر الذى دفع الحكومة إلى الإلحاح على الولايات المتحدة الأمريكية لإقراضها مبالغ ضخمة لتنقذ اقتصادها المنهار من الإفلاس.

خامساً : زادت الأعباء المالية والإدارية على الجهاز الحكومى بالقدر الذى دفعه إلى تقليص وجوده فى منطقة الشرق الأوسط وجنوب آسيا فيما عرف باسم « سياسة شرق السويس »*.

أما فرنسا فقد كان الموقف بالنسبة لها كاللآتى :

ـ فقدت ممتلكاتها ونفوذها فى مصر والعالم العربى بما اضطرها إلى الجلاء عن الجزائر وتونس والمغرب ، كما فقدت مستعمراتها فى إفريقيا بجلائها عن غرب إفريقيا الفرنسية وعن إفريقيا الاستوائية.

ـ سقطت الإمبراطورية الفرنسية الرابعة نتيجة الأحداث الدامية التى وقعت فى الجزائر وقيام مجموعة من الجنرالات الفرنسيين بشق عصا الطاعة على الحكومة الشرعية ؛ مما ترتب عليه عودة **الجنرال ديجول** لتولى السلطة فى الجمهورية الفرنسية الخامسة التى انتهجت سياسة منح المستعمرات الفرنسية استقلالها.

ـ اضطرت فرنسا إلى البحث عن وسيلة جديدة للاحتفاظ باستقلال قرارها السياسى كدرس مستفاد من العدوان الثلاثى الذى نال من حريتها فى إدارة الأزمات وفق المصالح الوطنية الفرنسية ، وهكذا ولدت قوة الضرب الفرنسية المستقلة التى دخلت بها فرنسا النادى النووى ،وهو الدرس الذى استوعبته الصين بعدها فسعت بدورها إلى دخول هذا النادى لكى تصبح قوة عظمى مكتملة الأركان بإمكاناتها الذاتية .

---

* راجع كتاب الوزير البريطانى سيلوين لويد ص (٢٣١ ـ ٢٣٣) SUEZ 1956

وبالنسبة لإسرائيل :

فقد أحدثت حرب العدوان الثلاثى على مصر تحولات مهمة فى سياستها الخارجية ، إذ سعت بدورها إلى زيادة ارتباطها بالولايات المتحدة الأمريكية وإلى ربط مصالحها الذاتية بتلك الدولة العظمى ، وقد كان هذا بمثابة بدء ممارسة إسرائيل لدور الشرطى المحلى بالمنطقة ، وهو نفس النموذج الذى تكرر فى بعض دول آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية ، وإن بقيت لإسرائيل المكانة المتميزة لكونها الشرطى النووى الأوحد بين أقرانها ، وذلك لأول مرة فى تاريخ هذا النوع من الشرطة.

كما خرجت إسرائيل ببعض المكاسب السياسية والعسكرية أهمها مايلى:

- هزيمة الجيش المصرى وتدمير جزء كبير من سلاحه الشرقى ، وما ترتب على ذلك من اكتساب قواتها المسلحة مكانة عسكرية عالمية ، ورفعت من معنوياتها ومعنويات الشعب اليهودى ، كما وثقت ارتباطات الجاليات اليهودية بدولة إسرائيل ، وزادت من تدفق التبرعات والهبات المادية والعينية عليها.

- نفذت إسرائيل إلى الترسانة العسكرية الفرنسية حيث حصلت منها ، وبشروط ميسرة، على نوعيات من الطائرات الحربية النفاثة الأسرع من الصوت ، وأنواع متطورة من الدبابات والمجنزرات ، علاوة على حصولها على مفاعل نووى فرنسى أهلها للدخول كعضو فى النادى النووى الدولى ، وكان مهندس هذه العمليات هو «**شيمون بيريس**».

- حققت إسرائيل حرية الملاحة فى خليج العقبة لسفنها الحربية والتجارية ، كما ربطت ميناء إيلات بالطرق البحرية التجارية العالمية(*).

وفيما يتعلق بآثار ونتائج حرب العدوان الثلاثى فى المجال الدولى:

- فقد كانت تلك الحرب بمثابة فصل الختام للحروب الاستعمارية ، وناهية لدبلوماسية مدفع السفينة ، كما أنها أكدت استحالة اشتعال حروب نووية ، وانتهاج الدول لاستراتيجية الدمار الشامل المتبادل ، إذ كان العدوان الثلاثى هو لحظة اليقظة لعودة العالم إلى ممارسة استراتيجية الرد المرن على نحو ما أكدته أحداث أزمة الصواريخ فى كوبا بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية بعد سنوات خمسة من عدوان خريف ١٩٥٦ على مصر.

(*) راجع كتاب موشى ديان : «DIARY OF SINAI . NEW YORK 1966. P 204»

- لم تكن حرب العدوان الثلاثى على مصر علامة بارزة فحسب فى سجل تخلص حركات التحرير الإفريقى من الاستعمار، بل كانت المعول الذى حطم بقايا هياكل الإمبراطوريات الاستعمارية فى الكثير من أنحاء العالم.

- اقتنعت الكثير من الدول بأن التدخل المباشر السافر ضد الآخرين ينطوى على مخاطر جسيمة بينما يستطيع العمل غير المباشر أن يحقق الأهداف المنشودة بتكلفة أقل وزمن أسرع الذى تسبب فى استفحال دور سياسات الانقلاب من الداخل وشن الحروب الاقتصادية والنفسية والتخريبية على نحو ما حدث فى موزمبيق ونيكاراجوا، وفى كثير من الدول التى اكتوت بنيران المؤامرات التى مزقت نسيجها الوطنى.

يبقى الطرف الذى وقع عليه العدوان وهو مصر التى استطاعت أن تحقق نصراً سياسياً ضخماً بفضل ما أبدته من براعة فى إدارة الأزمة، وحجب الهزيمة العسكرية التى ترتبت على نجاح الضربة الجوية الأنجلو فرنسسية من تحطيم القوة الجوية والمطارات المصرية خلال ليلة ٣١ أكتوبر/ ١ نوفمبر ١٩٥٦، والاستيلاء على كل شبه جزيرة سيناء فيما لم يتجاوز الأسبوع، ثم نزول القوات الأنجلو فرنسية إلى شاطئ بورسعيد دون مقاومة تذكر.

وقد ساعد **الرئيس جمال عبدالناصر** على تحقيق ذلك النصر السياسى العظيم وقفة شعب مصر صفاً واحداً وراء زعامته وتضامن الأمة والشعب العربى معه، كذلك تعاطف الرأى العام العالمى ومؤازرة الاتحاد السوفيتى، ودعم الأمم المتحدة لوجهة نظر مصر، هذا علاوة على الدور الذى مثلته واشنطن للتغطية على موقفها الحقيقى من علمها بما كان يدبر وسكوتها أو تعاميها إما لتؤيد بعد نجاح العدوان فى حالة نجاحه أو لاتخاذ دور المنقذ فى حالة الفشل للمعسكر الغربى الإسرائيلى، وأنا شخصياً أميل إلى الرأى الأخير وشواهده موجودة وتنشر هذه الأيام فى الوثائق المفرج عنها بعد حوالى خمسين عاماً على هذه الأحداث.

كما حققت مصر المزيد من المكاسب كان من أهمها:

١- إنهاء مشكلة تأميم شركة قناة السويس بما حفظ لمصر كل حقوقها المشروعة بما فى ذلك المرفق الحيوى والشريان البحرى المهم، وفرض كامل هيمنة مصر عليه.

٢- إلغاء المعاهدة المصرية البريطانية وتحطيم آخر الأغلال التى كانت تقيد حرية مصر وتربطها بالاستعمار الغربى، وتفقدها جزء من ملكية ترابها الوطنى ليقيم عليه هذا الاستعمار قواعده العسكرية.

٣- استيلاء مصر على القاعدة العسكرية البريطانية على ضفتى قناة السويس بكل ما تحويه من أسلحة ومعدات وذخائر ضخمة.

٤ـ تمصير الاقتصاد المصرى ، وإنهاء عهد الاحتكارات الأجنبية فى مصر ، وتحرير الإرادة المصرية واستكمال مقومات الاستقلال الوطنى التام.

٥ـ إعلاء شأن مصر إقليمياً ودولياً ، وتبوئها مركز الصدارة عن جدارة لريادة الوطن بصفة خاصة ودول العالم الثالث المتطلعة إلى الحرية والاستقلال بشكل عام.

٦ـ أصبحت القومية العربية حقيقة على أرض الواقع وليس كشعار تنادى به الأمة العربية.

٧ـ بتأميم الرئيس جمال عبدالناصر لشركة قناة السويس سنة ١٩٥٦ وفتح بنك لمصر يدر عليها أرباحاً تزداد وتتضاعف سنوياً على مر الزمن ، بمعدل نمو ٦٪ سنوياً لقد كان دخل قناة السويس سنة ١٩٥٥ ، ٣٥ مليون جنيهاً مصرياً ؛ أى ١٠٠ مليون دولار سنوياً ـ وفقاً لقيمة الجنية المصرى آنذاك ـ كانت مصر تتقاضى منها مليون جنيه فقط أى ثلاثة ملايين دولار سنوياً ، وفى عام ١٩٩٦ أصبح دخل القناة خمسة ملايين دولار يومياً أى حوالى ١٧ مليون جنيه ، ووصلت سنة ٢٠٠٤ إلى ما يقرب من ثلاثة مليارات من الدولارات سنوياً أى مايوازى حوالى عشرين مليار جنيه سنوياً . وبذلك أصبح الرئيس جمال عبدالناصر مشاركاً مشاركة فعلية وعملية فى تنمية مصر حتى بعد رحيله عن عالمنا.

وأخيراً فلقد كان هذا النصر السياسى الذى حققته مصر هو الباعث لجيل الخمسينات والستينيات فى العالم العربى إلى حمل مسئولية الانتقال العظيم من عهد الاستعمار الامبريالى والخضوع للسيطرة الأجنبية ، إلى عصر الاستقلال والتحرر الوطنى غير المقيد بالمواثيق والمعاهدات التى تحد من تقدمه.

ولقد كان هذا الجيل هو الذى حمل مشعل النضال لتندفع خلفه أمة بأسرها فى مواجهة عارمة ورافضة لمناورات العمالقة فى عصر العمالقة ، ولتفرض تغييرات جوهرية وجذرية فى العلاقات الدولية لتبدأ بها صفحة جديدة من النظام الدولى فى عالم ما بعد العدوان الثلاثى على مصر.

* * *

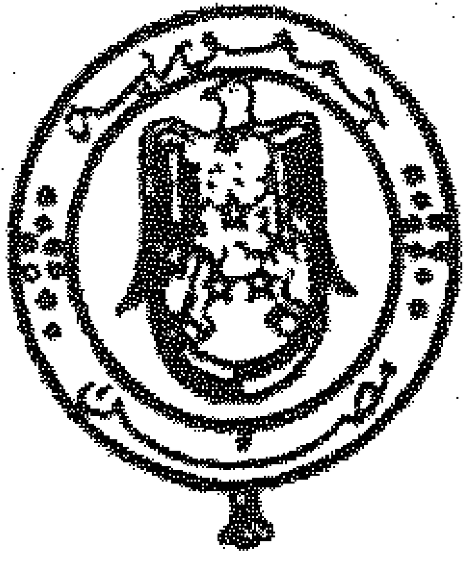
ملحق الوثائق

رسائل الرئيس جمال عبد الناصر لصديق عمره المستشار حسن النشار

(راجع الكتاب ص ٥٦ وما بعدها)

صورة من رسالة الكاتب الصحفي محمد التابعي للرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٦٢

(راجع الكتاب ص ١٠١ - ١٠٢)



الرئيس

حاتم

- وضع الاذاعه الموجهه فيه عيب
لانه سماعها في الخارج ليس كما
وعدت به لك.
- يجب العمل على تقويه المحطات
المتوسطه الحاليه
- يجب زياده عدد المحطات
القصيره بمحطات قويه

ملاحظات الرئيس جمال عبد الناصر للدكتور عبد القادر حاتم وزير الاعلام
واهتمامه بالاذاعة خاصة الموجات المتوسطة والقصيرة



الرئيس

ثروت عكاشة

فيلم (It is a wonderful life)

كتاب الرئيس جمال عبد الناصر إلى الدكتور ثروت عكاشه

واهتمامه بالثقافة لانتاج فيلم مقتبس من قصة (It is a Wonderful Life)

مدير الثقافة

هناك بالذات كثير للعمل

ونكتفي [illegible] أن نذكر [illegible]

معينة.

[illegible] :

على مستوى كامل

[illegible] للتوزيع

الإكثار من [illegible]

[illegible] الأدب

[illegible] الجيب ..

[illegible]

الإكثار من [illegible] الأطفال

[illegible] والاستقلال

من الثقافة العربية

[illegible] :

الأدباء

روايات [illegible]

[illegible]

ترجمة سلاسل الأدب

العالمية

المسرح :

[illegible]

[illegible] المسرح

السينما :

تشجيع قصص للسينما

[illegible]

بخط يد الرئيس جمال عبد الناصر تخطيط شامل موجهة للدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة والدكتور عبد القادر حاتم للاهتمام بجميع مجالات الثقافة و بدار الكتب و المسرح و السينما =

وزارة الثقافة والإرشاد القومي :-

١ - بناء دار للكتب عربية في القاهرة والإسكندرية وأسوان تضم جميع العلوم والمترجم لجذب الناس إلى أركانها والإطلاع ويفضل توضيح دور الكتب العامة بعواصم المديريات وعواصم المراكز .

٢ - بحث إقامة دور كتب ومراكز ثقافية في عواصم المراكز .

٣ - بحث بناء دار للسينما في كل عاصمة مديرية تعطى لشعب حقه مشاهدتها [redacted] أفلام على الأقل ..

٤ - حماية السينما - الصناعة - بتشجيع رجال الفن - للإنتاج الأفلام بصورة عربية - وعربية - بالأفلام التي تمجد الشعب أن يكون الأفلام العربية الأفلام التاريخية البطولية أو الخالية (?) لناحية الإنتاجية - أو الدينية - وكل ما يتعلق بالأفلام العربية التي تمجد الدولة الموسيقية والوطنية الإسلامية

= والموسيقى والمكتبات العامة على مستوى المحافظات والمديريات والقرى والاهتمام بتطوير مساكن القرى والبدء بالقرى المحيطة بالقاهرة والأسكندرية وأسوان والأقصر .....

كما يجب أن نهتم استثنائي بعض بيانات
مراكز الصحة في القاهرة والأخصى
بالاستشارية والأخصى بمستشفى
وحلب ونشأة للمرحلة الأولى
التي يصلح - المرحلة الأولى -
ولمن يرغب في استقبال مستشفيات درجة
أولى في بيوت لذلك -
ان الاتفاق مع مطالب الناس -
ويجب أن يكون لمستوى خطة
لجنة مستشفيات للإنتاج والتوزيع

- يجب أن نهتم لهذه الإرشاد خطة لجنة
مستشفيات الخ لباقي المستشفيات
في التخصص والمجموعات الفنية للوقاية؟
والأمراض الخ —

- يجب أن نهتم لهذه الإرشاد خطة لجنة
مستشفيات للصحة والعلاجية والعطاء
التي تمثل - والمراكز - وغيرها جميعاً

- كذلك خطة للتعليم والبحوث

- كذلك خطة للتعليم والآلية والروايات
التي ستمثل

كذلك خطة لنشر مكان الثقافة
وضم الكتب الخ —

وجانب أن يكون بلده سيرد مقصد الثقافة
ينبغي كذلك أن يكون بيننا تعطلات تكريم
سنوي — وجوائز تشجيعية — ومكافآت
عالية — ومسابقات دائمة —
وتشجيع/ رحلات أبناء الأقطار العربية إلى
أن تهتم — أو الدرس — بناء على

وتحقيق هذه يكون بعمل علمي يلي هذا
كتب العلم كنز العلماء
تنال السياسة — الاستقلال بعد صعب
المستقبل — تكون الثقافة —
سبيل الخدمة —
على أن يكون ذلك في
مسالم الكمال —

العرض:
مشروع لدراسة بناء الفرق في مختلف ما
البيئة بالقرية المحلية بالقاهرة —
والمحلية بالإسكندرية — وأسوان
في الدلتا —
يمكن إعطاء الفرق إعانة لتطوير
من الحكومة —
مشكلة الفرقة — كيف نتحكم على
أن يكون لها ما يلزم —

بيان مرتب الرئيس جمال عبد الناصر في الفترة من :

١/ ١/ ١٩٦٨ حتى ٣١/ ١٢/ ١٩٦٨

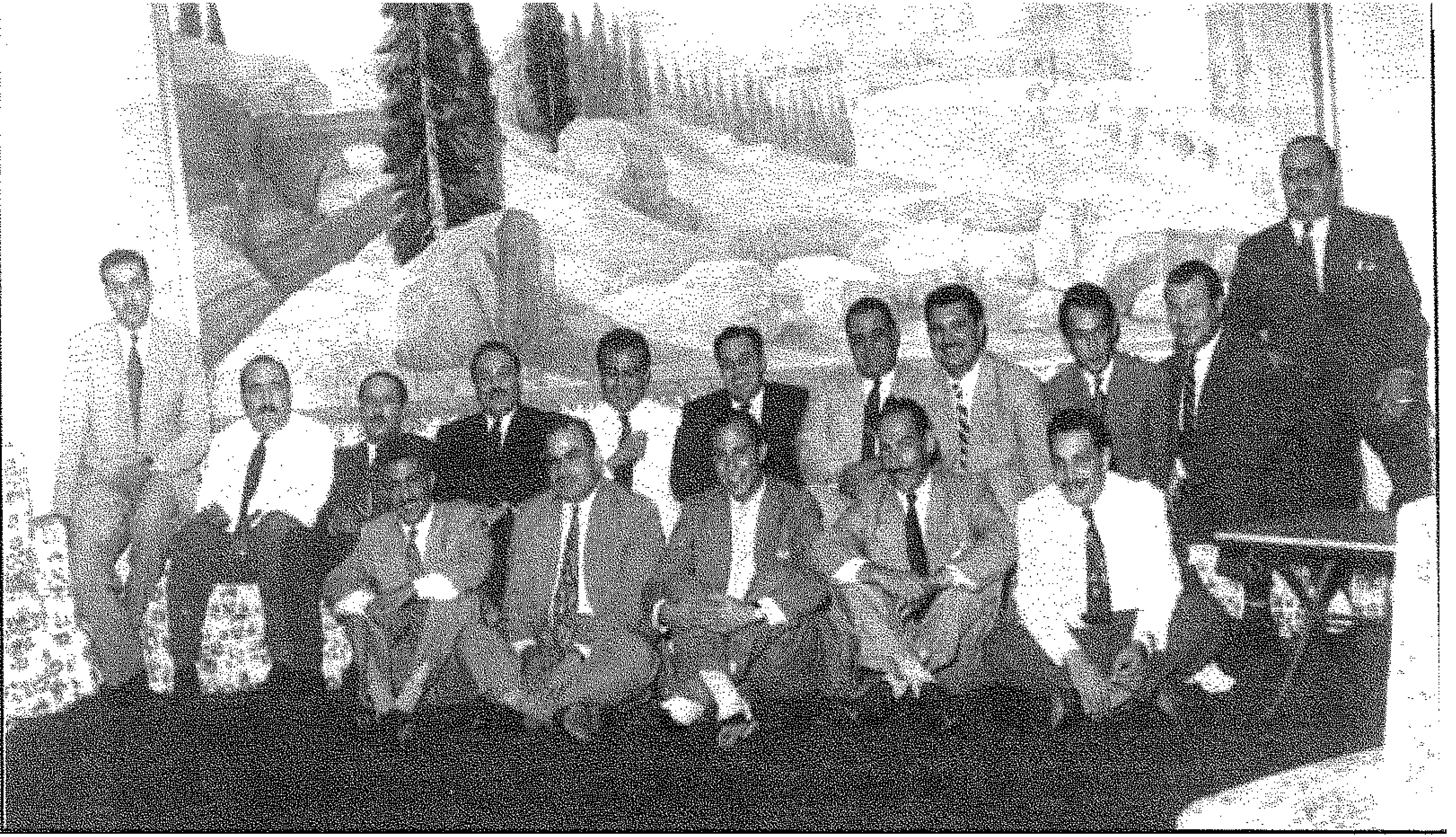
ملحق الصـور



بداية العمل السياسي



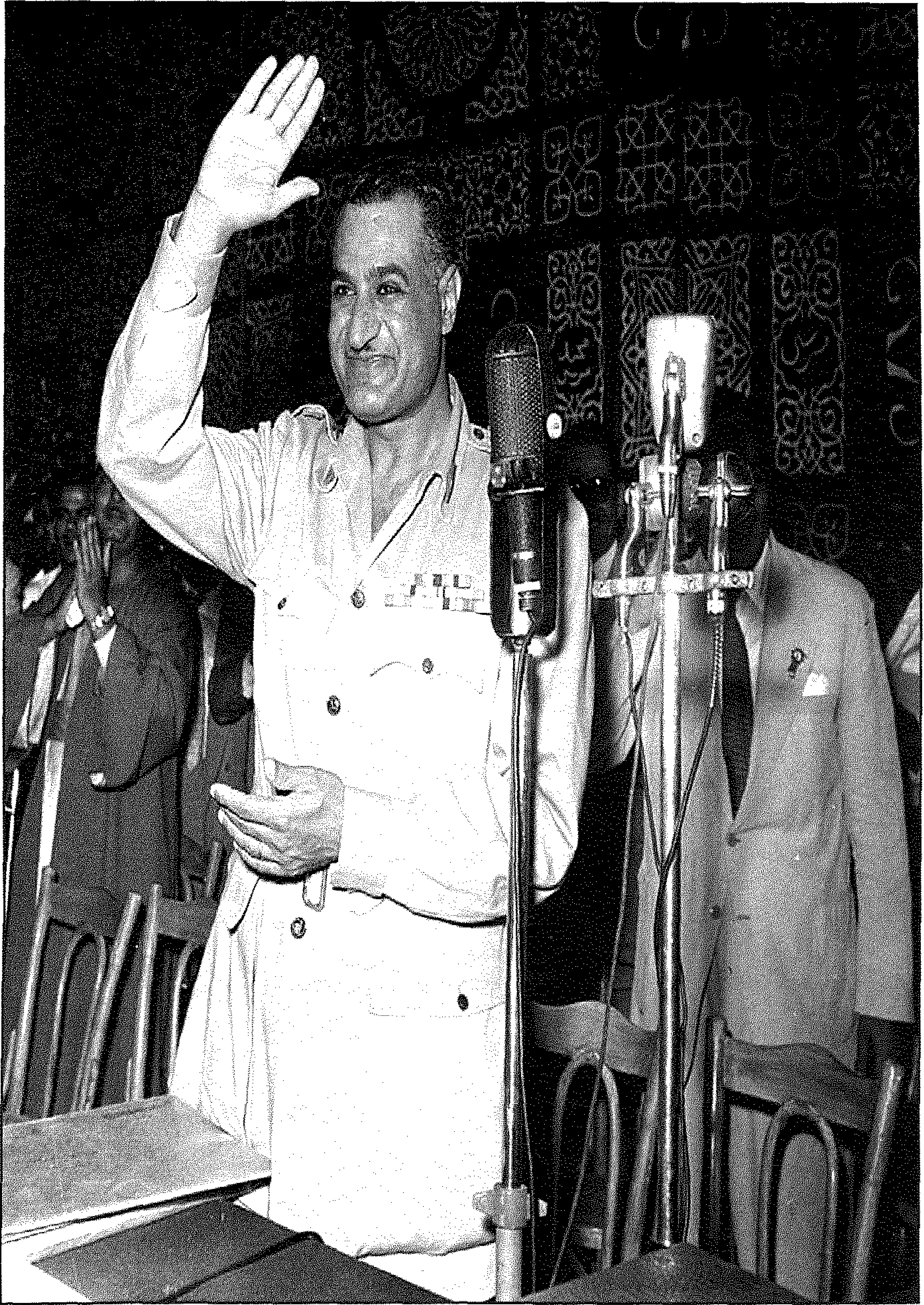
في ٢٦ يوليو ١٩٥٢وردت إشارة عاجلة من إدارة المخابرات الحربية بضرورة التوجه إلى مصلحة التليفونات والتلغراف لمراقبة البرقيات الصادرة والواردة للمراسلين الأجانب باعتبار اني أجيد الانجليزية والفرنسية (راجع الفصل الثالث)



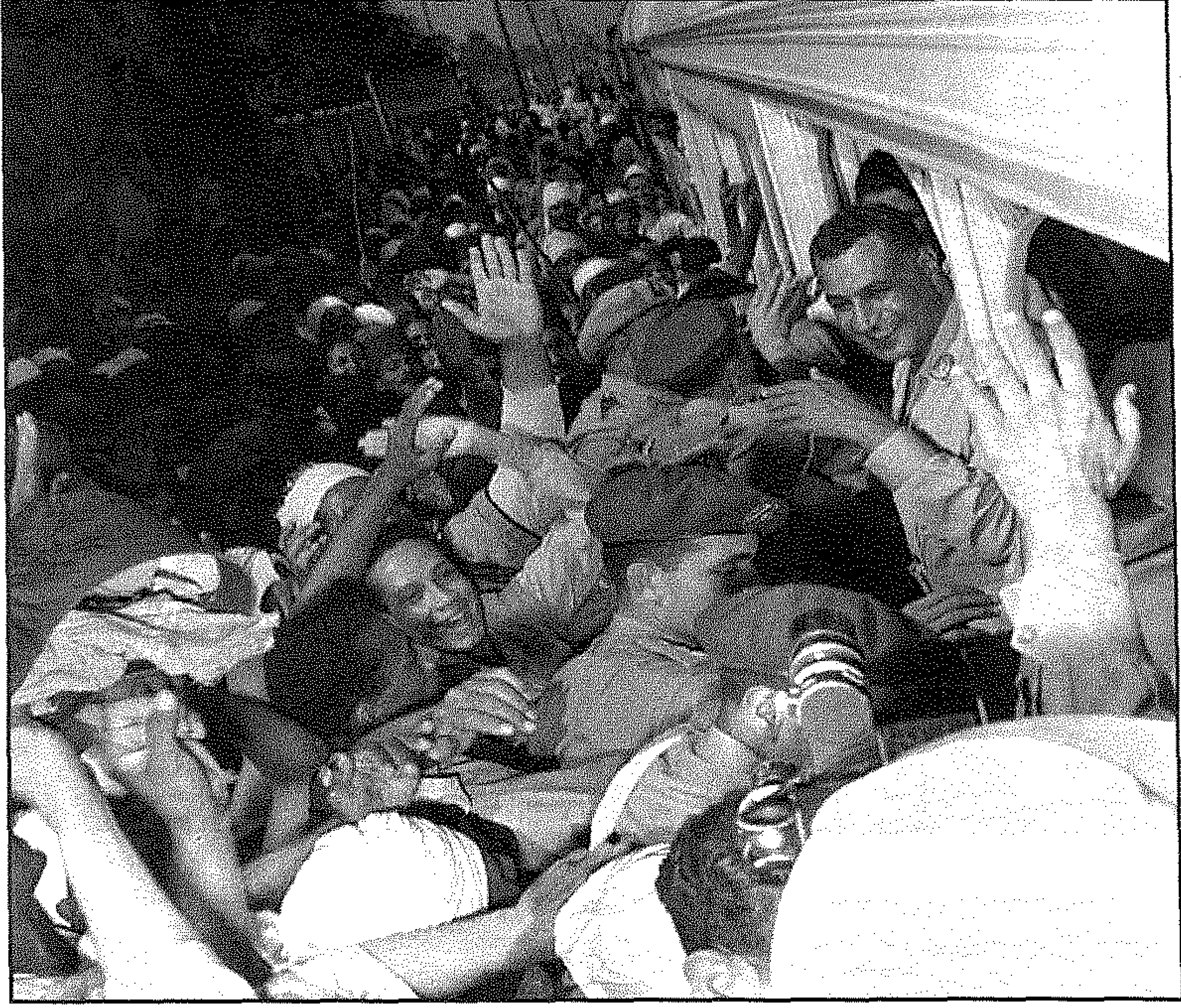
نادي القوات المسلحة بالزمالك ١٩٥٢ .. سامي شرف في اليمين مع باقي مؤسسي جهاز المخابرات العامة



سامي شرف بالمنتزة .. في لحظات محدودة من العام لقضاء أجازة سنوية يتخللها متابعات واجتماعات للعمل مع الرئيس جمال عبد الناصر



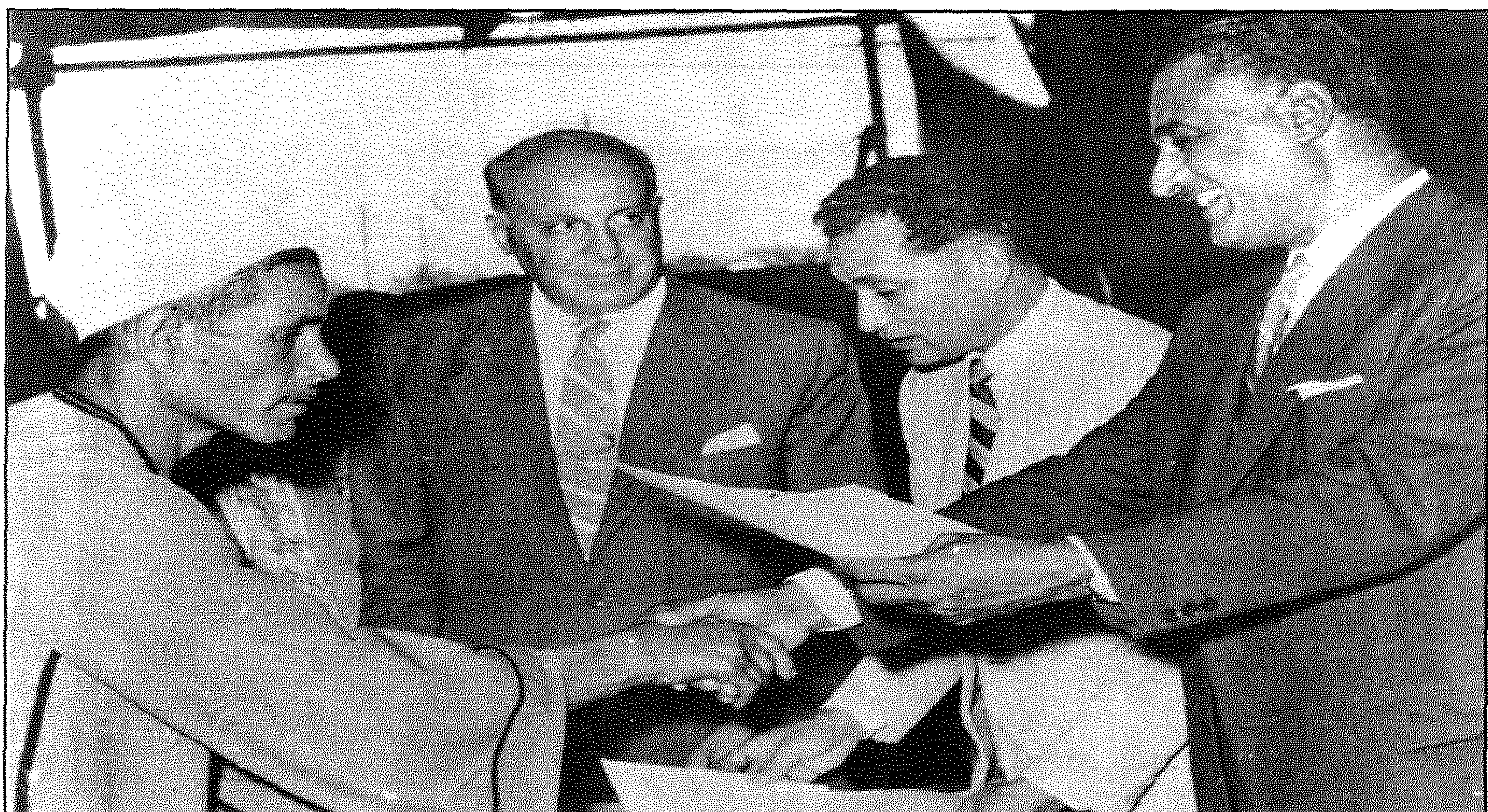
أوائل أيام الثورة .. حرص جمال عبد الناصر على الالتحام بالطبقات الكادحة ليحقق طموحاتها



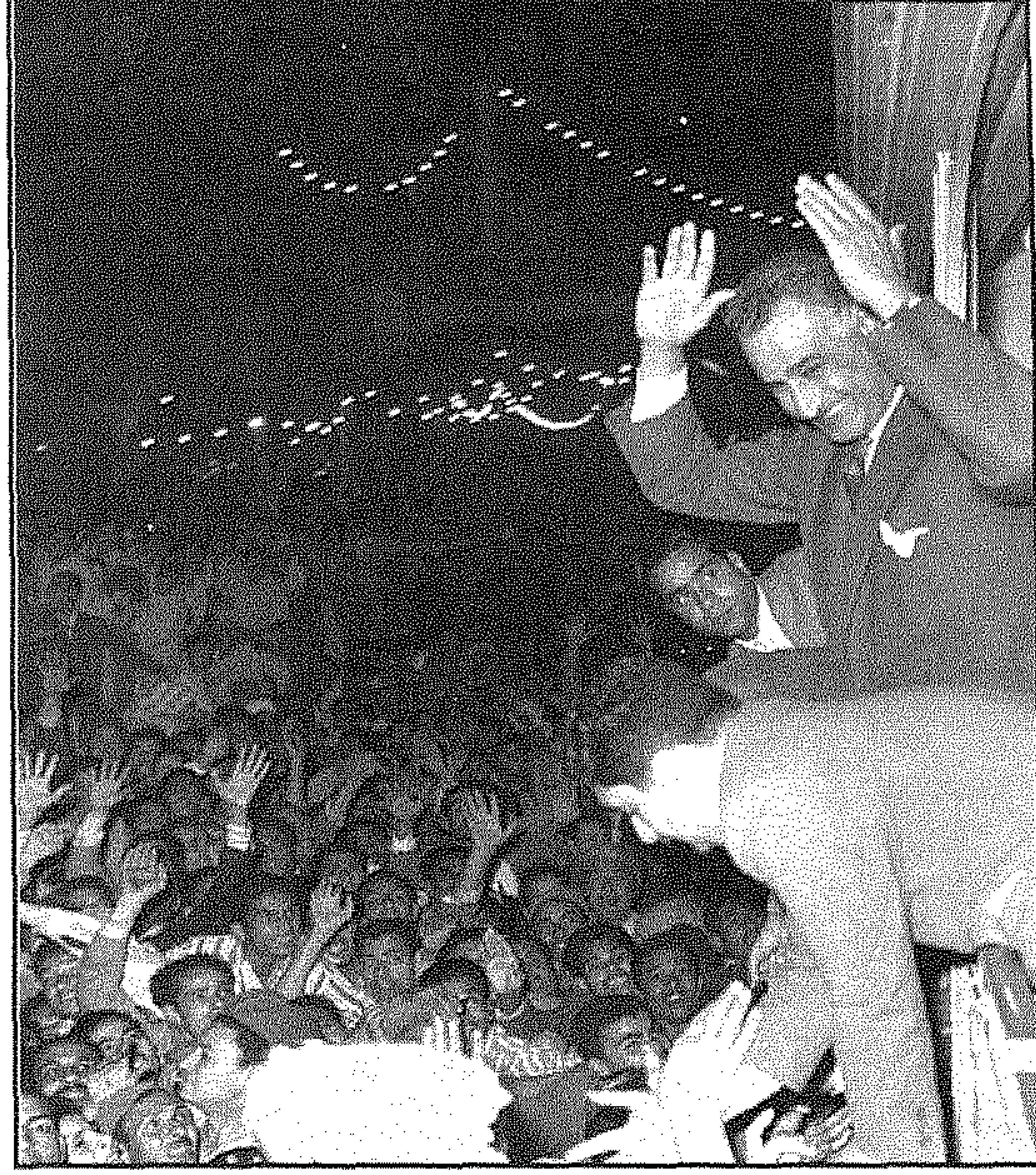


فالتف حولهم .. وحقق آمالهم .. فرفعوه فوق أعناقهم .. و وضعوه في قلوبهم





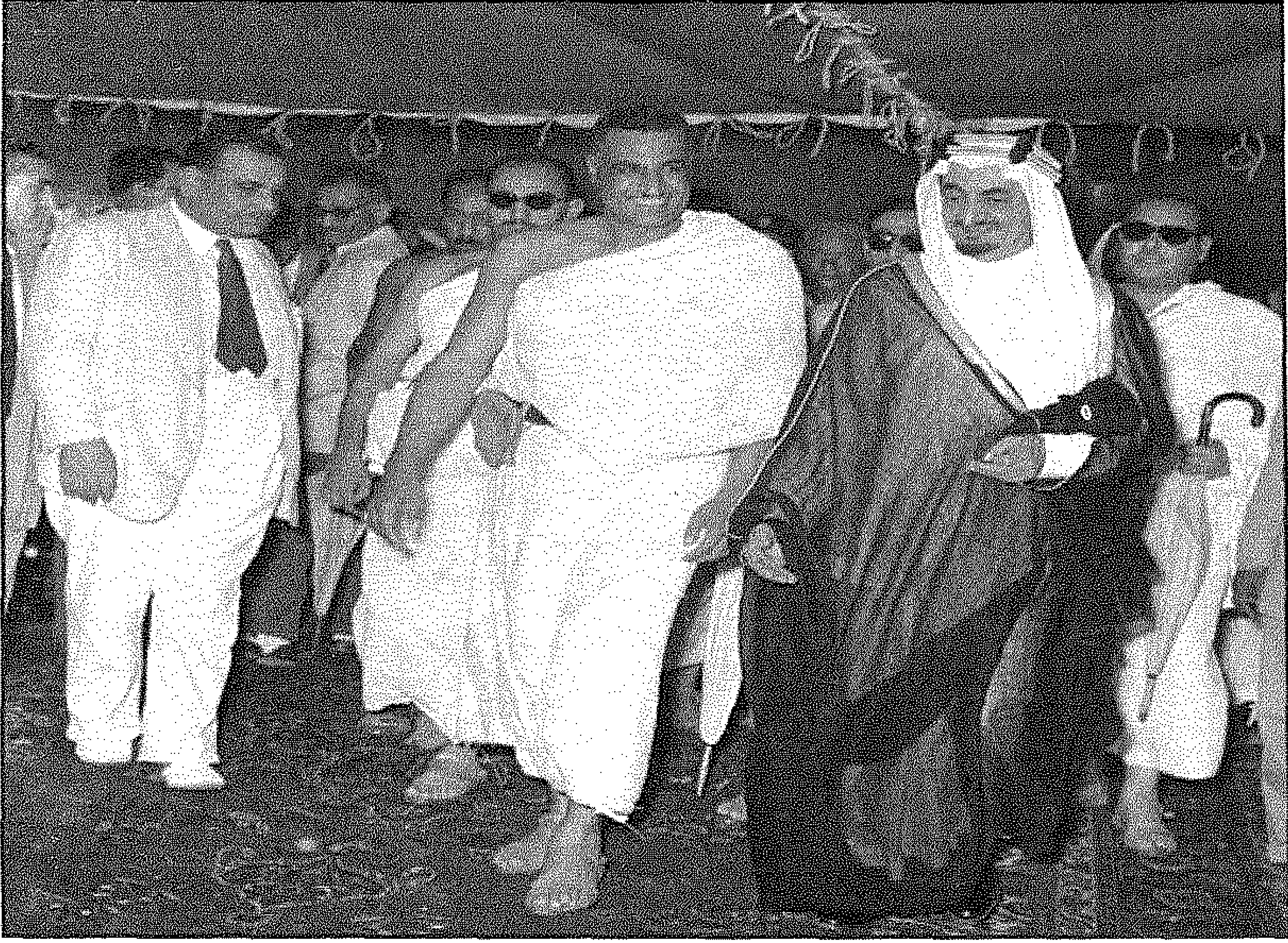
العمال والفلاحون والكادحون وعمال التراحيل هم أبناء جمال عبد الناصر المخلصون



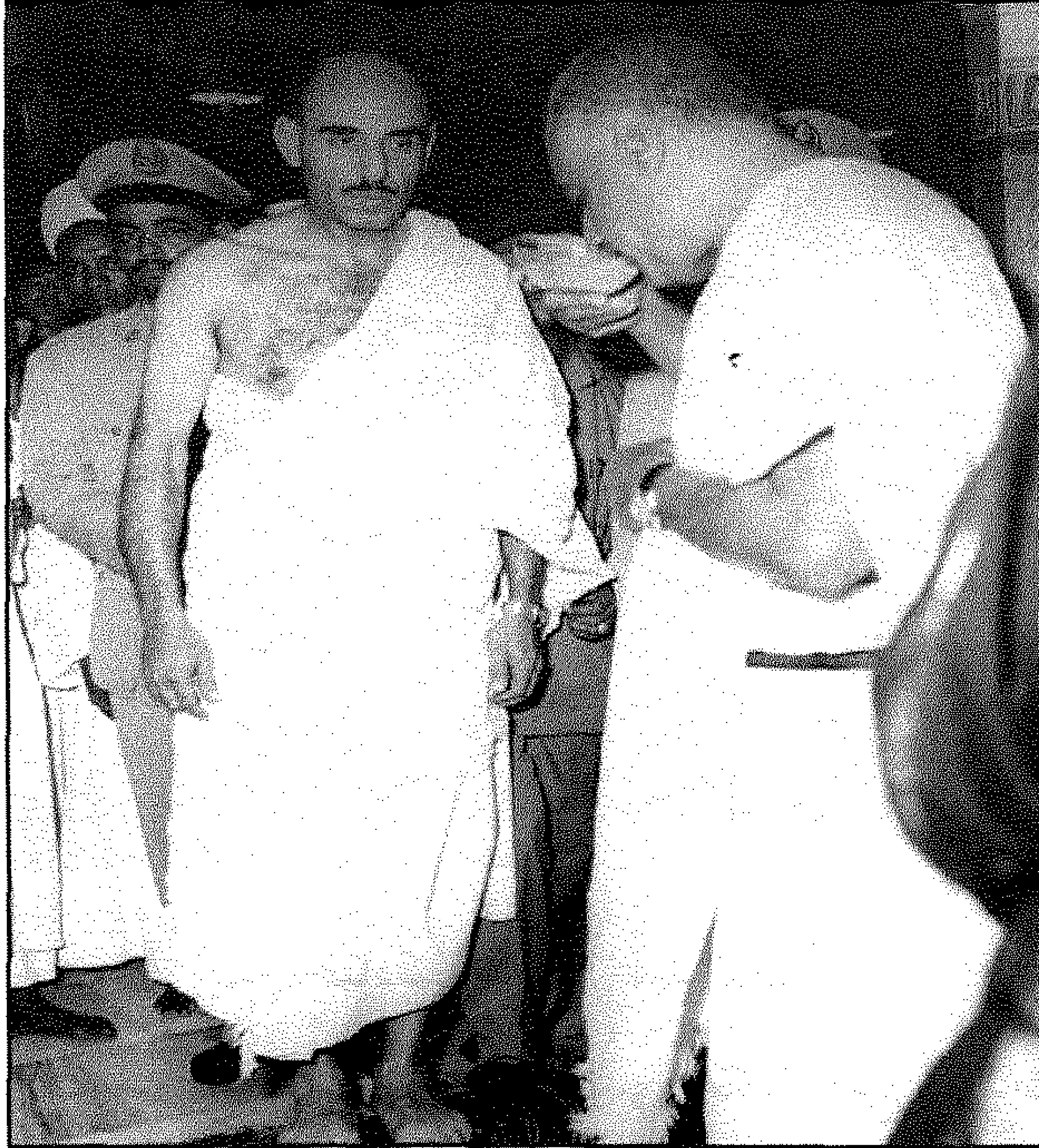


في أبــوة صادقــة .. جمال عبد الناصر

مع إحدى العاملات تعبيرا عن احتضانه وتبنيه للأيدي العاملة وجميع الطبقات الكادحة



بأخوة وكرم ضيافة الأشقاء .. الأمير فيصل ولي عهد المملكة العربية السعودية مرحبا ومستقبلا جمال عبد الناصر والوفد المرافق له أثناء أداء مناسك الحج عام ١٩٥٤



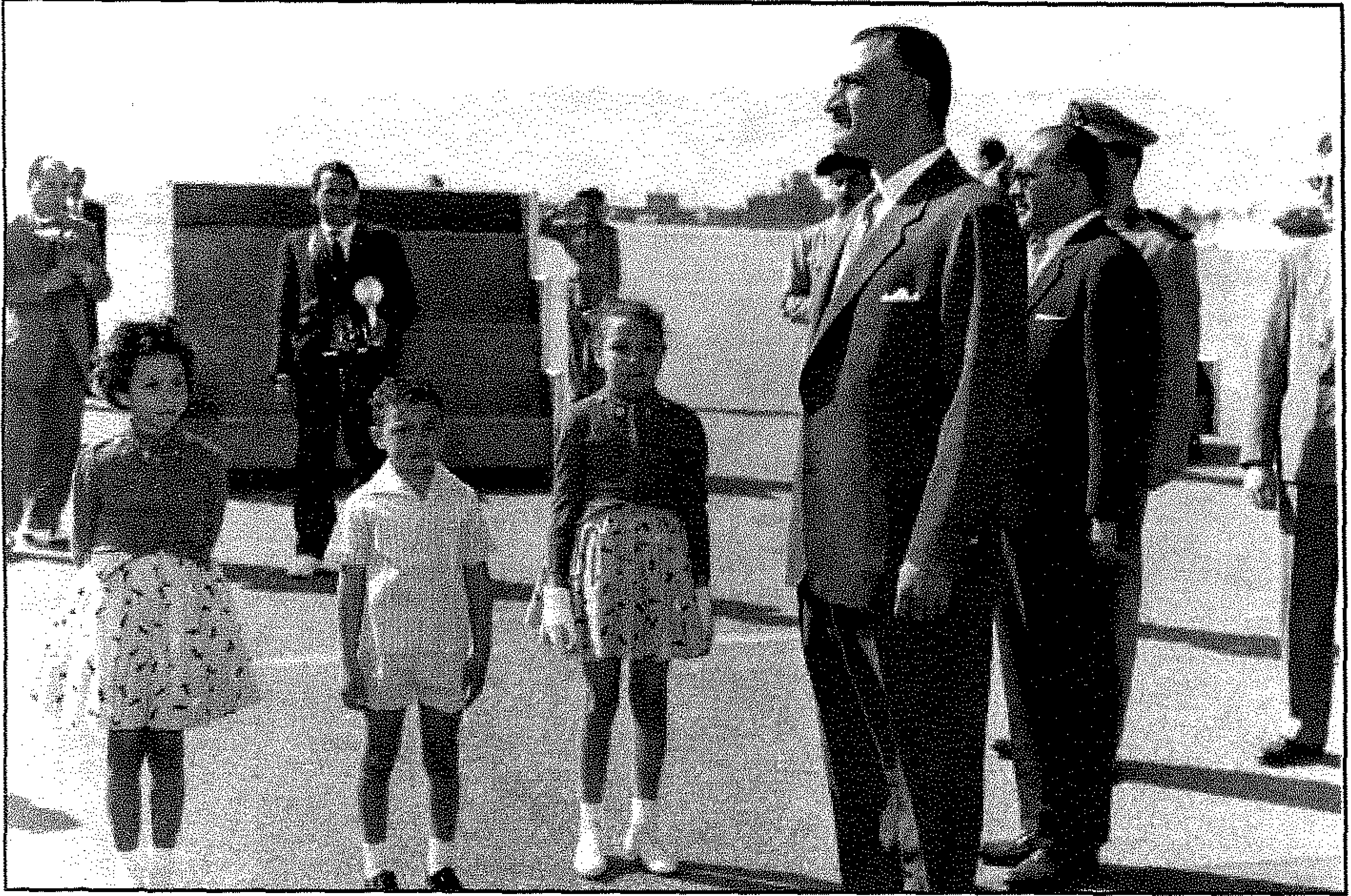
ماء زمزم لما شرب له .. بقوة الايمان بالله وقف عبد الناصر أمام أعداء الوطن في الداخل والخارج .. فلم يكن شيوعيا ولا ماركسيا ولا ملحدا



في خشوع وابتهال وتضرع .. في يوم عرفة
عبد الناصر والسادات وزكريا محي الدين يسألون الله تعالى النصر لمصر ولشعبها العظيم



سامي شرف وشعراوي جمعة وحلمي السعيد في الطريق الى عرفات سيرا على الأقدام عام ١٩٦٨



اهتم عبد الناصر بالأجيال الناشئة وحرص على إشراكهم في استقبال كبار الضيوف
ليلى وهالة وهشام سامي شرف بالمطار عام ١٩٦١



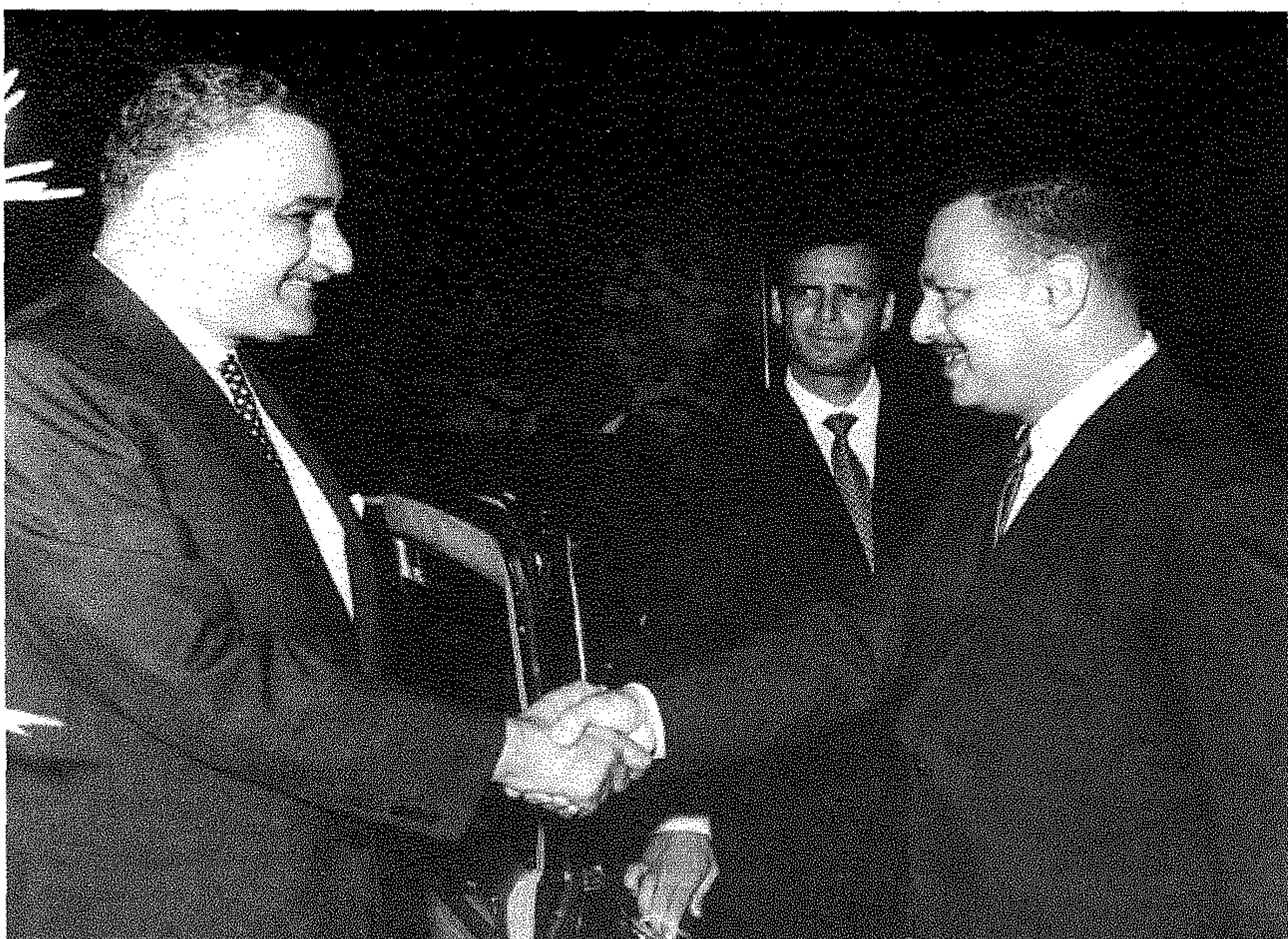
ليلى وهالة سامي شرف ترحبان بالرئيس اليوغسلافي جوزيف تيتو بمطار القاهرة عام ١٩٥٧



من زهور مصر ليلى وهشام وهالة سامي شرف ..
باقة من الزهور لضيف مصر الزعيم الافريقي رئيس غانا أحمد سيكوتوري



حرص عبد الناصر على تكاتف دول عدم الانحياز.. ضد الهيمنة الغربية
بقيادة مصر والهند ويوغسلافيا



سامي شرف مستقبلا الرئيس جمال عبد الناصر في حفل زواج كريمتيه ليلى وهالة عام ١٩٧٠



بكل الحب والمودة الرئيس جمال عبد الناصر مهنئاً العروسين



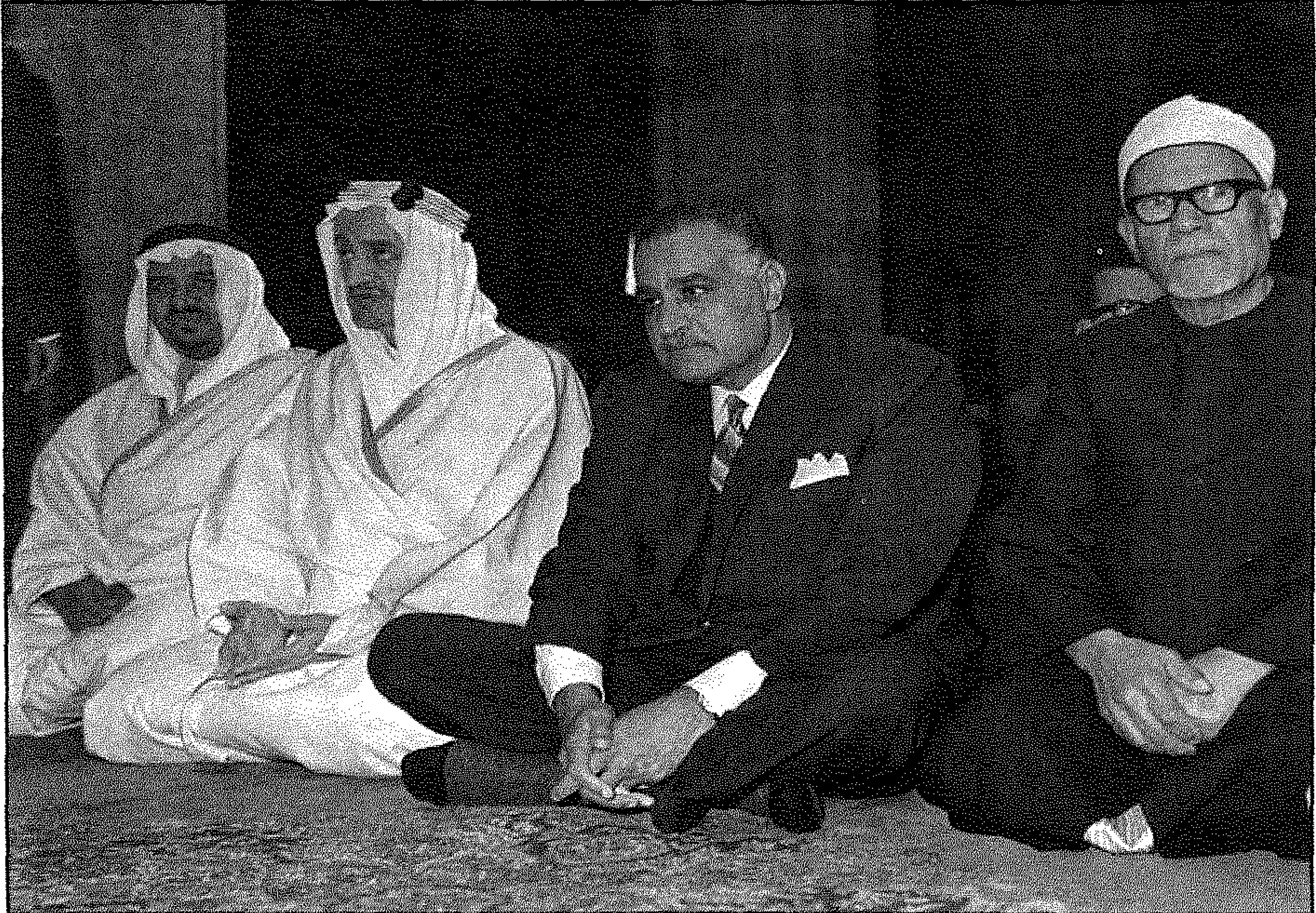
.. ويوقع كشاهد على وثيقة زواج ليلى سامي شرف



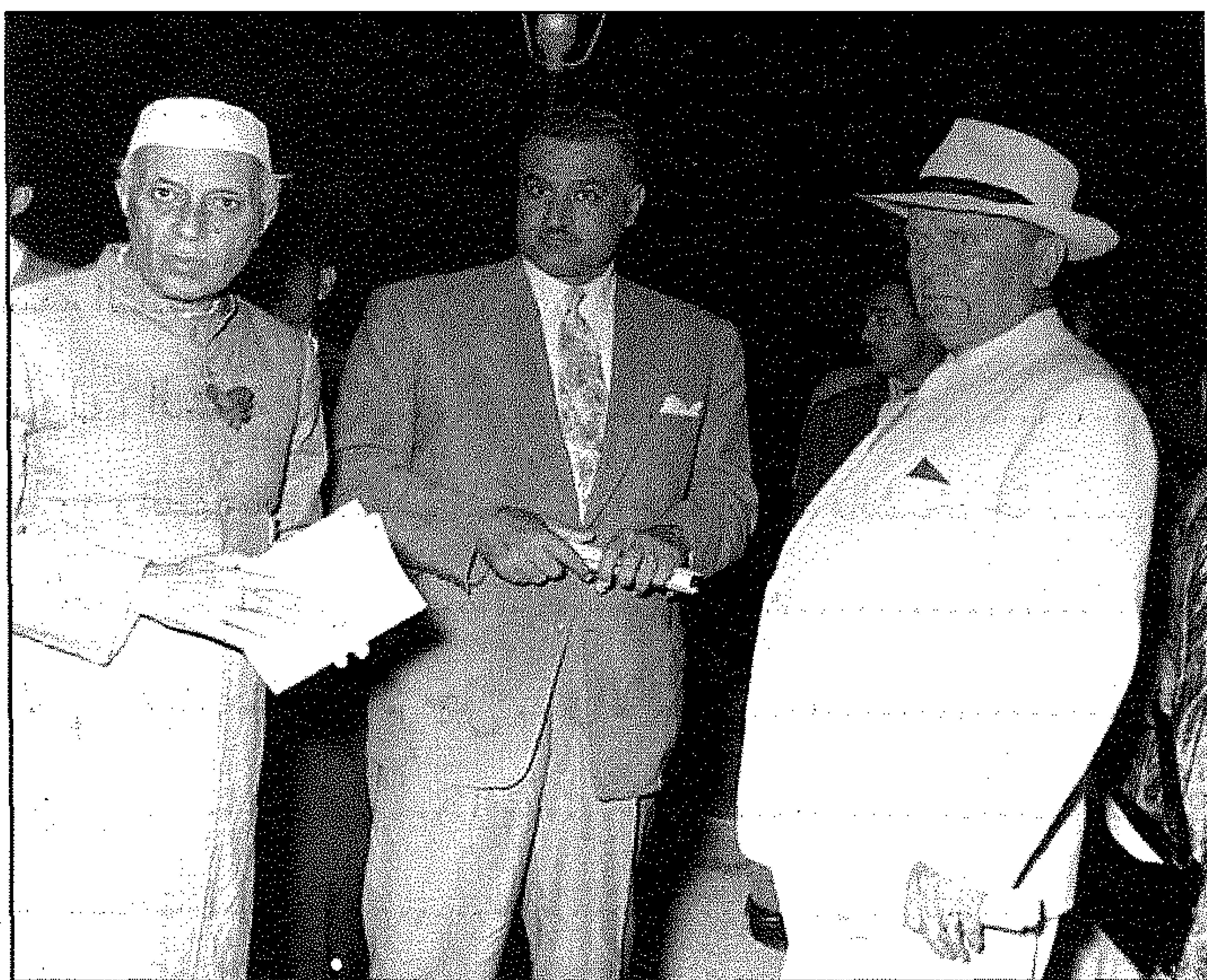
الرئيس جمال عبد الناصر مشاركا سامي شرف حفل زواج كريمتيه ليلى وهالة عام ١٩٧٠



مصر والسعودية تاريخ من التعاون و الصداقة في مواجهة التحديات الدولية
الرئيس جمال عبد الناصر مستقبلا الملك سعود في مؤتمر القمة بالقاهرة يناير ١٩٦٤



في خشوع وخضوع الرئيس جمال عبد الناصر مع الملك فيصل في رحاب مسجد الحسين



الزعماء الثلاثة لحركة عدم الانحياز .. عبد الناصر يتوسط تيتو ونهرو



الرئيس جمال عبد الناصر مع قادة الصين الشعبية
تاريخ من التعاون والصداقة لرفعة الشعوب الآسيوية والأفريقية

الموضـــــــــوع	رقــم الصفحة

سنوات و أيام مع

جمال عبد الناصر

شهادة سامي شرف



في السنوات القليلة الماضية عاشت مصر- ومعها الأمة العربية أجواء الثورة.. تلك الثورات التي لم يكن لها قيادة بارزة فكانت أقرب إلى الانتفاضة، وكانت أخطاء - ولا تزال - ولم تجد الجماهير ما يرضي طموحاتها أو يحقق أحلامها فيما خرجت وثارت من أجله..

من هنا وجدنا كثيرين ينقبون في تاريخهم عن روح الزعيم والقائد والثائر والمعلم، وجدنا صور الزعيم جمال عبد الناصر تُرفع في ميادين مصر.. و بإصرار وبأيدي من لم يعايشوا جمال عبد الناصر بل بمن ولدوا بعد رحيله..! لماذا؟ هل لأن جمال عبد الناصر لمس قلوب الضعفاء والكادحين المظلومين .. هل لأنه انحاز إلى العمال والفلاحين و عمال التراحيل والمعدمين .. هل لأن جمال عبد الناصر سعى لتوحيد الصف الوطني والعربي وتحرير إرادة شعوب العالم الثالث من الهيمنة الاستعمارية.. فحفر صورته في قلوب الشعوب العربية والأفريقية والآسيوية.. بل ربما لذلك كله.

فكان لزاما علينا إعادة التنقيب في حياة الزعيم جمال عبد الناصر، فلم نجد أصدق وأقرب من سامي شرف الذي عايش جمال عبد من الناصر أكثر من ١٥٥٥٠٠ نعم مائة وخمسة وخمسون ألف ساعة طيلة ١٨ عاما من النضال في الداخل والخارج .. إذا جالسته وجدت الاخلاص والتواضع والزهد .. وجدت أصالة شعب مصر و روح جمال عبد الناصر تسكن في عقله وقلبه .. إنه رجل المعلومات الذي ساهم في تأسيس جهاز المخابرات العامة عام ١٩٥٢ ثم اختاره جمال عبد الناصر للعمل سكرتيراً لرئيس الجمهورية للمعلومات، وفي أبريل ١٩٧٠ عين وزيراً لشئون رئاسة الجمهورية بالإضافة إلى سكرتير الرئيس للمعلومات واستمر في هذا المنصب حتى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، ثم جاور السادات لعدة أشهر ..

مع البداية - يناير ١٩٥٣ - سُجن بسبب وشاية فيما عُرف بقضية المدفعية.. وكانت مكافأة نهاية خدمته الحُكم عليه بالإعدام - فيما عُرف بانقلاب مايو ١٩٧١، ثم خُفِّف إلى المؤبد قضى منها عشر سنوات متنقلاً في سجون مصر؛ وعلى الرغم من ذلك لم يتمالك دموعه عندما علم باغتيال الرئيس السادات، بكى العيش والملح، رغم الخلاف السياسي ورغم ظلمات السنوات والأيام في السجن و رغم وشايات الأصدقاء والزملاء.. إنها تراجيديا السياسة !!

وبعد يناير ٢٠١١ أصدر العديد من الدراسات والمقالات من دروس التاريخ والتجربة التي عاشها مع الرئيس جمال عبد الناصر..

لقد سلمنا جميع أوراقه لنقدمها للجماهير خاصة الشباب والتي تصدر في أجزاء متتالية.. لنتعلم ونصحح أخطاءنا وننفض الخلافات ونتعلم أن الشعب هو الذي يراقب ويحاكم والتاريخ يسجل ويحاسب..

مهندس

ماجد أحمد يحيى

المكتب المصري الحديث
www.almaktabalmasry.com
القاهرة: ٢٠٢/٢٣٩٣٤١٢٧
الاسكندرية: ٢٠٣/٤٨٤٦٦٠٢